

من أمطار هجر الوحدانية:

الكتاب بين الشرق والغرب

للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

المرحلة الأولى من استقلالنا الفتي لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة بأجهزة فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضارية المذلل يفكر بعضنا في كثير من الاحايين تفكيراً يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لغة تعبيره هي العربية فرسالة التعريب في المغرب العربي هي غيرها في الشرق العربي لان الشرق ينطلق من لغة الضاد فيطعمها بلوازم العصر ونحن ننطلق حتماً من المزيج الحضاري الغربي العربي الذي عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا المجيد في كامل مقوماته بحاضر انصهرت في بوتقته عناصر علمية وتقنية وحضارية انسانية فالشيء الذي يهمنا الآن هو تحقيق هذا الهدف القريب الذي يستلزم عجن الطينة العربية عجنًا جديدًا في غير هوادة حتى تصبح لفتنا - كما كانت في العصور الوسطى بل أكثر مما كانت في العصور - أداة دولية للتواصل بين الاجناس في دقة علمية ورصانة تقنية وتجاوب عميق مع ما استجد في العصر من خلجات وولجات فنحن في المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعريب مستمدين من الشرق ما سبقنا الشرق الى تعريبه ومستمدين من الغرب ما يجب أن يدرج بوضوح لتطعيم هذا المدد فلا نقبل من هنا او هناك الا ما يكفل استقصاء عراقة الضاد واستقراء مفاهيم العصر دون لبس ولا غموض فمثلنا مثل الطفل الغريب الذي يسأله والده عن اسم هذه الآلة او تلك فاذا اعطاه اسما ما لمسمى ما قبله ولكن اذا اعطاه نفس الاسم لمسمى مغاير سال والده

لن نأتي بجديد اذا قلنا ان المغرب العربي الاسلامي استمد ولا يزال يستمد كثيراً من مقوماته الحضارية من شقه الشرقي وخاصة في الحقل الثقافي فالفكر العلمي الاسلامي عندنا ليس سوى امتداد اصيل مبدع للتراث الذي انبثق من قلوب العروبة النابضة في الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للعصور الحديثة فان أسبقية الشرق الى تطعيم الفكر العربي بمعطيات الفكر الغربي المعاصر جعلت من اللغة العربية وهي المفهوم الجوهرى للوحدة أداة تتصارع في تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمي والتقني الجديد على الصعيد الانساني ولعل من ابرز ما استرددها من الغرب المستعمر ما كان للفتنا من دقة في التعبير وجلالة في التصوير وضبط في التنظير وقد استطاع الفكر اللاتيني خلال فترة الاستعمار أن يقحم لفته وثقافته في البرامج الدراسية بحصة الاسد حتى أصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر في المغرب العربي الجهاز الاساسي للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار اخواننا في الشرق يمرحون في حرية نسبية داخل قفص مقفل مغرب البرامج والمناهج ، فحركتنا الهادفة للتعريب في المغرب العربي لا تنطلق من نفس الأساس الذي انطلق منه التعريب في الشرق - اذا كان هنالك انطلاق للتعريب في الشرق حيث احتفظت العربية في الواقع بمكانتها العريقة مع جمود نسبي ناتج عن عوامل الاستعمار - فنحن بالرغم من جهدنا الجهيد في هذه

العربي مضيفة أحيانا ما يوحي به اللفظ الاجنبي بكامل الدقة وتواركة لمؤتمرات التعريب المقبلة اصدار الكلمة الفاصلة في ذلك فهذه مرحلة أولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمعطياته يسهلان مهمة الانتقاء .

فمجامع اللغة والمجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق في المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب ان يجمع وان ينسق في استقراء واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظير بين محتويات القواميس والمعاجم قديمها وحديثها صحيحها وسقيمها على اختلاف لغاتها وخبراتها أصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لفوية صالحة تسير العصر وتجعل لغة الضاد جديرة - كما كانت - بأن تفرض وجودها في المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضغوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقية علمية وتقنية للفتنا كأداة أممية للتقارب والتواصل .

ان سلفنا قد كد واجتهد لاحتلال اللغة مكانتها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتصعيدها اذا اقتضى الحال .

واذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربي من بادرآت لكفالة هذا الاستثمار والاستقرار في مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يعرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربي في هذا الجهاد فلذلك ندعم هذه الديباجة بفذلكرة موجزة هي انموذج مبسط يلقي ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال في هذا الحقل الحيوي من جهادنا الحضاري المشترك .

وتجدون في غير هذا المكان من هذا العدد الممتاز معيجمًا للقبولين يبرز جزءا من التراث اللغوي المغربي الذي هو امتداد اصيل لتراثنا العربي العام .

في غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى علمي قديم او حديث كلمة موحدة تعبر عنه في جزالة وجلاء ونحن اذا نقدنا ما بين ايدينا من غث وسمين مما يرد علينا من الشرق فلننا بزاعمين اننا لنفكر الشرق الا بقدر ما يلحق الطفل والده او التلميذ استاذاه في نطاق الاستمداد البناء واذا كان هنالك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه في هذا المجال فهو احراج هذا ذلك نتبعه ما له من خبرة اوسع وحنكة ادق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعميق الاصالة وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة .

وقد زاد في الطين بلة بين شقي العروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتيني والانجلو سكوني من بون يتسع احيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين اي بين ينبوعي الاستمداد النسبي في حضارتنا الموحدة فالمقابل العربي المقترح للتعبير عن مدلول علمي او تقني حديث مستمد من خلال هذه اللفة او تلك يختلف في بعض الاحايين الى حد التناقض لما يكون أحيانا بين اللفتين من نفاذ لا يتلافاه الا من تضلع فيهما ونظر بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمي المشترك او المشاع بينهما ويكفي لتدرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة مجرد التنسيق ولا نقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد اكبر الآمال لتقريب الهوة وتنوير الصوة لان رسالة التوحيد يجب ان تنبثق في الحقيقة من هذه المجامع اذ لا نتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تحفنا به هي نفسها غير ان خبراءنا في الوطن العربي يدفعون دفعا الى ان يتساءلوا ويلحفوا في التساؤل، انتجاعا للدقة، عما تنطوي عليه بعض المقابلات العربية الشائنة والمقترحة من لبس وسطحية او عما يتم عنه أحيانا معجمنا الجديد من تنكر للاصالة والدقة والوضوح .

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التي ترصص في صف واحد ما يستعمل هنا وهناك في اجزاء الوطن

الدَّلالة الجديدة والتطور اللغوي

الدكتور إبراهيم السامرائي - بغداد - كلية الآداب .

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرا على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي . على أنهم يذهبون مذاهب في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه التفسيرات المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وإن كانت وجيهة فإنها تفتقر دائما الى الاصلة والشمول ، بحيث يمكن الاخذ بها على أنها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » في الوراثة ، والرد على هذا من الامور الهينة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي في التطور وهو ما يدعى بـ « المذهب الطبيعي » . قال دارون في كتابه « أصل الانواع بمسألة تنازع البقاء وظهور

« The Origin of Species »

صفات خاصة في بعض الافراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعا مختلفا عن لم يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعا لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات أيضا نتائج عظيمة لتجمع اسباب عديدة صغيرة لا قيمة

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كالليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجدي في عصرنا الحاضر ان نبحث في أصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة انها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية . وينبغي على ذلك انها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني في مختلف احواله .

واتصف « علم اللغة » في العصر الحاضر بالصفة العامة الخالصة ذلك انه ليس مادة يستعان على ادراكها بالتأمل كما كان في عصور سلفت . انه الآن مادة موضوعية يتبع في علاجها ومعرفة المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي في هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم الغربية الحديثة التي بحثها الغربيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعاه كريم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا أنها قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الاخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور في الاصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذي يحصل في اعضاء النطق ، وقد عرضوا في ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعتور الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشويه في اعضاء النطق .

لها في حد ذاتها كادخال عبارات اجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة « (1) » .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخسر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادئ دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات الاوربية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع باديء ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى . على ان تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء اخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها .

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التي تبنى منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Sémantique جديدة يستدعيها الزمان والمكان . وليست العربية بدعا بين اللغات ، ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتبديل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذي يطرا على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث ان « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب . فلا بد ان يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التي جدت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر

اصحاب المعجمات الحديثة لهذا التسرع من المولد الجديد . وليس عجيبا ان يكون نفر من هؤلاء ما زال يعد الجديد المولد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد في النصوص والوثائق . وهذه النظرة وان تمسك بها جماعة من اللغويين في عصرنا فان المعربين كافة اخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوربيون في هذه الناحية وألفوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا (2) .

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات من الالفاظ الجديدة المولدة والعربية وقد اخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى . غير ان اللغويين ما زالوا مترددين في عد هذا الجديد من الفصيح .

ان عربية يومنا هذا غير تلك العربية التي كان ابناء امسنا القريب في مطلع هذا القرن يعربون بها . ومن غير شك ان عربية هذا الاقليم تختلف عن عربية اقليم آخر في هذا الوطن العربي الفسيح الارزاء . ومن غير شك ايضا ان خصائص العصر لا بد ان نلمسها في لغة أية حقبة . ان هذه الحال تصدق اذا عرفنا ان القدماء قد جردوا من اللغة طائفة من الالفاظ والاستعمالات تتصل بحقبة من الحقب او بنظام سياسي معين او بلون اجتماعي خاص او بفرقة من الفرق ، كان تكون هناك الفاظ عباسية واخرى من المجازات الاسلامية كمجازات القرآن ومجازات الحديث، وطائفة لغوية ذات علاقة بالتصوف الاسلامي ، وطائفة اخرى تتصل بالفلسفة الاسلامية . وجاء العصر الحديث وبرزت الحضارة الغربية وتطلع العرب الى ألوان هذه الحضارة فوجدوا ان لا خير على الحضارة الاسلامية من اخذ شئ من ألوان هذه الحضارة الوافدة . وسواء رضينا ام ابينا هذه الألوان الجديدة فانها لابد ان تجد سبيلها اليها . وكان من ذلك ان صارت لغتنا العربية معبرة عن خصائص هذا العصر الجديد فحفلت بالفاظ جديدة كما حفلت بطرائق جديدة في الاستعمال . قلت : قد حفلت العربية الحديثة بالفاظ جديدة . ان عنصر الجودة في هذا الموضوع هو ان

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النشوء والارتقاء » لشليبي شميل (مطبعة المقتطف مصر 1910) ص 120 - 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv في كتابه « حياة الكلمات » La vie des mots . ومنهم Whiteney في كتابه « حياة اللغة » La vie du langage . ومنهم Richard و Ogden في كتابهما The Meaning of Meaning

دلالة جديدة قد وجدت . وهذا يعني ان تطورا ما قد حدث وان المعربين وجدوا انفسهم محتاجين الى شيء من جديد يؤدي معاني جديدة استحدثت لفرض من اغراض الحياة الجديدة .

اقول : من الواجب علينا ان نفصح لهذا الجديد انذى قذف به المستعملون ، فى كتاباتنا لانه صار من مادة هذه اللفة . وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم ارد من ذكرها الا ان تكون امثلة على النهج الذى أثرت اليه من ذي قبل . وهذه اثباتت جمعيتها من هنا وهناك ولم أتبع فى جمعي هذا منهجا خاصا فمنها ما شاع فى لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل فى لغة الكتابة الخاصة ، واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احدا يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي ان تصنف فى مجموعات حسب الاختصاص الذى تنسب اليه ، كان يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا فى سائر الاختصاصات . وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة فى المعجم القوي ، ذلك انها معان جديدة ينبغي ان يشار اليها بايجاز فى معجم لقوي حديث (1) .

ودونك شيئا من هذه الالفاظ الجديدة :

(1) الامبريالية : لفظة اعجمية الاصل عربت على هيئة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة فى العربية افيد منها كثيرا فى التوصل الى كثير من المصطلحات العلمية . والكلمة تعريب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتوسع . وعلى هذا كانت الامبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار . والوصف منها « امبريالي » وهو مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذى بنيت منه الكلمة الغربية هو الكلمة اللاتينية التى ترجع الى العصور المتأخرة Imperialis وهو من Imperium وهذه الاخيرة تعني Empire وقد عربت هذه بـ « الامبراطورية »

او « الانبراطورية » . والامبريالية كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر فى كتاباتهم للتعبير عن مصطلح اعجمي لا بد من توفيره فى العربية . وهي كسابقتها « الامبراطورية » من الشيوع والاستعمال .

وبعد فليس من الحق الا يعرض اصحاب المعجمات الحديثة لشيء من هذه العربات . ومن الناحية التاريخية ان الوصف بـ « الامبريالي » Impérialiste كان قد عرف فى سنة 1546 بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفى القرن التاسع عشر كان هذا الوصف يعنى من يتعصب للاسرة انابوليونية ، ثم صار يعنى من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية .

(2) الانتاجية : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد يريدون به « قابلية الانتاج » Productivité ، وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . واذا كان المصطلح كلمة واحدة كان خيرا من آخر مركب من كلمتين او اكثر . وينبغي ان يراعى فى ذلك اللغة التى عرب منها المصطلح .

(3) الانتهازية : كلمة تشيع فى كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط فى الاخلاق غير مقبول ، فالانتهازى عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا كان الانتهازى من لا يؤتمن ولا يطمأن اليه ، والكلمة مما ينبز بها فى هذا العصر . والانتهازية الخلق الذى يتصف به الانتهازى ، والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة مستعملة فى كتابات السياسيين . والانتهازى من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصلحه .

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب ان يخلو منها معجم حديث العربية . ومن المفيد ان اشير الى الكلمة القديمة « نهاز » وهي وزن المبالغة لـ « فاهز » او نهزة على « فعلة » لما قد يؤذيان من المعنى الجديد ولما يقتربان مما هو انتهازى .

(1) اغفل « المعجم الوسيط » كثيرا من هذه الالفاظ الجديدة كما اغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العربي بدمشق (المجلدات: الثامن والتاسع والثلاثون والاربعون) : نظرات فى المعجم الوسيط لعدنان الخطيب .

4) **الانهزامية** : كلمة أخرى تشيع في كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية . وهي نموذج خاص من الخلق ، فالانهزامي هو الذي لا يحتمل مواجهة الأمور الصعبة والظروف الدقيقة ، وإنما يفضل الابتعاد عن الصعاب ولا يستطيع احتمال النتائج . والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية Défaitisme .

واظن من المناسب ان يشار الى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية .

5) **البرجوازية** : مصطلح جديد بني على المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب اصحاب علم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال مثلا: المفاهيم البرجوازية اي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية Bourgeoisie .

والاصل فيها كلمة Bourg وتعني المدينة فكان « البورجوازي » في الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يملئها عليه سكنى المدن . ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السيد المطاع . وربما افادت الكلمة معنى سلبيا في نظر طائفة من المجتمع ، ذلك ان البورجوازي لدى العمال في بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى التبر من هذه الناحية .

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها، ثم اندست معربة في العربية بهذه الخصوصية المعنوية . وعلى هذا كان من المفيد ان يشار اليها في معجمنا الحديث .

6) **التقدمية** : مصطلح جديد يفيد طريقة في التفكير واسلوبا في العمل وفلسفة تجنح الى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع في مطلع هذا القرن ولاسيما في كتابات الاشتراكيين وانصار المذاهب اليسارية . والتقدمي هو القائل بالتقدمية والسالك في نهجها والاخذ بفلسفتها . وهي من غير شك ترجمة لـ Progressisme والتقدمي يقابله لفظ Progressiste .

ومن المفيد ان تشير الى ان الكلمة حين استعملت في العربية اوشكت ان تكون من لوازم الاشتراكية . وهذا يعني ان الاشتراكيين والشيوعيين من القائلين بالتقدمية . ثم توسع في استخدام التقدمية حتى استقرت في مكانها الصحيح حتى صار التقدمي هو المؤمن بالتقدمية في المجالات الإصلاحية . وعلى هذا كان من الضروري ان يشار الى هذه الكلمة في صورها المختلفة في معجم حديث للعربية .

7) **الثورية** : مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و « الثوري » هو المتصف بهذه النزعة وهذا الاندفاع . والكلمة الاخيرة ترجمة لـ Révolutionnaire .

8) **الجمهورية** : نظام معروف في الحكم . ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لا بد ان يشار اليها في معجم لغوي لشيوعها واستعمالها .

9) **الديمقراطية** : وليس من حاجة للاسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من الشيوع بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما اخذتها أمم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلا بد ان تشير اليها في معجمتنا اشارة كافية . وهي تقابل كلمة Démocratie .

10) **الديماكوجية** : وهذه كلمة جديدة اخذت سبيلها في كتابات المعاصرين من اصحاب العلوم الاجتماعية . وهي معربة من Démagogie . وهي تعني في السياسة الطريقة التي يتلق بها الجمهور والعامه .

والكلمة من اصل اغريقي هو Démagogia والمتذهب بهذه الطريقة يقال له Démagogue أي الديماكوجي . ولا بد من الاشارة الى ان هذه الكلمة قد استعملها الكتاب العرب في المشرق العربي على هذا النوع من التعريب . غير ان نفرا من الكتاب قد آثر ان يلجأ الى ترجمة هذه الكلمة فاتخذ « الفوغائية » مقابلا للكلمة الأعجمية . وهذه الكلمة الأعجمية المنسوبة الى « الفوغاء » اريد بها النبز والاحتقار حين جعلت مقابلا للأعجمية . ومن الضروري

الميل للأفكار القديمة وعدم الإقبال على الجديد من الفكر والعمل. ووصف نفر من الناس بالرجعية من باب النبز والاحتقار ، ولا يصفهم بذلك الا أصحاب التقدمية والقائلون بالفكر الجديد . وعلى هذا تكون الرجعية ضد التقدمية .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » .
وصاحب هذه الصفات (الرجعي) Réactionnaire .
ولما كانت هذه الكلمات مما يصف بها التقدميون خصومهم فقد يفرط في استعمالها . وعلى كل حال لابد من الاشارة الى هذه المولدات اللغوية في المعجم الحديث أو على الأقل في المعجمات الخاصة كمعجم المصطلحات السياسية ومعجم المصطلحات الاقتصادية ونحو ذلك .

14 الكولونيالية : وهو مصطلح جديد
مغرب على هذه الطريقة استعمله الكتاب السياسيون .
والمراد به « الاستعمار » وكان هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تجديده للمراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب . وعند هؤلاء ان « الكولونيالية » الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme » .

ولا ندري ايكثب لهذه الكلمة المعربة الشيعو والبقاء أم يطويها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

15 المحسوبة كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها ان يكون لبعضهم حظوة لدى جماعة من الحكام والرؤساء فهؤلاء يقدمونه ويخصونه بالمنافع وبثروته على غيره مراعاة له على نحو يبتعد عن العدالة والنصفة دون حساب لمصالح الآخرين . والكلمة ترجمة لـ Favoritisme .

16 المسؤولية : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث أن صاحب المسؤولية مسئول عما يقوم به . و « المسئول » نظير الرئيس والحاكم والمتصرف بالامور . وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني . والمسئولية يقابلها بالفرنسية Responsabilité كما يقابل كلمة مسئول Responsable .

أن يشار في معجمنا الحديث الى هذه الكلمة ونظائرها مما هو جار في استعمال الكتاب العرب عملا بالنهج لهومي بدى يؤرخ الالفاظ في علم المعجمية الحديثة .

11 الفوضوية : وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو في استعمال الكتاب العرب يتخذ شيئا من النبز والاحتقار ، في بعض الاحيان . وهو مذهب له انصار في المجتمعات افريقية الحديثة وهؤلاء اصحاب افكار غريبة . والكلمة ترجمة لـ Anarchisme وقد بنيت هذه الكلمة الجديدة في العربية على كلمة « فوضى » المعروفة ، وينبغي ان نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في الاستعمال ، فالمعروف ان « فوضى » جمع على « فعلى » والاصل فيها « فضى » جمع فضيض مثل شتى جمع شتيت ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال . ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعني في الاصل « المتفرقين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اقول : ان هذه الكلمة اصابتها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان « فوضى » في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم . وفي هذا عرض للتطور الذي يعرض للغة .

12 الراسمالية : مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان « راسمال » بالهمز ، او « راسمال » بتسهيل الهمزة كلمة جديدة ، وكان تركيبها قد اغفل النظر اليه فصارت تجمع على « راسمائل » . على ان تركيبها ما زال منظورا اليه لدى من يجمع الكلمة على « رؤوس اموال » . ومن الطريف أن يشار الى ان العامة المراقبة قد اغفلت النظر الى تركيب هذه الكلمة فاشتقت منها فعلا هو « راسمائل » بمعنى ان البضاعة المباعة قد رذت « راسمالها » أي أنها لم تخسر ولم تربح .

13 الرجعية مصطلح جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو

« فعل » من هذه الكلمة ، فهي جديدة في صيغتها جديدة في معناها . وهي تقابل Agent الاعجمية . والكلمة من الشيوع في الاستعمال بحيث يجب أن ينص عليها اذا ما اريد تسجيل العربية تسجيلًا تاريخيًا .

(21) **الرائد (Pionnier)** : وهي كلمة قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجعة وطلب الكلاً ، وفي حديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) في صفة أصحابه : « يدخلون روداً ويخرجون أدلة » أي يدخلون طالبين للعلم ملتزمين لأحلم ويخرجون هداة للناس . وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاً ومساقط الفيت .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الاقدمين ، أما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي أن يشار اليه ولا يكتفى بتخطئته فيقال : « الزعيم الرائد » في الكلام على زعيم من الزعماء ، كما يقال : الصحيفة الرائدة او الفكرة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز .

هذه جملة مصطلحات جديدة لها مكانها في اللغة الحديثة فهي تستعمل في مقامات مخصوصة بحيث صارت جمهرة القراء تقرؤها كل يوم وتسمعها كل يوم . ولذا كان من الواجب أن تدون هذه الاستعمالات مقرونة بالظروف والاحوال .

ان الجديد الذي نلاحظه في لفتنا الحديثة آخذ بالازدياد لما عرضنا في مقدمة هذا البحث من أسباب . أما القول بأن هذا من لغة الجرائد نبزا له وابعادا فذلك غير سديد . ان طائفة كبيرة من الالفاظ القديمة قد انصرفت الى معان جديدة فينا حاجة ماسة اليها .

فان لم تقبل هذه المعاني الجديدة فكيف نعمل ازاء التامين ، والتصميم والتخطيط والصمود والمسح والتفتية والتوعية والارضية والخلفية واشياء أخرى ؟ وساعدوا لبحث في هذه الالفاظ الجديدة في بحث قابل والسلام عليكم .

(17) **النضالية** : وهي كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي لعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلا . ومجئ الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي يشعر ان هذه الكلمة أصبحت مصطلحا يفيد « القابلية على النضال » أو « الروح النضالية » (Militantisme) (1)

(18) **الوصولية** : من المصطلح الجديد وهو مصدر صناعي من « الوصول » للدلالة على ما في « الوصولي » من الخلق والعمل . والوصولي من يعمل كل شيء ويسوغ لديه كل عمل في سبيل الوصول الى بغيته . والوصولي من الصفات الجديدة التي يوصف بها هذا النوع من خلق الله . وهو خلق رذيل ، ومن هنا كانت الوصولية نبزا وشتما وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا . وعلى هذا كان من الضروري الإشارة الى هذا النوع من المولد الجديد . والوصولية ترجمة لـ « Arrivisme » .

(19) **مؤتمسر** : وهذا مصطلح جديد يراد منه ان يكون مقابلا لـ « Congrès » وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في امر ما . وهو الائتمار والاستثمار والتآمر والمؤامرة وهو التشاور . وعلى هذا كان **التآمر والمؤامرة** بمعناها الحديث وهو المكيدة والخديعة ، غير معروف في اللغة القديمة . غير ان شيئا من هذا المعنى الحديث وجد في « الائتمار » جاء في التنزيل : « ان الملا يأتهمون بك ليقتلوك » قال ابو عبيدة : اي يتشاورون عليك ليقتلوك . وعلى هذا كانت الكلمتان « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار اليه في أعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

(20) **العملاء** : وهي من كلمات النبز والشتم الجديدة . والكلمة جمع مفردا « عميل » والمراد به من يعمل لمصلحة دولة اجنبية ضد مصلحة وطنه . وعلى هذا كانتا تقابل « جاسوس » من الالفاظ القديمة . ولا يوجد في العربية صفة على

(1) وردت كلمة Militantisme في معجم لاروس : « Dictionnaire du Français Contemporain »

الأضداد في اللغة

الدكتور حسين

- 3 -

أما ما انفرد به أبو حاتم عن قطرب وابن السكيت فأضداد قلائل ، يمكن أن نفرعها إلى الأنواع التالية :

أ - ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الأجوف والمضاعف ، وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب - ما يتبع صيغة فاعول وفعيل (158 ، 160 - 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفرده تجديده في أمثلتهما .

ج - أضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .
د - أخطاء (209 ، 231) .

وظننت في بادئ الأمر أنه حذف ما حذف من أضداد ابن السكيت ، لأنه لم يرض عنها أو عن نوع الأضداد الذي تمثله . ولكن الدراسة بينت أنه ذكر من الأضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض أضداد مجازية (65 - 69 ، 71) وأضداد اللغات (57 ، 59) وأضداد التطير (96) وأضداد المتعلقة (13) . وأضداد فاعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها . وكان من هذه الأضداد التي حذفها ما رواه أبو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71 ، 100) وأبو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والأصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده أضداد الصيغ المختلفة من أفعال وفعول ومفتعل وتفعل (162 ، 165 ، 175 ، 203 ، 231) وأضداد مجازية (273)

خالفت أضداد أبي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب في العنوان ، إذ لم تقتصر على الأضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والأضداد » . والمراد بالجزء الأول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهيبني الطريق وبالجزء الثاني الأضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الأصل . فالعنوان يصرح إذن أن الكتاب خاص بالأضداد ، والعبارات المقلوبة . ولكن هذا التقسيم لم يثمر ما يماثله في متن الكتاب .

وتشتمل أضداد أبي حاتم على 170 ضدا ، أخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه في 54 منها . ولم يشترك أبو حاتم مع ابن السكيت في شيء من بقية الأضداد التي لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 أيضا . فلم يقع بينهما اشتراك إلا فيما أخذه من قطرب . ولكن أبا حاتم لم يأت بهذه الأضداد من عنده ، بل أخذه منها من أبي زيد (166 ، 211 ، 216 ، 243 ، 244) ، و 3 من الأصمعي (214 ، 267 ، 271) ، واثنين من أبي عبيدة (106 ، 118) وواحدا من التوزي (180) وآخر من أبي زيد والأصمعي معا (275) . واشترك مع ابن الأنباري في 28 ضدا ، لا ندري مصدرها على وجه اليقين ، وإن ورد فيها أسماء بعض اللغويين .

لكنه حوض من أودى باخوته
ربب المنون فاضحى بيضة البلد

وأما قول ابن الزبيرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصة لعبد مناف

فليس من هذا فى شيء . « وقال (3) : «زهق .
الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى :
« وتزهق أنفسهم » و « قل جاء الحق وزهق
الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم .
وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها

منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، إلا فى
المقتطفات التى أخذها من غيره . وكان فى بعض
الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تأتى .
قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله :
(بطائنها من استبرق) . ظلواها . وقالوا : ظهر
السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرأت
القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال
الشاعر :

وان من القول التى لا شوى لها

إذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا فى قوله تعالى : « فيظللن رواكد على
ظهره » أي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر
عك : أي زائل ، قال الهذلي أبو ذؤيب :

وعيرها الواشون أني أحبها

وتلك شكاة ظاهر عك عارها

أي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : أي
لازمة له . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام
لها .

واضداد اللفات (227) واضداد المتعلقة (236)
وغيرها . أما الفرق الواضح بينهما فكثرة اعتماد
ابن السكيت على أبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني ،
واكتثار أبي حاتم الرواية عن قطرب وأبي زيد
والاصمعي .

وجمع أبو حاتم فى آخر كتابه ثلاثين ضدا ،
أفردتها عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها
نقدا عاما إذ قال (1) : « وقد ذكر بعض أصحابنا
حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه
الاضداد ما شاركه فيه ابن الأنباري (257) وما
شاركه فيه قطرب وابن الأنباري (252) ، وما
شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الأنباري
والصفاني (187) .

ولا تختلف الخطأ التى سار عليها أبو حاتم فى
معالجة الاضداد ، فى معاملها الكبرى وان اختلفت فى
بعض التفاصيل ، عما رأيناه فى اضداد ابن السكيت .
فهما متفقان فى تقديم المادة ، فمعنيها ، فشواهدهما
تارة ، وتقديم المادة فأحد المعاني وشواهد ، فالمعنى
الآخر وشواهد . قال (2) : « بيضة البلد . يقال :
فلان بيضة البلد : إذا ذم ، أي قد انفرد ، ويقال
ذلك فى المدح ، زعموا . فاما فى الذم فقال الراعي
لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسيا

وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

قال أبو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي
هزوا ، يهزا بهم يقول : أنتم سادة البلد ، وهو يهزا
بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا أباه فجعلهم
جلايب ، أي سفلة :

أرى الجلايب قد عزوا وقد كثروا

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

(1) ص 148 .

(2) 171 .

(3) 195 .

(4) 240 .

(نـد) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا أعلمهم
اختلفوا في ذلك ... والجمع انداد .. وكثير من
العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء .
وللائين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل
والشبه والعدل والصد .. ويقال : ند ، ونديد ،
ونديدة بالهاء ، كما يقال في الحديث : « اذا اتاكم
كريمة قوم فاكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى :
« كلا سيكفرون بعبادتهم » ، ويكونون « اي تكون
الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التي
تكون للواحد والجمع سواء . كقولك : القوم
رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور
في المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، في معنى :
كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للثام ، وقد
يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب
ابن السكيت ، اذ ينظم اضداد فعول ، وافتعل
وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ،
ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز في اضداد ابن
السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة
من الاضداد التي شك فيها الى آخر اصداره ،
وصرح بشكه فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال في
مادة « ضنين وظنين » التي لا ندري سبب وضعه
اياها في الاضداد ، وفي مادة « قعد » التي كررها
مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم في اصداره امتاز
على ابن السكيت امتيازاً كبيراً ، دل على قدرة
فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة في النقود التي
عقب بها على كثير مما أورده من اصدار . وعندما
نتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم
معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ . وهو يقيم من
نفسه مثالا للفويين ، فيعني بقوله : « لا أعرفه »
ان اللفويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

واعتمد ابو حاتم في علاجه على الشواهد ولكنه
كان يقلل منها في الشواهد التي انفرد بها عن ابن
السكيت ، ولم يظهر لي انه اخذها من غيره . ولا
يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنه عند من
سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه اكثر من الآيات
القرآنية ، وقل من الامثال والاقوال . وهذه بعض
امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الابل
ومن الظباء : الابيض . ومن كل شيء بعد ذلك :
غير الابيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم
- (اسمر) وظبية ادماء : بيضاء . وبغير آدم :
للأبيض ، وناقاة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا :
بصير ، للبصير الاعمى ، وللزنجي ابو البضاء .
وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيرة ،
يريد عمياء » .

ولكن ابا حاتم خالف من قبله في ناحية
واحدة من الشواهد ، هي ايراده احيانا السند في
تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو
عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن
عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرا : (وكان امامهم
ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان في العلاج يحاول الا يستطرد كما كان
يفعل ابن السكيت ، وان يلتزم بما اتصل بالاضداد
وحده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات
المتصلة بالاضداد ، والعناية باللفات ، كما نرى في
قوله في « نـد » (8) : « النخل ، يؤنثه اهل
الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ،
مخففة ، ويقال : هو مأمول ومن قال املته ، فشد
اليه . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحد : شبه
وشبيه ، وعدل وعديل . وقد يقال للعدل من
الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا يلتفت احيانا الى بعض
القواعد والاحكام اللغوية والنحوية ، ويذكرها .
قال : « قال ابو حاتم : اجتمعت العرب على ان

(5) 176 .

(6) 225 .

(7) 111 .

(8) 106 .

(9) 212 ، 261 .

(10) 106 .

ولا ائق ايضا بقول الفرزدق فى القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذى كان اظهرا » اى كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط فى شعره ، وليس فى قول نظيره جرير والاخطل شيء من ذلك . فلا ائق به فى القرآن .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على ان الضد من احتمالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذورها » يريد لم تعد ذورها ، اى ان ذرت ، اى طلعت . وانشدنا ابو زيد :

اتانا فلم نعدل سواه بغيره
رسول ائى من عند ذي العرش هاديا

يعنى النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقيل الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالفاء ترجع الى سواه . وهذا من احتمال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك .

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل الينا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف - كابي حاتم - بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التأليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد فى موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى فى اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها ان ابن الانباري ادخل فى مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذى اختطه فى كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا فى احصائها كتابا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم ائى من الحروف

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يصادني ، أعلمهم اختلفوا فى ذلك ... (و) زعم قوم ان بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يصادني ، فى ذلك المعنى ، ولا اعرف انا ذلك . فاما المعروف فى الضد فى كلام العرب فخلاص الشيء ، كما يقال : الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق ... » .

وكان فى اكثر الاحيان ياتى بهذا النقد فى الاضداد المتعلقة بالقرآن تخرجاً منه وورعاً . مثال ذلك قوله (11) : « كان ابو عبيدة يقول : خاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقنتم . ولا علم لى بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال ابو عبيدة : الخنذيد من الخيل : الفحل والخصي . وغلط ، انما الخنذيد الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيد ، وشاعر خنذيد . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كايات واتنا

وخنذيد خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن ابي خازم فى نعت فرس :

وخنذيد ترى الفرمول منه

كطي السرق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال ابو عبيدة : اسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول فى هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا ائق بقوله فى هذا ، والله اعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذى كان أضمر

(11) 117 .

(12) 115 .

(13) 168 .

(14) 181 .

(15) ص 13 .

بحسب . ثم كسرت السين منه ، ونقل الى معنى الشك ... وقال الفراء : خلت أصله من الخيال اذا تخيل لك الشيء ، ثم اعمل في الاسم والخبر ، ونقل الى معنى الظن . . » .

وعنى فى بعض الاضداد بايراد معانيها الاخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان أربعة : معنيان متضادان : أحدهما الشك ، والآخر اليقين الذى لا شك فيه . . والمعنيان اللذان ليسا متضادين : أحدهما الكذب ، والآخر التهمة . فاذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم الا يظنون » .

واكثر فى علاجه للمواد من ايراد الاحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال فى « توسد (19) » : « وانشد الفراء :

يا رب ساربات ما توسدا
الا ذراع العنس او كف اليد

أي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض باضافة الكف اليها ، وثبتت الألف فيها . وهي مخفوضة ، لانها شبهت بالرحى والفتى والعصا ، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام أباك ، وجلس أخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب اصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماض من قولك : قد كف فلان الاذى عنا . وقال : « الأون حرف من الاضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمثونة ... والمثونة اخذت من الأون ، وهو التعب والنصب . والاصل فيه ماونة مفعلة ، من الأون ، فنقلت ضمة الواو الى الهزمة ، ويجوز ان تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فاذا قالوا هو عظيم المثونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز ان تكون المثونة مفعلة من الأين ، والأين التعب . قال الشاعر :

بجزء . واسقط منها جزءا ، واكثرهم أمسك عن الاعتلال لها . فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي . ليستفني كاتبه وناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه ، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد . » .

ووفى المؤلف من الخطوة الاولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما فى اضداد ابن السكيت وأبي حاتم ، ما عدا قريبا من 30 اهملها لشكه فيها . وجميع ما فى اضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه ابو حاتم فى الباقيين 77 ، 164 . وزاد عليها اصدادا اخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، الى جانب ما أورده من فوائد فى اثناء الحديث عن الاضداد نفسها .

اما « حسن البيان » فظهر أولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . واوجزها فى الابتداء بالتنبيه على ان اللفظ من الاضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد ان كان بين يديه شيء منها . وها انذا افتح الكتاب عفووا ، لانتقط الضد الذى يكون فيها . قال (16) : « وتائم حرف من الاضداد . يقال : قد تائم الرجل . اذا أتى ما فيه المأثم ، وتائم اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل اذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . اخبرنا محمد بن احمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا احدا منهم ترك الصلاة على أحد من اهل القبلة تائما من ذلك ، أي تجنبيا للمأثم . . » وكان فى بعض الاحيان يجمع بين كلام قطرب والاصمعي فى سياق واحد ، كما فعل غيره أيضا (ريب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » فى حشو المواد . فقد عني بابانه اصل الاضداد وما اتصل بها من مشتقات فى احيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسبت اصله من حسبت الشيء أي وقع فى

(16) 105 .

(17) 43 .

(18) 1 .

(19) 115 .

مذهب أهل العراق . ويقال في جمعه اقراء وقرء .
وقال الاصمعي عن أبي عمرو : يقال : قد دفع فلان
الى فلانة جاريته تقرئها ، يعني أن تحيض ثم تطهر
للاستبراء . ويقال : القرء هو الوقت الذي يجوز أن
يكون فيه حيض ، ويجوز أن يكون فيه طهر ...
ويقال : قد اقترأت النجوم اذا غابت . قال أبو بكر :
وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لانها خرجت من
حال الطلوع الى حال الغيبة « وقال الاصمعي وأبو
عبيد : يقال : قد اقترأت المرأة اذا دنا حيضها ،
واقترأت اذا دنا طهرها . قال أبو بكر : هذه رواية
أبي عبيد عنهما . وروى غيره : اقترأت اذا حاضت ،
واقترأت اذا طهرت . وحكى بعضهم قرات ، بغير
الف في المعنيين جميعا . والصحيح عندي ما رواه
أبو عبيد » .

وقد رأينا - فيما سبق - أن ابن الأنباري نقد
بعض الاضداد ، لأن المعنيين لصيغتين مختلفتين لا
صفة واحدة مثل فعل وأفعل ، أو لأن المعنى الثاني
للفظ غير شائع الاستعمال ، أو لعدم وجود شواهد
تدعم المعنى الثاني . ويمكن أن نضيف اليها ما يحدد
السياق معناها ، مثل (21) : « قال قطرب : من
الاضداد قولهم أليت المرأة تآلى ، اذا عظمت أيتها ،
وأليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت أيتها . قال أبو
بكر : وليس هو عندي من الاضداد ، لأن كل
واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع
على معنيين متضادين » .

واذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الأنباري ،
وجدنا الاول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته ، عنيفا
في هجومه ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني .
فابن الأنباري لا يقارن أقوال قطرب أو غيره من
مؤلفي الاضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل
بأقوال غيره من اللغويين . ولم يفلط ابن الأنباري
أحدا ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عد أقواله من
الاحتمالات كما فعل أبو حاتم . وبينما كان أبو عبيدة
هدف نقد أبي حاتم الاول ، كان ابن قتيبة الهدف
الاول لنقد ابن الأنباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الأنباري في التمييز
حذفه ما حذف من اضداد ابن السكيت وأبي حاتم .
فقد حذف من الاول ارقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

لا يغمز الساق من إسن ولا نصب
ولا يعض على شرسوفه الصفر
واصلها على هذا القول مائة ، فحولوا ضمة
الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما
قبلها ، كما قال الآخر :

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مثرري
نمضوفة مفعلة من الضيافة ، واصلها مضيفة ،
ففعل بها ما فعل بمثونة . وتكوين المثونة فعولة من
منت الرجل ، فتهمز الواو لانضمامها ، كما قال امرؤ
القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
ثوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
فثوم فعول من النوم ، همز الواو لانضمامها «
وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وعنى في الحشو أيضا باللغات . فكان يقول :
« أخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز وهو
البازي ، فمن قال : هو الباز ، قال في التثنية :
هما البازان والجمع البازيان ، على مثال قولهم :
الخال والخيالان ، ومن قال : هو البازي قال في
التثنية : هما البازيان ، وفي الجمع البازة على مثال
القاضي والقضاة . قال أبو بكر : في الباز لغة ثلاثة
لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض
أماله قال : ويقال : هو الباز ، بهمز الالف مثل
الفأس والكأس ، وتجمعه في أدنى العدد من ثلاثة
الى عشرة فتقول : ثلاثة أبؤز ، كما تقول : أفؤس
وأفؤس . فاذا كثرت فهي البؤوز ، كما تقول
كؤوس وفؤوس . فجمع القلة على أفعل مثل الأفلس
والأبحر ، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوس
والبجور . قال أبو بكر : في الباز لغة رابعة ، يقال :
هو البازي ، بياء مشددة تشبه ياء النسبة .. » .

وكثر في حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن
قتيبة . وأقام ابن الأنباري كثيرا من نقده على تعارض
الأقوال المختلفة من اللغويين . فأورد أقوالهم وقارن
بينها ليخلص الى الرأي الصواب عنده ، مثل (20) :
« القرء حرف من الاضداد . يقال : القرء للطهر ،
وهو مذهب أهل الحجاز ، والقرء للحيض ، وهو

(20) 8 .

(21) 322 .

وكان يأتي بالشواهد على الأمور الاستطردادية في كلامه . ويعلق على الشواهد ويشرحها ويطلب أحيانا ، وقد يبين ما في الشواهد الشعرية من روايات . قال مثلا في مادة « ماتت بجمع » (23) : « وقال الشاعر يذكر ماء ورده :

وردناه في مجرى سهل يعانيا
بصر البرى من بين جمع وخادج

فالجمع : التى فى بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر الجيم . والخادج : التى انقت ولدها ويقال : قد خدجت الناقة تخدج اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلق ، واخذجت تخدج اذا القته ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال فى « طرب » (24) : « وقال لبيد فى معنى الحزن .

واراني طربا فى اثرهم
طرب الواله او كالمختبل

معناه : واراني حزينا . وبرى : او كالمختبل ، بالحاء : اى كالذى يقع فى حباله الصائد » . والشواهد فى الواقع كثيرة عنده جدا ، معنى بها لدرجة كبيرة . فكان يستقصى الاستشهاد على جميع اضداده . ولم يترك منها الا الاضداد التى تقلها عن غيره بدون ان يكون مستشهدا عليها ، او فى المعاني المشهورة . وكان يصرح بأنه لا يستشهد على المعنى المشهور ، لانه ليس فى حاجة الى ذلك . فكثيرا ما ترى هذه العبارة التالية عنده :

« لا يحتاج فيه الى شاهد لشهرته عند الناس » .
او « لا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له » او
« شهرته تغني عن اقامة الشواهد عليه » وما مائلها .

يتضح من كل ذلك أن قول دائرة المصارف صحيح حين وصفت اصدقاء ابن الانباري بأنها أهم كتب الاضداد . فهذا الكتاب قريب من كتاب أبي حاتم ، ولكنه يفوقه فى كثرة المواد وحسن العلاج ، وكثرة الشواهد وتنوعها ، ودقة النقد وكثرته ، وفى الاستطرادات التى تحوي كثيرا من الفوائد النحوية ، عن أئمة الكوفة .

100 ، 103 ، 105 . وكلها كان أبو حاتم قد حذفها غير رقم 94 الذى اوردته فيما شك فيه من اصدقاء ، ولعل ذلك الذى دعا ابن الانباري الى تركه .

وحذف من ابي حاتم ثلاثة انواع من الاضداد : اولها ما انفرد به ، مثل 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ، 166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . واكثرها مما شك فيه أبو حاتم نفسه ، او اقيم على أساس خاطيء 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول ، مثل 160 - 163 . ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الاجوف ، او افتعل من المضاعف ، مثل 118 ، 175 . وكان حذفه لما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها .

واخيرا وفى « باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد » . فاتى بالانواع المختلفة من الشواهد : من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال والاقوال . كما فعل سابقوه . وقد مرت علينا امثلة ذلك . وعنى فى كثير من الايات والاحاديث وتفسيرها ، بايراد سند اقواله . وكانت عنايته هذه اكبر من عناية ابي حاتم . فكان يقول (22) : « اخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا أبو عبد الرحمن عثمان بن عبد الرحمن الجزري قال : حدثنا عبيد الله بن أبي العباس ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : قال نافع بن الأزرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل : (وانتم سامدون) فقال : معناه لاهون . فقال نافع : وهل كانت العرب تعرف هذا فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادا حيث تقول :

بعثت عاد لقيما

وابا سعد مريدا

وابا جلهمة الخيب

سر فتى الحي العنودا

فيل : قم فانظر اليهم

ثم دع عنك السمودا

(22) 17 .

(23) 152 .

(24) 57 .

الى مرتبة التفلسف والنقد ، بدلا من الاختصار على الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهج المؤلف ، اذ قسم كتابه الى قسمين : الاول للاضداد المرضية عنده ، والثاني للاضداد التى ادخلها السابقون وليست من الاضداد فى حقيقتها . قال فى مقدمته : « وترى من سبقنا الى هذا الكتاب قد ادخل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه » .

اما الاضداد المرضية ، او القسم الاول من انكتاب - وهو الاكبر - فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم . ووضع فى كل فصل الالفاظ البدوة بالحرف المقود له الفصل معتبرا الحرف الاصلي فيها . قل فى المقدمة : « وقد رأينا أن نبويه على حروف المعجم ، اذ كانت همة أهل زماننا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة اليه ، وخير ما تحرى ما نفع ، وأفضل ما انتدب له ما شفى ونجع » . ولكن ابا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب الالفاظ نفسها فى داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها فى الحقيقة ورتبه ابوابا . كل باب منها خاص بنوع من هذه الاضداد . ويبلغ عددها اربعة ابواب ، اولها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من صيغة مفعّل ومنفعل من الاجوف ، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من المدغم العين فى اللام ، وثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . والبايان الاولان مرتبان على الحرف الاول ايضا ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقي المرء نظرة على هذا الكتاب يجده مفتتحا بمقدمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من احكام التصنيف واحسان الترتيب ... ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهج والدعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذى يشير الى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعات « فصولا » ولكني وهبتها هذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الضد الاول تحري ابي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميع السابقين

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال ، الذى كان له اربعة مظاهر :

1 - الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فِعُول لان قطربا نظمها ، ولا ينظم فَعِيل ، لان هذا لم ينظمها . وابو حاتم نظم صيغتي افعل وانفعل من الاجوف والمضاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك 262 ، 263 . ولا يبين انها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة . ويذكر ابن الانباري كثيرا من الالوان على انها اضداد ، ولكنه يفرقها فى أماكن مختلفة ، وحقها ان يجمع فى موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها . وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التى عدها من الاضداد . ويتصل بذلك تفريقه اشباه الاضداد ، وكان واجبا عليه أن يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلا منها على حدة .

2 - التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزعوم (230 ، 259) كرر الكلام عنها فى الموضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالع) واختلافه فى (الاخضر) و (زعوم) . وكرر عن فزع ايضا (129 ، 182) وان اختار فى المرة الاولى صيغة (فزع ومفزع) وفى الثانية (فزع) .

3 - اضداد لا ينبه فى صدرها على ذلك ، ويبتدىء فى علاجها مباشرة ، مثل ناء (94) حتى اضطرب الناشر المصري الاول فيها ، واتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها (124) كأنما ليست مادة جديدة .

— * —

كتاب ابي الطيب اللغوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى عام 351 هـ . فقد اطلع هذا اللغوي على كتب الاضداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر اليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمى ابو الطيب الى « احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والقاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائلين به ، ويضعف قول النافين له » كما يقول فى مقدمته . وبدلنا هذا على ان حركة التأليف فى الاضداد نضجت ، ووصلت

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر أمم : اذا كان عظيما ، وأمر أمم : اذا كان صغيرا . وقال الاصمعي : امر أمم : أي قصد . وقال ابو عبيدة : الامم : القريب . وقال عمرو بن قميئة في الصغير :

يا ليف نفسي على الشباب ولم
أفقد به اذ فقدته أمما

وقال الاعشى :

لئن قتلتم عميدا لم يكن أمما
لنقتلن مثله منكم فتمتثل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب في معنى القصد :

أتاني عن بني الاحرا
ر قول لم يكن أمما
ارادوا نحت أثلتنا
وكننا نمنع الخطما

وانشد ابو عبيدة في معنى القريب :

يا ليت شعري عنك والامر أمم
ما فعل اليوم اويس في الغنم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد في معنى القريب :

« قومي اباد لو انهم أمم »

اي لو انهم قريب . وقال الآخر :

كوفية نازح محلتها

لا أمم دارها ولا صقب

ويروى : « لا سقب » بالسين ايضا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقبة بدارنا : اي قريبة منها . وفي حديث الشفعة : « الجار اولى

— أو أحق — بسقبة » : اي بما دنا منه وقرب من داره . ذكر ابو زيد ، والاصمعي ، وأبا عبيدة ، وقطربا ، وأبا حاتم .

ونستخلص من دراسة اضداد أبي الطيب الظواهر التالية :

الانتظام : فقد باقت الاضداد عنده نضجها في اندراسة ، وغايتها في الانتظام الداخلي . فالمعاني تقدم في مفتتح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين . فيعتمد على الشعر كما رأينا في المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى في قوله (25) : « ومن الاضداد بطانة الثوب . يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن في قول الله تبارك وتعالى : « بطائنهم من استبرق » قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها . تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، لذى نرى منها . وقال الزبير في قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا في البلاد . وقال آخرون في هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبرق ، وهو الفليظ الفاخر من الديباج ، فالظواهر أشرف وأعلى . والله أعلم بكتابه .

يعتمد على الاحاديث ، مثل قوله في مادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فعالة الذي باعه الا ان يشترط المبتاع » أي المشتري . فالمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشتري ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع ، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المشتري . وفي حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيعان — يعني البيع والمشتري — والبيع قائم بيمينه ، فالتقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المبيع . وفي حديث آخر : « البائع بالخيار » يريد البائع والمشتري .. وفي حديث آخر رواه ابن

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .

(26) 47 . وانظر الفهارس .

واغترف أبو الطيب من اصدقاء سابقيه ، وما اتوا به في سبيل تفسيرها وتعليقها ونقدها والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول الى قائله ، حتى في الاحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، اشار الى ذلك . فكان اكثر من جمع بين عبارته قطرب وابو حاتم . وجمع ايضا بين التوزي ، وقطرب وابي عمرو ، وقطرب وابي عبيدة . وجمع احيانا بين اقوال ثلاثة منهم معا ، مثل قطرب وابي حاتم والتوزي ، وابي عبيدة وابي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان كثرت الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الانباري ، وان تمثلت في كتابه جميع الظواهر التي وجدت في كتبهم ، في الاضداد والشواهد والتفسير . بل ان ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعه في آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يبلغ شخصية ابي الطيب . فما اكثر تعليقاته الشخصية التي يورد بعضها عن لغويين آخرين ، ويأتي ببعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها الى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما الى ذلك من امور .

والحق انه يعادل كتاب ابن الانباري قدرا واهمية . ويفوقه في اتجاهه الادبي ، وكثرة شواهد وتنوعها ، وكثرة الاحاديث عنده ، وفوائده التي اضافها ، واصرارها على نسبة كل قول الى صاحبه ، وما ادخله على الاضداد من ترتيب . اما ابن الانباري فيفوقه في القرآنيات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان في مقدمة اصداده انه نظر في كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالا : اذ يدكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبايعان استحلط البائع ، ثم كان المبتاع بالخيار » .

ويعتمد على اقوال الصحابة ، كما راينا في ظهر ، وكما نرى في قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيعوا لي كفنا ، اي اشتروه لي » .

ويعتمد على اقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس في حياتهم اليومية ، كما راينا في ظهر ، ونرى في قوله ايضا (28) : « ذكر اعرابي جريرا فقال : كان سفسيرا اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال ايضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنه عندهم جميعا ، والجمع بشرات وبشر ... ابو زيد : تقول العرب في مثل : « اراك بشر ما احسار مشفر » وبعضهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل من بني اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفي لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى في قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قباعة في الـ
سبيت الذي يستظل في طنبه

اراد نقية من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها . وكذلك قوله :

امك بيضاء من قباعة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيرا من الشواهد الى من انشدها كما راينا في امم : ونرى في قوله : « الامين : المؤمن ، والامين المؤمن ، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد ابو حاتم للثابتة في معنى المفعول به .

وكننت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليمانسي »

(27) 45 . وانظر الفهارس .

(28) 45 . وانظر الفهارس .

(29) 74 . وانظر الفهارس .

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف أن يخرج مختصرا حاويا للاضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من أنكر الاضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله أبو الطيب في ترتيب اضداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الاصلي الاول وأهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورّد اللفظ الضد يليه معناه . وعلق من وقت لآخر على بعض الاضداد بمباراة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبيعي أن الكتاب حوى الأنواع المتعددة من الاضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي أشار منها إلى كتب الاصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وتعلب والسجستاني وابن الأنباري .

وأمثل لنهج الكتاب بما يلي :

« الأمين : المؤمن والمؤمن .

الماتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

الأمم والأم : الحقير والعظيم .

الاشرة : الاشرة والماثورة » .

— * —

كتاب الصفاني

في أوائل القرن السابع ، أخرج الصفاني كتابا في الاضداد ، وصل إلينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتح الكتاب بالمباراة التي يبدو أن الصفاني كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسطة والحمد ، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بأنه قرأ جميع كتب الاضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصفاني على كتاب في الاضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله أول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا إلى أوائل الحروف ، فحروفاً الثانية ، فالثالثة فالرابعة أي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على

الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الالفاظ إلا على حروفها الأصلية . أما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الأخيرة أنه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تمحيص أو نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معا . وقد أشار إلى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الاضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكنني قفوت فيه آثار من سبقني إلى جمعها مثل ابن الأنباري وغيره ، حذار أن يقال : أهمل شيئاً مما أثبتوه ، فليمد العذر العائر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيراً » .

وحين ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الأولى جمع 337 ضداً ، ولكنه لم يذكر كل ما في اضداد قطرب وابن السكيت وأبي حاتم وابن الأنباري . فقد حذف من الأولى حوالي 67 ضداً ، ومن الثانية حوالي 10 أضداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضداً . واتى في مقابلها بقریب من 75 ضداً ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على أساس الشك والنقد ، إذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه . أضف إلى ذلك أن كثيراً مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الاضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 210 ، 185 ، 85 ، 214 ، 218 ، 213 ، 24) . ولكن تجب الإشارة إلى أن كثيراً مما حذفه خاطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) أو مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 265 ، 243 ، 242 ، 257 ، 271) أو انفرد به قائلوه (16 ، 100 ، 105 ، 96 ، 17) وأكثر ما حذفه من اضداد ابن الأنباري ، أو ينطوي تحت صيغ فعول (60 ، 158 ، 159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) أو فاعيل 203 ، 204 أو افتعل (175) .

أما المنهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : إيراد اللفظ ومعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد ذلك . فلا ذكر للفويين الذين يأخذ عنهم إلا قليلاً (490 ، 688 ، 706) ولا ذكر لشواهد ، ولا لمشتقات ولا لمعان أخرى للاضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الاضداد » . وهناك بعض الأمثلة :

« الأبلض : السكون والحركة .

الأبل : الرطب واليبس .

الماتم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .

الارة : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها ايضا .

الأزر : القوة والضعف .

أسد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .

أفسد : اذا أسرع واذا أبطأ .. الى آخر الكتاب .

— * —

كتاب محمد المدني

تقتني المكتبة السليمانية بالاستانة رسالة أخرى فى الاضداد للشيخ محمد المدني ، تماثل الرسالة السابقة او تكاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءا منها من المزهى للسيوطي ، ومن اضداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعنا القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجت ما صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقا يذكر ، لاعتمادهما الرئيسي على القاموس المحيط فى الاضداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثأا الأبل : ارواها وعطشها ضد . وثأا الأبل عطشت ورويت ضد . جفا الباب : أغلقه كأجفاه وفتحته ضد . داراته : داريته ودافعته ولايته ضد . رقا بينهم رقا : أفسد وأصلح ضد . القراء ، وبضم : الحيز والظهر ضد .

— * —

دورق الانداد للأبياري وشروحه

وفى أوائل العصر الحديث شارك الشعر فى حركة الاضداد ، فالت فيها الرسائل المنظومة . ووصل الينا من هذه الحركة رسالتان . اولاهما المسماة « دورق الانداد فى نظم أسماء الاضداد »

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عنده . فقد قدم « أون » على « أور » و « تصدق » على « صامت » و « قانس - قنيص - قانع قنوع » على « قموء » والعكس أصح . كما قدم « ناء » فى أول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء المتكلم « نوت » والأصح وضعها فى النون مع الواو .

— * —

كتاب عبد الله بن محمد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الاضداد عنوانها : « ذكر بعض الاضداد التى ذكرت فى القاموس » جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ... » . تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرها . اذ وقفت فى اثناء مادة « التتين » .

وواضح من عنوانها ان المؤلف جمع ما فيها من اضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه فى اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد يعثر عليه . ولم يختار المؤلف الاضداد التى نسه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على انها من الاضداد . ولم يغير المؤلف فى ترتيب الالفاظ التى اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، أي على الحرف الاصلي الاخير أولا ، فالحرف الاصلي الاول ثانيا ، فحروف الوسط الاصول مرتبة ..

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ .
وقد ألفه قريبا من عام 1297 ، اذ تمت النسخة
الثانية منه على يد الناظم فى ضحوة يوم الثلاثاء
تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار
الكتب المصرية ، التى تحت رقم 844 لفة .

والسبب الذى دفع الابياري الى تأليف نظمه
اعانة الادباء الذين يرعون الى التائق بالجناس
والتورية والمحسنات . واما المراجع التى اعتمد عليها
فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشراحه ، قال
الناظم فى مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي فى جمعها جمل

تجمل المجتني من روضها كلما

كل الذى ذكر القاموس جئت به

الا الذى بصري قد زاغ منه وما

وزدت أشياء من شراحه وسوا

ها ، هكذا منه، لكن بالذى فهما

حتى ظننت بأن لم يبق قط من الـ

أضداد شيء، ولكن يا اخي ربما

وشرح لنا الناظم منهجه فى المقدمة ايضا ،
فمرفنا بأنه لم يلتزم الالفاظ الواضح تضاد معانيها
وحدها ، بل ذكر ما أورده غيره ولو كان فيه تجوز
وتوسع ، وان نقده فى احيان أخرى ، قال :

وربما كان فى بعض الذى ذكروا

تسامح بعموم او بما لزمنا

فاقتفى اثرهم طورا ، وآونة

ابدي الذى يشراى فيه للفهما

ولم يلتزم ايراد المعنيين المتضادين فى كل
لفظ من الاضداد ، بل حذف احيانا المعاني المعروفة
المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :

طورا اجيء بكل المعنيين وطو

را بالذى كان مجهولا ومنبهما

فان تعددت الاضداد جئت بما

يفنى عن الضد من كل ، لينفهما

ويريد بالبيت الثانى - كما نص شارحه - :
« ان كثرت الاضداد بأن كان اللفظ مشتركا بين
اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من
الأربعة مثلا . بما يفنى عن الضد من كل منها وذلك
انى اذكر معنيين فقط : كل منهما محذوف الضد
لينفهم المحذوف بالمذكور » .
وسار فى ضبط الفاظه على هذى القاموس المحيط :
قال :

ينبيك قاموسها بالاصطلاح لها

اذ منه مرجانها والواؤ انتظما

ما كان مهمل او مفتوحا اوله

اطلقته وضبطت الغير معتصما

والوزن فيما له قد حركوا اوله

قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما

فان ضرورة شعر قد دعت لسوى

هذا ، اشرت اليه خوف ان تهما

واتبع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه،
فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير
للكلمات التى فيها . وترتب الكلمات فى داخل هذه
الابواب بحسب حروفها الاولى فالوسطى . ولكن
الشعر ارغمه احيانا على الاخلال بهذا الترتيب فى
داخل الابواب لا بين الابواب . اعني الاخلال فى
ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، اما
الحروف الاخيرة فلا .

وهاك قدرا مما قاله الناظم فى « باب الهمزة »
لتبرز معالم منهجه :

بفرة الشعر فسر البراء كذا

بالانس فسر بساء واكسرن لهما

ثم البلاء لمنحة اتسى ولمح

سنة ، كما جاء فى القرآن منفهما

ثالثات ابلى : اي ارويتهما ، وكذا

ثالثات هي : اي اضحت ذوات ظما

والاجتداء بسؤال ففسروا وعطا

كذا الجداء ، قاله القالي عن العلما

واجفنيء الباب : اغلقه ، ودأده
معناه حرك ، والتسكين قد فهما

دارات خصمي - مهموزا، كذلك بيا -
دافعته ، وكذا لايتنه كرما

ما ستراه ، ان شاء الله ، من الالماع ، بما يسحر
الاسماع ، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات ظريفة ..
تراها مرة شرعية ، وكرة أدبية ، وطورا يمانية ،
وحينا معدية ... يرتاح اليها الفقيه ومن حذا
حذوه ، واللغوي ومن نحا نحوه .. » .

وداب الرجل فى هذا الشرح على معالجة نص
الناظم نحويا وعروضا وتفسيره تفسيراً كاملاً ،
وتناول كل ما عن له من مشاكل فى النص . فهو يقوم
على طريقة المتون والشروح والحواشي التى كانت
تسود العهود الاخيرة من تاريخنا . وصدر كل باب
بكلمة عن عنوانه .

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى فى نظم الاضداد،
تحت رقم 329 لفة ، باسم « منبه الرقاد فى ذكر
جملة من الاضداد » لا يعرف مؤلفها . وقد تم
نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان
سنة اربع وثلاث مئة والى ، كما فى آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة فى عدة
مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الذى يقفى
شطراه وحدهما ، وتختلف القافية فى الابيات بعد
ذلك . اما السابقة فكانت من بحر البسيط ،
والتزمت فى رويها اليم المشبعة الفتحة . واتفق
الانثان فى الابتداء بمقدمة شرح كل منهما فيها
منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرح
ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بأن قصده
بها علمي هو تنبيه الغافلين والجاهلين - ومن ثم
اسمها - على حين كان مقصد الابياري ادبيا علميا
كما رأينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهذا النظم

تنبيه كل غافل وامسي

سميته منبه الرقاد

فى ذكر جملة من الاضداد

واراد ناظمنا - كما اراد الابياري - الجمع
ورجع فى سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن
ابن جني على حين رجع الابياري الى القاموس
وشروحه . يقول الناظم فى المقدمة :

وقام المؤلف نفسه بشرح قصيدته فى كتاب
سماه « الرونق على الدورق » اكثر فيه واطال
واستطرد . ولكنه - فيما يبدو - لم يتمه ، وانما
اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ،
فى مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان - حفظه
الله - قد ابتدا شرحه الموسوم بالرونق على الدورق ،
لكنه طال وسار بل سال ، فى رياض الادب الفوال ،
عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحف المناسبات
الظريفة ، طرق الاستطرادات الشريفة ، وحقق
ودقق ، ونمق وائق ، وحرر وحبر ، ونضد ونضر ،
ونشر الدر والجوهر ، فاكثر ... فقد رأيت منه اربعة
كراريس ، يبذل الاديب فى مثله النفس والنفيس .
ولكنه زهر فى الاكمام ، وطفل لم يبلغ حد الفطام .. »

ورجا المؤلف من الحلواني ان يؤلف شرحا
مختصرا على قصيدته . فحقق الرجاء بكتابه الذى
تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844
لفة ، بعنوان « الكأس المروق على الدورق » ، وقد
فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر
سنة اثنتين وثلاث مئة والى من الهجرة الشريفة » .

وحدد الحلواني خطوات منهجه بقوله فى
مقدمته : « فشرعت فى الشرح وما اطله ،
فالقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفرت
بشيء من الاضداد ، فى باب من الابواب ، فاني
اذكره تنميما للمراد ، فى خاتمة ذلك الباب . ولا
التزم فى اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون
نصا فى الضدية ، سيراجع الدورق فى منهجه من
اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ،
فاني ان رمته استعصى ، كيف واللفة بعيدة
الساحل ، مديدة المراحل ؟ ... ولكن ما جاء عفوا
اخذته صفوا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام
مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فأسود به وجه
السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويكدر الاسماع ،
ويكون عارا لا يحويه اعتذار ولا استشفاع ، اللهم الا
ان كان من الحقوق الواجبة ، او سيق لمناسبة ، او
نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالقوى ،
فهذا لا اتحاماه ، بل احمي حماه ، واتقي اذاه ، الى

أحسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبتي عن فنا مع الحضور

وأحسب هنا بمعنى أعد ، ويقول في الخاتمة :

معتمدا ضبطي على القاموس

لأنني في الفن كالبابوس (30)

وفي الصحاح جاعلا مجني

وربما أخذت في ابن جنبي

وجعل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة
بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس
الاباري يقول :

وربما أومي للاشتقاق

والقيد ان كان وللاطلاق

وللمصادر فاضبط الكلم

والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الاخير من قصيدته للالفاظ
المتماثلة - أي الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض
حروفها بالابدال - والمقلوبة ، يقول :

وللممائيلين والمقلوب

عونك يا مقلب القلوب

ولجا في تقسيم قصيدته الى التقسيم الذي
ارتضاه صاحب القاموس ، والاباري . فالقصيدة
مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد
التي يحتوي عليها كل باب ، والالفاظ ترتب في
داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، وأواسطها
ولكن الترتيب كثيرا ما اقلت منه في داخل الابواب .

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما
يريد نظمه ، وأشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان
يفقر ذنوبه ، والصلاة على الرسول وآله وصحبه
والتابعين .

وهذا باب الهمزة منه ، يمثل تناوله ونظمه :

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

ثأنا ذا ابله : ارءاهما
كذا اذا اغرى بها صداها

وثائيات هي : اذا ما رويت

يوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفا الباب : اذا ما اغلقه

كذا اذا فتحه ، فحقيقه

دأرات ذا : دفعته لشره

كذا اذا لاينته لمره

رقا : افسد واصلح ، خذ

والمصدر الرقؤ ، والرقا انيد

والقرء ، بالفتح وبالمضم اتي

يكون للحيض وطهر ثبنا

وناء زيد : خف او قد ثقلا

فعجز الحال به بين الملا

ثم السورا بهمز لا اعتلال

يكون خلف وامام تالي

عكس الذي توهم الامام

الجوهري المعالم الهمام

ويتضح من هذه الابيات ان الناظم خالف الاباري
في عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين
في كل نغظ ، عدم التزام قافية واحدة في جميع
الابيات ، ثالثها الاشارة الى المشتقات مثل مصدر
الرقؤ ، رابعها الضبط واللفات في القرء ، خامسها
نقد الجوهري في « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها
الهمز ، وقد اخذ هذا النقد من الفيروزابادي ،
سادسها انه يترك بعض الاضداد التي ذكرها الاباري ،
اي عناية الاخير باستقصاء الاضداد اشد من عناية
صاحب « المنبه » . ومن اهم اوجه الخلاف ايضا
شعور المرء - بان قصيدة صاحب « المنبه » اشد
سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلفا من قصيدة
الاباري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر في الابيات
السابقة ولكنها ظاهرة في القصيدة كلها ، اهمها
اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التي لا تدخل
في المعنيين المتضادين للاضداد مثل قوله :

الأزرد للضعف والقوة قل

وللاحاطة وللظهر تقسل

فمعاني الشطر الثاني لا تدخل فى الاضداد ، وقوله :

وبتر الرجل : اعطى ومنع

كذا اذا طلى الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين ، وكذلك قوله :

والشع - بالكسر - : قبال النعل

ولقليل المال ثم الجسل

فشع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك كثيرة ، ولم يعن الاباري بها .

وبعب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد فيها عما فى الدورق ، وكثرة الاضطراب فى الترتيب ، كما يظهر فى باب الباء ، والحاء والذال ، والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الاضداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم فى هذه الحركة ، بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم الجامعة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان نغفل او نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل شأنًا من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها : الفريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بين عامي 223 - 230 هـ ، وادب الكاتب لابن قتيبة 270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى عام 429 هـ ، والمخصص لابن سيده المتوفى عام 458 هـ ، والمزهر للسيوطي المتوفى عام 911 هـ .

(31) البقية 376 .

(40) 323 - 4

(41) 313 .

الفريب المصنف

اما ابو عبيد فاعتمد فى « باب الاضداد » من غريبه على اساتذته « ابي زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31) والثلاثة الاول خاصة . واورد فى هذا الباب 41 ضداً ، كلها موجود فى الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان اعتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ، فصدر الباب بعبارة : « سمعت ابا زيد يقول » . ونوع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد الحقيقية ، واضداد التناول ، واللغات ، والقلب ، وصيغة افعال .

وسار المؤلف على خطة ايراد اللفظ ، ثم معنييه ، ثم شواهد ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله . وهو فى اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكيت متفق معها . قال مثلاً : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلع طلوعاً : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . وقال : لمقت الشيء المقه لمقاً : اذا كتبته فى لفة بني عقيل ، وسائر قيس يقولون : لمقته : محوته » . وقال ابن السكيت (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت على القوم اطلع طلوعاً : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . ويقال : لمقت الشيء المقه لمقاً : اذا كتبته فى لفة عقيل ، وسائر العرب يقولون : لمقته : محوته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر عبارة ابن السكيت ، كما نرى فى قوله : « فرع الرجل فى الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال معن بن اوس :

فساروا ، فأما جل حي ففرعوا

جميعاً ، وأما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرغ فى الحالين جميعاً . وقال ابن السكيت (41) : « فرع الرجل : اصعد وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فأما جل حيي ففرعوا

جميعاً ، وأما حي دعد فصعدوا

ويروى : فأصعدا . ويروى : فأفرعوا . وقد
أفرع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وأفرع : اذا
صعد ، قال الشماخ :

فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي
لا بدركنك أفراعي وتصعيدي

وقال رجل من العلات من بني أمية :

اني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفى أمية أفراعي وتصعيدي

الرواية : وتصويبي . فحذف ما أورده في
« أفرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف
ما بعدها من شواهد . وكثيرا ما كان يحذفها
اختصارا .

وبرغم هذا الاختصار ، كان يزيد أحيانا على ما
في أضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال أبو
زيد : السدفة في لغة بني تميم : الظلمة ، والسدفة ،
في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال أبو محمد
اليزيدي ، وانشد للمعاج :

« واقطع الليل اذا ما أسدفا »

أي أظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط
الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الأسفار .
ولم يرو ابن السكيت (42) ولا أبو حاتم (43) ولا ابن
الانباري (44) العبارة الأخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهد ،
والإلتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن
السكيت في أكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك
في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء أصلحته ،
وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي
المنية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن غدير القنوي :

واذا رأيت المرء يشعب امره
شعب العصا ويلج في العصيان

فاعمد لما تعلق فمالك بالذى
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب امره : يعني يفرقه ويشتته .
وقوله : لما تعلق ، يقول : تكلف من الامور ما تقهره
وتطيقه . وشرح ابن السكيت أوفى من ذلك ، اذ
قال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال :
شعبت أهواؤهم : أي تفرقت . وقوله : لما تعلق : يعني
تكلف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو عال
لذلك الامر : أي ضابط له قاهر » .

وتأتي مزايا هذا الباب من الأضداد من أنه
يصحح بعض نقول ابن السكيت ، كما فعل في (لق)
اذ نسب معنى (محا) الى قيس . موافقا بذلك إبا
حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفًا قول
ابن السكيت (48) .

ويمتاز أيضا بأنه ينسب كثيرا من الأضداد
التي أهملها ابن السكيت وأبو حاتم الى أصحابها
الذين قالوها ، مثل أفاد ، وأودع . والمشيخ وصارخ
وهاجد وصريم وبشر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في
تضاعيف الشرح ، والخطبة التي اتبعها في علاج
الأضداد ، وجعلته لا يعني إلا بما اتصل بها ، ويحذف
ما عدا ذلك ، ويقتل الشواهد ، حتى صار الباب
في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكيت وأبي
حاتم وابن الانباري الفاصة بالشواهد والمعلومات ،
وبين كتاب الصفاني الذي حذف الشواهد جميعها .

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعها لها
مادة « دون » مرتين : أولاها في منتصف الباب
عن أبي عبيدة ، وثانيتهما في آخره تقريبا عن غير
أبي عبيدة . ولن نعتذر عنه باختلاف الراوي لانه
كان يستطيع التنبيه الى ذلك في الموضع الاول ،
ويستغنى عن التكرار . . والمأخذ الثاني عليه إيراد
بعض الأضداد التي نقدها المؤلفون ، مثل خنذيذ

(42) 316 ، 43 .

(43) 1144 .

(44) 645 .

(45) 277 .

(46) 1372 .

(47) 133 .

(48) 324 ، 50 .

على ضدين فقط ، أحدهما بيت من الشعر ، والثاني
بآية من القرآن : قال الخيلولة للشك واليقين ،
قال أبو ذؤيب :

فبقيت بعدهم يعيش ناصب
وأخال اني لاحق مستبمع

أي وأتيقن . والشك المثل والضد
وفى القرآن : (وتعملون لله اندادا) على
المعنيين . وواضح من هذه الخطة ان المؤلف لا يريد
ألا ان يأتي ببعض الامثلة على الاضداد فى اللغة ، اذ
هي فى رايه « من سنن العرب المشهورة » كما قال
فى أول فصل الاضداد . فلاضداد عنده ليست
مسألة او مشكلة علمية تبحث ، بل مسألة فرغ
البحث منها ، فهو يشير اليها فقط ، ويمثل لها ..

ونستطيع ان ندخل من كتابه ثلاثة فصول
أخرى ، لان مؤلفي العرب القدامى اعتبروا أمثالها
من الاضداد ، وهي « فصل فى المفعول يأتي بلفظ
الفاعل و » « فصل فى الفاعل يأتي بلفظ المفعول (51) .
و « فصل فى المدح يراد به الذم فيجرى مجرى التهكم
والهزل » . ويحتوى الفصل الاول على سبع كلمات .
ودرج فيه على ذكر الكلمة فى عبارة ، ثم يفسرها باسم
المفعول . قال : « تقول العرب : سر كاتم : أي
مكتوم . ومكان عامر : أي معمور » . ولم يورد
الالفاظ الباقية فى عبارات ، بل فى آيات قرآنية ،
والاخيرة منها فى بيت من الشعر ، وفسرها كالكلمات
الاولى . قال : « وفى القرآن إلا عاصم اليوم من أمر
الله (أي لا معصوم . وقال تعالى : (خلق من ماء
دافق) أي مدفوق . وقال : (عيشة راضية) أي
مرضية . وقال الله سبحانه : (حرما آمنا) أي
مأمونا . وقال جرير :

ان البلية من تمل كلامه
فانفع فؤادك من حديث الوامق

أي من حديث الموموق » .

ويحتوي الفصل الثاني على لفظين ، ذكرهما
المؤلف فى آيتين ، وفسرهما باسم الفاعل قال :
قال تعالى : (انه كان وعده مائيا) أي آتيا . وكما
قال جل جلاله : (حجابا مستورا) أي ساترا » .

وأسر ، التى أوردهما أبو عبيدة ، وتقدهما أبو حاتم ،
وتقل النقد أيضا ابن الانباري .

— * —

ادب الكاتب

وأفرد ابن قتيبة بابا صغيرا من ادب الكاتب ،
« للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا .
ونهج على ان يقدم اللفظ المراد ثم معنييه المتضادين .
واكتفى بذلك كثيرا ، وفى مرات أخرى اورد
شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشرط واحد من
الشاهد . ونسب فى أحد الاضداد قولاً لابن عبيدة ،
وأخر للفراء . وأورد فى أحد الاضداد أيضا قولاً
يبطل التضاد أخذه من أبي عبيد وان لم ينبه الى
ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو
الابيض ، قال الشاعر :

يبادر الجونة ان تفيبا

يعني الشمس .

والصريم الليل ، والصريم الصبح .

والسدة الظلمة ، والسدة الضوء ، وبعضهم
يجعل السدة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين
طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشيء الكبير ، والجلل الشيء
الصغير » .

سر العربية

وأفرد الثعالبي فى كتابه « سر العربية فى
مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن
على أكثرها » فصلا خاصا بالاضداد ، سماه « فصل
فى تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جدا كبقية فصول الكتاب،
يحتوي على ثمانية أضداد فحسب . نهج المؤلف فى
معالجتها ، على ان يذكر الكلمة ، ثم معنييها . قال
مثلا : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاطهار
والحيض ، والصريم ليل والصبح .. » واستشهد

(49) 177 - 181 .

(50) 5652 .

(51) 492 .

الاختصار فى تغيير عبارته ، وعبارة ابن السكيت ، بما يضيفها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك فى قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه لمتا : كتبه ، عقيلة ، ولقته محوته ، قيسة » .

ونرى ذلك فى قوله (54) : « المقوي : الذى لا زاد معه ولا مال له ، والمقوى : المكثّر : يقال : اكثّر من اتيان) فلان فانه مقو ، والمقوي : الذى ظهره قوي » . وحذف فى بعض المواضع عبارات ضرورية فى المادة ، مثال ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفر » فاقصر على العبارة الاخيرة من قول ابي عبيد ، ولم يظهر وجه اعتباره للمادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من اشياء . فقد حذف أسماء اللغويين الذين روى الاضداد وذكرهم ابو عبيد وابن السكيت ، واكتفى بنسبتها الى ابي عبيد وابن السكيت . وكان ابو عبيد خاصة يحب ان يشير الى الاضداد التى اتفق فيها بعض اللغويين ، فحذف ابن سيده كل ذلك ..

وحذف بعض الشواهد ايضا .

اما الشواهد التى ذكرها فحذف كثيرا من اسماء قائلها ، وكان ابو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وآخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة فى اول المادة ، فى بعض الاضداد ، مثل : « شريت : بعث واشترت ... دحت الشيء دوحا : جمعته وفرقته ..

ولكن - برغم ميله الى الاختصار - كان لا يحذف شرح الشاهد او التعليق عليه ، كما نرى فى شرى ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان فى بعض المواضع يحذف الشاهد ويأتى بآخر بدلا منه ، كما فعل فى « سواء » .

ويمتاز هذا الباب - الى جانب الاختصار - بما اتى به من اضداد زائدة على ما فى كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد رجع - للمرة

ويحتوي الفصل الثالث على اربع عبارات، تجري مجرى الاستهزاء فى كتب الاضداد ، والاخيرتان منها آيتان قرآنيان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال او الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها فى عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمرأة تستجبحها : يا قمر . وفى القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

— * —

المخصص

وافرد ابن سيده فى كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة فى بحثها . وتناول فى هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومترادف ومشترك وعال كل قسم منها ووضع الاضداد فى المشترك وبين ان اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكرها كما رد على منكري الترادف . واقام كلامه هذا فى المقدمة على ما قاله سيبويه فى اول كتابه ، وشرح ابي علي الفارسي لهذه الأقوال .

واورد ابن سيده فى باب حوالى مئة ضد ، اعتمد فى الشطر الاول منها على ابي عبيد ، وفى الثاني على ابن السكيت ، واورد فى الجزء الاخير منها اضمادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضماد الغريب المصنف اتفاقا تاما ، عدا مواضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر ، او اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف المواد التى سبق اقتباسها من ابي عبيد . اذا كان الاثنان اشتركا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذى سار عليه ابو عبيد الا انه مال الى الاختصار اكثر منه . وتمثل هذا

(52) 13 : 258 .

(53) 26 .

(54) 265 .

(55) 261 .

على متن الاضداد ، أو هو بعبارة أدق ، فى مرحلة متوسطة بين باب الاضداد عند أبي عبيد وكتاب الصغاني من حيث تناول ، ولكنه يفوق باب أبي عبيد من حيث عدد الاضداد التى يحويها . وأدق وصف له أنه أعظم باب من مجموعة لغوية فى عدد الاضداد ، ومن أحسنها دقة تناول . ولا يعيبه غير بعض ما أجراه من حذف شديد فى بعض الاضداد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

* — الزهر

وفى القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « الزهر » للاضداد ، وعنوانه « النوع السادس والعشرون : معرفة الاضداد » . وعالج السيوطي الاضداد علاج ابن سيده لها ، أى اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، وأقوال بعض اللغويين فى ذلك وفى الاضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس أقواله هذه من علماء لم نرهم فى المخصص ، مثل الكيا ، وابن فارس والمبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاضداد نفسها .

واعتمد السيوطي فى الجزء الاول من اصداده على ما رواه أبو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من اصداد أبي عبيد لم يقتبس اصداد ابن السكيت مثله بل تتبع الاضداد فى بعض المعاجم مثل جهمرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس الفيروزبادي ، وكتب الامالي والرسائل الخاصة مثل امالي القالي ، ومجاز الكلام وتصاريفه لثعلب ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادر ابن الاعرابي والمقصود والمدود للاندلسي ، والمشاكهة للأزدي ، والأفعال لابن القوطية . ويتضح من هذا أن السيوطي خالف القدماء فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاضداد نفسها ، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطي أكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه أن يذكر اللفظ ومعنييه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعنى إلا بما تعلق بالاضداد نفسها ، أى يحذف

الاولى فى تاريخ الاضداد - الى معاجم اللغة الكبيرة ، كجهمرة ابن دريد (دوح والمعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يؤلفوا فى الاضداد ، ولكن التقطوا منها أشياء كابي حنيفة الدينوري ، الزاهق (أو الفوا فيها) ولكن روى عنهم اصدادا ليست فى كتبهم كابن السكيت (الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة عن علاجه لاضداد أبي عبيد وابن السكيت ، غير أنه خصص لها الجزء الأخير من بابها . وأن تناسر منها شيء فى داخل كلامه المقتبس عن أبي عبيد وابن السكيت ..

ولم يزد فى الاضداد وحدها ، بل زاد أحيانا فى الشرح ، مثل ما فى (أودع) ، وأحيانا بإيراد بعض المشتقات التى لم يوردها سابقوه ، مثل ما فى (المشيح) ، وبعض الزيادات الأخرى التى نرى أمثلتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ، وسواء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الأحيان أو أكثرها ينسب هذه الزيادات الى أصحابها .

وفى آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ ، وجعل عنوانها « ما هو فى طريق الضد » . وهو فصل شبيه بالقرب من الاضداد أو ما يجري مجراها ، مما رأيناه فى كتب الاضداد . وأورد فيه بعض الالفاظ التى تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنح عليه الشيء يسنح سنوحا : سهل ، وسنحت بالرجل : أخرجته » . وروى أحد هذه الالفاظ عن ابن السكيت (وليست فى اصداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن أبي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على أربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول أن هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاضداد » الذى أطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة فى شيء - لا فى مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد أو علاجها أو شواهدا ، أو ما الى ذلك . بل مائلها فى العناية بما يجري مجراها أيضا . ولكنه من الكتب التى تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الأمور النحوية واللغوية والمعاني الأخرى للاضداد ، وما مائل ذلك من أمور وجدناها فى بعض الكتب المستقلة . فهو فى مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصغاني القاصر

وخلاصة القول في هذا الفصل انه يضارع فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استغناؤه عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع كتاب الصغاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

« الخاتمة »

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعان على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلّة من الحديثين . وكانت الفئة الاخيرة - او افراد منها - هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة الغريبة بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسذاجته ، او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية أخرى بمثل سوء الفهم الذي أحيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ، اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوا مختلفين . فاذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا . فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد ، وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة ، وبطل كثير من الأدلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم يعثروا على اُضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها . وأبوا ان يسعوا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

الشواهد ، والشروح ، المشتقات وما إليها ، فلا ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من « متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصغاني . يقول مثلا (56) : « اجعل الرجل : اذا اضطجع ساقطا ، واجامبت الابل : اذا مضت جادة . وبعث الشيء : اذا بعته من غيرك ، وبعته : اشتريته . وشريت : بعث واشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ، وشعبته : شققته ، وشعوب منه ، وهي المنية لانها تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد : النائم » .

ولجأ في الاضداد التي نقلها عن أبي عبيد الى ترتيبها على قائلها . فقد نثر أبو عبيد اُضداد كل لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت عنده مختاطة بما يروى لغيره فلما ادخلها السيوطي في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم اُضداد أبي زيد ، فالاصمعي فأبي عبيدة فالكسائي فالأموي ، فما رواه غير واحد ، فأضداد أبي عمرو ، فالاحمر . وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهمة الى ما بعد اُضداد الاحمر . ومن الغريب ان « الاحمر » لا يرد له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف الموجود في أيدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من نسختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ ان هناك بعض الاختلاف بين النسختين ، فبينما تنسب نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي لأبي زيد ، وسقط من نسختنا احد معني « اشكى » المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك اُضداد أبي عبيد اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب الكتب التي اخذ منها ، بل أورد ما وقع منها تحت نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده بعض المواد مرتين وأكثر ، مثل « سوى » رواها عن أبي عبيد - وابن دريد ، و « الفابر » رواها عن ابن دريد والجوهري ، و « نصل » عن الفارابي والجوهري ، وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مئة وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها أسماء بعض من ألف في الاضداد ، ثم سرد أكثر مقدمة كتاب الاضداد لأبي بكر بن الانباري ..

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول. واصلوا أنهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين. اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغييرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة ، فتبدو الآن فى صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يابى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذف ، او تخفيفا او ابدالاً ، او اعلالا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطييرا ، او ما شاكل ذلك من أمور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب فى دلالته هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجالهم . نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او - ان شئنا الدقة - لم تهتمهم الاسباب - فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . وأعلن اكثرهم ان كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير أنهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتضها الاخيريون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . وامنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يأنهوا للاسباب التى ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله ، لان وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 - هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واضيف الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للغة العربية ، كما ظن الشعوب قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع - فى اعتقادي - التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالة فى رفض الاضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص . اما المؤيدون فقد سموها « الاضداد » ، فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 - هل الاضداد بالشيوع الذى صورته القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاقت حيناً واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال ، باديء الامر عند المتحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف فى الاضداد : قطرب ، فشمّل شتاتا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضيق المجال الذى وسعه ، ونفى كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه . فأخذ تصور الاضداد فى الوضوح ، وحدودها فى البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فالمجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 - هل نعد كل الانواع التى اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل ، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

١ - ما اختلف فى تفسيره من الآيات، والاشعار، والاقوال . فالانفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من اختلاف الناس فى فهم هذه العبارات فى مجموعها . ومثال ذلك الآية التى اوردناها سابقا : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا، من اقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميعا . وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ، غير انه يخفي هذا الايمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ب - الفاظ وعبارات التفاضل والتطير والاستهزاء . فاننا يجب ان نعترف ان المتحدث قد يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احيانا على الواقع الخارجي ولا يصدق اخرى . فالمتحدث (المتفاضل او المتطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ، فيوفر لنفسه كل السبل التى تؤدي به الى نسيانه . ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطائه اسما آخر لا يدل عليه . واذن فالمتفاضل حين يسمي الملدوغ سليما ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التى يكرهها ، بل الصورة التى يحبها . فاللفظ اذن مستعمل فى معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث يريد ان يرسم فى ذهن المستمع صورة متفائلة . فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم والمستمع كليهما ، وان كان معناه ذهنيا لا واقع له فى الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك تفاؤل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ج - ما وضع فى الاضداد تعسفا او تكثرا ، مثل الالفاظ التى تختلف معانيها دون ان تتضاد ، والالفاظ التى تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من ادوات كـ رغب عن والى ، وانصرف عن والى ، وغيرهما .

٦ - ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذى يدل عليه اللفظ . وهنا احتريز فأقول المعنى الحق للفظ . واعني بهذا الاحتراز امثال هذه الالفاظ التى لم يحسن بعض اللغويين التنبيه الى معناها الحق ، ونسبوا اليها معاني بدت متضادة . فالصرير هو الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر ، كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ، وليس الصرير الليل خاصة ولا النهار خاصة . والدليل الجلي على ذلك اصل اللفظ ، ومعناه ، فاصله الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حائلة ولا ضوءا مشرقا ، بل هي الظلمة التى ينبعث فيها الضوء ، او الضوء الذى تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ، سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح .

وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء انفسهم ، كما فعلوا فى المأثم والطرب وغيرهما . وليست هذه الالفاظ من الاضداد فى شيء .

واذن فما وجدنا معانيه تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد . وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا او ذهنيا ، يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظيا واحدا ، ذا صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يمكن الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

« المراجع »

المطبوعة

- الإصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم : الأضداد ، طبع الكويت 1960 .
انتهالي : سر العربية في مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، طبع
المكتبة التجارية 1938 .
الخليل بن أحمد : العين ، مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد ، وطبع الجزء الأول
منه ببغداد 1967 .
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : الجمهرة ، طبع حيدر آباد بالهند .
ابن الدهان : أبو محمد سعيد بن المبارك : الأضداد ، المطبعة الحيدرية بالنجف 1371 - 1952 في
نفائس المخطوطات .
الرازي ، أبو الحسن أحمد بن فارس : الصحاح في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ،
طبع بيروت 1964 - 1383 .
السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان : الكتاب ، طبع بولاق 1316 .
ابن سيده : المخصص ، المجلد 13 ، طبع بولاق .
السيوطي : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
الصفاني ، أبو الفضائل الحسن بن محمد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
أبو الطيب اللفوي الحلبي عبد الواحد بن علي : الأضداد في كلام العرب ، طبع دمشق 1382 -
1963 .
عبد الفتاح بدوي : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة أضداد (الطبعة العربية) .
ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : أدب الكاتب ، ط الرابعة 1382 / 1963 .
قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : الأضداد ، في مجلة Islamic ، المجلد الخامس ، سنة 1931 ،
من ص 247 إلى 293 .
المبرد : الكامل ، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
منصور فهمي : الأضداد ، مجلة مجمع اللغة العربية (الملكي) ، الجزء الثاني ، صفر 1354 -
مايو 1935 .

المخطوطة

- أحمد بن أحمد بن إسماعيل الحلواني : الكاس المروق ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
عبد الله بن محمد بن القاضي : منبه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد ، مخطوط بدار الكتب
المصرية .
عبد الله بن نجا الإيباري : دورق الأنداد في نظم أسماء الأضداد ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
أبو عبيد القاسم بن سلام : الفريب المصنف . مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
محمد المدني : الأضداد . المكتبة السليمانية بالآستانة ، في مجموعة تحت رقم 1041 ، يبدأ
الكتاب من وجه ورقة 98 إلى وجه ورقة 103 .

المراجع الأجنبية

Abel: Über den Gegensinn der Urworte, Leipzig 1884.

Giese: Untersuchungen über die Addad auf Grund von Stellen aus altarabischen Dichtern, Berlin 1894,

H. Hirschfeld: The Journal of Royal Asiatic Society, 1895.

تعريف وتعليق على كتاب جيز السابق .

Landau: Die gegensinnigen Wörter im Alt—und Neuhebräischen, Berlin 1896.

Landberg, Le comte de: La langue arabe et ses dialectes, Leide 1905.

Leguest: Etudes sur les formations des racines sémitiques, Paris 1858.

Nöldeke: Wörter mit Gegensinn (Addad), Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.

Th. M. Redslob: Die arabischen Wörter mit entgegengesetzten Bedeutungen, Göttingen 1873.

Weil: Addad, in Encyclopydia of Islam.

دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية⁽¹⁾

إدريس الكتاني
الأستاذ بجامعة محمد الخامس (الرباط)

ان الدور الهام الذي لعبته اللغات في تاريخ الحضارات والفكر البشري ليس بالشئ المجهول الذي يحتاج الى توضيح جديد هنا ، واذا كانت الدول الكبرى خلال التاريخ ، وفي العالم المعاصر ، تهتم بتطوير ونشر لغاتها الوطنية ، فلتقديرها لهذا الدور ، وشعورها بأهميته البالغة في بنيانها الاجتماعي ، وعظمتها الدولية .

وتعتبر فرنسا من اشد الدول المعاصرة احساسا بهذا الدور ، ولذلك فهي تبذل في سبيل لغتها ما لا تبذله اية دولة أخرى .

منظمة اليونسكو تنصح الدول النامية باستعمال لغاتها الوطنية في التعليم

وفي تقرير اعدته لجنة من خبراء اليونسكو كلفت بدراسة مسألة الحفاظ على اللغات الوطنية للشعوب النامية ، وتطورها ، والتدابير التي يمكن اتخاذها للتعجيل باستعمالها في التعليم ، طبقا لرغبات هذه

ان اللغة ليست اداة تفاهم واتصال فقط ، ولكنها ايضا اداة للتفكير والتأمل . والانسان يفكر باللغة التي يتكلمها ، ويعيش تحت تأثير قيمها الثقافية والعلمية والدينية ، وباختصاصه واستيعابه لرموز لغته الوطنية ، وكناياتها ، واستعاراتها ، وايحاءاتها ، ودلالاتها الخاصة بالزمان والمكان ، يستطيع ان يدرك الحقائق العلمية ، والظواهر الاجتماعية ، ويتجاوب مع الناس والاحداث ، وينمي طاقاته العقلية والبدنية والانتاجية ، وذلك ببذل نفس المجهود المعتاد في البلدان المتقدمة .

لكن عندما يفرض على شعب متخلف استعمال لغة اجنبية عنه ، لاسباب استعمارية او سياسية او طبقية او مذهبية ، هل تستطيع اللغة الاجنبية ان تؤدي وظيفة اللغة الوطنية ، وان تصبح اداة سهلة لتحقيق الاهداف الوطنية ، وخاصة ما يتعلق بمحاربة الامية ، وايقاظ الوعي الوطني ، ونشر الثقافة والقيم الاخلاقية ؟ وهل سيكون بوسعها ان تساعد على تعميم التعليم ، وتحقيق تطور اقتصادي واجتماعي لعموم المجتمع ؟ ..

(1) « نشر هذا البحث أولا باللغتين الفرنسية والانجليزية بمجلة « Cahiers Africains d'Administration Publique » التي يصدرها المركز الافريقي للتكوين والبحث الاداري للتنمية « CAFRAD » التابع للامم المتحدة بمدينة طنجة ، في عددها الخاص بتحضير المؤتمر الافريقي المنعقد بطنجة في 18 شتنبر 1972 لدراسة « مشاكل نمو الطاقات البشرية والتسيير في القطاع العام الافريقي » عدد 8 غشت 1972 . وقد تفضل السيد الاستاذ الكتاني باتحاف مجلتنا بهذا البحث القيم الذي نختصره للقراء .

مع مصلحته هو لا مصلحة البلد الافريقي الذي يعنيه الامر ، ونظرا لذلك فان الشخصية الوطنية لاغلب الدول الافريقية أصبحت هي نفسها من مخلفات الاستعمار ، فليس من المدهش ان عددا قليلا جدا من هذه الدول هي التي استطاعت ان تتبنى لغة فصحي للتقنين (Langue véhiculaire) تكون في نفس الوقت « وطنية » و « افريقية » .

ان الاساتذة لـو وكرانت ووليامس (Low, Grant et Williams) فضلا عما اكده من ان الاطفال الذين يدرسون بلغة تختلف عن لغة الامومة لا يتقدمون الا ببطء ، يعترفون بأن الانجليزية تعلم بطريقة سيئة جدا في افريقيا ، وأغلب المعلمين في عدة نواح افريقية لم يتلقوا أي تكوين ، وخاصة في افريقيا الغربية ، وحسب تقرير بانجو Banjo سنة 1962 ، كان يوجد في نيجيريا الغربية 26 000 معلم من بين 40 000 لم يقع تكوينهم .

« وهذه الانتقادات توجه خاصة الى المدارس الابتدائية ، ومع ذلك فان التعليم الثانوي أيضا لا يقوم الا على اقلية من التلاميذ ، ويوشك الامر ، كما هو حاصل في الهند ، ان تنفصل النخبة عن الشعب ، بسبب استعمال اللغة الانجليزية » .

وبعد استقلال الدول الافريقية استعملت بعض اللغات الافريقية المحلية في نطاق معين ، في المستوى الابتدائي ، ولكن الانجليزية والفرنسية لم تلبثا ان دخلتا في سلك التعليم ، وغالبا في السنة الاولى من الثانوي ، وأصبحتا لغات فصحي .

ويلاحظ ان طانجانيقا هي احدى البلدان الافريقية النادرة - باستثناء الدول العربية الافريقية - التي لها لغة وطنية ، هي اللغة السواحلية . وقبل استقلال هذه البلاد في 2 دجنبر سنة 1961 ، عمل حزب الاتحاد الوطني الافريقي لطانجانيقا « Tanu » على تعليمها في مدارس وطنية خاصة تابعة له ، كما عمل على تعليمها للكبار في البلاد كلها ، ولم يتردد بعد استقلال البلاد في استعمالها كلفة رسمية في دوائر الحكومة والبرلمان والتعليم ، وشرع في ترجمة النصوص التشريعية الى هذه اللغة ، وفي سنة 1965 أصبحت اللغة السواحلية اجبارية في جميع المدارس الثانوية ، وفي سنة 1968 فقط نظم أول درس جامعي عن الادب السواحلي في تنزانيا .

الشعوب ، وعلى أساس التجارب المعروفة في البلدان الاخرى ، اكدت لجنة اليونسكو هذه انه لا يوجد أي عائق في نظام لغة ما يحول بينها وبين جعلها لغة حضارة حديثة ، وترى هذه اللجنة انه اذا كانت (اللغة الأم) كفيلة بأن تكون لغة للتعليم الجامعي والتقني ، فانه يجب استعمالها لهذا الغرض ، وطلبت اللجنة أيضا من هيئة اليونسكو ان « تدرس » امكانيات تنسيق المصطلحات العلمية والفنية للغات العلمية ، وذلك لمساعدة اللغات النامية على ان تكون لها مصطلحاتها الخاصة ، وان تتطابق في ذلك ، بقدر الامكان ، مع مصطلحات اللغات العالمية .

البنك الدولي للبناء والتنمية ينصح باستعمال اللغة الوطنية في التعليم

وهناك مؤسسة مالية دولية اخرى اتخذت موقفا من اللغات الاجنبية يتفق مع موقف اليونسكو ، ففي سنة 1963 طلبت الحكومة المغربية من البنك الدولي للبناء والتنمية القيام بدراسة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب ، وفي التقرير الذي اعدته بعثة البنك ، بعد ان قضت في المغرب شهرا في الدراسة والبحث ، نصحت الحكومة المغربية ، ومن وجهة نظر اقتصادية بحث ، بأن تضع حدا لتعليم اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية توفيراً لـ 30 ٪ من وقت التلاميذ والمعلمين ، وتوفيراً لنحو 7 ملايين من الفرنك التي تنفق بدون طائل في هذا المجال ، وتخصيص هذا المبلغ الضخم في طبع الكتب ، واعداد الادوات المدرسية ، وتكوين المعلمين ، الى آخر ما جاء في التقرير من النصائح المتعلقة بتخطيط سياسة وطنية ملائمة لحاجتنا ومصالحنا .

تجربة اللغة الاجنبية في شرق وغرب افريقيا

كانت اللغة الانجليزية حتى سنة 1963 هي اللغة الرسمية لدول افريقيا الشرقية الثلاث : طانجانيقا وكينيا وأوغندا ، كما هي الحال في مستعمراتها الافريقية السابقة الاخرى ، ولكن هذا لا يعني أكثر من انها لغة نخبة تمثل نسبة ضئيلة من السكان ، لا يتجاوز مستواها بضعة اعوام في التعليم .

واكبر مشكلة واجهتها هذه البلدان بعد استقلالها السياسي هي ان الاسلوب التربوي عندها من وضع النظام الاستعماري الذي عمل على أن يتناسب ويتطور

هذه اللغة ، وإذا كان الرئيس نيريري قد استطاع ترجمة « يوليوس قيصر » الى اللغة السواحلية فان هذه اللغة لا يمكن أن تكون صعبة للغاية - كما حاولت التايمس (Times) في ملحقها الادبي سنة 1967 اظهار ذلك - مثلما يقال بالنسبة للغات افريقية اخرى . وهناك عقبات كبرى وضعت لحذف اللغة الانجليزية او الفرنسية لفائدة لغات محلية ، وحتى لو لم تكن هذه شائعة كاللغة السواحلية .

ونشير اخيرا الى أن وجود لغة وطنية افريقية واسعة الانتشار ، كاللغة السواحلية كان له تأثير كبير على القادة الافارقة الذين كانوا يصدد انشاء منظمة سياسية قوية .

وتلعب اللغة السواحلية في اوغندا - التي استقلت سنة 1962 ، ويبلغ عدد سكانها 10 ملايين - دورا اقل أهمية من دورها في تنزانيا ، فحتى سنة 1963 كان في اوغندا عدد كبير من الاوغنديين يفهمون اللغة السواحلية في مستوى قضاء حاجاتهم من السوق ، كما أن عددا اقل من ذلك يتكلم هذه اللغة بسهولة ، مع العلم بأنها تعلم في المدارس الاوغندية خلال فترة التقارب بين البلدين ، وقبل أن يقع التخلي عنها في سنوات 1930 . أما النقابات والاحزاب فكانت تستعمل الانجليزية في اجتماعاتها ، وترجم خطبها الى اللغة الاوغندية او السواحلية .

ويرجع ضعف اللغة السواحلية بأوغندا لكون الطرق التجارية بها لم تكن قد تطورت بالقدر الذي حدث في طنجانيقا ، وهناك سبب آخر أكثر أهمية وهو وجود قبيلة كبيرة وقوية كانت تتمسك باستعمال لغتها .

وبالرغم من القرار الذي صادق عليه مجلس الشعب الاوغندي سنة 1962 بتقوية استعمال السواحلية لفائدة الوحدة بين الشعبين الاوغندي والتانزاني ، فان المسؤولين الاوغنديين ظلوا مستمرين في استعمال لهجات قبلية في برامجهم الاذاعية ، ولم يقتصروا على السواحلية .

وكان يبدو أن النخبة الاوغندية قد اختلفت فيما يرجع لمسألة اللغات ، واتضح هذا بمناسبة حوار جرى سنة 1962 حيث انتصر عدد من الشخصيات السامية (ثلاثة منهم أصبحوا وزراء بعد ذلك) لفائدة اللغة السواحلية ، وعلل أحدهم وهو نكوبي موقفه بأنه استحال عليه مدة عشرين عاما القاء خطب بالانجليزية امام الجماهير الشعبية ، بينما عارض سروانو الذي

ولم تصل سنة 1970 حتى فرض على جميع التلاميذ أن يجتازوا امتحانا في هذه اللغة في مستوى البكالوريا . « مع العلم بأن تعليما متقدما باللغة الانجليزية لا يزال مفروضا في السنة الاولى من التعليم الثانوي ، ويتمنى في بعض الاوساط أن تصبح التربية الوطنية كلها بما فيها التعليم الجامعي باللغة السواحلية ، ومع ذلك فان اعداد المواد البيداغوجية قلما يتجاوز مستوى المدارس الابتدائية » .

وفي سنة 1970 ايضا اعتبرت اللغة السواحلية الوحيدة التي يمكن لمرشحي الاتحاد الوطني الافريقي استعمالها اثناء حملتهم الانتخابية ، فعلا فقد صرح نائب رئيس الجمهورية رشدي كاواوا قائلا : « اذا كان السكان لا يعرفون اللغة السواحلية فان جميع المرشحين يجب أن يكونوا مصحوبين بمرجم » ، وعندما أصدر كاواوا الأمر لجميع الادارات الرسمية ، والى لجان الاتحاد ، سواء على المستوى الاقليمي او في المقاطعات ، باستعمال اللغة السواحلية كلفة تعبير ادارية قدم ، بصفة خاصة ، الملاحظات التالية : « ان أكبر جزء من الاوراق المستعملة لا تزال حتى الآن مطبوعة بالانجليزية مع اننا نعلم جيدا ان أغلبية الذين يعنيههم الامر لا يعرفون هذه اللغة ، إنها اهانة موجهة الى الامة » .

وفضلا عن ذلك فقد قام الرئيس نيريري بترجمة يوليوس قيصر (Jules César) لشكسبير الى اللغة السواحلية ، وهو الذي قال : « في خلال ثماني سنوات لم التجئ لمرجم الا مرة واحدة » .

وقد اكتسبت اللغة السواحلية أهميتها من عدة عوامل ، فهي منتشرة في جزء كبير من افريقيا الشرقية ، وخاصة في الكونغو الشرقي وأوغندا الجنوبية وهي ايضا منتشرة في كينيا ، فضلا عن انها أصبحت اللغة الرسمية في تنزانيا ، وهي لغة تعبير عن جميع الاشياء والافكار ، وبفضلها استطاع موظفو الاتحاد الوطني الافريقي لطنجانيقا أن يتصلوا بالقاعدة الشعبية ، وأن يقوموا بنشاطهم في الاقاليم التي لا تكاد تعرف . يضاف الى ذلك أن اللغة السواحلية كانت دائما مقوما أساسيا للشخصية الوطنية لطنجانيقا ، واحدى خصائصها العميقة .

ومن المفيد أن نشير الى أن اللغة السواحلية ، حسب جميع القواعد ، بعيدة من أن تعتبر لغة « بدائية » ذلك أن أدبها الحي الشعري يرجع الى القرن السابع عشر ، ومن أجله وقع استعمال الكتابة العربية ، ولم يقتصر الامر على الكتابة ، فقد كانت تعرف ايضا من

السواحلية ، بأن حوالي نصف السكان يفهمون اللغة السواحلية .

ومن الجدير بالملاحظة ، كمثل على صعوبة اختيار لغة وطنية ، انه يوجد بكينيا 42 جماعة قبلية لعدد من السكان يبلغ احد عشر مليوناً ، ولا يتجاوز عدد أكبر جماعة منها وهي كيكويو مليوناً ونصف مليون ، ومن الوجهة القبلية تعتبر السواحلية الآخذة في الانتشار بكينيا لغة « محايدة » ، لها حظوظ لتصبح لغة وطنية ، ولكن الانجليزية حتى الآن لا تزال هي اللغة الرسمية والتربوية .

والارقام المنشورة في الجدول التالي عن اللغات المستعملة في صحف الدول الثلاث تؤكد أن السواحلية هي اللغة الوطنية لطنجانيقا ، وانها لغة مهمة في كينيا ، كما انها تستعمل الى حد ما في أوغندا . وهذا التشابه اللغوي بين كينيا وطنجانيقا يوضح الفكرة التي أعلنها سنة 1963 عدد كبير من السياسيين ، والتي تؤكد أن الروابط بين الكينيين والطنجانيقيين أقوى منها بينهما وبين الاوغنديين .

أصبح فيما بعد الرئيس المساعد للمجلس ، ونديوب الذي أصبح نائب رئيس الدولة ، بصراحة في استعمال السواحلية .

وأخيراً ، في سنة 1963 قرر الوزير الأول ميلتون أوبوت الاستعمال المال للغة السواحلية ، ولكن رئيس U.P.C. جوهن بابيها لم يكن متحمساً ، بينما أكد وكيل الدولة بأن الاوغنديين لن يقبلوا أبداً اللغة السواحلية .

فاذا انتقلنا الى كينيا ، وهي الدولة المجاورة لكل من أوغندا وطنجانيقا على ساحل المحيط الهندي ، والتي نالت استقلالها سنة 1963 ، فنجد انها تتوفر على سكان يتكلمون سواحلية « أهلية » في الساحل ، كما كانت صورة مشوهة منها تستعمل منذ زمن طويل بين أصحاب الاعمال وعمالهم ، وهكذا قاومت اللغة السواحلية الجهود التي بذلها النظام الاستعماري لازالتها .

وقد أكد وزير الانباء الكيني السابق السيد اشيانك أونيكو سنة 1963 ، وهو من أكبر انصار

نسبة الصحف المنشورة بمختلف اللغات سنة 1962

السواحلية	الانجليزية	لغات محلية		
70	30	—	صحف يومية	طنجانيقا
72	26	2	صحف شهرية	
36	64	—	صحف يومية	كينيا
46	41	13	صحف شهرية	
—	49	51	صحف يومية	أوغندا
—	7	93	صحف شهرية	

لقد حصلت مدغشقر ، البالغ عدد سكانها 6.750.000 ، على استقلالها سنة 1960 ، ومن الجدير بالملاحظة أن طلبة الجامعة وتلاميذ التعليم الثانوي الذين قاموا باضرابات ابريل وماي 1972 التي شارك فيها السكان ، وهزت كيان الدولة ، وارغمت رئيس الجمهورية على تسليم سلطاته للجيش ، هؤلاء الطلبة يمثلون الجيل الذي بدأ تعليمه في المدرسة الملقاشية المتفرنسة في عهد الاستقلال . وهذا

تجربة اللغة الأجنبية في مدغشقر

واذا كانت مشكلة اللغة الأجنبية لا تبرز للعيان بحدة في كثير من الدول الافريقية ، فلأنها غالباً ما تختفي خلف مشاكل التعليم التي تلتحم بها ، وهذه المشاكل نفسها كثيراً ما تندمج في اطار المطالبات الوطنية والسياسية العامة التي تتبناها المعارضة ، وتواجه بها الحكم القائم .

فهذا أولا وبالذات ، أن التعليم القائم ليس وطنيا طالما انه لا يعتمد على اللغة الوطنية التي هي شرط أساسي في نظرهم ليصبح التعليم عاما ، وديمقراطيا ، وفي خدمة المصالح القومية العليا للشعب كله ، ويتخصص من التبعية والسيطرة والتوجيه الاجنبي ، ذلك التوجيه الذي يحصر هدفه في تكوين عدد محدود من الاطر التي تحتاج اليها ادارة الدولة فقط .

تجربة اللغة الاجنبية في الجزائر

وفي اطار النظام الاستعماري الذي عرفته الجزائر من 1830 الى 1962 ، والذي فقد معه الشعب الجزائري ارضه وسيادته وجميع ثرواته الوطنية ، جاءت اللغة الفرنسية الاجنبية لتحل محل اللغة الوطنية في الادارة والتعليم والحياة اليومية ، ولتسلب الشعب الجزائري ثقافته العربية الاسلامية ، وشخصيته القومية ، حتى تسهل عملية ادماجه النهائي في الامبراطورية الفرنسية .

وفي سنة 1938 ، اي قبل الحرب العالمية الثانية ، وبعد مرور اكثر من مائة عام على هذا النظام ، كان يعتقد ان عملية الادماج هذه قد نجحت نهائيا ، عندما كتب زعيم وطني جزائري ، عضو في البرلمان الفرنسي يومئذ ، يتساءل بحسن نية : هل توجد حقاً امة جزائرية ؟ .

وبعد اعلان حرب التحرير الجزائرية سنة 1954 من طرف الشعب الابي ، اكتشف هذا الزعيم فجأة ظهور هذه الامة التي كان يبحث عن لغتها وثقافتها وشخصيتها الوطنية دون جدوى ، فارتدى بين احضان الثورة ليصبح اول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وفي سنة 1962 كان اول عمل للجمهورية الجزائرية المستقلة هو استعادة سيادتها المطلقة والكاملة على الارض والثروات الوطنية الجزائرية ، اما العمل الثاني الذي شرعت فيه فور انتهائها من المرحلة الاولى فهو استعادة اللغة والثقافة الوطنية ولم تكن هذه القضية تحتل اية مناقشة ، رغم الصعوبات التي كانت تكتنف تطبيقها ، ذلك ان كل تطور ونمو للشخصية الجزائرية ، وكل تعليم ، وكل ثقافة وطنية ، يستحيل قيامها بغير اللغة العربية ، لغة المدرسة الحرة الاسلامية الجزائرية ، باعثة النهضة ، وشعلة الثورة ، ولغة تحرير الانسان الجزائري من العبودية والجهل والاستغلال .

يعني ان هذا الجيل لم يندمج اجتماعيا ونفسيا وتربويا في هذه المدرسة الاجنبية ، ولم تتكامل شخصيته الوطنية بواسطة لغتها ومناهجها واطرها الاجنبية ، وعندما شعر بانها لن تحقق اهدافه ومطامحه في التطور والتقدم ثار ضدها ، ووجد تجاوبا كاملا مع جميع المنظمات الملتفافية التي تطالب معه بتعليم وطني كشرط اساسي لاصلاح التعليم .

وفي وصف هذه الحالة عقب الاضرابات المذكورة يقول مراسل جريدة « لومند » الباريسية : « كانت مطالب الطلبة ذات اهمية ، ولكنها لا تخرج عن النطاق الطائفي ، ورغم ذلك فان الرئيس تير انا قد وصل الى حد اغلاق الجامعة في شهر مارس 1971 بعدما طالته الجمعيات بتعليم وطني ، وتخفيف برامج الدراسات والامتحانات ، وقد اصبحت المساعدات الثقافية الفرنسية بكاملها معرضة للنقل من طرف المنظمات التي تدّين التبعية الثقافية .

وبعد ان استعرض المراسل المذكور العوامل السياسية الاخرى التي تدعو اغلبيّة الشبان لاستنكار نظام الحكم الذي يعتبرونه شديد الارتباط بالاستعمار السابق ، اشار الى ان هذا لم يبد في الشعارات التي حملها الطلبة المتظاهرون يوم 24 ابريل الماضي حيث اکتفوا بشعارات كهذه : « معاهدات التعاون معاهدات استعباد » الفرنسية لغة الاستعباد .

وقد جاء في تصريح ادلى به لجريدة « لومند » ريموند وليام ريمنتجرا عضو الحركة الجمهورية الملتفافية الحرة ، بعد ان تولى الجيش جميع السلطات ، حول مستقبل هذه الجمهورية ما يلي : « اما فيما يتعلق بمصير اللغة والثقافة الفرنسية فان للملتفاسيين كامل الحق في الدفاع عن لغتهم الاصلية ، وعن التراث الروحي والثقافي لاجدادهم ، ولكن من الواجب عليهم ايضا بالنظر للحاضر والمستقبل ، ان لا يعزلوا عن الفكر العالمي ، وداخل هذا النطاق ، سوف لا نفرط في كل ما هو فرنسي » .

هذا هو الموقف الصريح والعلني من قضية اللغة الاجنبية في بلد افريقي نام ، كان لا بد ان تمر اثنتا عشرة سنة على استقلاله قبل ان يلاحظ شعبه انعكاسات هذه التجربة المرة على حياته الاقتصادية والاجتماعية والقومية ، ويعلن سخطه وثورته ضدها .

ومن الجدير بالذكر انه عندما يطالب الطلبة في مدغشقر ، او في اي بلد افريقي آخر بتعليم وطني ،

لقد استفادت الجزائر منذ استقلالها سنة 1962 من تجربة المغرب السابقة في سياسة التعليم والتعريب منذ استقلاله سنة 1956 ، واستطاعت بفضل وضوح رؤيتها ، وبعد نظرها ، وعمق تجربتها ومحتتها في عهد الاحتلال ، ان تتجنب الاخطاء التي وقع فيها غيرها ، وان تقرر جعل اللغة العربية أداة علم وعمل في جميع قطاعات النشاط الوطني ، وادخالها الى الميادين العلمية والثقافية ، وخلق مدرسة جزائرية ذات صبغة قومية .

وقد تحدث الرئيس الجزائري هواري بومدين يوم 28 ابريل 1970 امام اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم عن التعريب بوصفه اختيارا اساسيا لا رجوع فيه ، فاكد بانه مطلب وطني ، وهدف من الاهداف الكبرى بالنسبة للجماهير ، وقال : انه توجد بالجزائر نخبة وشعب وفي مثل هذه الحالة يجب على النخبة ان ترجع للشعب خاصة بالنسبة لهذا الموضوع ، لان الشعب هو الذي احتضن عبر القرون كل ما يمثل عنصرا اساسيا لما نسميه اليوم « بمقومات الشخصية الوطنية » .

وبهذا القرار التاريخي الحاسم ، فتحت الجزائر الباب على مصراعيه لتطبيق مبدأ تعميم التعليم ، ودمقراطيته ، ومحاربة الامية ، وتكوين الاطر الوطنية ، وخلق الوعي لدى الجماهير الشعبية بأهمية التدابير المتخذة في سياسة التصنيع ، والتطور الاقتصادي ، والاجتماعي ، والاصلاح الزراعي .

تجربة اللغة الاجنبية في المغرب

ومنذ استقلال المغرب سنة 1956 حتى اليوم، لم يحدث ان اجتمعت الاحزاب الوطنية ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والمؤسسات العلمية والثقافية والدينية على مبدأ وطني مثل اجماعها على ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم والادارة والحياة اليومية بدل اللغة الفرنسية التي فرضتها الحماية في عهدها السابق .

ففي 13 ابريل 1964 قامت وزارة التعليم بتجربة عندما نظمت مناظرة وطنية كبرى حول التعليم دعت لها 400 شخص يمثلون جميع المؤسسات الحكومية والشعبية لوضع سياسة وطنية قسارة

للتعليم ، وكانت نقطة الصراع الوحيدة والمفطاة بمشاكل التعليم ، هي التي جاءت في هذه التوصية التي كانت محل اجماع اعضاء المناظرة ، وانتصر فيها ممثلو المؤسسات الوطنية الشعبية انتصارا ساحقا :

« لغة التعليم هي اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ، ويشترع في تعليم اللغات الاجنبية ابتداء من الطور الثانوي » .

وبعد مصادقة الجمع العام للمناظرة (400 ممثل) على هذه التوصية الصادرة عن « لجنة السياسة العامة للتعليم » تمكنت اللجان العشر الاخرى - بعد اسبوعين من العمل الجاد ليلا ونهارا - من اصدار توصياتها المتعلقة بالسياسة الوطنية العامة للتعليم .

وقد انعقدت مناظرة اخرى في افران للبحث عن اسباب الاضرابات ومحاولة ايجاد حل لها وأصدر المثقفون المغاربة بيانا تاريخيا وقعه 500 من الشخصيات المغربية في طليعتهم كبار العلماء ، وقادة الاحزاب الوطنية ، ونقابات العمال ، واتحادات الطلاب والاساتذة والمثقفون .

ومما جاء في هذا البيان ان الشعب المغربي لا يريد بعد تحرره واستقلاله ان يظل مربوطا بعجلة اية دولة اجنبية ، ويظل فكره القومي محتكرا للفتها ، وانما يريد ان يستوعب الحضارة الانسانية العالمية بمختلف لغاتها الحية ، وعن طريق التبادل الثقافي والعملي والصناعي ، دون ان يتخلى قيد انملة عن لغته العربية ، كلفة رسمية حية ، في التعليم والادارة والعمل اليومي ، فان علماء المغرب ومثقفيه ، ورجال الفكر والاصلاح فيه ، يرون من واجبههم القومي والديني بمناسبة الحوار المفتوح حول سياسة التعليم ومستقبله في المغرب :

اولا - ان يجددوا نصيحهم وتحذيرهم من اية سياسة لم تحقق غير المزيد من فرسة الاجيال المغربية الناشئة ، وفرسة لغة التخاطب العامة ، وترشيع فرنسة الادارة والمصالح العمومية والخصوصية بالمغرب المستقل ، مما يهدد وحدة وكيان ومستقبل الشعب المغربي ، ويعرقل تقدمه وازدهاره وامنه الفكري .

ثانيا - ان يذكروا بان التعريب الكامل العام ، في التعليم والادارة والعمل والشارع هو مطلب قومي

معرفة ، وليس نتيجة لفته ، أما دعوى عزل الشعب عن تيارات الحضارة العالمية ، فهي مجرد خداع وتضليل للرأي العام الوطني .

3 - ان السكان يتسابقون ، حسب زعم هؤلاء أيضا ، لتسجيل ابنائهم في مدارس البعثات الاجنبية ، حرصا منهم على أن يتعلموا بلغتها ، والحقيقة هي أن طبقة من السكان المترفين اذا كانت تفر من مدارس الدولة الرسمية - وهذا لا يشرف أية حكومة بهذا الوضع - فليس ذلك لتعلقها أكثر باللغة الاجنبية ، ولكن لانها تخشى المصير التمس الذي ينتظر أبناء الشعب الذين يغادرون المدرسة دون أن يحصلوا حتى على شهادة الثانوية العامة .

4 - ان استعمال اللغة الاجنبية أصبح مرتبطا بالمصالح الاقتصادية والثقافية والسياسية للدولة صاحبة هذه اللغة ، وبمساعدهاتها المختلفة للدولة التي تستعمل لفتها ، ومن شأن التحول الى اللغة الوطنية ، حسبما يعقده هؤلاء ، ان يسيء الى علاقات الدولتين ، وإلى مصالح المنتفعين فيهما ، وليس من شأن دولة غير ثورية أن تقوم على مثل هذه الخطوة الجريئة .

5 - ان استعمال اللغة الأجنبية قد يكون - فضلا عن الاسباب السابقة - لمجرد الحاجة ، لان الدولة المعنية لا تملك لغة علمية مكتوبة ، أو بسبب الضغط الاستعماري المتواصل ، أو فقط عبارة عن اختيار سياسي لتحقيق أهداف سياسة معينة ، قلما يقع الانتباه لها . أو لان النخبة الحاكمة لا تزال تشعر بالنقص تجاه المستعمر القديم وتجاه لفته ، فهي لا تجرؤ على المس بالمؤسسات التي خلفها ، وكثيرا ما تجتمع أغلب هذه العوامل في البلد الواحد .

هذه ، على الأقل ، خلاصة الاسباب التي تجعل أغلبية الدول الافريقية تتبنى اللغات الأجنبية ، دون ادراك واع منها بأن هذا التبنى يشكل عقبة كبرى في طريق نمو شعوبها ، وتقدمها ، واستقلال طاقاتها البشرية .

الافارقة سيتخلصون عاجلا أو آجلا من اللغات الأجنبية :

وهناك شعور متزايد لدى الرأي العام ، ولدى المؤسسات الوطنية في الاقطار الافريقية بأن الدول الغربية المستعمرة السابقة لها ، كانت تهتم بنشر

اجمعت عليه الامة منذ الاستقلال ، وهو لا يتعارض بحال من الاحوال مع دراسة اللغات الاجنبية الحية كلغات ، ولا يتناقض مع رغبتنا جميعا في التفتح على حضارة القرن العشرين ، وانما يؤكد فقط رغبة الشعب المغربي في المحافظة على مقومات شخصيته الوطنية ، ومن المعلوم انه لا يمكن لهذه الشخصية ان تنمو وتزدهر الا في اطار اللغة القومية ، ولا يمكن للتعليم ان يصبح شعبيا ودمقراطيا ومزدهرا الا باللغة القومية .

ثالثا - ان ينجوا الى التجني الذي يرتكب في حق اللغة العربية عندما يراد ربطها بالوضع الذي يوجد عليه العالم العربي اليوم ، وبالنقص السدي يلاحظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، مع انه لا ينكر أحد ان اللغة العربية كانت هي اللغة العلمية العالمية الوحيدة في العصور الاسلامية الزاهرة (القسرون الوسطى في اوربا) ، وان تخلفها اليوم في ميدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها هي ، بل لجمود المجتمعات العربية التي عليها أن تقوم بسد هذا النقص في الميدان اللغوي ، في نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها في الميادين العلمية والصناعية ، ذلك ان اللغة العربية ، ككل اللغات الحية ، لا يمكن أن تتطور وتتقدم بمعزل عن الحياة والعلم والمجتمع ، وأبعادها عن أن تكون لغة التعليم والادارة والعمل ، هي الطريق المفضية بها الى الموت البطيء ، لا الى الحياة الخالدة .

اسباب المحافظة على اللغات الأجنبية بافريقيا :

1 - ان أغلب المسؤولين والمشرفين على سياسة التخطيط يجهلون هم انفسهم لغتهم الوطنية ، لانهم تعلموا باللغة الأجنبية التي لا يزال نفوذها مستمرا بالرغم من استقلال بلدانهم ، وحيث انهم عاشوا في هذا الوضع ، واندمجوا فيه اداريا فهم يخشون أي تغيير قد يمس مصالحهم بسوء .

2 - ان عودة اللغة الوطنية لاحتلال مركزها الطبيعي كلغة رسمية للدولة سيؤدي حسبما يزعمه هؤلاء الى خلل في سير الادارة ، وإلى انخفاض المستوى في التعليم والتكوين ، وإلى عزل الشعب عن تيارات حضارة القرن العشرين . والواقع ان الخلل الاداري ، وانخفاض المستوى ، هما بعض ما تعانيه هذه البلدان ، بالرغم من استعمال اللغة الأجنبية ، لانها نتيجة لسلوك الرجل ومستوى

الانجليزية ، وهذا يعني أن التربية البانتوية (لغة البانتو) لا تعني فقط تلقين مواد ولكن أيضا وجود لغة معبرة » .

وعندما انعقد الملتقى الجامعي الاول حول الوحدة الافريقية بالجزائر في نهاية مارس 1971 ، اكد ما سجله الجميع على البيئة التربوية القائمة في القارة الافريقية المستقلة ، التي تتميز بظاهرة الاستلاب الثقافي ، أو التبعية الثقافية . وهذه التبعية جعلت اغلب المثقفين الافارقة لا يقدرّون ثقافتهم الوطنية ، ولا يشعرون بالدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الثقافة ، وانزالهم عن شعورهم لم يكن نتيجة لأفكارهم الجديدة فقط ، بل لانهم أيضا أصبحوا يتحدثون بلغة تختلف عن لغة شعوبهم » .

هذا الموقف الافريقي من اللغات الأجنبية الذي أدركه بوعي وتجربة خبراء أجانب في شؤون التعليم واللغات بافريقيا كالاستاذين طابو وبورني في سنة 1962 ، جاءت اضرابات الطلبة والتلاميذ لتؤكد بقاءه في شعاراتها ضد التبعية الثقافية وسيطرة اللغة الفرنسية، بينما غاب هذا الادراك عن بعض السياسيين والمسؤولين الافارقة أنفسهم .

خلاصة :

ان تعلم اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية بالنسبة للطبقة الاجتماعية المتعلقة بالقارة الافريقية ، هو مطعم كل متعلم دون جدال ، ووسيلة ضرورية لاغناء الثقافات الوطنية ، وتكوين الاطر العلمية والتقنية الوطنية في سائر المجالات ، وتيسير التبادل العلمي والثقافي مع شعوب العالم المتقدم ، هذه هي الحقيقة الاولى التي لا يجادل فيها أحد .

ولكن اسلوب التعليم الذي فرضه الاستعمار الغربي على شعوب القارة ، كان يهدف بالدرجة الاولى الى نشر لغة الدولة المحتلة ، وفرضها كلفة رسمية في الادارة والتعليم ، وقد تبين لهذه الشعوب ، بعد التجربة المرة ، انه اسلوب خطير ، وان أقل اخطاره القضاء على الشخصية الوطنية ، وعلى الثقافة والقيم التاريخية والدينية ، وعرقلة كل تقدم وازدهار حقيقي للشعب ، واخضاعه باستمرار لتبعية الدولة التي يفكر ويتكلم بلغتها ، وهذه هي الحقيقة الثانية التي بدأت هذه الشعوب تدركها .

لغاتنا في هذه البلدان ، أكثر مما تهتم بتطورها أو نشر التعليم فيها ، وهذا الشعور تؤكد حتى اليوم الدراسات والمجلات التي تعني بهذا الموضوع .

ان تجارب الشعوب الافريقية مع اللغات الأجنبية أكدت بأن تبني هذه اللغة أو تلك من طرف نخبة قليلة من شعب افريقي لا يعني حصول هذا الشعب على تقدم أو تطور بفضلها ، فالشعب الجزائري ، مثلا ، الذي استمرت عملية فرنسته خلال 132 سنة من الاستعمار ، كان قد وصل أقصى درجة من الفقر والجهل والانحطاط قبل قيام ثورته المعجزة سنة 1954 ، وتجربة الشعوب الافريقية بعد الاستقلال ، سواء منها التي ورثت اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، جعلتها تزداد اقتناعا بأن استعمال هذه اللغات لن يحل مشاكلها ، بل ربما خلق مشاكل جديدة لم تكن في الحساب ، ولذلك فان الشعور الوطني العام يسير نحو التخلص من هذه اللغات التي اقترن تاريخها بالعبودية والاستغلال الاقتصادي .

ان هذا الاتجاه قد أدركه بذكاء المفتش العام للتعليم في فرنسا طابو « R. Thabault » الذي كان آخر مدير للتعليم في المغرب عندما قال : « .. كيفما كان سبب تبني الافارقة للفرنسية ، سواء كان اختيارا ، أو مجاملة ، أو مصلحة ، أو ضرورة ، فان هذا لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة تكاد تكون مجهولة في فرنسا ، وهي انه مهما كانت الصعوبات وعدم الملاءمة مع المشروعات ، فان الافارقة لهم رغبة جامحة في أن تكون لهم لغة خاصة بهم ، لغة افريقية مشتركة تعوض الفرنسية ، وفي الحقيقة فان التحول الى الاستقلال قلل من حدة هذه المشكلة، بيد ان الجذور الاحساسية والعاطفية لهذه الرغبة عميقة جدا ، وتوشك المشكلة أن توضع بقوة من جديد في المستقبل » .

ونفس الفكرة عبر عنها بيير بورني (Pierre Burney) بالنسبة لدول المغرب العربي عندما قال : « كيفما كانت الأسباب التي حددت اختيار الفرنسية كلفة ثانية ، سواء التقاليد ، أو السهولة ، أو المصلحة ، أو المجاملة ، فان تعريبا تدريجيا للتعليم سيتم حتما » .

وقد لاحظ نفس الاتجاه في افريقيا الجنوبية الاساتذة لوكرانت ووليامس السابق ذكرهم قائلين : « .. ومع ذلك فانه يلاحظ في افريقيا الجنوبية انه يقع الالحاح بقوة على التعليم باللغة المحلية أكثر من

واعتناق بعض الحركات للشيوعية نفسه ليس اجتهدا فكريا متأثرا بالدعاية الأجنبية ، بقدر ما هو عبارة عن رد فعل اجتماعي قوي للتحالف مع أية قوة خارجية ضد الحكم الذي لا يخدم مصالح الشعب ، وما دام هذا الحكم يؤثر عليها مصالح المستعمر السابق ، ويدعم لغته وثقافته على حساب اللغة والثقافة الوطنية ، فان التيار العام ، وخاصة لدى الطبقة المتعلمة - سيزداد اتساعا وعنفا ضد هذه السياسة وضد أصحابها ، وسيعمل على التخلص من هذه اللغات في التعليم والادارة عاجلا أو آجلا ، وهذه هي الحقيقة الرابعة التي نستخلصها في النهاية من هذا العرض .

ومن خلال التجارب الافريقية اتسعت المعرفة ، وازداد اليقين بحقيقة علمية ، وهي ان الاطفال الذين يدرسون بلغة أجنبية ، تختلف عن لغة الامومة - وخاصة اصحاب الذكاء العادي وهم الاغلبية الساحقة - لا يتقدمون في دراساتهم الا ببطء ويشتد هذا البطء اذا فرض عليهم التعلم باللغة الأجنبية ، وباللغة الفصحى الام للغة الامومة ، أو بلفتين أجنبيتين عن لغة الامومة وهذه هي الحقيقة الثالثة .

وقد برهنت الحركات التقدمية او الثورية التي تغلغلت في القارة الافريقية على ان دوافعها الاساسية لا تخرج عن النطاق الوطني الذي يستهدف النمو وتقدم الانسان الافريقي ، وتحريره من كل انواع العبودية

ألقاب الصوفية في المشرق :

الاولى : المجلس العالي يكتب بها لشيخ الشيوخ بالديار المصرية وهي المجلس العالي الشيعي الكبير العالي العاملي السالكي الخ ..

المرتبة الثانية : المجلس الساميتي (بالياء)

المرتبة الثالثة : المجلس السامري (بغير ياء)

المرتبة الرابعة : مجلس الشيخ (صبح الاعشى ج 11 ص 85)

تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

الجواليقي ومغرب المطرزي وشفاء الخفاجي والالفاظ
الفارسية المعربة لادي شير الكلداني ، وتوفرت جملة
أخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التي
استعجمت كقاموس دوزي المستشرق الهولندي
الذي جمع فيه المفردات العربية التي دخلت الاسبانية
والبرتغالية و (الكلمات العربية في اللغة البرتغالية)
لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة في اللغة
الانكليزية) لجرجيس فتح الله المنشورة بمجلة
المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجم - واعني بها
دخول الكلمة العربية الى اللغات الاخرى - وظاهرة
الاستعراب - وهي دخول الكلمة غير العربية الى
العربية - وبين ظاهرة التنقل في مجال الدراسة
والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب
فيما اعتقد اي شي من التوضيح .

والفرق في مجال الاستثمار الدراسي هو
المهم هنا - فيما اخل - ذلك ان دراسة الدخيل لا
تكشف لنا في الغالب الا عن مجال من مجالات
الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الاصل وقد
يكون غيره . ودراسة الاستعجم هي الاخرى قد لا
توقفنا على أكثر من مجال دخاته الكلمة العربية .

قد تعد ظاهرة تنقل الالفاظ من أبرز الظواهر
اللغوية الاجتماعية لشيوعها بين مختلف اللغات ،
وبخاصة اللغات الحية منها ، وفي كثير من
المجتمعات ، وفي شتى انماط لغاتها من فصيحة
وعامية .

وهي : تعني تنقل الكلمة من لغتها الاصل الى
أكثر من لغة ، ومن مجتمعها الأم الى أكثر من مجتمع .

وتنشأ تلقائيا كأي ظاهرة اجتماعية أخرى ،
وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات
ونقل المعارف وبسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق
الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها في التعرف على
تاريخ الكلمة في نشأتها وتطورها وتغيرات هيئتها
وتقلبات مضمونها .

وقد توفرت جملة من معجمات بعض اللغات
على التعريف بها كالانكليزية في مثل
Webster's (International Dictionary
وكالفارسية في (فرهنك نفيسي) .. غير اننا لا نجد
مثل هذه المعجمات في اللغة العربية مع توفر جملة
من معجماتها على التعريف بالدخيل أمثال : معرب

- 10 - امبراطور Emperor - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 11 - بنك Bank - الإيطالية القديمة .
الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 12 - كاش Cash - اللاتينية . الإيطالية .
الانكليزية . العربية .
- 13 - بلاتين Platinum - الإسبانية .
الانكليزية . العربية .
- 14 - ماركة Mark - الألمانية . الانكليزية .
العربية .

ونموذج تطبيقي نأخذ مثالا واحدا من الكلمات
المعربات المنقولة ، هو كلمة (كعك) (Cake) العربية
عن الفارسية ، وهي من العرب القديم الذي يمتد في
تاريخه الى اوائل العصر العباسي .

فانا عندما نرجع الى تاريخها في لفظها
الانكليزي (كيك) (Cake) نجد انها انتقلت من
اللغة النرويجية القديمة الى اللغة الألمانية القديمة ،
ومن الألمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ،
ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي
(Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق
العرب عن الفارسية (كعك) وفي معنى آخر يشبه
معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها - فيما أخال - من
انها سلكت في دخولها الى اللغة العربية طريقتين :
طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ،
واخضعت في اولهما الى اصول التعريب فتحولت
الى (كعك) ، بينما لم تخضع في ثانيهما الى تلكم
الاصول فبقيت على لفظها الأعجمي (كيك) ، وربما
عاد ذلك الى التفرقة بين معنيي استعمالها والى
ضعف الالتزام بأصول التعريب .

وفي ختام حديثي هذا اعود فأقول : ان هذه
الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية في دراساتها اللغوية
وبخاصة المعجمية منها لما ستلقيه من الاضواء على
الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقول
اللغة وقرونها .

اما في دراسة تنقل الالفاظ فمجالات الافادة
كثيرة ، منها ما ألحت اليه اعلاه ، ومنها الكشف
عن قابلية الاستيعاب في لغتنا وقوة الهضم والتمثيل
وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء معا
يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنّة ،
التي اكتسبت صفة التقدم نتيجة التأثير والتأثر
والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا في ضوء ما نراه من توسع كبير في
اندراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل
هذا المعجم الذي يعنى بتاريخ الكلمة العربية
المستعربة او المعربة عن قريب باذن الله تعالى .

وكأمثلة أضع بين يدي القاريء الكريم اشمامة
صغيرة من الكلمات المعربة المنقولة التي أفدتها من
بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور
اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول
George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية
الآداب - جامعة الملك عبد العزيز الذي يسر لي كثيرا
مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

- 1 - موسيقى Music - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 2 - مغناطيس Magnet - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 3 - كريستال Crystal - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 4 - نرجس Narcissus - اليونانية .
اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 5 - بوليس Police - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية .
العربية .
- 6 - كلية College - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 7 - بروفيسور Professor - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 8 - ليمون Lemon - اللاتينية . الفرنسية .
الانكليزية . العربية . الفارسية .
- 9 - صراط Street - اللاتينية .
الألمانية القديمة . الانكليزية القديمة . العربية
القديمة .

مَطَاهِرُ التَّعْرِيبِ

الأستاذ محمد بن تاووت

أما إبدال تلك الهاء « المخفي » كما يسميها
الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا في العربية ، كما
كان مطردا أيضا إبدالها جيما ، كما في كلمة «برنامج»
التي أصبحت برنامج ، وقد عقد سيبويه في كتابه
فصلا سماه « باب اطراد الإبدال في الفارسية » فذكر
من هذا كوسه وموزه وكربق وقربق ، إلى غير ذلك من
الكلمات ، التي يكتفي فيها بهذا الحذاء العربي في
نهايتها ، أعني الجيم أو القاف .

وطبعا أنهم لا يقبلون الحروف التي لا
يستعملونها ولا يألفون اجراسها ، فالحرف P
ينقلب باء أو فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ،
والحرف V ينقلب واوا في الغالب كذلك .

وبعد هذا لابد من انسجام في الهيئة والامتداد،
فتبدل بعض الحركات بغيرها أو تحذف بعض
الحروف التي تتعدى الكلمة طورها في العربية ،
إن لم تحذف منها تلك الحروف ، في الغالب أيضا ،
ولم يتحموا هذا للاضطرار ، بل أخذوا كلمة «جلاّب»
وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب في القديم ،
مسألة التعليم بمدلولها ، ولم تكن مشكلة التعريب كما
فهمنا ، فالقضية تهذيب لفظي يوسائل في غاية
البساطة .

لما ترجمت العلوم إلى العربية ، اتخذ فيها ما
كان معهودا من ذي قبل ، فقليل ، فلسفة في

كثيرا ما قلنا إن التعريب كان منصبا على
الانفاظ ، بينما التعريب الآن منصب على المعاني
فما معنى هذا الكلام ؟

معناه إن العربي ، كان إذا جلب كلمة أو جلبت
إليه ، يستغني بالباسها لباسه العربي ولو بغطاء
الراس مثلا أو الحذاء

جاءته كلمة « كروان » بمعنى انقافلة ، فقال
فيها قروان ، وغطى رأسها بالالف واللام فأصبحت
القروان أو القيروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع
بكل الحقوق التي تتمتع بها الكلمة العربية في
أعرابها ، فلا تمنع من الصرف لعلّة المعجمة ، لأنها
قد ارتفعت عنها بهذا العقال ، الذي هو هنا الالف
واللام ، كما حدث في الهند والصين والروم والترك .

سمع النبي عليه الصلاة والسلام ، من سلمان
الفارسي ، كلمة خندق فاستفسره عن معناها ، وهي
اسم مفعول ، من كندن الفارسي بمعنى الحفر ،
فكانت كنده ، وعربت بأن أبدلت الهاء التي لا تنطق
قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يأنف من
استعمالها بل اشتق منها خندقوا ، فسميت
الغزوة بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت في النطق تميل إلى الخاء ،
كما هي في اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند
مقرئي المغرب بالكاف المسوس ، ولهذا نطقت خندق .

كل ما فى طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا ؟

نعم ، هي قادرة . لو مكنها من قدرتها ، ونفسها بطول الانفاس ، ان لم نكتبه فيها .

والعربية ، الى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتل كذلك ما نطلبه من معان فيها ، ان كلماتها لا تنفذ . بما فيها من اشتقاق وخيالها بحمد الله خيال خصب ، يسعفها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، ويسعفها بهذا التداعي الذى تتولد منه الكنايات ، ولا يبخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسله ، ثم النحت .

لقد تقدمت فى الاشتقاق ، كلمة « خندقوا » من الخندق ، ولنا ان نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة فى المادة العربية نفسها ، فتسفننا فى الافعال بأنواعها وأوضاعها ، وتسفننا فى الصفات بأنواعها كذلك وأوضاعها ، وتسفننا فى أسماء الزمان والمكان والمصادر على اختلافها ، كما تسفننا الكلمة العربية ، عند الاحتياج الى نلها من اولاد واحفاد

هذا الاشتقاق الطليق ، لا نجده فى غير العربية ونجد امثلة من البواقي فى غيرها ، مثل ما نجد فى الفارسية والتركية والفرنسية ، ازاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعا بالتفاح الذى اضافته الى الارض ، فقالت الفارسية « سيب زمين » والتركية « ير الماسي » والفرنسية **Pomme de terre**

وسمت الاسبانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » أي قرد ، كما سمت الآلة التى ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » أي الهر ، لانها تنشب مخلبها فى جانب السيارة ولم تأنف ان تسمى بالبق « Chinche » المسمرات التى تثبت الورق ونحوه .

وقالت الانجليزية للقطار السائر تحت الارض **Underground** أي تحت الارض ، مجازا مرسلًا ، كما استعمل هذا المجاز المرسل فى نحو « سندويتش » **Sandwich** و« كرافات » **Cravate** وكان الاصل فى هذين أنهما اسمان لرجلين استعملاهما .

وأمن الالمان ، كما نعمن نحن فى الاشياء لنستخرج اسماءها ، بدقة وطبق الاصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم **Wasserstoff**

Philosophia وفيلسوف **Philosophos** وقيل ، فاطيفورية **Kategoria** والسفطة **Sofisikae** وايساغوجي **Isagoge** وغير ذلك من الكلمات اليونانية الاصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر فى هذا حرجا او احراجا ، وقد وجدنا الابهرى من رجال القرن السابع يؤلف فى المنطق رسالته « ايساغوجي »

Taos	كما عربوا الطوس من
Zone	والزنار من
Kassitoros	والقزدير من
Ibrizón	والابريز من
Diáblos	وابليس من
Thériaka	والترياق من
Chartés	والقرطاس من
Genos	والجنس من
Esthlós	والاثير من
Gramaatika	والاجرومية من
Asfaltos	والزفت من
Karyofyllon	والقرنفل من
Gypsos	والجبص من
Staflinos	واصفليانة من
Sotolos	والاسطول من
Astron-lambauo	واسطرلاب من
Drachmé	والدرهم من
Kados	والقادوس من
Atlas	والاطلس من

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرومية ، ليست منسوبة الى ابن آجروم المغربي ، كما يتوهم ، فان القضية اتفاقية ، وكثيرا ما يقع هذا الاتفاق فى اللغات .

هذه امثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ، اما الآن فقد تعقدت الحياة وتعاقبت المخترعات وازدحمت فى هذه الدنيا المخلوقات ، فأصبحت وكأنها دار تسكنها عائلة واحدة ، لابد من التعارف التام فيها والاتحاد فى مدلولاتها ومزاولة كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فصارت مسؤولية اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستنفد

فركبوا الاسم من كلمتين Stoff أي جوهر ، و Wasser أي ماء ، فصار الاسم هكذا : الجوهر المائي ، أو جوهر الماء (كما في الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيراً من العنت . اضطروا معه ، إلى تركيب اسم لسمى واحد من كلمتين أو كلمات ، في بعض الأحيان ، فلا يكتفون غالباً بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقبل أن نأتي بأمثلة من العربية لهذا النحت : نرى أن نقف وقفة قصيرة ، عند أصله اللغوي . .

فالنحت أصله ، النشر والقشر والقطع في الصلب من المواد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من قطعتين ، كما ينحت النجار ، خشبتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الأصل ، كالنجحة التي تنحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النجحة هي المعروفة عندنا باسم الجباح ، ومن هذا قول الأعشى :

الست منتها عن نحت أثلتنا

ولست ضائرهما ما أطت الإبل

أما النحت في الحجر ، فمنه قوله تعالى « وتنتحون من الجبال بيوتا فريين »

هذا ما يتعلق ، بأصل المادة من اللغة .

وأما معنى النحت في الاصطلاح ، فهو صوغ كلمة من كلمتين فأكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب كلمة من كلمتين ، مما تناوله النحاة ، في عدة أبواب من كتبهم . وفي الألفية نجد التعرض للتركيب المزدوج ، في باب العلم ، وباب ما لا ينصرف ، وباب النسب ، كما نجد الإشارة إلى المركبات عامة في أبواب غير هذه .

وجملة القول أن النحو تعرض للمركبات من الأسماء إلا أن تعرضه هذا كان لمجرد الإحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليها في الجملة .

نعم أن « الكتاب » لسبويه لم يقف عند تطبيق الإحكام ، بل وقف عدة وقفات ، كان منها ما

يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللغة . وموقفها من طبيعة الأشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعنا هذا ، مثل « باب الحكاية التي لا تغير فيها الأسماء عن حالها » فالتركيب إذن معروف بين كلمتين عند النحاة ، قديما وحديثا .

أما النحت بهذا الاسم فقليلا ما يتعرض له النحويون . ومن هؤلاء الخضري ، إذ يقول فيه « وهو أن يختصر من كلمتين فأكثر ، كلمة واحدة ، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الأولى بتمامها بالاستقراء ، خلافا لبعضهم ، ولا الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار كلمة من كلمتين أو أكثر ، والنوعان معا موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وإن كان بعض منها يميل إلى التركيب أكثر مما يميل إلى الاختصار ، على عكس العربية . كما سنرى :

تقول العربية « البسمة » و « الحمدلة » و « السبحلة » و « الحوقلة » و « السميلة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و « سبحان الله » و « لا حول ولا قوة إلا بالله » و « السلام عليكم » ، كما تقول « الهيلة » و « الحيلة » . ويزعم ابن فارس أن كل ما زاد على ثلاثة ففيه نحت ونقول « التحيز » كما نقول غير هذا من جمل عديدة ، ونشتق من ذلك الأفعال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا أيضا مما تمتاز به العربية وتفضل على غيرها ، فإن باقي اللغات ، تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتقف عند هذا الحد ولا تتعداه غالبا فهي في ذلك تلتزم ما التزم - غالبا - في أسماء الأفعال والأصوات من العربية ، وهذا الباب أيضا ، مما توسعت فيه العربية ، بخلاف غيرها .

مثلا ، نجد الألمانية تمعن في حقائق الأشياء ، وتحاول ، مثلنا ، ما أمكنتها الحيلة ، أن تدخل المعاني إلى لفتها ولا تدخل إليها الالفاظ ، سواء منها ما كان مفردا وما كان مركبا ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقي اللغات الأوروبية ، بل اشتقت لها من مادتها الألمانية كلمة سرد Geschichte ولكن المؤرخ Historiker والوصف historisch فهي إذن لم تبق حرة طليقة وكذا الأمر في المركبات ،

فهي في التصريف والنحو، وضربنا لذلك أمثلة باللفات الأجنبية ، وهي تمم الجميع .

ومن تلك الامثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعو الضرورة ، فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها . وبذلك ينشأ المترادف ، كما ينشأ بالترف والمغرب وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن نأتي ببعض الامثلة التي هي في العربية مقابلة لتلك التي ذكرناها من غيرها .

فمن الاضافة وجدنا قوس قزح واكسبر الحياة ، وحب العزيز في مصر ، وحب الملوك في المغرب ، ودار الصناعة ، وبيت المال ، ودار الثقافة بالمغرب . ومن النسب : اليماني والهندي في الفصحى ، وفي معناه الجديد في عاميتنا ، كالكومية والوزانية فيها ، والمهلبية بالشرق والمنصورية بالمغرب ومن الاشتقاق ، كالنشيرة ، بمعنى ما يعرف الآن باسم « الفاتورة » ويصح ان نضع فيها « النفالة » أيضا ، وكلتاهما للمفعولية والاخيرة « النفولة » . ومن الاستعارة كيد الدهر ، ورأس الكلام ، ومرآة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن السعادة ، ودمدمة الشقاوة ، و « طعام الانيم » و « العزيز الكريم » تهكما . ومن المجاز المرسل ، شرب الكأس ، (ولا بأس بالجرسى Jersey) والتكلم مع الدار ، وجعل الاصابع في الاذن وعصر الخمر ، والبرتقال للفاكهة المعروفة ، ومن الكناية أهل الحجر والمدر والوبر ، وبيت الماء ، وأهل الدار ، وعريض القفا ، للحمار ، كما في حديث من فهم الخيط الأبيض والأسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكفف وخفة اليد ... أما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خايل التركي استعمله كثيرا ، في مختصره المعروف ، وقلما يخلو منه باب من ابوابه ، وهذه امثلة قليلة من ذلك : « بكالعزى » في اليمين ، « في كسبيل انله » بالنذر « من كقاعد » في الجهاد ، « في كافرقيه » بالنكاح « لا بكاعتراض » في الخيار منه ، « من كابل » في الصداق ، « عند كأمها » في نكاح التفويض ، « علي كجدار » في وليمة البناء بالعروس ، « ولو بكتقوم » في الطلاق ، « وان بكاحرام » في الارتجاع ، و « بكمشيتها » في الظهار ، و « وفي كالثلاثة » - الايام ، وفي التطوع او غيره ان خرج - « لكرباط » فهذان مثالان وردا في رفع زوجة المفقود ، و« نبد بكدباء »

وتقدم انها سمت « الهيدروجين » باسم اصل الماء او جوهر الماء ، هكذا Wasserstoff ماء Wasser ومادة Stoff مركبين وهي في هذا قد استعانت بأصل الكلمة اليونانية hudór أي ماء ، و gen أي اصل من مصدر genna-ein فحلت مشكلتها ووقفت عند هذا الحد بالرغم من أن لها في لغتها روافد عديدة ، حيث انها تحتوي على عدة لهجات تغنيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فاننا بصدد العربية ، وموقفها من عملية النحت الذي عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ كلمتان وتنحت منها كلمة آخذة منهما جميعا » فقد رأينا انها تجمع بين الطريقتين فيه ، والقدامى حاولوا احصاء المنحوت في العربية : فوقف بعضهم عند بضعة عشر من امثلته ، وآخرون لم يتعدوا أو لم يصاوا بها الى المائة .

غير أن ابن فارس جرى بعملية النحت اشواطاً قارب بها نحو الألف ، حيث يرى أن أكثر الرباعي والخماسي منحوت من كلمتين .

والواقع أن هذا العدد لا يعيننا بقدر ما يمكننا من الحرية في عملية النحت ، الذي أصبحت الحياة المعقدة تاج علينا فيه ، وأصبحت الاجناس البشرية ، تتقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى الدول عامة أو على مستوى جماعة منها أو على فكرة من الافكار ، بعد المخترعات العديدة ، التي قد تتطلب مئات الاشياء وآلاف الأدوات ، وكل ذلك لا بد من تسميته مركبا بعد أن كان مسمى مفككا أو على افراد اجزائه ، فكان الاتوموبيل والتيلفون والتلفراف ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الاشياء تعد من أبسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا بالديموقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ، وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت لها حلا في اللغات ، فكيف بنا الآن أمام المخترعات الفضائية التي تتألف من مئات الاشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فاننا من استعراضنا للوسائل التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكناية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالاضافة والنسب والاشتقاق الذي يطبق على هذه جميعا ، كما يطبق على غيرها فيما سنرى وعلى العموم فقد دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « فن البلاغة » ، ودخلت الباقية في ضروريات الكلام ،

في الطعام المباح ، وهو كثير جدا . ويكلف الشراح تأويلا يدعونه بحذف المنعوت والواقع ، ان الصنيع التركي ، هو الذي شجع هذا التركي العظيم على استعماله ، المذكور ، وهو الذي جعل شوقي التركي يقول :

ودخلت في ليلين فرعك والدجى
ولثمت كالصبح المنور فاك

فهذا التشبيه « كالمنور » هو المفعول به على الحقيقة ، كما ان ما قام مقامه ، في قوله : « ما يشبه الاحلام » هو الفاعل في البيت :

يا جارة الوادي طربت وعادني
« ما يشبه الاحلام » من ذكراك

وكذلك نجد لشوقي هذا الصنيع في نحو قوله :

ولا ينبيك عن خلق الليالي
كمن فقد الأحبة والصحابا

فقد جعل الفاعل هنا ، المشبه به أداة التشبيه ، ولا شك انه نظر في ذلك الى قوله تعالى : « ولا ينبئك مثل خبير » .

فالفاعل في الواقع المشبه به أداة التشبيه « مثل » اذ هي في المعنى لا تستقل بنفسها ، وان كانت في الصناعة فاعلا بنفسها ، مما اهلها في التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، ان احتاج الى هذا التشبيه ، احتال عليه ، فقال : « ذهب الاصيل » و « لجين الماء » و « حمار الشيخ » ونحو ذلك ، مما اضيف فيه المشبه الى المشبه ، وقد استعمله جدا ، ابن خفاجة ، زيادة على الصورتين الاوليين خصوصا في قصيدة له مطلعها :

يا رب ليل بته
وكانه من وصف شعرك

ومن الوسائل التي تتوسع بها اللفات في دلالاتها ، وسيلة التعميم والتخصيص ، فالخاص يستعمل في المعنى العام والعام يستعمل في المعنى الخاص .

وقد تنبه الاصوليون وعلى رأسهم الشافعي الى هذا في النصوص الشرعية بصفة خاصة ، الا انهم توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الاحكام ، ولم

يكن مناط الدلالات ، بمعنى انهم اقرؤا بعض العمومات في دلالاتها اللغوية وان خصوها في احكامها الفقهية ، فجاءتها هذه الخصوصية بنحو الاستثناء الذي اجاز فيه ابو حنيفة وغيره ان يتأخر عن المستثنى منه بمدة السنوات ، او نحو الصفات التي تقصر الاحكام على موصوفاتها ، وهكذا مما يطول انكلام فيه ، وحسبنا ان نجد له نماذج في باب اليمين بمختصر خليل عند قوله « وخصعت نية الحالف وقيدت » الى آخر الباب وفيه ايضا تعميم للخصوص والعام الذي اريد به الخصوص وهو الغالب .

ثم كان انبلاغيون والمناطقة يعالجون هذا النوع من التوسع ، فالبلغيون حينما امعنوا في المجازات المرسله وجدوا من نماذجها ما يتصل بهذا المجاز ، لدرجة ان نشأ الخلاف بين الاصوليين فيه ، هل هو جميعا من قبيل المجاز هذا ؟ والمناطقة نظروا اليه وهو يقوم بمهمة الدلالة اللغوية ، فكان تناولهم فقهيا لغويا في الصميم : كما نجد في السلم اذ يقول :

دلالة اللفظ على ما وافقه
يدعوها دلالة المطابقة

وجزئه تضمننا وما لزم
فهو التزام ان بعقل انتم

وقد توسع فقه اللغة الحديث في هذه الدلالات وسلط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الاجتماعي والجنسي وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصر المنطقي .

ومهما يكن فالعربية عرفت في الجاهلية هذه النماذج التي تتراوح بين التخصيص والتعميم ، وتوسع فيها الاسلام بالشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة والوضوء والكفر والايمان والشرك والجهاد والتكبير والتحميد والركوع والسجود وغير هذه من مئات الكلمات التي جددت دلالاتها في الدين الجديد ، كلها من هذا القبيل .

وقد الف الراغب الاصفهاني كتابه القيم « مفردات غريب القرآن » فارجع هذه المفردات الى عموماتها او خصوصاتها في اصل الاستعمال اللغوي ، الذي لم يقطع الاستعمال الجديد في الاسلام صلاته بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، نجدها في آية واحدة تمد يدها الى عمومها فتقول « خذ من اموالهم

صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل فى معناه من الستر ، نعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث أعجب انكفار نباته » أي الزراع ، ومن هذا الستر تكفير السيئات الذى ورد منه فى القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم أسوأ الذى الذى عملوا » ومن العجيب ان نجد هذا الستر فى الكلمة باللغات الاوربية ، فى مثل Cover الانجليزى و Cubrir الاسبانى ونحو ذلك فى اللغات الآخذة من اللاتينية كالإيطالية والرومانية وغيرهما .

ومن الكلمات التى صارت تجنح الى التخصص كلمة الانتقاد ، فهي كذلك فى العربية وكذلك اختها Critic فى غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصص فى عصرنا ، كما نجد ذلك فى تسمياتها الطائرة والدبابة والقواسة والعوامة والمدمرة والمدفع والحافلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعى والنجدة والانقاذ والامين والشوكة والسكينة ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها أم التخصص لهذه العربية ، ولا افهم مطلقا من يقولون ان دلالات الالفاظ فى العربية لم يطرا عليها تغيير فهذه القولة تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور فى الدلالة ، حاصل حتى فى هذا التخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفوا فى عبارتنا تطورت فى مدلولها عما كانت عليه بالامس ، فكلمة « المتخصص » الآن لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص فى فقه اللغة العام وهذا فى فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتقاقات او التاريخيات او ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص فى امراض الكلى وآخر فى لين العظام وآخر فى الجهاز الهضمى او البولي او السمعي او التنفسي او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على التخصص فى الاسنان والعيون ، مما اصبح مستقلا بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاسنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالعين اليمنى وآخر بالعين اليسرى ، وطبيب الآن كذلك .

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة المتخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الاسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفى غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم الميم ، كما سئرى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، بما لا علاقة لها بمادة الطيران ، بل هو من Pilotear العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviador فى الاسبانية ، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الآن جنح الى المعروف بكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري عذلاء فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمي الطيار ، ريان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجازاة ، خصوصا وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهي الطيار ، كلمتين ، وهما ريان الطائرة او ملاحها ، ، زيادة على ان العربية لها فضل سبق فى خلق كلمة طيار للادمى ، وقد مضى عليها اربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن ابي طالب رضى الله عنه .

نكتفى بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المخصص ، ونتوجه الى مقابله ، الخاص المعم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تعمم بالاثبات الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه فى السفر ليهديهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكذب قومه ، بل صار الورد عاما فى كل آت مادي او معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلايين فيما مضى عندنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يدعى استنباطا ، ولو لم يكن المستخرج نبطيا . ثم زاد التعميم فى كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولازمها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما سبق لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد .

ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر فى الفارسية ، وهي بمعنى المرتب

الشهري ، ثم أصبحت تطلق على كل مرتب ، شهريا
كان أم غير ذلك .

ونظيره كلمة مشهورة التي دخلت الفارسية من
العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على
كل مرتب شهريا كان أم غير شهري .

ومن ذلك كلمة كفل ، وقد جاءت الي عفوا ،
فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذي يوضع على ظهر
البعير فيعقد طرفاه ويلقى مقدمه على كاهل البعير
ومؤخره على عجزه ، فالاكفال غير الاحلاس ، كما في
الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على
ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتغال مادي ، ثم
معنوي كالنفقة والقيام بالاشياء عامة ومضاعفة
الجزاء ، وصارت الكلمة تجنح الى المعنويات فيقال
تكفل فلان بالامر ، اذا تعهد القيام به .

وهكذا تتعمم الكلمات في مدلولاتها التي كانت
خاصة ، بالكثرة التي جعلت اللغويين ، يدعون أن
الكلمات في نشأتها كانت خاصة ، وما تعممت الا
اخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فأدرك الكليات بعد
ادراكه للجزئيات ، وهو ما أدركه المناطقة عموما ،
فقال السلم مثلا :

من اوليات مشاهدات

مجرىات متواترات

الى آخر اليقينيات التي نشأت من المشاهدات

هذه امثلة من العربية ، اما غيرها ، فكلمة
Arrive الانجليزية ، كان معناها الوصول الى
River أي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا
وكلمة Salary كان معناها النقود التي تصرف
لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما
يدفع للاجير او الموظف عامة وصارت تجنح الى
المرتب الشهري وهكذا نجد في عدد من اللغات
يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام
خاصا في معنى جديد غالبا واللغة كائن حي نشيط

ومن هذه الوسائل التي توسلت بها العربية في
توسعها او يمكن ان تتوسل بها الاشتقاق من الزمان
والمكان فالزمان ، كالصبح والغداة والمساء والعشاء
والضحى والقائلة والليل

فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ،
كما قال الافوه الاودي :

أصبحت من بعد لون واحد
وهو لوانان وفي ذاك اعتبار

ومن المساء ، كذلك ، مما نجده في قول أبي
تمام :

وما كان الا مال من قبل ماله
وذخرا لمن أمسى وليس له ذخرا

ومن الغداة كما في قول الغند الزماني :

مشينا مشية الليث
غدا والليث غضبان

ومن الضحى ، قول عمر بن الخطاب : « أضحوا
عباد الله » أي صلوا بالضحى

ومن العشاء ، قول الحطيثة :

متى تاته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد

فمعنى تعشو تراها ليلا وتقصدها فيه عشاء .

ومن القائلة ، الحديث « قيلوا فان
الشياطين لا تقيل » .

ومن الليل ، قول ابن حبوس الفاسي :

والكل في علم الامام مقصر
حسب البرز منهم أن ليلا

وقالوا كذلك : اليل فلان اذا دخل في الليل ،
والليل الكروان ، لتفريده ليلا ، ولهذا اسمه
بالانجليزية Nightingale ففيها هذا الاشتقاق من
الليل كذلك ، كما اشتقت من الصباح Morning
واشتقت الاسبانية من الصبح Madrugar فالاول
من Morn والثاني من Madrugada التي يرادفها
Alba وهو أول ضوء للنهار ، كما اشتقت الانجليزية
من المساء ايضا Evening فهو مشتق من Eve
أي انتصاف النهار ، ونحوه موجود في الاسبانية ،
وان كانت قد جنحت به الى معنى ما تؤديه « ظل »
في العربية ، وهو تطور في الدلالة ، من القيد الى
الاطلاق ، او من التخصيص الى التعميم ، كما حدث
في العربية ، للافعال السابقة ، أصبح وأمسى
وأضحى وحتى غدا ايضا ، فصارت من الافعال
الناقصة ، وهي في تلك الامثلة السابقة افعال تامة ،
والا لما دخلت واو الحال على ما ندعيه خبرا في
غيرها ، كما رأينا ، وكما في قول الغند المذكور :

فلما صرح الشر

فأسمى وهو عريان

بل ان « ليس » التي ادعي فيها النقصان دائما، وردت تامة ، كما في قول النابغة :

إذا ذهب العتاب فليس حب

ويبقى الحب ما بقي العتاب

وهذا مبحث آخر ستناوله عند تناولنا للغة

في تراكيبها ، اما الآن فنحن بصدد مفرداتها

ومن الاستعانة بالزمان ، قولنا الغداء ، طعام

الفداء ، والعشاء لطعام العشاء

ثانيا - المكان ، نقول : انجد فلان صار في

نجد

واسهل صار في سهل

واجبل صار في جبل ، قال ابن حبوس الفاسي:

وتفجرت عين النباهة بعدما

قد كان خاطرها اكل واجبلا

اي انقطع ، والاصل فيه صعد في الجبال

واوغل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوغل نفسه من

هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكان

وانهم صار في تهامة

وايمن صار في اليمن ، وكذلك ، يامن

وعرض صار في العروض ، وهي مكة

والمدينة ، والطريق في عرض الجبل ، قال عبد

يفسوث :

فيا راكبا اما عرضت فبلغا

ندامي من نجران الا تلاقيا

وهكذا استفادت العربية من الزمان ، كما

استفادت أيضا من المكان ، فقالت أعرق وبدا وتمدن

وغار وأبلد وأعمن وأشأم واجنب واشمل وشرق

وغرب .

فمن نجد ، وغور قول الاعشى :

نبي يرى ما لا ترون وذكره

أغار لعمرى في البلاد وانجدا

ومن العراق وتهامة وعمان ونجد أيضا ، قول

المزق العبدي :

فان تهموا انجد خلافا عليكم

وان تغمنا مستحقي الحرب أعرق

ومن الشام ، قول الشاعر :

سمعت بنا قيل الوشاة فأصبحت

صرمت حبالك في الخليط المشم

ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بدا

جفا » أي من سكن البادية اكتسب منها الجفاء

ومن المدينة ، قولهم تمدن فلان ، اذا سكن

المدينة .

ومن البلد ، قولهم أبلد بالمكان اتخذه بلدا

ومن الجنوب ، قولهم اجنب القوم ، اذا دخلوا

في الجنوب

ومن الشمال ، قولهم : اشملاوا ، اي دخلوا

الشمال .

ومن الشرق ، قولهم : شرق فلان ، اذا اخذ

في ناحية الشرق .

ومن الغرب ، قولهم : غرب ، اذا اخذ في ناحية

الغرب ، قال الشاعر فيهما :

سارت مقربة وسرت مشرقا

شتان بين مشرق ومغرب

وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكان ،

استفادت من الزمان استفادة واسعة ، وهو ما لا نجده

في غيرها أيضا كذلك فقد نجد في الاسبانية من

الاندلس Andaluzada و Andalucismo

فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية

اللهجة كذلك ومن قشطيلية Castillanizar ،

والمراد بها الاسلوب المنسوب لكستيليا يلحق للاجانب

عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا نكاد

نجد هذا الاشتقاق في غير هاتين الناحيتين ، وطبعا

لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك في الانجليزية التي

تتحرك في اشتقاقها بمساعدة فعل الكينونة ، ان لم

يكن هناك مصدر تعتمد عليه مباشرة ، وكذلك

الشان في الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » مأخوذ من

« River » ولكن قواميسهم في Etymology تذكر ان

الانجليز اخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة

فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت:

Caminar من Camino ولكن الملاحظ في هذه

الحركة اكثر من الصيرورة فيه ، ولهذا لم نذكره

فى هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطروق ، فهو مأخوذ من الفعل لا الفعل مأخوذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعيل من الطرق بمعنى مفعول منه .

وبالجملة فالزمان والمكان لهما أهمية خاصة فى العربية ، ولذلك الف المزدوجي الاصفهاني من رجال القرن الرابع واولئ الخامس كتابه القيم « الأزمنة والامكنة » وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سأل احدا عن هذا الكتاب ، فاجاب بأنه لا يعرفه ، ينحى عنه بالتجهيل والتقريع . لان مثل هذا الكتاب ، يجب ان يكون كل طالب فى العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فاننا زيادة على تلك الوسائل التى ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نجعلها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود ، والتسمية بأحمر ثمود ، والاعتماد على اللون ، نجده حديثا فى مثل البطاقة الرمادية والبطاقة الخضراء ، المعروفتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، فى نحو نحو «الربع الجيب» و «الربع المقنطر» وعند اصحاب الهندسة ، كالمربعات والمثلثات ونحوهما ، وقد تعاون الالوان والاشكال والاصوات ، كما حصل هذا فى « المربع الاحمر » لاصحاب زيت لوسبور . وقد ذكر النحاة امثلة لذلك ، فى نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وغب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الا حماسة
دعت ساق حر ترحه وترنما

وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وقفة طويلة ، يعللون اشتقاقها .

اما النحاة ، فمقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان اللغويين القدامى والمحدثين ، والفلاسفة فى القديم ايضا ، استرعى نظرهم ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ اللغوية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعنينا ، ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما نستفيد منه ، وهو كائن فى اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد رأينا فى اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما فى تسمية

« الطبيلة » باسم طمطم Tomtom وتسمية لعبة « الينكيونك Ping-pong و Croquet ربما تكون كلمة « التراكثور » من هذا انقبيل . وعلى فرض انها مأخوذة من اللاتينية ، فان هذه قد حاكت الصوت . فيما سمع به قديما ، وقلدت فى ذلك حديثا . قل لي طالب اسرائيلي ، كان يحضر على درس الفارسية . اني ادركت تماما معنى كلمة « كرفتن » اي القبض والاستيلاء ، ولا شك ان ذلك كان فى خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الاسرائيلي اكثر من غيره .

الاساطير ، فنسمي طائرة من الطائرات ، مثلا ، باسم العنقاء ، او آلة هتلة باسم الفول ، وقد فُمت هذا انجلترا فسمت الآلة الرافعة للانتقال العظيمة باسم Bogey ومعناه الفول ، واخيرا وجدنا اميركا تلجئ الى اساطير اليونان ، فتسمي باسم اله الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالارقام بعد ، فيكون ابولو واحد واثنين الى خمسة عشر ، وهكذا دواليك ، وهي التى سمت طائرتها المدمرة Phantom اي بعبع .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الاشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، او يضفي عليها لونا ، كالحمى الصفراء والاسودين للتمر والماء او يجعلها تصب كنداء المجهول ، وهذا فى الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شعر صار يؤدي ما تؤديه الاسماء المعتادة فمن منا يجهد فهمه فى ادراك « صوت الضمير » و « دائرة السوء » التى جاءت فى القرآن الكريم ، وادركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت « رؤوس الشياطين » وقد جاءت فى القرآن ، وادركت « انياب اغوال » فى شعر امرئ القيس :

ايقتلني والمشرقي مضاجعي
ومسنونة زرق كانياب اغوال

وبعد هذا كله فللغة ان تخرع ، وهذا من علامة حيويتها واستجابتها الى كل ما يجد فى الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الاسلام بجديد فاحتاجت اللغة الى جديد فى اللفظ ، فاخترت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير احوالها وعذابها او نعيم جناتها ، كالسلسيل ، والصعود ، وسقر ، وسجين ،

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعى كونها معربات .

وهذا ليس بدءا فى اللغات عامة ، وعندنا كلمة Gaz تعيش فى كل مكان . ولا يعرف لها اصل البتة .

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل سأل عن اسم المصنوع ، فسأله هذا الصانع : كيف تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم رسوما متكررة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ، ودعاها « كيكريكو » ورسم الى جانبه رسما آخر ، عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاها « امبو » ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف الجنسيات واللغات وسألهم : اي الرسميين « كيكريكو » فكلهم اجاب بأنه صاحب الزوايا الحادة ولا شك انهم يدركون العلاقة بين تتره مك التركية والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » . واعرف سيدة اخترعت كلمة « زوطوطو » فسارت الكلمة فى الوسط العائلي ومن الكلمات المخترعة كلمة « روكوكو » Rococo وهو من اسماء الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيزداد عليها ، ولن تقف مكتوفة ، بل سيشتق منها فيما بعد ، شأنها شأن باقي الكلمات فى العربية . سأل الضيف صاحب المنزل عن طعام ، قد اتى عليه ، فأغاظ صاحب المنزل الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فأجابه بفيض : « الكجدور » فقال له : « على شى ما كجدرتوشي منو بزاف ؟ » وهكذا اشتق من الكلمة القريبة عليه ، بمجرد فهم مدلولها ، كما اعتقد ، وهي طبيعة العربية الام الولود ، التى تمكن اولادها من حرية التصرف ، فيشتقون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره ، كما يشتقون من da le المركبة فى الاسبانية من فعل امر من صدر dar اي الاعطاء ، والمفعول فكان التعبير dale اي اعطه ، ولكننا قلنا دالا عليه وبندالي الى غير ذلك من كل ما يدخل الى العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعريب فى مفهومه القديم والحديث والوسائل التى تمكنا من سد الحاجة التى نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ، وما تتطلبه حضاراته المختلفة .

تلقي النظرة الاخيرة على ميدان التعريب ، يكون بهذا تلخيص ما تقدم وتبسيط بعض الجوانب منه ، بأمثلة منها ما يعايشنا ويسيرنا فى تنقلاتنا اليومية ، ونحن فى مضمار الحياة ومعترك الاحداث .

ولا شك ان امامنا مشاكل متنوعة فى هذا المضمار وذلك المعترك . فهناك العامية ، التى يجب ان نأخذ بيدها ونسمو بها الى مستوى راق . بدل ان ننزل اليها من هذا المستوى الراقى ، وهناك الفن ومذاهبه ، كما قيل ، فهو يصور الحياة فى لوحاته الزاهية والشاحبة والقائمة ، برسومه وموسيقاه ، التى أصبحت تتطور مع الايام بأدواتها واصداها ، الى جانب ذلك الرسم الذى لا يقتصر على المشاهد ، بل أصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التى قد تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبح فى عوالم خارقة لتعادلات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجدانات ، بلغات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر طليق لا يعترف حتى بسلطان النفسيات والمسجلات للخطرات الرتيبة ، فى سهولة تراء منه او اسلاس ينقاد به ، انها الثورة التى يريدها الخيال الجامح فى اعلانها المكسرة لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل فى غاياته عن غايات الرسم ، وان كان طريقه وعرا ، تكتنفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاوحال عليه ان يفوض فيها فهو على رعونته ، أصبح لا يقل عما عليه الرسم فى اطيافه واحلامه ، ووداعته وثوراته .

وهناك الكلام ، وهما كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفسى الفؤاد وانما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقلبه من هو كل يوم فى شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراته ، وان تضبط دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقات قلب المرء قائلة له

ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق والثواني ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل الانسان من اماناتها ، وقد أبت السماوات والارض والجيال ان يحملن هذه الامانات ، كما قال تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجيال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه

ويطبق على ذلك قواعد ما يشبه علمه . كما عليه ان
يخترع اسماء جديدة لهذا العلم ، والكيمائي عليه ان
يحلل عناصر ما في هذا الكون او الاكوان ، ويسمى
تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المدلولات
قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهؤلاء ان
يقولوا لعرائس تلك الافلاك :

صوني جمالك عنا اننا بشر
من التراب وهذا الجسم روحاني
او فابتغي فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا في العالم الفاني

لان هذه العرائس تاوي فعلا هذه الافلاك فلم
تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان
هناك استارها وكشف خدورها فتجأت مفاتنها
للإبصار ، وانبهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة
من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل
تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذي ستلوه اكتشافات ،
قد تطب آلاف الآلات والادوات ، فعلى اللغة ان
تسمي كل ذلك بدقة وتفهمه للفهام وليس بقادر على
هذا الا اهل العلم انفسهم ، وقد وضعت اللغة امامهم
وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله
كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز والالتشبيه وحكاية
الاصوات والنحت والتخصيص والتعميم والاستعارة
من اللغات بعضها من بعض وكالاختراع للكلمات
وخلقها من العدم ، اذا لم نجد في هذا الوجود ما
نستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما
الى ذلك او مما يسعنا بمماثلة ما ولو في الوهم او
الخيال الذي يساورنا او يخلف لنا من اساطيره
وخرافاته .

لقد سمي آباؤنا سائل الكلوينا ، باسم «مسيكو»
فاسمعتهم الرائحة ، واخترع « شيكبير » اسم
« دولار » قبل ان يكون دولار وسمى آباؤنا ايضا
الدراجة ، باسم « غود الريح » ممتفدين على
السرعة في الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووقفوا
كل التوفيق (وفي الفارسية « دوجرخه » اي
فلكتان) اذن فالعزم اولا هو ما نتذرع به ، في
مواجهة التعريب ، وفي القديم واجه القوم ، فما
وهنا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم في تدوين
الدواوين ، ونقل العلوم المختلفة والاداب المتباينة
والعقائد المتضاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك
اقدر منا في العربية ولا افهم منا لتلك العلوم

كن ظلوما جهولا « هو ظلم عليه ان ينصف نفسه
وينصف الناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما
ينبغي رغبات الانددة في هوائها . والعقول في مناطها ،
والاجسام في علائها واسقامها ، وصحتها وملأها .
من المشاهد والاذواق والمشاعر والاسماع .

فهذا فن الكلام في آدابه ، التي تتولد وتتفاعل
في ألوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجميعها
في تطور مطرد وفي انفصال هلامي مستمر ، وفي
استقلال ببيء اصحابها واوطانها ومجتمعاتها وافكارها
وثقافتها ، بعد اللغات ، وقد أصبحت تعد بالآلاف .
واصبح على الانسان ان يفهم كل شيء ، وقد واجه في
حياته كل شيء ، فخيمنت عليه الظلال من كل مكان ،
ووجهت عليه الانوار والتيران ، فعلى هذه اللغة ان
تصمد بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل
عزم وقوة ، فتمثل دورها في جميع المحافل خير تمثيل
ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفة التي أصبحت من
هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فعليها ان تنزوي
من مسرح الحياة الجديد في جميع فروعها ، حتى
« الميتافيزيقا » نفسها ، فمهماتها صعبة في هذا
العالم الصعب المعقد ، الذي لا يرحم احدا ولا يحجم
عن الاخذ بتلابيب العلماء العظام والفلاسفة الكبار ،
فعلهم ان يفهموا ويسطوا وعليهم ان يقنعوا العقول
وهي في زيفاتها وصراعها للايكترونية العملاق .

وهذا العلم لم يبق بالرتابة او القداسة التي
كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هوادة فيها ، منذ
بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب
الاخيرة ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت
الدنيا تميد بها ، واذا بالافلاك والنيرت تناجي
الانسان فيطالب العالم بان يحمله الى هذه الكواكب
والافلاك ، فلا يجد المسكين مناصا من ان يستجيب
لمطالب الانسان الجبار ، فيبني له المراكب الفضائية
ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا
من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتكفل بالعودة
به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب ويطوف
في أرجائها ويحمل من متاعها ويستعمر من بقاعها ،
فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه
العوالم العليا .

فالجغرافي عليه ان يخترع ما يشبه علمه لهذه
الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسما خاصا لهذا العلم ،
والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ،

والآداب وغيرها ، بل كانوا دوننا فى ذلك ولا شك ،
الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا تتوفر عليه ، وهو
الشعور بالعزة والكرامة وانهم سادة يجب ان يخضعوا
لهم ، لا ان يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا
لنفتهم ، فى سر ، كل ما وصلوا اليه او اتصل
بهم .

هذا هو موقفنا الذى يجب ان نقفه ازاء هذا
التعريب ، وهو موقف ، لا محالة ، يدعو الى
انتخض ، بعد تلك العزيمة ، والى النهل من
العربية والتعمق فيها . حتى يمكن كل عالم او صانع
او مفن او متفلسف ، ان يتولى ما يزاوله او يعانیه
بالتعريب .

وعليه ، فالطبيب يتولى تعريب ما يتصل بطبه .
والمهندس يتولى ما يتصل بهندسته ، والمتفلسف
والمفن ، كل لما يتصل بهأويته والصانع كذلك يعرب
ما يتصل بصناعته ، وقد مكناه من ذلك بالتعليم ،
الذى يسير فى ركبه هذا التعريب .

ولا نهمل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود
الى قاموسه الحي ، الذى يمدنا بنحو « عود الريح »
و « ميكو » و « والصدفة » و « الكسكاس »
و « غويلة » و « ترابية » ، وغير هذه من الكلمات
التي تخضع للعربية وقوانينها ، كما نتلقى منهم من
غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar
الاسبانية والكرو من Cigarro الاسبانية ايضا الا
اننا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا نتركها لمتنها
هذا ، وفى آخرها واو قبلها ضمة لازمة ، بل نختم
بهاء مثلا ، كما فعلنا فى ينيه ويلييه وسيبويه ،
وسميت الصورة السالبة باسم « عقرية » فى عامية
الشرق ، فلنا ان نستعير حتى فى العامية .

كما نستعين برصيدنا فى الخارج فالاسبانية
اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون
وعنها اخذتها باقى اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة
الفارسية فالتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب
فنجارى اللغات الحية التي استعارت منا ولنا
الفضل عليهم ؟ ربما نائف من هذا ، فلم لم يائف
غيرنا ان يسموا طبيب الاسنان بالسنى Dentiste
كما فى اللغات الاوربية والتركية ؟ وعلينا ان نجارى
غيرنا فى ذلك ، وقد استعملت هذه التسمية « دنتيلة »
فى الاندلس وان كانت فى الاحتفال يبدو الاسنان ،
وادعى بعضهم ان لها أصلا فى الفصحى ، وتوقف
الزبيدي هنا .

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين
« مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية
« تهاكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب »
Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا نستفيد
من وجودها فى الخارج او نخترها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح
يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها فى تعريب
الانلاقات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتب
والمتقنين حقا والمتخصصين فى العربية تخصصا
عاميا . فلا تترك الصحافة فى ايدي من لا يحسن
لغتها من المتطفلين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك
له رسالة فى هذا التعريب ، فعليه ان يختار
الموضوعات التي يستضيفها الشعب حتى يقبل عليها
فى لغتها ، فتعمل فيه بطريق الإيحاء ، وكذلك
التمثيل الخيالي ومرحه فى الواقع أقبح من غيره ،
والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب ،
اذا احسنا استعمالها واخترنا أصواتها الجميلة
والحانها السجية واعدناها بالموسيقى العذبة
المؤثرة والاذاعة والتلفزة من أقوى دعائم هذه التعريب ،
فهي الصوت الذى يصبحنا وبميسنا والمشاهد التي
تحيينا وتسامرنا وتناجينا .

اما المدرسة والكتاب فغني امرهما عن البيان ،
ولابد من الاستمرار والتذكير ، فقد كنت كتبت فى
كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صده فى اذاعة
تطوان وفاس ولكن التذكير بهذا انقطع فعاد الناس
الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الضلال
على علم به مني .

واخيرا ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان
يستفيد منه التعريب فى حركته الدائبة بنشاط
هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى
المفردات فى تركيبها ، او تعريب الاساليب ، ان
صح هذا التعريب .

وموقفنا هاهنا لن يطول ، لانه لن يكون معربا
بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبها ،
وليس فى الامكان ابداع مما كان فى بنيتها ، وارتفعت
الاقلام عن تسطيرها وجفمت الصحف بما فيها .

الا ان هناك ، جوانب لا تمت الى الخلق والابداع
من جديد ، بل هي فى الواقع محافظة على ذلك
الكيان اللغوي الذى هو بالنسبة اليها القلعة العتيقة
والحصن الحصين ، الذى يجب الدفاع عنه الى آخر
قطرة من دماء هذه اللغة الابية المستمينة الصامدة .

ولكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بمثله في غير هذه اللغة الشريفة نسمع دائما ونقرأ دائما ، وخصوصا في صحافتنا المسكينة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » ونسمع ونقرأ في صحافتنا المنكوبة ، ما هو أفظع من هذا وادهى ... نسمع ونقرأ :

« سوف لن يأتي فلان » ، فض الله فم من كان اول الناطقين ، بتلك العبارة المسوخة ، وهذه العبارة الملعونة من السماء ، لان الله ما انزل بها من سلطان ، ولان كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني » فعلمنا كيف نعبر بالمستقبل المنفي « لن تراني » وقابل به المستقبل المثبت « فسوف تراني » .

اذن فاداة الاستقبال في انفعال العربي المنفي ، هي الاداة « لن » فنقول « لن يسافر فلان » في المستقبل من الزمان ، ولا نقول « سوف لا يسافر » ، ومن المخجل ان تستعمل هذه العبارة ، في التمثيلية التي جابت من مصر فعرضت في تلفرتنا بمناسبة المولد الشريف ، وهي تحكي حوارا كان على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وافظع من هذه العبارة ، هو « سوف لن يسافر » ، فتلك جهالة جهلاء ، وعدم اكرات باللفظة ، التي ظن اصحابها اليوم ، كانوا قيل لهم فيها : « تكلموا كيف شئتم » ، وصدق الشاعر :

رايت الحلم دل علي قومي
وقد يستجهل الرجل الحليم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي تعدى الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما ابغضه من استعمار ، تخلص منه الناس ، ولم يتخلصوا من ادوائه العديدة ، التي منها هذا الداء الويل ، فقد تلقى أحد الكتاب الطفيليين ، وما اكثرهم واسمهم ، مثل هذا التعبير الانجليزي I shall not come فقد عليه عربيته الملعوبة ، في قبضته الاثيمة ، فقال : « انا سوف لا آتي » او « سوف لن آتي » ولو آمن جدا في التعبير الذي سحره ، لقال : « انا سوف لا آتي » هكذا ، وهو تركيب لا يوجد الا في الانجليزية والالمانية بهذا النسخ وهذا الترتيب ، ولا نعرف له مثيلا في لغة اخرى غيرهما ، وهكذا نجد

ان العربية كما قلنا ، كريمة كأصحابها مضياف تكرم نزلاءها ، فوجود مائات او آلاف من الكلمات الدخيلة فيها لا يهدد حوزتها ، بل بالعكس يزيد بها قوة ويكسبها منعة ، في مواجهات كل الطواريء .

ولكن العبث بالنظام المتبع فيها ، واحداث الفوضى في مجتمعها ، هو الذي لا تقبله بحال . وهو الذي يجب الا تقبله ، كما لا يقبله اي عرف من اعراف اللغات قاطبة ، وهي لغات لها كرامتها ونها وجودها الازلي والخالد خلود الدهر .

ونعود فنقول ، اننا لن نطيل في هذا التعريب التركيبي . وسنقف وقفة قصيرة : عند بعض الاعراض ولا نقول الامراض التي طرات على هذه العربية في عصرنا المريض برجاله ومثله العليا .

فاول تلك الاعراض ، بل اول تلك الامراض ، مع المذرة ، مرض حل بمستقبل هذه اللغة ، نعم ، حل بمستقبلها مع الاسف ، ولكنه حل بمستقبلها السابي ، لا الايجابي ، لحسن الحظ ، ولله الحمد على كل حال .

من المعلوم ، ان الافعال في اللغات ، هي مفاتيح تلك اللغات ، بل هي حياتها التي بها يكون حيوانها ، والحيوان في الواقع ، ما هو الا الحركة الجياشة ، كالفيضان والفليان والثوران والجيشان نفسه ، وبهذا الاعتبار ، قال تعالى : « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » وبذلك تكون هذه الكلمة في مدلولها الآن قد انحرفت عما خلقت لاجله .

وهذا لا يهمننا الآن ، فقد انتهينا من المفردات ، كما قلنا وعلينا ان نمالج مستقبل هذه اللغة في افعالها السلية ، وهي التي تحتاج الى علاج ناجع وسريع .

نقول سوف نفعل ، كما نقول سنفعل ، وهذا الاخير مختزل من الاول ، وكان قد عمل فيه هذا الاختزال ، فقليل سو افعل ، وسف افعل ، واخيرا سافعل ، فوقع الاقتصار على حرف السين وحده ، واهمل الاقتصار عليه مع الواو او الفاء ، وحافظ على الام الرؤوم « سوف افعل » وهذا جميل في هذه العربية التي تتجدد وتتطور ، ولكنها لا تتنكر للماضي ، ولا تعق الأمومة والأبوة .

هذا هو الفعل المستقبل الموجب في العربية ، سلمه الله من كل بلاء ، ودرا عنه كل اداء ، فبقي كيوم ولدته امه على فراش الصون والعفاف

العبرة المذكورة . تكون في الالمانية

ich werde nicht kommen

سواء بسواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال ، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هذا المسوخ « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا تجعلها تالية لها ، فتقول في نفس الجملة « من نخوهم آمد » فالتون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التي تأتي بالمصدر المرخم وتلحق به اداة النفي ، ثم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله ميه جفم » ويبقى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية ، كالاسبانية ، فانها تأتي باداة النفي ثم المصدر المرخم ثم اداة الاستقبال Yo no vendre

وبلاحظ ان هذه اللغات - ما عدا الانجليزية - تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، باداة الاستقبال ، وانها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تحذف الحرف الموصولي و . والالمانية تأتي بالمصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسبانية ترخم هذا المصدر عموما .

ثم انها تتحد في كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية ، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما راينا shall ولغيره will وقد يتبادلان قصد التأكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل في معناه الاصلي ، اذ لا مهمة له في الاستقبال

« We shall become the same. We shall be one spirit »

وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة في الاثبات ، وهي « سوف » او ما اختزل منها ، وواحدة في النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان في اصلها ، بنيت على الفتح للازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق Bergsiraesse يرى انها مستعارة من الارامية Saupa ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني افعل في النهاية والغاية .

يقول علماء اللسان ، ان اللغات السامية - ما عدا الاكادية منها - ليس لها الا زمانان ، ماضى قبل انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر والحال والاستقبال .

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، او saupa الارامية على تعيين مستقبلها ، هذا شيء ليس بغير في اللغات فالانجليزية ، في غير التكلم خاصة ، والفارسية عموما ، استعانت بفعل الارادة ، الذي ما زال بهما يستقل بنفسه احيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « يريد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، بكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سافعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل اصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « انا لا اصبح اتيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو « غادي » او « ماشي » او « خصني » او « نحب » التي تستعمل بالعامية كما يستعمل الرواح والود بالشرق

وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسبانية الآتية من اللاتينية في غير العامية

هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما اصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى ان النون ، حلت محل الالف من « لا » للتأكيد ، ومنهم من يرى ان اصلها « لا ان » فكان الاصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ومهما يكن فجميع هذه اللغات - ما عدا التركية - استعملت النون للنفي هنا ، اما التركية فالميم وهي اخت النون التي طغت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل في العربية ، اذا نفي يكون بلن وحدها ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها في السما
فعر الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصمودا
وان تستطيع اليك النزولا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت في اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وابدته في مجلتها « Ibla »

الفُصحى لغة القرآن

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليون مسلم جغرافيا ويمتد أربعة عشر قرنا في التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندي (القاهرة)

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكون صحيحا فى أي بلد من بلاد العالم وفى مواجهة أي لغة ولكنه يصبح عسيرا جدا حين يطرح بالنسبة للغة العربية . ولو لم ترتبط اللغة العربية بالقرآن والاسلام لكان يمكن أن يكون هذا الكلام مقبولا .

اما وقد انزل القرآن منذ أربعة عشر قرنا باللغة العربية فانشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد أصبح للغة العربية وضع مختلف لا شبيه له فى أي لغة أخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف فى اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقليمية تخص قطرا ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقة الإرادة فى التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بها المفكرون المسلمون منذ أكثر من ثمانين عاما تلك المحاولة التي قام بها ولكوكس فى مصر وماسينون فى الشام وكولان فى المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان اخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم فى العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (أي ما كتب قبل نزول الاسلام بأكثر من نصف قرن) .

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل السذي حمل لواءه رجال امثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكي ناشا الملقب بشيخ العروبة ، وعبد العزيز جاويز ، وعلي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، وأحمد الحوفسى ، وغيرهم فى سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقاصها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الآن أكثر من خمسين عاما من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء فى عهد الحماية البريطانية ودعوات فى الصحف وبعض المراجع من أجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصيل المتكامل ، ومحاولة لتصوير اللغة العربية على انها لغة « امة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتغريب ان يطرح شبهة جزئية وجرت الاقلام فى سبيل دعمها واقتناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة امة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققا هذه الغاية .

وكان هذا الاتجاه فى طرح القضية يحمل طابعا خطيرا من التموهية والتزييف والتجاوز .

العالم كله وحملت معها ثقافة القرآن ، وحصيلة العلوم ، ونظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وحملت معها المنهج العلمي التجريبي . فالقرآن هو الذي اعطاها هذه المكانة وفتح امامها هذه الافاق ، فهي بوصفها لغة الاسلام قد حملت رسالة ضخمة الى العالم كله والى البشرية : هي رسالة التوحيد .

ولقد وهب القرآن اللغة العربية حصيلة ضخمة من المعطيات الفكرية والاجتماعية من خلال رسالته العالمية التي اتخذت من الفاظ اللغة العربية المتناثرة تشكيلا جديدا طرح على البشرية منهجا شاملا من الحياة والفكر والنظر فى الكون وبناء المجتمعات والأخلاق .

وكان هذا هو مصدر دهشة الناس عند نزول القرآن ، فقد كانت هذه الالفاظ معروفة لهم بأعيانها ، ولكن الاعجاز كان متمثلا فى هذا التشكل الذي تشكلت به أفكار وأدباء ، فى هذه القيم الجديدة التي قدمها ، وهذه الصور المتعددة ، وهذه الروعة فى اسلوب الاقناع والحوار ، وهذه المناهج المتعددة فى مخاطبة القلب والعقل .

ومعنى هذا أن ثروة اللغة العربية انما ترجع فى تشكلها القرآني الذي اعطاها هذه القوة ، وفى نفس الوقت اعطاها الاسلام هذا الاتساع والذيع .

ومن هنا قد أصبحت صلة اللغة العربية بالقرآن والاسلام صلة عضوية تمثل التجربة الاولى والاخيرة من نوعها فى صلة رسالة السماء بلغة من اللغات ، ولا ريب أن هذا المفهوم له اثره البعيد فى امتلاك المسلمين جميعا لهذه اللغة ، وما يتصل بهذا من خطأ القول بأن لقطر ما أو شعب ما ، القدرة على التصرف فى اللغة العربية .

ومن الحق أن يقال ان اللغة العربية هي لغة فكر عالمي يضم سبعمائة مليوناً من المسلمين جغرافياً ويمتد أربعة عشر قرناً فى التاريخ والتراث .

(2)

هذه الحقائق كانت واضحة فى اذهان اولئك المتأفحين عن اللغة العربية فى كل عصر : نراه واضحا فى عبارات مصطفى صادق الرافعي قبل خمسين عاماً حين يعرض للقول بأن العربية لغة أمة أم لغة فكر :

اي ان تراثنا حافلاً قام فى خلال هذه الفترة كلها — واعظمه ما جاء بعد الاسلام بالطبع — هذا التراث هو ملك حر لقراء اللغة العربية بلمون به الامام صحيحاً دون أن يكونوا فى حاجة الى مراجع أو معاجم ويفهمونه فهما صحيحاً . وهذا ما لم يتيسر بالقطع لاي لغة فى العالم كله اليوم ، وذلك أن أي لغة قائمة الآن بخلاف اللغة العربية لا يستطيع قراؤها أن يفهموا من تراثها الا ما لا يجاوز الثلاثة قرون ، اما ما يبعد عن ذلك فانهم يلتصقون لفهم المعاجم . ان مرد ذلك ثبات اللغة العربية الذي لم يتح لاي لغة أخرى ، ومرجع هذا الثبات الى نزول القرآن بها وارتباطها به على النحو الذي انشأ هذه الثروة الضخمة من العلم والتراث والتأليف .

ومن هنا أصبح للغة العربية خاصية متميزة لا تستطيع اللغات الأخرى ان تشاركها فيها ولا تستطيع هي أن تجاوزها : تلك هي انها لغة أمة ولغة فكر ودين . فهي لغة الأمة العربية التي يبلغ تعدادها أكثر من مائة مليون يتكلمون بها وبها يتعاملون ، وهي فى الوقت نفسه لغة المسلمين جميعاً : لغة فكرهم ودينهم وصلاتهم ولغة ذلك الرباط الذي يجمعهم بالتشريع والعقيدة جميعاً وهو القرآن الكريم .

ومن هنا كان الخطر الوحيد الذي يواجه أهل اللغة العربية هو أن يسقطوا عن مستأى أسلوب القرآن ، ليصبح أسلوبهم قاصراً عن فهمه وتعمقه ، لأن ذلك من شأنه أن يفصل بينهم وبينه ، وذلك مما تحاول القوى الهدامة المعادية للعرب والاسلام ، والتي تدعوهم الى ما يسمى باللغات الوسطى أو تقريب الفصحى من العامية .

وامامنا القرآن وهو المقياس الثابت وعلينا فى كل حركة من حركات العمل ان نتقرب منه ونلتقي به ، فعلى العامية أن تقترب من الفصحى وليس على الفصحى ان تنزل الى العامية .

والتعليم كفيلاً اذا اتسعت آفاقه ان يقلل من الحاجة الى العامية وان يقرب الاتصال بالفصحى .

والذوق العربي كله متصل بالفصاحة ، وفهم الفكر الاسلامي والثقافة العربية متصل بهذا المستوى من الاسلوب والبيان .

لقد كان لارتباط اللغة العربية بالقرآن الذي نزل بها آثاره البعيدة المدى ، فلقد اتصلت اللغة العربية التي كانت تعيش على حدود الجزيرة العربية الى آفاق

من احوالنا وعلى كل حال فليس من شمه بين اللغات المشتقة من اللاتينية التي كما قلنا كانت لغة ميتة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حية منذ أربع عشر قرناً ، لم تحط اللغات العامية الكثيرة من قدرها مسع شيوعها ، ولو امكنها ان تعزها عن مرتبتها لفعلت ، لما كانت اللغات العامية سائدة بين الشعب لا تراحمها المدارس والمطابع والادباء بتأليفهم ومنشوراتهم العامة والسيارة على اللغة الفصيحة (2)

(4)

وليس ادل على قوة اللغة العربية من عبارة ارنت رينان ، في كتابه تاريخ اللغات السامية :

« ان من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادىء ذي بدء ، فبدات فجأة في غاية الكمال ، سلسلة اي سلسلة ، غنية اي غنى ، كاملة بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل منهم . فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لأول امرها تامة مستحكمة ، ولم يمض على فتح الاندلس اكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا سوانهم بالعربية ليفهمها النصارى .

من اغرب المدهشات ان تثبت تلك اللغة القومية وتصل الى درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل ، تلك اللغة التي فافت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها .

وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال الى درجة انها لم تتغير اي تغيير يذكر ، حتى انه لم يعرف لها في كل اطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها ولا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تباري ولا نعلم شيئاً عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة » .

ومن عجب ان يكون هذا رأي اهل العرب فيها ثم يقوم من أبنائها من ينتقص من قدرها ويدعسوا الى العاميات ويحاول ان ينتزعها من مكانتها العالية .

« ان في العربية سرا خالدا هو هذا الكتاب المبين (القرآن) الذي يجب ان يؤدي على وجهه العربي الصحيح ، ويحكم منطقاً واعراباً بحيث يكون الإخلال بمخرج الحرف الواحد منه كالزنج بالكلمة عن وجهها وبالجمله عن مؤادها وبحيث يستوي فيه اللحن الخفي واللحن الظاهر ، ثم هذا المعنى الاسلامي (الدين) المبني على الغنية والمعقود على انقاص الامم ، والقيم على الفطره الانسانية حيث توزعت وأيسن استقرت ، فالامر اكبر من ان يؤثر فيه سورة حمق او تأخذ منه كلمة جهل » .

« انما القرآن جنسية لغوية تجمع اطراف النسبة الى العربية فلا يزال اهلهم مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة او حكماً ، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن على الناس وردهم اليها وأوجبها عليهم لما اضطرد التاريخ الاسلامي ولا تراخت به الأيام الى ما شاء الله ولما تماسكت أجزاء هذه الامة ولا استقلت بها الوحدة الاسلامية ثم تلاحت اسباب كثيرة بالمسلمين ونضب بانهم ولم يبق الا ان تستلحقهم الشعوب وتستلحقهم الامم على وجه من الجنسية الطبيعية لا السياسية فلا يتبين من آثارهم بعد ذلك الا ما ثبت عن طريق الماء اذا انساب الجدول في المحيط » (1) .

(3)

ويرد الكثيرون على شبهة المقارنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية : بقول الأب صالحاني :

ان اللاتينية ماتت كلفة للشعب بموت الدولة الرومانية وبقيت كلفة للكنيسة والعلماء . اما الشعب فكانت اللغات على لسانه تتكيف بتكيفات مختلفة حسب الامكنة والازمنة والعناصر ، ولم تكن اللاتينية لنفسه الاصلية وانما كانت اخرى : كالسليسة السكونية والجرمانية الهندية ، وامتزجت بلغة اليونان فلم تثبت تلك اللهجات الا بتمادي الزمان وتنوع الكتب وفتح المدارس وتآليف الكتب ، وساعد الشعوب في ذلك انفرادهم في اصقاع متناثرة ودول مستقلة، فابن كل ذلك

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والبحاث للتعريب

— الرباط —

وبلعومه وحفافه ولسانه وشفيته فيخرج الكلام بكل
انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة
والثقيلة والطوبنة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب
خلق الله وعجائبه سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات اللغوية :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان
الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها
بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان ولكل ما
يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله :
كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له
اسباب ، ولهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها
التي تنشأ عن اسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم
الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا
القليل . وعلم الاصاتيات بخبرنا بالحركات التي تؤدي
بالجهاز الاصاتي الى اخراج الصوائت (فونيمات)
التي تشكل الحروف ويجعلنا نقف عند حدود الفوارق
ومؤثراتها .

ففيما يخص صويته الباء بالنسبة الى صويته
الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلفظ بهاتين
الصويتين . فان صويته الباء يتطلب اخراجها
مجهودا اكبر من المجهود الذي يقتضيه اخراج
صويته الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل
المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنة التي تشتبك

1 - القسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية
التي نستعملها داخل الفم لاجراء الاصوات اللغوية
بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدني
بالمساهمة في انتاج الكلام على اساس تبثق نفسياني
بديع يتصرف في عمليات بدنية متسلسلة خلاصتها ان
موجات صوتية متتالية منشؤها ذبذبات فيزيائية .
تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتتحول عندما تصدم
العصب السمعي الى سيالة (اي كهرياء بدنية)
تتسرب الى ملايير الخلايا الدماغية لتثير صورة سمعية
تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون صورتان
متطابقتين تطابقا تاما والا حصل سوء الفهم . ويحدث
في الدماغ اثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات
اخرى ما يحدث فتنتقل من فم المجيب ذبذبات اخرى
تنشئ موجات بدورها تطير في الهواء وتصدم اذن
المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتتحول الى سيالة
اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتثير صورته
السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها
مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث
في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية
والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسانية والروحانية
والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين
قبل ان ينبث الامر بالايجابية فتتسرب بالسيالة من
جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع
والبصر لتحرك بواسطة اعصابها العضلات المتحركة في
اجهزة الكلام كالحنجرة وأوتارها وغضاريفها وكالقم

المفتوح وحاملا صوت الباء الجهيرة عبر الهواء الطلق
في شكل موجات صوتية .

هذه العمليات كلها بتناسقها العجيب وأنواع
حركاتها الدماغية والعصبية والعضلية الدقيقة هي
التي تتطلبها الباء ونحن غير شاعرين .

أما الهاء فلا شيء من ذلك فيها إلا خروج الهواء
انحاملذبذبات الوترين الصوتيين بينما تكاد أعضاء
الغم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء خفيف بالنسبة إلى القاف والكاف
والراء والحاء والشين والصاد وثقيل بالنسبة إلى
الحاء والعين والغين والفاء والهزة الخ ...

وإذا اشتد خروج الأصوات الثقيلة فذلك لسبب .
وإذا خف فذلك لسبب أيضا أراد العقل ليعبر عن
الشدة مع الأصوات الشديدة وعلى اللبونة مع الأصوات
الليونة ومثال ذلك : هف وقض ، فهف الريح : هبت
فسمع صوت هبوبها ، وهب الريح : خف وغيب
الرجل : أسرع في سيره والهب الخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسمك الصفار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما يلي : قض عليهم الخيل أرسلها ونشرها وقض
الحائظ هدمه هدمًا عتيقًا وقض الودد : قلعه وقض
الشيء دقه وقض السير أو الوتر ، سمع له صوت
كانه قطع إلى غير ذلك من المعاني . فكما خفت في
خف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستعانة ،
استعانة الصوت بالنسبة للمدلول . فإن كان صوت
الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء
مثلا فإن أصوات الحروف وانغامها ورنينها وأجراسها
موضوع استحسان أو استخشان من طرف الإنسان
(انظروا هنا إلى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ،
فالحاء لطيفة والحاء ثقيلة) فلكل لطيف وأنيق وجميل
وحلو ومطرب ومفرح ومساعد أصوات لطيفة لينسة
موسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ .. أصوات تناسب تلك الصفات بمعاني
أصواتها .

وهذه الأفكار انتبه إليها فقهاء اللغة القدماء
فخصصوا لها أبوابا مشهورة عنوانها بمطابقة اللفظ
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جني ، كما ألفوا
فيها كتباً أشهرها قاموس مفاتيح اللغة لأحمد ابن
فارس ، إلا أن علماءنا المحدثين ممن تتلمذوا على

فيها الاستطلاات الشعرية الخاصة بالوحدات العصبية
التي تنساب معها السيلة العصبية ، وهذه المشتبكات
تشبه مرآة كهربائية (أي بطاريات) فيها عدة خلايا
في كل واحدة منها مادة كيميوية أساسها الكالسيوم
والبوتاسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر
النادرة كالحديد والمنغنيز والبور والماغنيزيوم
والكوبالت الخ ... والكلى منماث (ذائب) في سائل
خاص يسمى الخليل المراري (الاستيلكوليسن)
والتفاعل الكيميوي الذي يحدث في هذه المشتبكات
يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السيلة . وهذه
السيلة مهمتها حمل الإهجات (أي الطلقات العصبية)
إلى الوحدات العصبية الأخرى أو إلى أجهزة التنفيذ
المنحطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا
بالضبط تتسرب طمقات سيالية نحو عضلات الحجاب
الحاجز لترتفع الاضلاع فتتفخ الرئتان اذاك ويحدث
امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرب اليهما من
منفذ الانف أو الغم أو منهما معا - بعد أن حصلت في
مشتبكات أخرى من الدماغ عمليات أخرى لأمر عضلات
الغم بفتحها - فينساب الهواء مع الرغامي (أي القصبة
الرئوية) إلى القصبتين اللتين تشعبان في الرئتين ،
وذلك بعد حدوث أهجات أخرى في الدماغ أمرت
عضلات الحنجرة بإبعاد الوترين الصوتيين الواحد عن
الأخر لينفسح المجال أمام الهواء الجاري نحو الرئتين -
ثم بعد ذلك تنطبق الشفتان الإحدى على الأخرى عندما
تضغط الرئتان الهواء ليفر منهما متسربا مع الرغامي
فيجد الأوتار الصوتية قد تباعدت لتسمح له بالمرور
فيصل إلى البلعوم وعند ذلك أو قبل ذلك بقليل يرتفع
الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مانعا
الهواء من التسرب منه حتى لا تحصل الفنة في صوت
الباء ثم يصل هذا الهواء إلى الغم ويريد النفوذ من بين
الشفيتين فيجدهما منطبقتين كما أسلفنا فيصدمهما
ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا
ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج
ويشتد ضغط الهواء على الشفتين وعلى الشدقين
وعلى الحفاف وكل هذه الأعضاء تقاوم ذلك الضغط
بالتقبض والتقلص ، وإذا بالوترين الصوتيين يقتربان
ويشرعان في التذبذب لإنشاء ما يسمى باللحن
الحنجري الذي سيجعل من حرف الباء حرفا مجهورا
لا مهموسا فتحصل اذاك عملية الترنن وهي فزيائية
محضة ، وفجأة تتباعد الشفتان الإحدى عن الأخرى
وينفث الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الغم

الزيادة في المبني زيادة في المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات في الاوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وبحرة وباحير وباحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتركيب اختلف فيه كما اختلف في ما سبق لعدم توفر مواد البحث في ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم تركوا هذا الموضوع لتعقده واشكاله فلم يعيروا الحركات الاهمية التي تستحقها وغلبت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة في العلوم اللغوية آنذاك مما ادى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او في ما هو ضمنى باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوي وعلى القرآن ورفع اللحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اضاف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سماعية شاذة مما ادى الى بليلة الافكار واللجوء الى السماع مع الابقاء على فكرة القياس رمزياً لأن احداً من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعاً من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معاني الحروف وتوقفوا في بعض نواحيها بقدر ما فشلوا في معاني الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمثابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة انها اخف الحركات العربية لذلك كثرت في اللغة وقالوا عن الضمة انها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة انها أثقلهما . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع الى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى في عصرنا الحديث والف كتابه المشهور « احياء النحو » الذي كان له أكبر صدى في هذا الميدان فعلى الفتحة بأنها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعمل الضمة بأنها علم الاسناد ودليل على ان الكلمة المرفوعة يراد بها الاسناد اليها والمحادثة عنها . اما الكسرة فانها علم الاضافة ، وأشار الى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط باداة او بغير اداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معاني الحركات في الاعراب (انظر اسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علماً لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاسناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يهرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلاً ، وهو رأي الخليل وسيبويه ، واما ابراهيم

العلماء الاوربيين اقلعوا عن هذه الابحاث النفيسة لانهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لانهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصلية فأصبحت لغاتهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقريتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستغاثة ، فهذا الشعب الالمانى مثلاً يستحسن صوته الخاء وصوته الراء الرنانة ، بينما الشعب الفرنسي يستحبها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تفنين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكي يستحسنها - وبينما لا نرى شعباً اوروبياً يجيد صوتية الأو (a) اذا بالشعب الفرنسي يكثر منها - وتغلب صوته الشين في البرتغالية ، كما تغلب عملية التفرع البلعومي في اللغة الروسية ، وما أحنى صوائت الحاء والهاء في اذننا ، وما أقبحها في اذن غيرنا الخ . . من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كله لا تصح هذه النظريات الا في موضوع لغة أصلية بالنسبة الى شعبها الاصيل ، ومعنى هذا انها لا تنطبق على الالفاظ الدخيلة والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن أسرة الى أسرة .

ولا ننتظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على اسس متينة في مدة قصيرة لان في هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وباعتبار الاقدمية والاحدية وتغير الصوائت عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة أخرى مما هو في الحاجة الى تضافر الجهود وتبادل الخبرات وتوفير اجهزة العد والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينقصنا اليوم . وقد يتبادر الى الذهن أن هذا العلم في متناول أي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحذار ثم حذار ! لان اجدادنا اللغويين وهم المعروفون بالدقة والاجتهاد وسعة الباع ان اجادوا في بعض هذا العلم فان وسائل نقصتهم فتوهموا في بعضه الآخر .

واذا كانت الحروف تتكون من الصوائت فان الكلمات تتكون من الحروف . واذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معاني الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معاني الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمطابقة التراكيب للمعاني كذلك وقالوا ان

لانه يتغير وليس بتأيت كالاسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح في فاء كل فعل ماض - اما الحرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرا عليه ما يضمه أو يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج مما سبق انه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر اليها ويركن وان السماع هو الاساس بيد انه اذا تتبعنا اجزاء معالجة معاني الحروف ، معاني الحركات قد نهتدي الى شيء مضبوط ناتج عن الاحصاء من جهة وعن اعتبار قانون الجهد والكسل المهيمن على كل ما هو من قبيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البسيطة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه اسباب الحياة بأقل جهد ممكن مما أدى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيدا والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغائبه وحاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضاف الى ذلك ان له نشاطا عقليا جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن الاسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معاني الحركات المتناقض الظاهر في مدلولاتها .

فهذه لغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على أساس حروف صامتة وهذه الحروف لا تصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطق وحدها لانه لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « او » (ou) مثلا تفيد مدلول المكان ، او التخير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صوتية = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدها ولا من حركات وحدها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح - الصمت) فهو مكاشفة ومباشرة من الكشف اي رفع الستار عن المختبىء ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكوت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي انطارا من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السماوات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرف وخرج وحرك الخ . والحركة

السامرائي فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد اقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يشبان بأن اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما اثبات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبى والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوا هذا الموضوع عبد الله العلايلي الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد . . . فاذا اردت الدلالة على التفوقية أو التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفاخرة والمبالغة (فامرته فقمته فانا اقمه) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تعلق بالا الى ما اشترطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كان عينه اولامه حرف خلق فهو تقدير واهن . . واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلأ وجودا أو عدما تنقل الفعل الى علم يعلم . . واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن يحسن واذا اردت الدلالة على التجزؤ (والتقسم تنقل الفعل الى سبب ورث يرث) انظر المعجم للعلايلي .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالا ان « فعل » يفتح العين لمعان كثيرة لا تنضبط ، منها القلب : قامرني فقمته اقمه اي اقلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تندرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائز والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدوامه وتكثر فيه العلل والاحزان واضدادها . . وتجيء في غير فعل الا انها فيه اكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخص الضم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كانضمام الشفتين عند خروج الضم منها .

وفى الحرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبتديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف وبني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكسرة وهو قليل

الفم من العض والقطع للماكولات وهذه العملية عملية اقفال الفم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الأساسية ليعيش اما ابعاد الفك السفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك الا انها ضعيفة ، وهي ذات البطنين Digastrique والظرسية الامية Mylohyoïdien والذقنية الامية Géniohyoïdien فعملية الاقفال اذن بفضل عضلاتها القوية اسهل وايسر من عملية الفتح الضعيفة العضلات فاخراج الفتحة اصعب من اخراج الضمة التي تقتضي فتحا اقل من الذي للفتحة وهي اصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي انفتاحا قليلا للفم حتى ان صوتة الكسر قد تخرج ويكاد الكفان يكونان منطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال القدماء بخفة الفتحة وتقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي فذلك له اساس في اعماق الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحى به من حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام المكسور الذي يشير الى الانهزام والخضوع والزخوخ وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتاملناها تأملا متدا عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة لا الى فروعها وأخطائها وشائنها ، وتبصرنا امورها الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى البدن البشري وطبقناها تطبيقا محكما ، امكنا اذاك ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا الستار عن النحو القديم الاصيل الذي بنى عليه العرب القدماء لغتهم فاصبحت مطابقة لاغراض عقلم وشعورهم واحاسيسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا هذا ستصبح اذاك العربية اسهل اللغات بالنسبة الى العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه فيمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي ضاعت وبضياعها انزوت في السماع اي في الحفظ بخطئها وصحیحها بدون معيار للتمييز بين الصالح والفاقد وبين التطور الدائر المتكرر والتقدم القاصد الهادف الى الكمال .

الامثلة :

خذوا مثلا مادة « دخن » التي جاءت منها الابنية الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ ... فهو اما مؤثر على العالم واما متأثر به . فالعربي . بهذه الفلسفة التي تتجلى في لغته واضحة لانه حافظ نسبيا على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاخرى يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لغته مبنية على ثلاث حركات ، حركة الفتح اي التأثير على العالم الخارجي وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج ونطح وقطع واكل وفتح ودخل وصرع الخ .. وكلها افعال مفتوحة العين لان الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا - ثم حركة الكسر اي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخزل كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفاعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطش وعلم وفرح وسقم وغرق وعسور وحذب وجزع الخ .. ثم الضم (والظم والتم وكلها تدل على التجمع والكثرة والدوام والثبات) ك : حسن وخشن وكبر وصغر وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا او مؤقتا كما هو في فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على اساس قانون الجهد والكسل الذي اشرنا اليه . فبما ان الحروف بشدتها ورخاوتها ، برخومتها وخشونتها تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة والخسونة في الاشياء ووصافها فان الحركات كذلك يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه الاقدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على باطنه المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغى بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك كذلك فلنا ثلاث حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاجراج ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على العمل الارادي ؟ لان فكي الفم عند اخراج صوتة الفتحة يعتمدان الواحد عن الآخر . وما الذي يعدهما ؟ ثلاث عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغلظتها تسمى الماضغة Masseter وعضلة ثانية تساعد الاولى وهي الجناحية Pterigoïdien وعضلة ثالثة هي الصدغية Temporal تساعد الثانية اذن ثلاث عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

دخن (بفتح العين) الدخان : اذا سطع وارتفع ،
وهنا تشخيص للدخان وكأنه يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها
(اي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك
لفعل الفعل اداليا) .

ودخنت (بكسر العين) : القى عليها حطب
فأفسدت فهاج دخانها (والمعنى واضح ، اي حصل لها
الدخان وأصببت به فأصبح الدخان يحصل لها ويؤثر
عليها) .

ودخن (بكسر العين) الطعام واللحم وغيرها :
اذا اصابه الدخان في حال شيه أو طبخه حتى تغيب
رائحة الدخان على طعمه (وهنا معنى الحصول واضح) .

ودخن (بكسر العين) الطبخ اذا تدخنت القدر -
وشراب دخن (بكسر العين) : متغير الرائحة (اي
بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى
المجازي : لم تبق رائحته الاصلية فتغيرت واطلق
اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطع وارتفع اي
كما يسطع الدخان يسطع الغبار) -

ودخن (بكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبث
(بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن
(بضم العين) النبت ودخنت (بضم العين) الدابة
دخنة مثل دخن (بكسر العين) (يستخلص منه الثبات
والدوام على حالة الدخنة اي الكدرة يعني صار نهائيا
في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

واذا أخذنا مادة أخرى فيها الابنية الثلاثة مثل
« ش ر ف » ومعناه العلونرى ما يلي : شرفه (بفتح
العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين)
الحائط : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين)
الناقة : صارت شارفا (اي على سبيل التشخيص

علت وارتفعت في السن) وشرف (بكسر العين)
الرجل : دام على اكل السنام (بمعنى غلبت عليه
شهوة اكل السنام اي الشرف وهو السنام أصلا من
نفس المادة) وشرفت (بكسر العين) الاذن وشرف
(بكسر العين) المنكب : ارتفعا اي شرفا (بكسر الراء)
اي صار مرتفعين - وشرف الرجل (بضم العين)
صار ذا شرف (اي في حالة ارتفاع وعلو تبنت فيه
واصبح يتصف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت
شارفا ، والفرق بين شرفت الناقة (بالكسر) وشرفت
(بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه
والثاني كثرته وتراكمه ودوامه حتى أصبح في أعلى
درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزنا وله
وعليه : ضد سر أي حصل له الحزن - وحزنه (بالفتح)
ضد سر (لغة تعيم وهي عندي أقرب الى الاصل
العربي من لغة الحجاز) ، ولم يرد « حزن » (بالضم)
في الاستعمال تلافيا للطيرة مع ان مصدره حزونة بقي
مستعملا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الارض وشدتها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر بالثبوت وجهه
خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثناء
والزاي : « بزر » والمعاقبة بين الثناء والصاد : بصر -
ومراعاة القلب المكاني : ثبر - فيأتينا منه معنى القروح
ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الارض . واذا وقفنا على
المعنى الاول فمفاده : بشر (بالفتح) وجهه : أخرج بثورا .
وبشر (بالكسر) وجهه حطت له بثور . وبشر (بالضم)
وجهه وهو : أصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في
المعاني بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل
(بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل الى الحقيقة الآتية وهي
ان العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من اغراض .
واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة -
اداة تمتاز بطواعية للتعبير عن جميع ما يختلج الفكر
لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .

التعريب والتفتح في المغرب العربي

للدكتور محو وعبد المولى

«تونس»

— ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المتقدمة يجب أن يكون مدروسا — لا متروكا للصدف ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولغتنا وأصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق يهدد شخصيتنا وكياننا الاجتماعي والثقافي ، بالمسخ ولذبذبة ... كما نرى — لا تناقض بين قيمنا القومية وقيم الاممية في مضمار الاصاله والتفتح . نستطيع أن نأخذ عن الفير العلم والتقنية والثقافة المتقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الأجنبية الحية بدقة واتقان — اذا أمكن — وفي نفس الوقت نتمسك بمقومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الأساسية ، هذا في رأيي هو الانفتاح المنشود . أما الاختصار فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لغتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر وانذوبان معا .

انه التحجر لان فرنسا هي في الواقع تعتبر في خصوص بعض المبادئ العلمية والتكنولوجية متخلفة بالنسبة لعدد من البلدان المتقدمة كأمريكا وإنجلترا وروسيا وألمانيا ... الا انها تعتبر طبعاً — متقدمة تقدماً مهولاً — بالنسبة للبلدان المتخلفة جميعها . ليس من الافضل لبلدان المغرب العربي ان تستفيد من اختصاصات — هي في حاجة اليها — ولا تجدها في فرنسا بل في بلدان أخرى متقدمة ، سواء كانت في الشرق الاشرقي او الغرب الرأسمالي ؟! اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك أن تعلم لغة من اللغات

يتحدث الناس كثيراً ، هذه الايام عن الانفتاح او التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتدلة واصابها ما اصاب بعض العملات ، اثناء الازمات الاقتصادية ، من تضخم قد قضى على جزء ضخم من قيمتها اشرائية .

ولا نعدو الحقيقة كثيراً اذا قلنا ان كلمة انفتاح او تفتح او تعصير ، أصبحت ، في قاموس البعض ، تمنة لانهايم كل من انبرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتحجر والزمالة والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » أو جدلية « الاصاله والتفتح » — نؤكد لادعاء الانفتاح والتفتح والتعصير — دون ذكر اسمائهم — ان كل من يعتز بلغته وأصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثورية وموضوعية ، بإمكانه أن يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية في العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والاصالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضارات الأجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا في شروط موضوعية معينة منها :

— تحريك قيمنا الحضارية الخالدة — وتراثنا الثوري الحافز ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المتقدمة في عالم القرن العشرين .

الحية كالانجليزية او الروسية او الالمانية ...
امر لازم .

ان انفتاح مغربنا على العالم المتقدم - عن طريق لغة او لغتين من هذه اللغات الحية سيساعده - دون ريب على الخروج من معرقة التخلف بنجاح للانطلاق بعد ذلك - الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاشعاع الثقافي والعلمي والتكنولوجي ...

وهو ذوبان وانحلال لشخصيتنا وخصوصياتنا القومية والحضارية اذا استخدمنا اللغة الفرنسية كلفة شبه رسمية واهملنا اللغة العربية .. ان الانفتاح على الثقافة الفرنسية او على أية ثقافة اجنبية اخرى يجب ان يمر عن طريق عروبتنا كما اكد ذلك العالم الاجتماعي الفرنسي جاك بارك (Jacques Berque) في عبارته الشهيرة :

«La francité du Maghreb passe par son arabité»

لذلك طالب المثقفون في تونس والمغرب الأقصى قبل الاستقلال وبعده بالتعريب والاصالة الثقافية لا لاسباب عاطفية ، وانما لانه المطمح الطبيعي والشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتيتنا ونهضتنا ، والمنطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي كخطوة نحو وحدة وطننا الاكبر ...

الواقع ان موضوع الاصالة والتعريب هو موضوع له حساسية خاصة ويتطلب منا قدرا كبيرا من الموضوعية والشجاعة. قد يحدث التباس في الازهان، ونحن نشير الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصالة والتعريب ، قضية الساعة في مجتمعنا ، هذا الالتباس يتمثل في ان الفرض من اثاره مشكلة التعريب في تونس او الجزائر او المغرب الأقصى هو اخراج المسؤولين او التهمج على هذه السياسة التربوية او تلك . لكن الذي حدانا الى معالجة هذه القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير على أسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن العربي .

فالواجب يفرض علينا النقد النزيه والموضوعي لجوانب حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا بان هناك خطرا يهدد كيانتنا . ان أسلوب السكوت والتفاوت الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على امل شعوبنا في التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعريب والاصالة هو موضوع خطير ، قد حفت به ملاسبات سياسية

وايديولوجية ونفسية لا تخفى على احد . واذا صرحنا انفسنا وضماثرنا ، فهو . في حقيقة الامر قضية مصيرية تتحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث تتجاوز امكانيات رجال الفكر والتربية والثقافة في المغرب العربي . والراي عندنا ان الحل الجذري لمشاكل كثيرة يتخبط فيها مجتمعنا المغربي اليوم ، يكمن في تبني سياسة التعريب الشامل والمرحلي . فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لغتنا القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج الفكري والعلمي ...؟

اذ لا يمكن ، اطلاقا عزل المفهوم السياسي لعملية التعريب عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة !؟

لذلك ونظرا لشعب قضية التعريب ، باعتبارها قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب ومتقنين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح على الصعيدين الرسمي والقومي ...

لذلك ونظرا لكل هذه الظروف والملاسات الايديولوجية والنفسية التي تحف بالتعريب لا يسعنا الا ان نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابدا المشاكل والصعوبات النفسية والمادية التي تعرقل سير قطار التعريب ، خاصة ونحن نعلم ان الاوضاع الاستعمارية التي رزحت تحتها بلادنا ، قد فرضت علينا واقعا ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا متخلفا . ان هذه التركيبة الاستعمارية الثقيلة والبيضة قد عكست على حياتنا الاجتماعية ارتباطا لغويا وثقافيا خطيرا .

كان هدف الاستعمار في العصور الحديثة سواء كان فرنسيا او انجليزيا يرمي الى تمزيق وحدة الامة العربية وتقسيم الوطن العربي الى دويلات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها الكادحة ، اقتصاديا وثقافيا ولغويا ...

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية الادمجية في المغرب العربي الكبير بخاصة ، هو تجهيل الجماهير بلفتها وتاريخها وواقعها ... ومن هنا كانت وضعية شعوبنا المغربية مطابقة للحقيقة العلمية التي صدع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن خلدون وهي تؤكد بان « الامة الغالبة تفرض على الامة المغلوبة حضارتها ولغتها .. » .

تركيا الفتاة . اما في المغرب باقطاره الثلاثة ؛ فقد قامت محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي ؛ ترمي فيما ترمي اليه ؛ الى الفرنسة والادماج ؛ واحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك اكد المثقفون المغاربة - مرارا وتكرارا - ان لغة المستعمر ؛ بما تحويه من ثقافة وتقاليد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي في تونس والمغرب الاقصى والجزائر . وانما هي - بالعكس من كل ذلك - تمسخ او بامكانها ان تسمخ - شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقية .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدأت اثر عصور الانحطاط والظلام ؛ وبخاصة في بداية العهد التركي ؛ ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخيلة محاربة اللغة العربية وذلك كخطوة نحو تتريك الاقاليم العربية . وكلمة تتريك هي كلمة دارجة حتى اليوم في بعض اللهجات العربية في المغرب وتونس وتعني مثلا العبارة : « يحب يتركني » معناه « يريد ان يهلكني » (1) . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب الى اترك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التتريك هذه قد نادى بها - كما نعلم - وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة

(1) كلمة « تركية » بتشديد الراء معناها في عامية المغرب الاقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكان « المتترك » (بفتح الراء وتشديدها) مات فصارت تركته تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتقاق الكلمة العامية من الفصحى ، كما يتضح من استعمالها في المغرب الاقصى بالمعنى الذي اشرت اليه .

اللغة العبرية في مرآة قواعدها القومية

الأستاذ أنطون شال⁽¹⁾
جامعة هايدلبرج
ترجمه الأستاذ إدريس الخطّابي

الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين أشياء أخرى: « ينقسم الكلام الى ثمانية أقسام: اسم وفعل واسم مفعول وأداة تعريف أو تنكير وضمير وحرف جر وحال وعطف ». أما النحويون الرومان فأننا نجدهم يتخذون المصطلحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد . ولذلك ظل نموذج ديونيزيوس تراكس عالقاً بالأذهان لدرجة أن الأقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو إحلال حرف التعجب محل أداة التعريف التي لم توجد في اللاتينية . وقد تولى النحاة الثقاة، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس . أما التقسيم الثلاثي الذي أوردنا في مطلع بحثنا فلا يوجد له أثر واحد في هذا الوقت على ما أظن .

وقد أسس يوهانس رويشليين (Johannes Reuchlin) سنة (1506) في بفورتسهايم (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين في كتابه « مبادئ العبرية » . وفي الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لأقسام الكلام

إذا فتحنا كتاباً من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية نستعلم عن أنواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزء (أو الأداة) (Partikel) . والعلامات التي يستند إليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة أي أنها ليست من صميم الكلمة: فالأسماء المعربة والأفعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير . وأما باقي الكلمات غير المتغيرة فيشملها اللفظ العام: جزئ . غير أن علامات التمييز هذه لا تفي بالغرض إذا أردنا أن نقسم الجزئ إلى أقسامه المختلفة . ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة في الجملة وتفرع الجزئ إلى حال وجرار وعطف ونداء . فنحن نرى إذن ، أن قائمة أنواع الكلمات أو أقسام الكلام ، قد اشتملت على الفاظ ذات طبيعة متباينة تباين وجهات النظر النحوية عبر التاريخ .

وإذا رجعنا إلى ما قبل اليوم بحوالي قرنين أي إلى زمن وضع القواعد النحوية الأولى في البلاد الفرية ، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » لمؤلفه ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax)

(1) جاءنا هذا البحث من مؤلفه من ألمانيا الاتحادية ورغم بعض الآراء الفرية التي جاءت فيه فأننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنا مهما كانت نوعيته أو قيمته وقد نشرنا الأصل في مكان آخر من هذا العدد . وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق العادة للغات السامية الحديثة والإسلاميات في جامعة هايدلبرج في 21 ديسمبر 1971 .

قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني الهجري أي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس بنيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سيبويه . وأهم أعماله النحوية هو مؤلفه المسمى « الكتاب » . وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحويين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة الى يومنا هذا .

أما نقطة الانطلاق بالنسبة لأكثر العلوم العربية نقاوة فتدور حولها مجموعة من الأساطير . فقد كان أبو الأسود الدؤلي - أحد أنصار علي بن أبي طالب آخر الخلفاء - قاضيا في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في أول أمرها معسكرا للجند العربية ، والموجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سئل أبو الأسود الدؤلي : كيف تعلم العلوم النحوية فأجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه إياها ولم يكن أبو الأسود يعبر معلوماته اهتماما كبيرا حتى أمره حاكم العراق بوضع دليل للغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين المقدس . ولم يبد أبو الأسود رغبة في الانصياع لهذا الأمر بيد أنه سمع يوما أحد الناس يتلو جزءا من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة : المترجم) كما يلي : « أن الله برىء من المشركين ورسوله (1) » بدلا من ورسوله كما هي القراءة الصحيحة . والقراءة الخطأ ليست أقل من الكفر لأن معناها أن الله برىء من المشركين ومن رسوله . فذهل أبو الأسود من هذه القراءة وقرر على الفور تلبية أمر الحاكم .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الأسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس أي حول وقاية ما يعتقده العرب أنه كلام منزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت اذن الأسباب التي أثارت عند العرب الانتباه الى القواعد النحوية هي أسبابا دينية . كان من الواجب أن يسان القرآن عن الأخطاء في أفواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حديثا . والاتصال باللغات الأجنبية في البلاد المغزوة هو الذي نبه العرب الى الاعتناء بلغتهم وليس هذا السبب أقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الأجنبية في البلاد الغربية

العبري : هنالك ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والآتي بمعنى - نقول اليوم الجزىء - ، ويشتمل الاسم أيضا على الضمير واسم المفعول . ويشتمل الحرف على الأربعة الآتية : الحال والعطف وحرف الجر والتعجب . نرى أن تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب رويشلين اتفاقا مذهشا . والجدير بالذكر أن رويشلين والعلماء المسيحيين المعارضين له أخذوا فكرتهم حول أقسام الكلام عن الأعمال النحوية اليهودية القومية حول اللغة العبرية ، غير أن أعمال علماء اليهود النسقية الأولى كتبت باللغة العربية وألفت تحت تأثير وحسب نموذج القواعد النحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الفارة الصغيرة في تاريخ النحو الى علم هيمن في عهد لعمان الثقافة العربية الاسلامية . وتأثير هذه الثقافة وبقيائها في علوم الغرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الواسطي بالنسبة للتراث اليوناني معروف معرفة عامة . غير أن الأثر المتواضع لهذا العلم العربي الاصيل في وسط كتاب من كتب النحو الحديثة لم ينظر اليه بعد ، من هذه الزاوية .

ولم أجد في نطاق عملي ، شعبا من الشعوب القديمة ، عني بلغته وفكر فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها الا الشعبين اليوناني والهندي . أما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق أن أشرنا اليه وأما الهنود فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار وأظهروا أصالة في أبحاثهم ووصلوا الى القمة بمؤلفات بانينسي (Panini) أواسط القرن الاول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق أمام الباحثين الهندوجيرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات . ولم تتم الانجازات العظيمة الرائعة في هذا العلم الا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحويون الهنود الذين ألغوا الضوء على هذه اللغة وأوضحوا غوامضها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان ، موقع الوسط بين النحويين الهندي واليوناني وهذا الموقع هو الذي جعل الناس يتساءلون الى الآن ، عما اذا كان النحويون العرب قد استعانوا بنماذج أجنبية ونظروا لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من إعادة المراجع الى أصولها بالدقة المطلوبة أصبح من المستحيل الفصل في هذا الأمر ، اذ ليس من المتوقع أن نجد

(1) بالعربي في الاصل .

التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباينة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة الماثورة وتنميتها حسب الامكان ، ففي مادة التاريخ - مثلا - نجتهد دائما في ضم مصادر اخرى حتى نستطيع تحديد اسباب مصرنا بطريقة ادق . وفي العلوم اللغوية نسعى الى مضاعفة تعميق نظرنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع امهات الكتب والبحث في اللغة الدارجة . نعم نقيم - نحن ايضا - نظرياتنا على اساس المواد الموجودة بين ايدينا ، واذا تغيرت هذه المواد او وجدت مواد جديدة يمكن ان تغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير ان العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة المتواترة قد اكتملت ووصلت الى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد ان اقام اللغويون العرب نظريتهم النحوية على اساس الادب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقياس الوحيد لبناء النسق النحوي .

ولاجل هذا النموذج الذي وضعه النحويون الاوائل لم يؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الا الشعراء الاقدمون والنصوص النثرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة بايام المعارك التي خاضها العرب الجاهليون والامثال القديمة واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، اما الادب النثري الجيد الذي ازدهر بغزارة بعيد عهد الامويين والذي هو جزء مهم من الادب العربي النحوي فلم يستعمل به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهماله وفي عدم محاولة تلاميذ سيبويه استخراج الامثلة النحوية من النثر يرجع الى قدرة الاسلام على التثبيت بالمعطيات الاولى . واذا طبقنا ذلك على اليونان فانه يعني حصر استخراج النماذج النحوية على مؤلفات هوميروس والشعراء الاقدمين واهمال هيرودوت (Herodot) وتوكيديدس (Thukydides) وبما ان لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما ان اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي ان يرفض العرب رفضا باتا استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق النحوي .

ولقد ادت الاعتبارات الدينية هنا الى تقلص المادة المتواترة وظهرت فعلا وفي زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضة تتوخى توسيع الماثور أي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق النحوي . لكن سرعان ما انتصر

في نفس الزمن - أي في القرون الوسطى - لم يؤد الى الاشتغال باللغة القومية ، فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النمو وكانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنازع الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم - المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة منقسمة الى لهجات متباينة ، ومن ناحية اخرى اللغة العربية المتينة الآتية من القدم ، لغة راقية او لغة الادب . ولا نستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزما بشروط معينة ، والشئ الذي لا يتطرق اليه الشك هو ان هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن اللهجات الاخرى واصبحت لغة تعم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاحتفالات ذات الابهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم - بأوزانه الصارمة البنية - لهذه اللغة بتفاوتها . واهمية الشعر - كبديل للفن التشكيلي - الذي كان مستحيلا في الحياة البدوية - جعلت من الممكن ابقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقرآن كان لا بد ان يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد ان الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نحاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة والخاصة ممكنا الا بمعرفة دقيقة للغة الراقية . وفي المدينتين الطموحتين الكوفة والبصرة - بادنى العراق - نشأت مراكز للعلوم النحوية ، ربما اقتصر هذا العلم بادىء ذي بدء على مراقبة كلام البدو وجمع وشرح الاشعار والروايات الخاصة بالحروب القديمة والامثال والتقاليد ، فنعرف - مثلا - ان معظم اعمال الكوفيين مجرد تجميع . اما البصريون فيظهر انهم بكروا بترتيب المواد المتواترة والممثلان الرئيسيان لمدرسة البصرة الخليل وسيبويه ، هما اللذان اتما تنسيق النحو العربي .

نعرض على القارئ فيما يلي تأملا قصيرا عن النظرة الاسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بانها جزء من المنقول الماثور الذي عولج بمقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركني كل عمل علمي : أحد هذين الركنين هو المنقول أي المادة الماثورة القابلة للمعالجة والتنقيح ، والركن الثاني هو عقل العالم المنفج مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن ان يكون هذا

هذا ولم يعتبر المسلمون قط اللغة شيئا متطورا وناميا كما لم يتفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب في ذلك هو القرآن أيضا فمعنى كل كلمة في نصه المأثور لا يوجد في صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضا - بل أكثر منه - في رسمه المكتوب الذي تناقله الاجيال في شكل معين . فلرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على أساس نص القرآن أي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما نسمع بالأذن . فأصغر جزء في الكتابة هو الحرف اما في العربية فهو الحرف المتحرك فقط (1) ولذلك يسوي في الاصطلاح النحوي اللفظ والحرف المتحرك والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو أصغر جزء في الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروفا عند النحويين المسلمين في القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحا عليه ، وبما أنه لم يعمل الا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص في اللغة . ولم تدخل علامة الحركة في اللغة الا عند ما ادخلت العلامات الدالة على قصر الحركة . ولم يحدث ذلك الا لأن العرب يرمزون الى الحركة بعلامة خاصة . والشئ الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظريتنا قد بنيت على هذا الأساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون أن يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفا .

وبالإضافة الى معنى ضيق للمادة لا نفهمه نحن الغربيين ، فالمجرى الخارجي الذي اتخذته النظرة الى اللغة القومية في العالمين الغربي والإسلامي متباين تمام التباين . فاليونان ، وهم أساتذتنا في العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيرا بالعام الذي يكمن وراء الخاص واهتموا بمبادئ الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفي اطار هذا الأخير وجدت المادة التي تستند اليها العلوم المختلفة وخصيصا اللسانيات أرضا صلبة . فالكلام

مذهب المتواتر المعهود على مذهب التوسيع والتجديد وحتى في النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين يتعكس النزاع المتواصل الذي نلاحظه في التطورات المذهبية والشرعية في الإسلام . وفي هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة أو تصحيح أخطائها . ولم يألوا جهدا في الحفاظ - بغيره - على القانون الذي هو نموذج الاعمال الادبية العظيمة وعدم توسيعه، ولهذا استعملوا دائما في مؤلفاتهم نفس الأدلة والأمثال . وبذلك اتخذ النحو صبغة « علم معيار » وأخيرا أصبح هذا المعيار والعبارة « ممنوع » سببا في أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي ، في أساسها ، منذ ثلاثة عشر قرنا .

وإذا عرفنا أن النحو العربي لم يتزود بأية مادة حية من أية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف غدا هذا العلم بالضرورة ، شيئا فشيئا ، جامدا مثل المومياء . ويمكننا أن نأخذ فكرة عن ذلك في رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدي في ديوانه « جنة الورد » في القرن الثالث عشر . ففي إحدى رحلاته الى تركستان الشرقية - التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري - رأى سعدي في مسجد كششكار طالبا منصبا بحماس على باب من ابواب كتاب الزمخشري . ويجب هنا أن استطرده لاقول ان النحو العربي يشرح حالات الاعراب في جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الاعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحاد عنها قط ، ولذا سمع سعدي الطالب يقرأ : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه في السنة نفسها عقد حاكم توران سلما مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدي للطلاب الشباب في سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . والى يومنا هذا يتضارب عمرو وزيد في جميع المدارس التي يلقي فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

- (1) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين الى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون - الفرق بين العرب والغربيين هو أن الحركات عند الغربيين (a, e, i, o, u, y) تعد من الحروف وتكتب الى جانبها - ولا تعد في العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وإنما توضع فوقها أو تحتها اذا أشكل النطق - (المترجم)
- (2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

والفكر عند اليونان يشتملان على نفس القوانين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين في نفس المنهج الفكري . فيتساوى عندهم الحكم والجملة ، والمدلول والكلمة . اما في الاسلام فقد تطورت الامور تطورا مضادا على طول الخط ، حيث جمع المسلمون ، أولا ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا نقول ان هذه النظرية الاساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرف ، فالتحويون القوميون العرب ينظرون مع وعبر الشكليات والقالب الى محتويات ومعاني الجمل . واليونان ومعهم الفريون اليوم يرون العام وراء الخاص . اما النحوي الاسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطورا موضوعيا . اما النظرة العربية الاسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها اساسا الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تنبع من مبادئ منطقية موضوعية صرف . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللغتين الادبيتين الكبيرتين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدتين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابست ان تخضع لنسق لا يصلح الا للغة العربية .

وتختلف التقسيمات في النحو الاسلامي ، حتى في مظهرها ، عن التقسيمات في نحونا اختلافا كبيرا . فعلى اساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تنقسم قواعدنا النحوية الى دراسة تكوين الكلمات اي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . اما التحويون العرب فينهجون نهجا آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله في الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيما خارجيا لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لان الكلمات تتغير في نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى انواع ، هو الذي ادى بي الى نقطة الانطلاق في هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة اقسام : الاسم ، (1)

والفعل (1) ، والحرف (1) الذي نعبر عنه نحن بالجزئي . وهذا هو التقسيم الذي اخذه رويشليين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس في الاول ان العرب مدينون ، في معاني قواعدهم الاساسية هذه لتأثير اجنبي وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اننا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعريفات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات في وقت متأخر نسبيا وجاءت مرتطة بأصلها ارتباطا جديرا بالملاحظة ولم تنفصل عنها الا نادرا . بذلك كان من الممكن ان ينشأ أخيرا الاعتقاد القائل ان القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفة اليونانية ، العكس تماما لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علما عربيا محضا . وبهذا الاعتقاد فقد الغربيون ملكة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا ان هذه المراجع الاصلية اقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية في دائرة الفكر العربي . وقد اتى بعضهم بدلائل ضعيفة جدا ليحاول ان يجد في انشاء المعاني عند النحوي العربي تأثيرا من القواعد اللاتينية وذلك عند ما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف » مع ان « حرف » يدل على شيء من الملفوظ او المكتوب صغير ليس محدودا في حجمه ، ابتداء من حرف او حرف متحرك حتى الكلمة وعبرة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي فهم هذه الكلمة التي نعبر نحن عنها بكلمة (Partikel) اي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك . يقول سيبيويه ان الكلام ينقسم الى ثلاثة اقسام : الاسم والفعل والحرف (1) ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك فكلما « حرف » تعني شيئا آخر ، غير الحرف المفرد او مجموعة من الحروف التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسما او فعلا ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفي العبارة « حرف معنى (1) » كما كان يسمى القسم الثالث في الاصل يقع الوزن في الكلمة الثانية « معنى » ويمكن التعبير عنه في لفتنا ب « مجموعة من الحروف الابجدية الدالة على معنى » .

(1) بالعربية في الاصل وترجمها المؤلف الى الالمانية

والمنطق الالهي وواجب النحويين هو ازالة الحجاب عن المنطق الذي يكمن وراء الكلمات واكتشاف اسرار اللغة (اسرار العربية) (1)

ويسمى العالم النحوي العربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . أما بالنسبة للعالم للعوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقيا وينبغي له ان يستدل على منطق هذه القواعد ويبرهن على ان كل كلمة اينما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم ، وانطلاقا من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحويون العرب المتأخرون - باستدلال صارم - قاعدة لغوية مطلقة وقد لعبت هذه القاعدة دورا صغيرا في مرحلة النحو العربي المتقدمة لأنها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، بيد أن هذا الدور نما فيما بعد نموا غير طبيعي وأصبح النحو علما محتاجا الى استدلال ومعياري بدلا من أن يكون علما مفسرا وشارحا .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي كلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا ؟ يفكر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير أو كبير . واعراب ما بعد العدد يختلف اختلاف وقوع العدد في احدى المجموعات الثلاث : (3 - 10) أو (11 - 99) أو (100 فما فوق) وبما أن الجواب غير معروف بالتأكيد فان الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 - 99) . وهذه المجموعة تقتضي المنصوب وكذلك - اذن - « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوار النحويين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة . ولا تقبل الاستثناءات . وإذا حدث انحراف عنها يستعان بالتشبيه للدلالة على ان هذا الانحراف منتظم في القاعدة . ويؤتي لأجل ذلك بوجه أو أوجه للشبه . وإذا كان عاملان متشابهين يختار للثاني نفس العمل الذي للاول . ولا يهم أن يكون هذان العاملان قابلين أو غير قابلين للمقارنة . وبما أن كل المفردات تتكون من الحروف المتحركة وبما أن هذه الأخيرة أجزاء أقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلا ، وكلما زادت أوجه الشبه الخارجية والداخلية أمكن التسوية بين أعمال العوامل المشبهة ، وبما أن هنالك خمسة أوجه للشبه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلاً

يستعمل النحويون اليهود مرارا وبكل بساطة ترجمة عبرية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التجذث عن استعارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص أو شيء) على قسم الكلام الاول ليس الا صدف محضة . ولا علاقة أيضا بين الاصطلاح اليوناني (Rhéma) (هذا الذي يحكى على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحويين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الاصل اصطلاح علم المنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الاصلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحويين العرب حكما بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فثمة أنواع مختلفة من الافعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فإذا بدىء بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلا » . ولكن اذا بدىء بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بدىء بها » وإذا بنيت الجملة للمجهول أصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولا وسمي المفعول الذي لم يسم فاعله .

وقد ظهرت هذه المعاني النحوية الاساسية عند اقدم النسقين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان ينبغي أن يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، أي العقل ، المدبر والمرتب ، أكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، فبهذه الطريقة قد يكون ما يضيفه العالم الى المادة أكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبالإضافة الى ما سبق ، فإن العرب لم يهتموا الى مقارنة العربية بلغات سامية أخرى لأنهم كانوا يكادون يجهلونها . أما تطبيق المنطق على اللغة فلم يكن ممكنا لانعدام التنسيق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع أعمالهم على أساس مبدأ واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد أن يظهر في كل جزء من بنائه المنطق الالهي . وإذا كان اليونان قد سورا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحويون العرب قد سورا بين اللغة العربية

(1) بالعربية في الاصل .

لأنه ثبت أن هذا الأخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، أن يغير ، قبل سواء حركاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان ومجال . فمعروف في الطبيعة مثلا أن السبب يسبق المسبب . ولذلك فلا تسمح اللغة أن تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب أن تسبق . أما الإيقاع الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب أن يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد أن ينتظر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها أن تقع وراء الكلمة العاملة . فيأتي مثلا المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به .

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق
ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الإلهيين .
والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برر بعض النحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكف فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الأصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويتساوى في العمل المعياري مع

(1) بالعربية في الأصل .

القاضي الذي أنيطت به إقامة العدالة الإلهية والمحافظة عليها .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة العلميين بل من الصعب علينا بمكان أن نساير هذا النوع من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج - كما قلت آنفا بإيجاز - خصيصا بالنسبة إلى النحو القومي العربي ، بالتأثيرات الأجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسسان على مبادئ متباينة تماما . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فإنه يصدر عن سبب سام إلا وهو واجب الإنسان الأساسي في القرون الوسطى الإسلامية أعني العبادة (1) أي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد أن يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنسيق وتأويل ما أتى به الوحي والحديث لإقامة هذه الحياة المستقيمة . ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحفاظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضا جاء الدافع القوي إلى العمل .
والمرأة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية أكثر من مرآة بمعناها المألوف ، فهي بؤرة إشعاع ومصدر الضوء فيها هو الدين الذي ذابت اللغة العربية في أشعته لخدمة الإله .

الورق المهرق stencil

ذكر ابن الأبار (الحلة السيرة ص 137) « أنه كان لعبد الرحمن كاتب اعتاد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينقلها إلى ديوان خاص يصير فيه أظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية تماشي الأمة العربية إلى الأمام لأنها جزء حي منها

الأستاذ إلياس قنصل (عاصمة الأرجنتين)

الى تاريخها ، يريد ان يشوه معالمه الواضحة
العالية ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر .
الى نشئها ، يبغى ان ييث فيه من الانفلات ما
يذيب شخصيته المأمولة .
الى اقتصادها ، يرمي الى وقفه عند حد محدود ،
فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط .
الى كل شيء .

وقد كان « اللغة العربية » نصيب وافر من تلك
الحراب المصوبة التي تقطر بالسم الزعاف .

طلعت الدعوات العديدة تشير الى وجوب البحث
فى « تطوير » اللغة ، ولم يكن القصد لا التطوير ولا
ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد ايجاد البلبلة فى اجزاء الامة التي
تتكلم هذه اللغة ، واحداث شكل من اشكال الفوضى
قد يمتد الى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها - الى ذلك - شغل فئة من
حملة الاقلام بالاخذ والرد والمباحكات والمناقشات
البيزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماسة فى
النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا نقول ان جميع الدعوات التي تعالت مطالبة
بالاصلاح ، كانت من ابياء الاستعمار ، فقد تنزه بعضها ،
عن ذلك ، ولكننا نقول ان معظمها كان مدفوعا من
الاخطبوط المذكور .

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهرة من
اغرب الظواهر لا يمكن ان تكون من عمل الصدق :

كل سلاح وصل الى يد الاستعمار ، استعمله ،
محاولا القضاء على القومية العربية .

انزل الاستعمار على المدن العربية قنابله ،
وجه الى صدور ابنائها رصاصه ، وهدم ، وخرّب ،
وشرد ، واعتقل ، ما شاءت له مطامعه .

ثم حاول - وقد رأى ان بطشه المكشوف لم
يجد - زعزعة اركان الوعي القومي العربي من الداخل ،
فرشد الانصار ، وجند الاعوان ، واشترى الضمائر ،
ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول الى ما
يبغى ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلة ،
وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفقت
محاولاته ، ورأى نفسه كما رآه العالم ، متعثرا بأذيال
الفشل ، لا يكاد يللم ذاتة من حفره حتى يقع فى حفرة
ثانية .

واذا كان الخذلان قد اصابه فى محاولاته ، فليس
المعنى ان المعركة التي استهدفت لها الامة او بعبارة
أصح ان المعارك التي ساقها اليها ، كانت معارك هينة
لينة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت فى جوانب
الامة جراحا ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف
بالدم ، الى الآن .

صوب الاستعمار حراجه الى سائر مقومات الامة
العربية :

الى اخلاقها ، يريد ان ينفذ بالفجور الى
مناعتها ، فينهار تماسكها .

كانت هذه الدعوات تطل برؤوسها عندما يشتد ضغط الشعب مطالباً بالحقوق المفصولة .

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر أبداً في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الفترات التي كانت حرية بأن تظهر أثناءها ، لان هذا الاصلاح - اذا صح ان مرماه الاصلاح - يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وانها وقفت على طبقة معينة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلافيه ان تكتب بلغة الشعب بالعامية ...

ولو تم لهم ما ارادوا ، لقضي القضاء المبرم على واسطة التفاهم بين الاقطار التي تضمها الفكرة العربية

لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية - في حالتها الحاضرة - تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى الويتي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الاسيوية كالمقيم في ادنى القارة الافريقية .

راي هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهاهم الامر الذي يكاد يكون منقطع النظر في ادوات التفاهم ، فعمدوا الى تفكيك هذه الوحدة ، وبرزوا بالنفمة «النشاز» : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ، اي وضع حدود او شيء كالحودود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب ، فلا اقل من ان يكون ثقيل .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تتقرب فيه من الفصحى كما يفعل الزمن دون ان يشعروا ، فالاصلاح الحقيقي هو ان تتجه الى الكمال ، لا ان تتحدر الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

وقال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الافكار تنصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالها بمحو جميع المقد منها ، وملاشاة الفموض ، اي بترك الحبل على الغارب ، لمن يشاء ، ويتحول الاعراب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد ، الى مجموعة من عناصر التشويش التي لا يضبطها منطق ، ولا تتنظم

في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون ان جميع لغات الدنيا التي تتناولها المحافل المحترمة لا تخلو من قواعد وقياسات وانظمة وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الضاد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هندستها الراهنة ليست احرفا تماشي الحضارة التي بلغتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بحروف فرنجية ، او بحروف لا هي بالفرنجية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والترات العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعة واحدة على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مفخرة من مفاخر العبقريّة العربية فحسب ، ولكنه يصل الينا ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفضوحة النيات ، مكشوفة المعامل .

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الخواجج الانسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الآن عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت امامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفائقة ؟ كيف تعجز الآن عن ذلك ، وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبها ومشتقاتها كانت مفقدة على الذين نقلوا اليها العلوم والآداب من الامم الغربية ؟

نحن لا ندعو الى الجمود .

اننا نعرف ان تقدم الحضارة يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجاراة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفي ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبه الراغب في استيعاب مكنوناتها الدفينة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة اخرى .

النتيجة الا ماشاء الحق ، وبقيت اللغة العربية في حصن حصين من مناعتها الطبيعية ، ولم تؤثر عليها هجمات الموتورين الحانقيين .

والقومية العربية تعرف ان اللغة احد الاسلحة الفعالة في درء الاخطار المخيفة بها ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرصا لا يمكن ان يتسرب اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالدعوات التي تبدو بين الحين والآخر مرور الاحتقار والامتهان ، لانها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاخلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدع احدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها في جميع الادوار وانبعثت منها الطوائف الخالدة ستظل تماشي هذه الامة في مراحلها الى الامام لانها جزء حي منها .

ان اللغة العربية فيها « حياة » يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، آصرة من أواصر القومية كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدها الآن في العالم العربي .

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، قوة من قوى العروبة ، بقاؤها على جيويتها ، نذير له بأن الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينميها الزمن ، ويغذيها الجهد المخلص اربعمئة سنة أو تزيد ، بقيت اللغة العربية تجابه الطغيان العثماني ، مجابهة ، خرجت منها فائزة منتصرة ، وارتد الطغيان مدحورا مكسورا .

وعادت قوى الشر التي حشدتها الاستعمار الحديث ، فشنت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن

تَحْقِيقَاتٌ لُغَوِيَّة

الأستاذ

عبد القادر زمام

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : الشكازة والشكاز . والحوالة . والوادي بمعنى النهر والنسبة الى مقرة ... !

وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصاراة والمصرة .. !

الاولى : الدلالة الحقيقية لهذه الكلمة .

الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها

ولنبدا في النقطة الاولى ... بالاشارة الى بعض الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصاراة لنرى مدلولها هناك ... !

— مؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة) يستعمل كلمة المصاراة باعتبارها اسم مكان معين يقع خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث ومعارك بين عبد الرحمان الداخل الاموي ... وبين محاربيه قبل ان يتم له الامر ... !

بل اننا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصاراة في اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد الرحمان الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقا عند المصاراة ... ويساع بها اساراه من خصومه المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي (377 هـ — 469 هـ) يذكر المصاراة عدة مرات

المصاراة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما انها معروفة ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية مخطوطة ومطبوعة سنشير اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية والمغربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في كتاباتهم ... الفضاء الفسيح الذي يقع خارج المدن الكبرى وتحيط به الجنات والحقول مما يجعله معدا لاتامة المهرجانات والافراح العامة .. والتمتع بجمال الطبيعة في فصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال الاستعمال . لا يكفي في ميدان التحقيق اللغوي الذي يحدد المعاني بدقة . لئيتنادا على نصوص معجمية . او استعمالات اصطلاحية معينة .. !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى نقطتين :

(1) اخبار مجموعة ... ص 45

فإذا أطلق الاندلسيون كلمة (المصاراة) على الفضاء الفسيح المحيط بمدينة من مدنها الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنات والياديين الواسعة ... فإن ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة في فصيح اللغة ...!

أما إذا كان هذا الفضاء مستعملا كلا أو بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ...! فإن الإطلاق يكون إذ ذاك حقيقة لغوية ... لا مجازا ...!

وبهذا ظهر أن كلمة (المصاراة) لها أصل لغوي صحيح . وأن الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الأصل ...! فلا مجال فيها للتوقف ...! لا من جهة الأصل ...! ولا من جهة الدلالة ...!

وفي المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . إلا أننا سنشير إلى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء ...!

— مؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويحصد الزرع بنحس المصاراة — كذا — التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين عن أربعين يوما ...! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصاراة المذكورة في خامس عشر من شهر أبريل . وحصد في آخر مايه ...!! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى برووض المصاراة مذكورا في عدة مصادر كتبت بأقلام أعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم ..!

— فابن الخطيب في (نفاضة الجراب) يذكر جنة المصاراة ويعبر عنها مرة أخرى برووض المصاراة. ويصف المهرجانات والاحداث التي شاهدها هناك ...! (6)

— وابن خلدون في (العبر) يذكر روض المصاراة الذي أنزل به أبو الحسن المريني ضيفه ابن الأحمر وكان هذا الروض لصق دار أبي الحسن ...! كما يقول ابن خلدون ...! (7)

وذلك في القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) في بيروت 1965 م ... وذكر أبو حيان في القسم المذكور استقبالات كبرى جرت في مصارة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الوافدين على عاصمتها إذ ذاك ...!! (2)

كما ذكر أشياء أخرى وقعت في هذه المصاراة ...!

وفي هذا الكتاب وفي غيره نجد مصالحي المصاراة (3) لكن المصاراة ليست موجودة في قرطبة

وفي هذا الكتاب ليست موجودة في قرطبة وحدها بل أن هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات أخرى لا غرض لنا باستقصائها الآن ...!

ويكتفينا الآن أن نرجع إلى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي ألفه الجغرافي الاندلسي أحمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي لنجد فيه خبرا عن : « وقية المصاراة بلورقة » (4) بإقليم مرسية ، وذلك تأكد لنا أن

(المصاراة) ليست علما على موضع خاص في قرطبة ...! بل هي « اصطلاح » اندلسي عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنواتهم الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصارة ...!

ولابد أن نتساءل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بسببها هذا الاصطلاح هناك ...! وعند الرجوع إلى (تاج العروس) نجد هذا النص اللغوي :

« مضر الفرس كعني استخرج جريسه ..! والمصاراة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل ...! »

فاللادة لغوية معجبية ما في ذلك من شك ...! والمعنى اللغوي لكلمة المصاراة كما شاهدناها في النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لأجل العدو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية .

ومن شأن الميدان المعد لذلك أن يكون خارج المدينة في فضاء فسيح ...!

(2) الأرقام المذكورة في فهرسة القسم المذكور ...!

(3) ابن عذاري ج 2 ص 199

(4) نصوص الاندلس ص 5 معهد الدراسات الاسلامية بمطريد 1965 م

(5) الجزء الاول ص 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر أيضا ص 54 من نفس الجزء ...!

(6) نفاضة الجراب ص 184 و 213 و 217

(7) العبر ج 7 ص 531 . ط . بيروت 1959 م

وغني عن التأكيد اننا هنا بصدد البحث عن
(كلمة) المصاراة .. ! لا عن (موضع) المصاراة ...

واشتهرت هذه الكلمة في عصر بني مرين وفي
الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن أجل ذلك تداولتها
اللسنة والاقلام طوال قرون بعدهم . واستمر ذلك الى
الآن ... ! في الوثائق الخطية المتعلقة بالاملاك التي
كانت تجاور المصاراة لمعنيين أو للاحياس ..!

ولا شك ان رسم الكلمة رسما صحيحا يتوقف
على استحضار أصلها اللغوي ومعرفته ... ! فاذا نسي
هذا الأصل أو أهمل ..! فان الكلمة تأخذ طريقا أو
طرقا الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث في
كلمة المصاراة ...

وقد وصلنا الآن الى النقطة الثانية ... وهي
الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اننا لاحظنا في الوثائق التي مرت
إمام أعيننا « وجلها من الصكوك المخطوطة » ان هناك
من يكتبها ... المصاراة ..! (بالصاد) ومن يكتبها
المساراة ..! (بالسين)

ولا يبعد أن يكون غيرنا قد اطلع على رسمها
رسما ثالثا أو أكثر .. !

— وفي مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس
ابن القاضي نجد ناسخ الكتاب كتب المصاراة هكذا
« جنات المساراة » بالسين .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاقناعنا ان رسم
الكلمة الصحيح لغة واصطلاحا هو (المصاراة)
بالصاد ... لا بالسين .. !

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمسنه فيها
يرجع للمصاراة المغربية في عاصمة بني مرين قد لحق
المصاراة الاندلسية في عاصمة الامويين .. ! بناء على
ما جاء في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية
بمديرية ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسرة —
ففيها يرجع الى الدلالة اللغوية نجد المسرة
مصدرا ميميا للفعل سَر ..! كما نجدها اسما لأطراف
الرياحين ... (9)

(8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م — 1966 م

(9) اعتمدنا على تاج العروس في المادة ..!

(10) انظر من الصفحات 67 و 86 و 94 .

اما في المسموع بين الناس في المغرب . وكذلك
في بعض الكتب التاريخية فان المسرة تعني جنة فيحاء
من جنات مراکش الحمراء وقد اسست هذه الجنة
وغرست وجرت اليها المياه على عهد الموحدين ..!!

وعلى المنهاج الذي سرنا عليه فاننا نبحت
عن (كلمة) المسرة ... ! لا عن (موقعها) أو (صفاتها)
التي ذكرها المؤرخون ..! أو بعبارة أوجز وادق .. فاننا
نبحت عن الاسم لا عن المسمى ... !

فهل سمى الموحدون منشأتهم التي غرسوها
بأنواع الاشجار والرياحين في مراکش بهذا الاسم
— المسرة — فعلا ... ؟؟

ومع اعترافنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية
الرياض وما في معناها باسم المسرة . لكونها ظرفا
للسرور الانتشراح ... أو سببا من اسبابها . أو لغير
ذلك من العلاقات ..! فان البحث هنا منصرف الى شيء
آخر ... وهو كما قلنا آنفا .. :

— هل سمى الموحدون منشأتهم التي غرسوها
بأنواع الاشجار والرياحين في مراکش بهذا الاسم
— المسرة — فعلا .. ؟؟

ونؤكد اننا لا نشك ان الموحدين جملوا عاصمة
الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنات
والقصور والمساجد والمبرات ... !

ولكن هناك فرقا بين « انشاوا » وبين « سموا »
ونحن نبحت عن الثانية دون الاولى ... دفعا لكل
التباس ..!

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراکش وهم
كثيرون يذكرون « المسرة » باعتبارها من منشآت
الموحدين ونكتفي هنا بالإشارة الى المقدمة الحافلة
لكتاب « الاعلام بمن حل مراکش وأغمات من الاعلام »
لمؤلفه القاضي عباس ابن ابراهيم رحمه الله ... !

فاننا نجد فيها نقلا عن المؤرخين .. ان عبد المومن
« انشأ » المسرة ... ! التي بظواهر جنات الصالحة ...
كما نجد ان عبد المومن « انشأ » المسرة وهي البستان
الذي « جده » المنصور الذهبي ... ! (10)

وبحثنا — جهد الامكان — منذ مدة في المصادر
والكتب التي لايس مؤلفوها دولة الموحدين وعرفوا

عاصمتهم مراكش . ومنهم من سكنها فعلا في العصر الموحدي ... ! فلم نجد فيها تسمية ما انشأه الموحدون هناك باسم « المسرة » ولا باسم « المصار » .. !! بل وجدنا أسماء أخرى لا غرض لنا بذكرها الآن ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

- الاستبصار في عجائب الامصار
- المعجب في تلخيص اخبار المغرب
- القسم المنشور من نظم الجمان لابن القطان .
- تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة
- مجموع رسائل موحدية
- كتاب المؤرخ البيدق

بل اننا نجد المؤرخ البيدق يذكر في كتابه : اخبار المهدي . ان عبد المومن كلف اميرا من امراء الاندلس وهو احمد بن ملحان ؟ ملك وادي آش .. ! بتنسيق بستانه العظيم الذي انشأه بمراكش وهذا البستان يسميه البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاءت كلمة « المسرة » التي نراها عند بعض المؤرخين من تعريب كلمة « شنطولية » التي حافظ لنا عليها المؤرخ البيدق .. ؟؟

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة في الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجدان لا يقتضى عدم الوجود ... !

فاذا لم يتيسر لنا الآن الاطلاع على نص موحدي فيه كلمة « المسرة » فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين — مستشرقين أو عرب — قد اطلعوا عليه فعلا .. أو سيطلعون عليه في مخطوط أو مطبوع ... !!

اذ ان من السهل ان يثبت الباحث شيئا وقف على نص يثبته ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئا لم يجد له نصا ... !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم .. !

ويطبق آداب البحث ... !

واذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين قد استعملوا كلمة « المسرة » فيما يرجع لمنشآت الموحدين بمراكش ... ! فانهم استعملوا كلمة « المصار » فيما يرجع لمنشآت المرينيين بفاس .. !

ولكن لا ينبغي ان نستنتج من ذلك نتائج جزائية أو نفرض فروضا خيالية لا سند لها من النصوص ... لهذا كان من اللازم ان نتابع البحث الذي بدأناه .. ونسير به في كتب المتأخرين كما فعلنا في كتب المتقدمين

— فالمؤرخ اكنسوس في (الجيش العرمم) وهو خبير بتاريخ مراكش وفاس .. يذكر في كتابه ... مسرة الموحدين بمراكش (12) كما يذكر مسرة فاس .. ! ويقول عن هذه الأخيرة بالحرف : « وإما المسرة فليست الا على ضفة نهرها المطرد ... ! (13)

فمن مسرة مراكش فان كلام اكنسوس يدخل في عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الموحدين ... ! حيث اننا نحفظنا ونحتفظ الى ان نجد نصا موحديا يسمي منشآت الموحدين «مراكش باسم (المسرة) فعلا ... !

وعن مسرة فاس ... ؟

فان الامر يستدعي ان يقوم دليل يدل على ان هناك بفاس شيئين اثنين :

(المصار) التي تحدثت المصادر عنها كما شاهدنا ذلك في النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها اكنسوس ... ! والحالة هذه . ونحن لحد الآن ... لا نعرف الا الاولى .. !

— والمؤرخ الواعية أبو العباس المقرئ حدثنا في كتابه : روضة الاس ... ونفع الطيب عن روض المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي .. (14)

للبديع .. ! والمشتى .. ! والمسرة .. ! والظاهر انها كلها بمراكش .. !

ويقول المقرئ ان المنصور الذهبي وري بمصانعه الثلاثة في بيتين انشدهما ..

(11) اخبار المهدي ابن تومرت ص 120 . ط باريس 1928 م .

(12) الجزء الثاني ص 10 و 22

(13) المصدر السابق ص 55

(14) النفع ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة الاس ص 25 ط . الزباط

بستان حسنك (أبدعت) زهراته
ولكم نهيت القلب عنه فما انتهى

وقوام غصنك (بالمسرة) ينثنى
يا حسنه رمانة (للمشتهى)

فالمنصور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينما
سمى أحد مصانعه العظمى بهراکش .. باسم (المسرة)
كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعته
ليسمي المصنعين الآخرين باسم (البديع) و
(المشتى)

ولهذا تكون (مسرة) الذهبي بهراکش امرا
واقعا ليس له من دافع .. !

اما (مسرة الموحدين) بهذا الاسم فتحتاج في
راينا المتواضع الى نص موحد يثبت ان الموحدين
استعملوا هذا الاسم .. !!

(15) ازهار الرياض ج 2 ص 316

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي
تحفظنا به في شأن كلمة (المسرة) هو ان ابا العباس
المقري كان متمكنا من معرفة الاسماء والمسميات في
الموضوع ...

فقد وجدناه يفرق بين (روض المسرة) الذي هو
من مصانع المنصور الذهبي بهراکش .. ! فيكتب
(المسرة) هكذا بالسين وبدون ألف ... كما في النص
الذي اشرنا اليه قبل في نفح الطيب وروضة الآس ...

وبين (قصر المصاراة) بفاس الذي هو من
منشآت المرينيين فيكتب (المصاراة) بالصاد بعدها
ألف ... كما هو الصواب .

وتقد حدثنا المقري عن قصر المصاراة المريني
وروى لنا شعر ابن خميس الذي سمعه أبو عنان في
هذا القصر ... ! (15)

دخيل أم أثيل

للهناو عهد الحواف خيل

- 4 -

الدرب :

مشيته لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدرج في العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبىء ان اسم (الدراج) ليس منها . واثل اللفظة (الدر) — زنة الجر — ومنه الدريز : السريع من الدواب .

(darbo

الطريق ، أر : (دربو

اصل معنى الدرب هو الباب الاكبر ، وبسبب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابل (gate) بالانكليزية.

الدراعة (زنة الرمانة) :

جبة مشقوقة المقدم ، أر : (دورمو dour'o) : ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

اما اثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و (دور (dour بالاشورية كالذي تطرقنا اليه في العدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربيين في الفارسية (در (dar) ودر (darb) بمعنى الباب وبشكلها الاشوري في الانكليزية (دور door) بمعنى الباب أيضا .

ان (الدرع) اثلها (الدرع) اي الدفع وهذه اثلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لانها تدرا اي ترد عن المحارب ضربات قريعه ، ولها كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابس استعاره ، ومن ذلك درع المرأة : قميصها ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه في البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو النخلة (درعة) زنة جرعة . فلا عجب ان اطلقوا (الدراعة) على الجبة المشقوقة المقدم . وبنفس المعنى قالوا (المدرعة) — زنة المقرعة — أيضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الاخيرة من الارمية لانهم لم يجدوا لها فيها شبيها.

وهذا ينبىء بكل وضوح ان (الدار) كانت تعني الجدار الذي (يدور) اي يحيط بالبيت اول الامر (كما ذكرنا في العدد السابق) ثم اطلقت على البيت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة اي الطريق . وعندئذ ظهرت في الارمية بصيغة (دربو) بهذا المعنى الاخير .

الدراج (زنة الدكان) :

وبلاحظ ان الصيغة الارمية يقابل منها درع المرأة ، لا الدراعة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما ان معناها لا يطابق الثوب التحتاني الصوف عند الرومان .

طائر يشبه الحجل ، أر : (دروكو drogo) .

انما سمي الحجل بهذا من مشيته لانه يبدو حين يسير كأنه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج من

أدركت الشسيء :

علمته ، فهمته ، أر : (درك drak) دخل مكانا .

الراحة :

هي الاستراحة . أر : (روتو rawhto) من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والروحة.. في عدد سابق ، وبرهنا على ائالتها في العربية .

الرب (زنة الضب) :

المولى ، أر : (ربو rabo) : كبير ، استاذ رئيس .

وردت الكلمة في البابلية أيضا ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو أو الأب + رابي : الكبير) وائلها هو فعل ربا يربو الذي أصل معناه الارتفاع بدليل ان الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل أثله (ربا) بالهمزة بمعنى ارتفع ، ولكل من هذه الأفعال الثلاثة (رب وربا وربا) اشتقاقات كثيرة لا تدع مجالا للشك في ائالة عروبتها . وان أردنا ترسيبها زيادة في الاقتناع فان (ربا) أثله رفع وهذا من فرع وهذا من غرق وهذا من غر (أي محاكاة صوت أجنحة الطائر عند غزاره) .

الرب (زنة الدب)

ما يخثر من عصير الثمار ، أر : (روبو roubou) . ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فان ائله يختلف عن ائله . فالرب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي بالياء مثل : الجب والصب والعب والسرب والشرب .. وائلها جميعا (آب) : ماء . اما (الرب) فائله المباشرة الرب ، وقد قالوا راب اللبن : خثر فهو رائب ، وأصل معنى (راب اللبن) هو موه الحليب أي انفصل (ماؤه) فتكثف قوامه وخثرت مادته : ومن روب اللبن نشأ الرب بمعنى الخثر عاية ومنه تخثر عصير الثمار ، ثم ظهر في الآرامية .

السوية (زنة الخفة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، أر : (ربوتو réboutu) .

هذه الكلمة أيضا ائله ربا يربو ، وهذا أثله ربا يربا (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذي تقدم بنا . ومن

نشترط في ترسيبنا اللغوي التشابه في اللفظ والمعنى جميعا ، والا فان مجرد الشبه اللفظي لا يؤدي الى نتيجة يعول عليها . فكلمة zink (خارصين) بالانكليزية مثلا لا نستطيع أن نقول انها بنت (زنق) العربية ولا أمها ، لأن تباين المعنى لا يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزنق) تحت حنك الفرس أي ذقنه كان في وسعنا أن نقول أن (زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وأم (زنخ zenakh) الفارسية التي تعني الذقن أيضا .

فاذا كانت (أدرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك) الأرمية التي تعني (دخل مكانا) فلا نرى وجهها لاعتبار أيتها مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا التباين في المعنى .

لكننا نستطيع أن نرشدهم الى أثله هذه الكلمة الأرمية في العربية وهو (أدرج) الشيء في الشيء : أدخله ، ومن ذلك (الدرج) - زنة البرج - بمعنى السقط والقمطر لانهم يدرجون فيهما الأشياء أي يدخلونها . ومن ذلك قولك أدرجت العبارة بين السطور بمعنى ادخلتها ، وصارت تعني دونتها أيضا .

وما اظننا بحاجة الى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على انها أثله (درك drak) الأرمية .

داس الحنطة :

درسها ، أر : (دوش doch) .

أثله الدوس في العربية هو (الدش) - زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رطبه . والدش أثله ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك أيضا . فالدش هو أثله (دوش) الأرمية والدوس العربية كليهما . اما في الانكليزية فهي dash : حطم .

الربوة (زنة النسوة) :

الجماعة العظيمة من الناس ، نحو عشرة آلاف .
ار : (من أصل الربة) .

هذه أيضا من الكثرة والنماء ، ولم يكن بهم حاجة الى ذكر كل هذه الالفاظ المشتقة من لفظة واحدة . لكنهم وجدوا لكل منها ما يقابلها في الأرامية فظنوها الاثول الأرامية بينما يعني الامر بمفهوما أن هذه الالفاظ الأرامية القليلة هي المقتبسة من بين العشرات من الصيغ العربية .

الراجل :

الجندي من المشاة . ار : (ركلويو regloyo) .

الراجل مشتق من الرجل (بكسر الراء) لأنه يسير برجله خلاف الراكب . والرجل — بفتح فضم — أيضا مشتق من الرجل لأنه يسير على رجليه في العادة خلاف النساء والاطفال . وما زال الرجل يسمى (الراجل) بالدارجة المصرية . والسوريون يسمون الرجلين (اجرين) ، وكنا قبل اهتدائنا الى الترسييس نظن هذه الصيغة محرفة من الرجلين لكن يبدو لنا الآن انها أثيلة وان (الرجلين) هي المحرفة منها . ومفرد (اجرين) السورية هو (اجر) .

وقد قال العرب (جرى) : ركض . وفعل الامر هو (اجر) . ويظهر أن هذه الصيغة هي التي صارت تعني الرجل (بالكسر) ثم اندثرت في الفصحى وبقيت في السورية الدارجة . لهذا فان (ركلويو) الأرامية تبدو مقتبسة من (الراجل) وهذه من (الرجل) وهذه من (الاجر) — بكسر الهمزة — وهذه من فعل الامر : اجري اجري اجري .. وصلني يا عم وصلني ...

الرحيق :

البعيد (معنى مبات) ، الخمر . يقول المؤلف « كان الخمر يأتي الى شبه جزيرة العرب من بعد بعيدة » . ار : (رحيقو rahiqo) : بعيد .

لا علم لي بعلاقة البعد بالخمرة العربية ، لكني أرجح أن المعنى من القرح والقراح . ولا شأن لنا هنا بالقرح والقريح بمعنى الجرح والجريح اللذين ائلهما الحرق .

معنى الارتفاع قالوا ربا التبت بمعنى ارتفع وطال اي نما ، ومن ثم صارت الكلمة تعني النماء والزيادة والتضخم ، ومن ذلك (الربا) عن المال أي الزيادة المستوفاة عن القرض . ومن ثم صارت الكثرة والزيادة من معاني (رب يرب) بالتشديد أيضا — ومنها الجماعة الكثيرة من الناس .

الربيل (زنة الخشن)

نعت للرجل يعني الجسيم . ار : (ربل rbal) : انتفخ .

فعل الربل أيضا كثير الاشتقاقات واكثرها تعني النماء والتضخم . من ذلك تربل الرجل : كثر لحمه ، وتربل جسمه : انتفخ . واثله فعل ربا يربو . ومنه ربا الفرس : انتفخ . ومنه ربي (بالتشديد) تربية بمعنى انشأ وانمى . ومنه تربية الولد .

الربالة (زنة الزمالة) :

كثرة اللحم ، يقول انها من اصل الربل الأرامي آنفا .

ونقول في هذه نفس ما قلناه في تلك .

الربلسة (بفتح الباء أو تسكينها) :

اصل الفخذ . كل لحم غليظة ، يقول انها من اصل الربل الأرامي .

ونحن نقول فيها ما قلناه في الربل .

ريسا الولد :

نما . ار : (ريو rbo) من (ريو rabo) : كبير . نوهنا بمعناها في (الربل) آنفا .

ريبي الولد :

انما . ار : (ربي rabi) .

هذا الفعل المضعف هو الفعل المتعدي من فعل (ربا يربو) الآنف الذكر .

بمعنى خططت عامة ، ثم صارت الكلمة تعني كتبت أيضا .

ثم اشتقوا الرسوم والراسوم بمعنى الختم على الطين وعلى رأس الخابية وعلى غير ذلك ، لأن الختم يكون فيه رسم أو كتابة .

ونطقها قوم بالشين بنفس المعنى أولا ، ثم تطورت الكلمة الشينية مستقلة كما هي الحال في أمثال هذه الالفاظ ، فقالوا رشمت (بالتخفيف أو التشديد) : كتبت ، وقالوا الارشم : الذي به وشم وخطوط ، وقالوا ارشمت الاناء وارتشمت : ختمته بالروشم ، وهو الختم . ومثله الراشوم . وكلاهما (الروشم والراشوم) يطلق كذلك على لوح منقوش لختم البيادر وغيرها ، أي مثل الرسوم والراسوم ، ومثل ذلك قالوا رصنت الدابة : وسمتها بالمرصن أي المرسم كما هو واضح ، فتتبع تطورات الكلمة ، معاني ومباني ، ابتداء من رسم البعير أي تركه أثرا على الأرض حين يسير ، يربنا بجلاء إلى أبة من اللغتين تنتهي كلمة الروشم .

الراشوم :

لوح منقوش تختم به البيادر . أر : (روشمو rouchmo) : علامة .

مر الكلام عليها ضمن (الروشم) . ومعناها الأرمي (العلامة) مستحدث بالقياس إلى معناها العربي . هي الروشم والروشم والراسوم كلمات حضاريات أخريات .

رشاه :

برطله . أر : (رشمي rachmi) : اهدي هدية .

أثل الرشوة هو الرشم ، فمن تطورات الكلمة أنهم قالوا كالذي مر بنا (الأرشم) : الذي به وشم وخطوط . ثم أنهم قالوا (الرشم) : السواد في وجه الضبع ، لأن جسم الضبع مخطط . أي أن الرشم صار يعني السواد بعد أن كان يعني التخطيط . ومن هنا انتقل المعنى إلى النبات فصار الرشم يعني أول ما يظهر من النبات ، وذلك لسواده بالقياس إلى ما حوله من تراب الأرض . وعندئذ صارت (أرشية) النبات تعني خيوطه إذا امتدت ، وواحداه (الرشاه) صار

أما قرحنا (بضم القاف) فهو أول ماء يستنبط من البئر حين تحفر . ومن البديهي أن هذا المعنى الخاص كان عاما أول الأمر . لكن القراح (بفتح القاف) هو الماء الخالص ، وهنا لابد لنا أن نلاحظ أن الرحيق يسمى (رحاقا) - زنة الفرات - أيضا بالعربية ، والرحيق والرحاق من أثل (أهرق أهرقا) و (هرق هرقا) بمعنى أراق أي سكب وسفح . و (هراق) من (أراق) وهذا من (الريق) - زنة العين - أي الماء ، وتسمية الخمر من الماء ليست غريبة ، فالفارسية أيضا تدعو الخمرة (مي may) من (ماء) العربية كما تنطق في الدارجات : ماي بالعراقية ، وميسة بالمصرية .

وأكثر اشتقاقات الرحيق في العربية تعني الصافي والخالص . فالحسب الرحيق : الخالص لا شوب فيه ، والمسك الرحيق : الخالص لا غش فيه .

لهذا يخيّل لنا أن معنى (البعيد) الممات الذي كان يعنيه الرحيق له أثل آخر غير هذا الأثل السذي أكسبه معنى الخمر .

الرحمون :

« نعت مختص بالله تعالى » . أر : (رحمونو rahmono) : رحيم .

أن صيغة الفعلان كثيرة في العربية ، منها الغضبان والظمآن والوسنان واليقظان . لكن كون (الرحمن) من الالفاظ الدينية يجعل من المرجح أن تخصيصها بهذا المعنى من فعل الأرمية .

المزباب والمزراب :

قناة يجري فيها الماء . أر : (مزريبو mazribo) . سبق الكلام عليهما في المزاب .

رشم :

كتب . أر : رشم (rcham) .

أصل معنى الرشم في العربية : الخط والتخطيط . وهذا المعنى جاء من (الرسم) فقد قالت العرب رسم البعير : أثر سيره في الأرض ، ثم صار (الترسيم) يعني التخطيط حيث قالوا : رسمت الثوب (بتشديد السين) : خططته . وقالوا (رسمت) بالتخفيف

رغـد :

نعت العيش . أر : (رعدو ra'do) : لين .
هذه الكلمة تأثيلها يطول ، لكن لا مفر من إيرادها ،
ولا مناص من الاختصار .

قالت العرب ترشرشى الماء : سال . ومن ثم
رشرش الشيء : استرخى ، ولا سيما الخبز إذا كثر
ماؤه وارتخى فقد سموه رشراشا ، ثم هم نطقوا
الشين خاء فقالوا : رخخت الشراب : مزجته بالماء ،
وأرخ (بتشديد الخاء) العجين : كثر ماؤه ، والرخخ
(زنة القصب) : السهولة واللين ، والعيش الرخاخ
(زنة الرجاء) : الهنيء . ورخاخ العيش : رغبه
وسعته ، ثم كسعت الكلمة بالغاء فقالوا رخف العجين :
استرخى ، والرخف : العجين المسترخى ..

ثم هم أبدلوا النين من الخاء فقالوا رغفت
العجين : جمعته وكتلته .. ثم أبدلوا الدال من الفاء
فصار (رغد) العيش يعني طيبه واتساعه ، والأصل
لينه ، وكثيرا ما عبروا بلين العيش عن رغبه ومن
ذلك كان اللبان (زنة الزمان) يعني « رخاء العيش
ونعيمه . ويقال هو في لين من العيش ، أي نعيم ورخاء
وخفض » .

رغت العين :

اختلجت . أر : (رف raf) : تحرك

أثّل الكلمة رفرف الطائر أي حرك جناحيه . وهذه
من فرفر ، والفرفور : العصفور . واختلاج العين
يشبه الرفرفة أي تحريك الجناحين ، ومن هنا جاء
معنى الحركة في الأرمية .

الرف :

خشبة أو نحوها تثبت في حائط لتوضع عليها
كتب أو غيرها . جماعة من الطيور . أر : (رفو rafo)

ان اطلاق الكلمة على الجماعة من الطيور
يرشدنا الى أنها من الرفرفة . وعلى المجاز أطلقت على
رف الجدار لشبهه بالجناح النائم من الجدار . ولا
ندري لماذا ظنوا أن العربية هي المقتبسة إلا على
اعتبار أن الرف من لوازم الحضارة ، وقد سبق
تفنيذ هذه النظرية ، في مقدمة هذا البحث وفي أثنائه .

يعني الحبل عموما ، وحبل الدلو خصوصا ، وكما أن
(السبب) الذي معناه الحبل صار يعني مجازا :
« الذريعة وما يتوصل به الى غيره » على حد تعبير
المعجم صار « الرشاء » وهو الحبل أيضا كما قلنا
يعني الذريعة التي يتوصل بها لدى الحكام الى قضاء
الحاجات ، أي الرشوة وكثيرا ما ورد في مائثورات
العرب قولهم لمن يقصد أميرا يسترفده : هل لديك
سبب اليه يا أخا العرب ؟ فيجيب : نعم ، أبيات قتلتها
وهذا كثير الشبه بالرشوة .

أما تطور الكلمة في الأرمية وخروجها من معنى
الحبل والوسيلة حيث صارت (رشاه) . تعني اهده
هدية ، فيدل على أنها مستحدثة فيها .

الرصفة (زنة السمكة) :

« البلاط أي الحجارة التي تبلط بها الشوارع
وغيرها (معنى ممت) ، حجارة مرصوفة في مسيل
الماء » . : (رصوفو rsofo) : بلاط .

أثّل الرصف هو الرص ، وهذا أثّل الرس أي
ابتداء الشيء .

وقد قالوا رص الشيء : الصق بعضه ببعض
وضبه ، ومن ثم قالوا رصف الحجارة : ضم بعضها
الى بعض . ومن ذلك (الرصف) - زنة الاسف :
الحجارة المرصوف بعضها الى بعض في مسيل الماء .
والواحدة هي الرصفة - زنة السمكة - وهي
موضوع حديثنا . وأما استعمالها في الأرمية بمعنى
البلاط فواضح أنه مستحدث مثل استعمال الرصيف في
العربية بمعنى الشارع المبلط ، ثم بمعنى طـوـار
الشارع المرصوف ، ثم بمعنى الطوار ولو لم يكن
مرصوفا .

الرصيف :

طريق مبلطة . أر : (رصيفتو rsifto) :

بلاط مرصوف .

هذه الصيغة الأرمية مؤنثة الرصيف أي تقابل
(رصيفة) بالعربية . ولا نرى بعد الذي تقدم ما يدل
على أنها غير مقتبسة من العربية .

الرق (بفتح الراء وكسرها) :

جلد رقيق يكتب عليه . أر : (ر ق و raquo) .

من كونه رقيقاً نشأ اسمه . ومثله الورق ، وما دام العرب قد استطاعوا صياغة الورق من فعل (ر ق رقة) فلا يعجزهم صياغة الرق بمعنى الجلد الرقيق . وقد تعلم العرب الكتابة — قبل ظهور الآريين في المنطقة — في الرافدانين (المراق القديم) والكنعانية (ديار الشام) ومصر ، وربما في اليمن أيضاً .

وبعد فالرق — بالكسر — يعني ورق الشجر أيضاً ، مما يدل على أنها أصل التسمية ، ثم اطلقوه على الجلد الرقيق يكتب فيه تشبيهاً ، مثلما اطلقوا الورق على ورق الشجر أولاً ثم عمموا على كاغذ الكتابة .

السرق (زنة السرق) :

ذكر السلاحف . أر : (ر ق و raquo) : سلحفاة .

الرق أيضاً : الماء الرقيق في البحر أو الوادي . ولما كانت السلاحف تعيش في مثل هذا الماء سميت الرق من باب تسمية الشيء ببيئته ، ثم تخصص الاسم بذكورها . أما في المراقية الدارجة فما زالوا يسمون السلحفاة رقة . والرقعة في الفصحى : الأرض التي يغطيها الماء ثم ينضب عنها ، وهي بيئة السلاحف أيضاً .

السرق (زنة البن) :

« الماء الرقيق أي القليل العمق في بحر أو نحوه » . أر : (ر ق و rquo) .

يلاحظ أن هذه الصيغة الآرامية تقابل لفظياً (رقيق) في العربية ، لا الرق ، ومهما يكن فإن أسيرة الكلمة كبيرة في العربية ، فقد قالوا ترقرق الماء : جرى جرياً سهلاً . والرقارق (زنة المراهق) : الماء الرقيق في البحر والوادي . والروق من السحاب : سيله ، والروق من الماء ونحوه : الصافي . وراق الماء على وجه الأرض : تردد وانصب ، وأراق الماء : صبه . والريق (زنة العين) : الماء ، والريق (زنة العيد) : ماء الفم أي اللعاب ، وأخيراً الرق وهو ماء الطبخ ... إلى غير ذلك ، مما يكفي العرب بعضه ليشتقوا منه (الرق) بمعنى الماء الرقيق .

لابد أن الذين قالوا أن الرق وغيره من الألفاظ مقتبسة من الآرامية قد نقبوا ونبشوا كثيراً في معاجم اللغتين حتى وجدوا الصيغ الملائمة لدعواهم . لهذا نسأل : ألم يلحظوا كثرة الصيغ العربية الأخرى لنفس الألفاظ ؟

الرقاق (زنة الرقاق) :

أرض لينة مستوية التراب أو نضب ماؤها . أر : (ر ق و rquo) .

هذه أيضاً من المعاني المائة المتشعبة من : رق وراق ورترق . يقال فيها ما قيل في سالفاتها .

مسراق البطن :

ما رق ولان منه . أر : مر ق و (marquo) .

هذا الوزن ليس بدعاً في العربية ، فمثله المساد جمع مسد والمصاف جمع مصف . وتعريف المراق بأنها ما رق من البطن ولان يوضح صلة معناها بمبناها في العربية .

الركوبة (زنة الغضوبة) :

كل حيوان يركب . أر : (ر ك و rkobo) .

تسمى في العربية كذلك الركوب والركوبة والركوب . ومشتقات الركوب في العربية كثيرة لاتدع مجالاً للشك في أئالتها . ولا نرى وجهاً للقول أن صيغة (الركوبة) وحدها مقتبسة من الآرامية .

الرمج :

أر : رومحو (roûmho) .

تأثيل الكلمة طویل ، ويعيد عن معنى الرمح ، أيجازه : قالوا غمض عينه وغمضها (بالتخفيف والتشديد) : أطبق جفניה . ومن هذا نشأ قولهم غمض (بالكسر) : كان بعينه غمض (زنة قمر) وهو رشح أبيض دبق يسيل من العين ، ثم سهوه الرمح . وقالوا كذلك رمض إليه : نظر إليه نظراً خفيفاً ، أي تشبيهاً بنظرة من رمضت عينه . ومن هذا نشأ قولهم : رمقته : لحظته لحظاً خفيفاً ، أو أطلت النظر إليه ، ومن فعل (رمق) نشأ : رنا ورمى ، ومن كثرة

التطوير ولو أننا لا نجد ما يدل على ذلك ، لكن المادة اللغوية عربية على كل حال .

الروح :

النفس . أر : (روجو rouho) :

تنفس . نفس سبق الكلام عليها في الفصل الأول من هذا البحث .

مروحة :

أر : (مروحتو marwahto) من (روح rawah) : انعش .

سبق الكلام عليها كذلك ، وأصل المعنى من الريح واستعمالها في الأرمية بمعنى الانعاش مستحدث يقابل في العربية (الترويح) عن النفس . أي عكس ما يظنه اللغويون الأرميون من أن معنى المروحة في الأرمية هو الناشيء من معنى الانعاش .

الروسم والروشم :

سبق الكلام عنها في (الراشوم)

الريح :

هواء متحرك ، أر : (ريحو riho) .

الريح هي ائل اشتقاقات الروح والراحنة والاستراحة والمروحة والريحان والرائحة والترويح .. فما ائلها يا ترى ؟ انها من الكلبات المائية التي ترجع الى الريق والريل والريق والري .. وقد قالوا راه الماء : اضطرب على وجه الارض . والري : ارتوى النبات والشجر ، والريا — زنة هيا — الريح الطيبة كأنها قصدوا الريح التي تأتي من جهة الشجر المرتوي . والرية — زنة النية — هي الرئة التي تدخلها الريح ومن هنا صارت الريح تعني الهواء ومنها الروح أي النفس — زنة النفع — التي صاغوها من النفس — بفتحتين — أي الهواء الذي يدخل الرئة أيضا .

الرين (زنة الطير) :

« ريق يخرج من فم الطفل » . أر : (ريرو riro) : ريق .

تشبيههم للحاظ والنظرات (الرنوات) بالسهم قالوا : (رميت) السهم عن القوس ! والرماة : سهم صغير ضعيف .

ان اندثار الكثير من المعاني وتطور الكثير منها يضيع آثار الصلات بين الألفاظ لكن بعضها يبقى منه أثر يمكن تقصيه كآثر المسافر الهارب ، فلمعرفة العلاقة بين الرمح والرمح نلاحظ قولهم رمصت الدجاجة : ذرقت ، وقولهم رمح الطائر : القى بذرقه ، وهم صاغوا الرماج (زنة الزمان) بمعنى كعوب الرمح وانابيه . ثم قالوا رمحته : طعنته ، ورمحته الدابة : رفسته . ومن معنى الطعن صيغ الرمح لأنه أداته . ثم ظهر الرمح بنفس صيغته في الأرمية (رومحو) .

الرمص (زنة القفص) :

وسخ أبيض في مؤق العين ، أر : (رمصو remso) . ائلها غمص ، وهذه ائلها غمض ، كالذي قلنا توا .

الرمكة (زنة السمكة) :

الفرس أو اثني . البرذون يتخذ للنسل . أر : (رمكو ramko) : فرس .

يخيل لنا ان ائل الكلمة هو رمحته الدابة بمعنى رفسته ، ثم تخصصت بالفرس والبرذونة المتخذتين للنسل .

الرمان (زنة الدكان) :

أر : (رومونو roumono) .

ائل الكلمة هو النار ، ومنها نشأ النور (زنة البوق) أي الضوء ، والنور (زنة الثور) أي الزهر ، وقد سمي زهر الرمان قديما (النار) لشبه لونه بلونها فيما نرى ، ثم اطلقت الكلمة على الثمرة أيضا والشجرة ، وما زالت الكلمة باقية بهذا المعنى في التركية (نار) وفي الفارسية (انار anar) غير أن صيغة (النار) قد اندثرت في العربية أو بالأحرى تحرقت وتطورت حتى صارت تنطق (رمان) . ولا يستبعد أن تكون الأرمية قد ساعدت في هذا

تدسمت . وفي الفصحى تدسم الشيء : علاه الوسخ والدنس

واصل المعنى ناشيء من الزفير أي اخراج النفس بعد الشهيق ، ولما كان زفير بعض الناس والحيوانات كربه الرائحة صار يعني خبث الرائحة أولا ثم الدسم ثانيا . ومن ذلك سمي الأسد (الزفر) — بضم وفتح — لبخره ، أي كراهة رائحة فمه . ومن ذلك نشأ (الزفر) فقالوا زفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت طيبة كانت أم خبيثة . فأصل المعنى هو الزفير ، ثم تكون معنى الوسخ متأخرا حيث ظهرت في الأرامية .

زل الدرهم :

نقص وزنه . أر : (زال zal) : كان مفرط الخفة في الميزان .

أثل زل هو زلق . والأرض الزلق : الملساء ليس بها شيء . والزلقة : الصخرة الملساء . ومن ذلك قالوا زل زلا : كان ازل ، أي خفيف الوزن . ومن ذلك قول المتنبي في وصف الأسد : « كتفا ازل وساعدا مفتولا » . ومن هنا صار الزلل يطلق على الخفة . وصار الدرهم الناقص الوزن أي الخفيف يسمى الزال . وزل الدرهم : نقص وزنه ، ومن ذلك (زل الميزان) : نقصانه . ومن ثم ظهر في الأرامية . (زل) : كان مفرط الخفة في الميزان .

واخوات زل في العربية ليست بالقليلة : زلق ، زلج ، زلحف ، زحل ، زحف ، وحلف ، زحلق ، زلج ، زلج ، زلزل ، زلم .. سحف ، سحج ، سحا ، سحل ، سحب ، سح ، سحج .. سل ، سلب ، سلت .. سلحب ، سحلف (ومنه السلحفاة) ، سلخ ، سلس (ومنه السلسيل) ، سلف ، سلك ...

زمن ، زمان :

أر : (زبنو zabno) من (زمن zman) : عين زمانا .

هذه الكلمة تتنازعها عند اللغويين ثلاث لغات : العربية والأرامية والفارسية التي يسمى الزمان فيها (زمانه) .

والذي نعتقد أنه عربية لأن أثلاها دمن ، فقد قالوا دمنت باب فلان : لزمته ، وأدمنت الشيء : أدمته

قلنا في حديث سابق أن (آب) نشأت منها كلمات مائبة كثيرة منها آل ولاب وبال وزال وراف وراق وراه ... كالذي نوهنا ببعضه توا أيضا . ونزيد الآن نمل (لاب يلوب) الذي بقي من معناه العطش أي تطلب الماء ، والحوم حول الماء . ومنه (اللواب) ومن هذا نشأ (اللعاب) وكلاهما يعني الريق . ومثل ذلك قالوا من (الريل) رال الصبي : سال ريالاه أو ريله ، أي لعابه ، ومن هذا الأخير نشأ (الرير) ، ثم ظهر في الأرامية

الزجاج :

أر (زكوكيتو zgoguïto) .

أثل الكلمة الجراز . والعراقيون يسمونه الكراز (gzaz) . وهو من فصيلة جز وقز وقص . وقد قال العرب : جز الصوف أو العشب : قطعه ، وهنا يساعنا علم الآثار على تأثيل الكلمة . ذلك أن القدامى اكتشفوا حجرا بركانيا شفافا إذا انكسر كان حرفه حادا ماضيا يصلح للحلقة ، وتدل الحفريات على أنهم استعملوه فعلا . وقد جرب أحد الآثاريين — سيابزر — فحلق وجهه في العراق بحجر من هذا الطراز حلقة قال أنها كانت جيدة نظيفة . فهذا الحجر سموه الجراز أو القراز كما لا يزال يسمى في بعض الدارجات ومنها العراقية التي ينطق القاف فيها كافا مخففا أحيانا فسموه (الكراز) كالذي قلنا ، وقد كانت النصحى أيضا تنطقه بالقاف وبقيت من ذلك آثاره هي (القارورة) : القارورة الصغيرة ، أما في المصرية فالتقازة (وتنطق الإزارة) هي التي تعني القارورة .

ويبدو أن هذا قد تم في جزيرة العرب أولا ، ثم تلبت الكلمة — الجراز — فصارت (الزجاج) — بفتح الزاي أو كسرهما أو ضمها . ومن ثم ظهرت في مختلف لهجات القبائل ومنها (زكوكيتو) في الأرامية .

زفر :

« أكل اللحم . أر : (زفر zfar) :

توسخ ، سبب التوسخ ما يبقى في الأصابع من آثار اللحم »

الزفر — زنة المطر — بالدارجة العراقية هو الدسم من لحم أو دهن أو نحوهما ، وتزفرت يده :

قالوا في العربية طويت الشيء اي ثنيته . ومن الطي نشأ التو (الفرد من الطيتين) والزو (الشفع اي كلا جانبي الشيء المطوي) . ومن الزو نشأ الزوج ، كما نشأ زويت الشيء : طويته . ومن هنا نشأت الزاوية .

الزيت :

أر : (زيتو zayto) .

قال العرب زاب الماء يزوب زوبا : جرى . والازيب (زنة الاشيب) : الماء الكثير . ونطقت الكلمة بالبدال فنشأت منها صيغ مما بقي منها الزادة : جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء ، وكأنهم تصدوا المزابة . ومن ثم صارت (الزادة والمزاد والمزود / تعني الوعاء الذي يوضع فيه الزاد أيضا ، وهو الطعام في الأصل ، ثم خصوه بطعام السفر .

ومن ثم قالوا زات القوم يزيتهم زيتا ، وزيتهم (بالتشديد) تزييتا : « أطعمهم زيتا أو جعل (زادهم) الزيت ؟ والظاهر أن (الزيت) اطلق أولا على السمن ونحوه من الدسم عامة ، ثم اخص بالزيت وهو دهن الزيتون .

الزيتون :

أر : (زيتونو zaytouno) .

صيغ اسم الزيتون من اسم (الزيت) الذي يعتمرونه منه . ومن ثم ظهر في الأرمية . هل نمصده مادة حضارية ؟

الزيز :

حشرة . أر : (زوزو zouzo) .

هذه كلمة صوتية ، أي أن هذه الحشرة إنما سميت بهذا محاكاة لصوتها (زيز زيز زيز ..) . ويجوز أن تجاري الأرمية الى حد ما فنقول أن الصوت (زوز زوز زوز) . لكن كثرة الكلمات الصوتية في العربية من أسماء الطيور والحشرات يجعلنا نرجح أنالة العربية ، مثل : الجدد ، الصرصر ، منران الليل ، الرتيلاء (تطلق على أنواع من العناكب والبهائم كالذباب ، والأغلب من صوت ترتيلها) ، والببلل والهدهد .

كما قالوا أزمين الشيء : دام ، وأزمين بالمكان : أقام زمانا ، ومثل ذلك مدن بالمكان ومتن به . ونعتقد أن آثل هذه الكلمات الثلاث (زمن ، دمن ، متن) هي دمن وهي من دم الأرض : سواها ، وأصل المعنى كما في الدراجة العراقية دم الشيء : طمره ودفنه ، وأثلها طم بمعناها ومنها الطمي أي الغرين الذي يغمر الأرض ، والطر من الغمر ، وغمر من غم أي غطى...

الزورق :

أر : (زورقو zawrqo) .

أن الزلق والانزلاق من الزرق وهو معنى مائي أثله الرق (زنة البن) : الماء الرقيق في البحر أو الوادي ، وترقرق الماء .. مما سلف ذكره . والماء الأزرق الصافي ، وقد صار الزرق يعني الزلق وبقي من ذلك قولهم أزرقت الناقة حملها : أخرته الى الوراء ، أي زلقته .

وقد ضاعت بعض المعاني المائية من الزرق لكن بقي قولهم زرق الطائر : رمى بسلحه ، والزراقة (زنة السيارة) : المضخة ، و « المزراق : الرمح القصير » ، لأنه ينزرق حين يري ، و « الرزيق : طائر أكبر من العصفور قليلا » . لأنه ينزرق في طيرانه ، ومن هذا المعنى سمي الزورق لأنه ينزرق أي ينزلق على سطح الماء .

زوق تزويقا :

زين تزيينا . أر : (زيقي zayeq) :

سطوع .

الزواق (زنة الزواج) : زينة الجارية . والذي يغلب على ظننا أن آثل قولهم زوقوا الجارية هو : زوجوها ، لأن التزويج يقتضي التزويق ، ولا بد أن الكلمتين كانتا مترادفتين أولا ثم اختلفت الثانية بمعنى تزوين العروس ، ثم التزيين عموما . وما زال الزواق (بضم الزاي) يعني بالدراجة العراقية زينة المرأة خصوصا ، ويقولون عنها زوقوها وتزوقت . كذلك ورد في النصحي تزوقت المرأة بمعنى تزوقت .

الزاوية :

أر : (زوويتو zowlto) .

المسبار :

آلة لسبر الجرح ، أر (سبر sbar) :
حكم .. قدر .

أثـل رسب يرسب هو رسا يرسو ، ورسب الشيء في الماء سقط الى أسفله أي قعره . ومن هذا نشأ قولهم سبرت الجرح أو البئر : امتحنت غوره لتعرف عمقه ، والبئر هي الأصل ثم استعير المعنى للجرح . ومجازا قيل سبرت الأمر : جربته واختبرته ، ومن هنا قالوا شبرت الشيء : قدرته ، وصار الشبر يعني مسافة ما بين الخنصر والإبهام يقيسون بها .

ويلاحظ أن الفعل الأرمي يعني الحكم والتقدير مثل فعل الشبر العربي بالإضافة الى سبر الأمر ، أي نتيجة السبر والشبر .

والمسبار أداة حضارية أخرى (طبية هذه المرة) تنشئها العربية كما هو واضح لتبطل الحجة الحضارية في عزو الألفاظ العربية الى الأرمية .

السيبط :

صفة الشعر المترسل . أر : (شبط chbat)
امتد .

ان للسيبط في العربية أسرة كثيرة العدد نذكر منها لغرض التأثيل وحسب : سبط ، وسبد رأسه : سرح شعره ، وأسبل السر : أرخاه ، ثم أسدله ومنه (السدل) — زنة الفكر — و (السدل) — زنة الكثر : السر . وهذا يرجع بنا الى أفعال سدف وسجف وسجا الليل ...

أما (شبط) الأرمية فلها واحد من هذه المعاني وهو الامتداد الناشيء من التبساط والامتداد .

سجد :

أر : (سكد sgued) سجد . ركع .
يبدو لنا أن فعل (سجد) أثله (الجسد) أي الجسم ، مثل مثل (جثم) الذي نشأ منه (الجثمان) أي الجسم أيضا .

سجر الثور :

ملاه وتودا ثم أحياه . أر : (شكر chgar)
لشمل .

مثلا قولهم سقرته الشمس : لوحته وأذنت دماغه بحرهما . وكلتاها من أثـل (شمل) ، وهذه أثـلها شعت الشمس : نشرت أشعتها . لهذا كان من المعتول أن يكون معنى (شكر) في الأرمية : شمل وأشعمل .

سجن الماء :

تعكر وفسد . أر : (شكش chgach)
هيسج .

ان المعنى العربي هو الأصل ، لأن الكلمة مائية وهي من أخوات سجلت الماء : صبيته ، وسججت السحابة الماء : صبته . وهذه أثـلها سجر الماء النهر : ملأه ، وسجر البحر : فاض ...

وبعد ان تطورت الكلمة لفظا فصارت (سجنس) ومعنى فصارت تعني تعكر الماء وفساده ظهرت في الأرمية بمعنى التهيج الذي أصله التمكنير .

السجيس :

الاضطراب . الشغب ، أر : (من أصل سجس)
هذا صحيح ، فقد ورد التنويه بظهور معنى الشغب أي التهيج توا في (سجنس الماء) .

السجف (زنة الزحف والحزب) :

الستر . أر (شكف chgaf) غطى .

ومثل السجف : السجاف (زنة اللصاف) والسجيف (زنة النحيف) . وسجفت البيت وأسجفته : أرخيت عليه سترا ، أي سترته ، وكان أولى بهم ان يقرنوا هذا الفعل العربي بهذا الفعل الأرمي ، بدلا من ان يقرنوا بين هذا الأخير والاسم العربي (الستر) وفعل سجف نشأ منه في العربية فعل سجا يسجو ، فقد قالوا سجا الليل وسجف بمعنى ، أي امتد واستطال .. وأصل المعنى : أظلم .

أما أثـل السجف فهو السدف قيل أسجفت الستر : أرخيته ، كما قيل أسدفت الحجاب : أرخيته . والسدف (زنة الخزف) والسدفة (زنة الغرفة) هي الظلة أصلا ، وصارت تعني مجازا : السترة تكون على الباب تقيه المطر .

السحتوت (زنة الانبوب)

والسحتيست (زنة الابريق) :

سويق قليل الدسم كثير الماء . ار : (شحتيتو chahtito) : حنطة محبسة .

فعل السحت اثله الحت ، ومن اخواته النحت ، فقد قالوا سحت الشيء : نحته ، كما قالوا سحت الشحم عن اللحم : قشره ، ومن ثم قيل سحت الشاة : ذبحها . ومعنى الحت والقشر والذبح والاهلاك يظهر في اخوات فعل (سحت) مثل سحبت الشيء : قشرته .

وسحطه : ذبحه ذبحا سريعا .

وسحف الشعر عن الجلد : كشطه ، وسحف الرأس : حلقه ، والسحفة : الشحمة التي على الظهر ، والسحفة : آلة يقشر بها اللحم ويكشط الجلد . وهي أداة حضارية عربية أيضا ، لا دخل للغة أخرى في تكوينها .

ومثل ذلك أيضا سحقتة : اهلكته أو دككته ، وسحقت الريح الأرض : قشرت وجهها بشدة هبوبها ، وسحقت الرأس : حلقته .

ثم سحن الشيء : دقه أو كسره .

وسحا الشيء يسحاه ويسحوه ويسحيه سحيا : قشره ، ومنه المسحاة وهي أداة كالجرفة ، وهما حضاريتان أيضا وعربيتان .

فمن قولهم سحت الشحم عن اللحم (أي قشره) نشأ معنى قلة الدسم لأن كشط الشحم يقلل دسم اللحم عند طبخه ، وعلى التشبيه استعير المعنى للسويق الذي قل دسمه وكثر ماؤه . وبعد هذا ظهر في الأرمية (شحتيتو) بمعنى الحنطة المحبسة أي التي يصنع منها السويق .

السحفاف (زنة السلاف) :

مرض السل . ار : (سحيفتو shifto) خراب .

السحف صيفه ومعانيه كثيرة في العربية أوردنا بعضها آنفا ، وأما اختاروا من بينها السحاف لانه اسم مرض وقد عدوا تسمية الأمراض من الشؤون

والسدف اثله السدل ، فقد قالوا اسبدلت الشعر أو الثوب : أرخيته . وفعل سدل من دلس ، وهذا من دمس ، وهذا من طمس ، وهذا من طم وطمى ...

هذا والسجف يعني الستر بالعربية بينا (شكف) يعني غطى بالأرمية كالذي تقدم بنا . ولو كان العكس ، أي لو كان السجف أي الستر والستار والسجاف والسدنة .. هي التي في الأرمية لكان من الصعب اقناعهم بأثالثها في العربية لأنها كلمات (حضارية)

اسجبت الناقصة :

كثر لبنها . ار (أسكى asgui) كثر

السجو كلمة مائية . من اخواتها : السجيل والجسم والسجن والسج . فقد قالوا سجلت الماء : صببته ، ثم صار السجل يعني الدلو العظيمة ، ومن ثم (الضرع العظيم) ، (والضرع السجيل) — زنة السجين : الواسع المتدلي .

كذلك قالوا سجمت السحابة الماء : صبته كما تقدم ، وانسجم الماء : انصب . (وناق سجوم وسجام) : كثيرة الدر .

ومن مادة السجن بقي من معنى الماء (الساجنة) : مسيل الماء من الجبل .

ومن السج نجد (السجة والسجاج) — زنة الحجاج : اللبن الكثير الماء .

فلا غرابة أن قالوا من السجو أيضا (اسجت الناقة) غزر لبنها ، ومن ثم تطويرا (ناقة سجواء) : تسكن عند حلبها . ثم ظهر معنى السكون : (امرأة سجواء الطرف) : ساكنته ، و (ليلة سجواء) : ساكنة ، (وأسجى البحر) : سكنت أمواجه ، و (سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى ...)

ومن كل هذه المراحل التطورية تظهر في الأرمية مرحلة (اسجت الناقة) : كثر أو غزر على تعبير المعجم ، لبنها ، في صور (أسكى) : كثر .

ونضيف بالمناسبة أن هذه الصيغة الأرمية توحى لنا بأن (السقي ، والساقية ، والساقى) أيضا قد تطورت من نفس المادة اللغوية .

الحضارية التي لم يعرفها العرب ، فيما يبدو ، ولو أنهم لم يجدوا مقابلة في الآرامية .

لقد استعمل السحف أيضا في العربية بمعنى كسط الشحم ، ومن ذلك (السحيفة) : ما يقشر من الشحم ، و (السحوف) : الناقة التي ذهب شحمها ، وقد اشتق اسم مرض السل من هذه المادة اللغوية لأنه يذهب بشحم المبتلى فيصيبه الهزال ومن ثم الهلاك . وقد قلنا أن أصل المعنى هو الحت والنحت ، وليس قليلا قول العرب براه السقام أو الغرام بمعنى انحله وأبلاه ، وما معنى الخراب في الآرامية إلا تطور متأخر .

السخلية (زنة النخلة) :

ولد الشاة . أر : (سحلتو sahlto) .

نرجح أن الأثل هو (السلخ) زنة السجن : جلد الحيوان المسلوخ . وقد جاء ذلك من قولهم سلخت الخروف : كسطت جلده . ومما يؤيد ذلك أن (السليخة) تعني الولد ، وأثل السلخ هل السل - زنة التل) الذي منه أيضا صيغ السليل بمعنى الولد .

سخم الله وجهه :

سوده . أر (شحم chahem) سود

أثل الكلمة سخم يسخم (كعلم يعلم) : أسود فهو أسخم ، وكما قالوا سخم الله وجهه قالوا أسخم وجهه بنفس المعنى . والتسخيم يعني التسخين أيضا . وأثلها جميعا قولهم حم الماء : سخنه . وقد سبق الحديث عن تأثيل (حم) وترسيسها عند الكلام على (الحمام) في العدد الماضي .

السخم (زنة الصنم)

السواد . أر : (شحومو chhomo) .

هي من نفس المادة .

سندر الجبل :

« أصابه الدوار واختل نظره من فرط الحر » .
أر : (سدر sdar) أصابه الدوار .

أصل المعنى أظلم بصره ، وأثل اللفظ سدرت الشعر فانسدر : سدلته فانسدل . ومن هذا الباب أيضا : سدرت الشيء : غطيته ، وسدفت الحجاب : أرخيته ، وأسجفت السر : أرخيته أيضا ... كما تقدم .

وقد تقدم بنا كذلك معنى الظلمة في هذه الألفاظ مثل سجا الليل وأسجف وأسدف أرخى سدوله .

ومن الظلمة تحير البصر والأصل غموضه وأظلامه . وقد قالوا من مادة السدف « أسدف المرء : أظلمت عيناه من جوع أو كبر » .

ويمكننا أن نضيف : أو من سبب آخر . ثم ظهر المعنى في مادة سدر بقولهم « سدر البعير : تحير نظره من شدة الحر » . ثم ظهرت الظلمة في الآرامية بمعنى الدوار لأن الدوار أيضا يسبب تحير النظر .

السندان (زنة السجان)

« مسند يطرق عليه الحديد » . أر : سدونو . (sadono) .

أصاب المؤلف بتسميته مسندا فان (السند) هو أثل الكلمة .

و (السدان) هذا لفظة ضعيفة في السندان ، الذي اكتسب اسمه من كونه مسندا يوضع عليه الحديد عند طرده . وخلو الصيغة الآرامية (سدونو) من النون الأول دليل حدوثها . وهذه كلمة حضارية أخرى ..

السررج :

الرجل ، أر : (سركو sargo) .

مادة التسريج أثلها التسريج . وشرجت الشيء تعني في الأصل شققته ، لكنها خرجت عن معناها هذا ، وبقي فيها من معنى الشق صيغ مثل انشرج الشيء : انشق نصفين ، والتسريج : فلق العود إذا شق فلقين متساويتين ، ومن هذا المعنى نشأت (التسريجة) . وهي جوالق كالخرج يلسج من سمف النخل ، سميت بذا لأنها فلقتان تتدليان على جانبي الدابة . ثم تطور البنى والمعنى فنطقوه (السرج) بمعنى الرجل وقلب استعماله للخليل .

السراج (زنة السلاج) :

أداة يستضاء بها وهي وعاء يشعل فيه فتيل مغموس في الزيت . أر : شروكو (chrogo) من (شرك (chrag) أضاء .

أثله الكلمة (السيرج) وهو دهن السمسم ، بدليل قولهم أسرج السراج : أوتده ، وأصل المعنى فيما يخيل لنا : ملأه بالسيرج الذي يظهر انهم كانوا يستعملونه للاستضاءة ثم استعملوا سواه من الزيوت أيضا . وأثله السيرج هو (الشيرج) : زيت السمسم أيضا أي عصيره . وهذا أثله (الشرو) — زنة الصنو — أي العسل ، وينطق بفتح الشين كذلك . ومنشؤه فيها نرى عسل الفواكه أي عصيرها من فعل (جرى) يجري لأن عسل الفاكهة ولا سيما التمر يجري عند تكديسها ، ثم استعيرت الكلمة لعسل النحل (

ومن الشرو — بالكسر — نجد في الفارسية (شيرة) بمعنى عصير الفواكه ونحوها ، أي عسلها

على ما تقدم يمكننا تصحيح تأثيل الكلمة في الأرامية فان فعل (شرك : أضاء) هو المشتق من (شروكو : السراج) المقتبس من العربية ، كلمة حضارية أخرى

السرو :

شجر قويوم الهيكل . أر : (سروو (sarwoo) .

معنى فعل سرا يسرو سروا هو علا يعلو . ومنه شرف (من باب كرم) بنفس المعنى . ومن معنى الانتصاب في مادة (شرف) قالوا استشرف الشيء : انتصب .

والسرو شجر منتصب متجه بجذعه وأغصانه الى أعلى ، ويكون بعض أنواعه سامقا حقيقا في الفضاء ، فلا غرو أن يسموه (السرو) من معنى الارتفاع والانتصاب . وإذا كانت الأرامية قد سبقت الى هذه التسمية — وليس لدينا ما يرجح ذلك — فالمادة اللغوية عربية عريقة .

المسطح (زنة المنجل) :

البيدر . أر : (مشطوحو (machtoho) ميسدان .

أي ان كل صيغ مادة (س ط ح) في العربية أثيلة ، عدا (المسطح) بمعنى البيدر على رأيهم لانهم وجدوا (مشطوحو) في الأرامية ولو بمعنى آخر .

معلوم ان فعل سطح يسطح يعني في العربية بسط وسوى . وصيغة المسطح نفسها تعني في العربية عدا البيدر أشياء أخرى لها علاقة بالتسطيح ، فهي أولا آلة التسطيح لأي شيء ومن ذلك اطلق على المرقاق الذي يسطح به الرغبة ، كما اطلق على موضع تجفيف التمر لانهم يسطحون فيه التمر أي يفرشونه ليجف . معان حضارية أخرى .

أما (مشطوحو) فيظهر أنها من قول العرب « رأيت الأرض مساطح : أي لا مرعى بها ، شبهت بالبيوت المسطوحة » .

سطره :

كتبه . أر : (سطرط (srat) : خط ، رسم الذي نراه ان السطر أثله الشطر ، وما الساطور الا الشاطور . وشطرت الشيء أثله : شطرته ، وهذه من شترقته وهذه من شققته .. ومن أخواتها شرج وشرح وشرخ وشرز وشرع وشرك .

فأصل معنى سطر الشيء هو قطعه ، وقديما قالوا سطره بالسيف : قطعه ، ومجازا قالوا سطر الرجل : صرعه .

والسطر يعني الصف من الكلمات أو الشجر أو البناء أو غيره ، ويبدو لنا ان أصل المعنى هو تخطيط المحراث الذي يحدد الأرض أي يشرطها صفوها ، ثم أطلق على الصف من كل شيء . وقد شاع استعمال السطر لصف الكلمات ومن ثم قالوا سطرته : كتبه . وبعد أن صار السطر يعني الصف من الكلمات المكتوبة ، نشأت الأسطورة التي ظهرت في اللاتينية بصيغة historia بمعنى التاريخ والاحدثة القديمة .

وبعد هذا ظهرت في الأرامية بمعنى الخط والرسم.

السطر (بسكون الطاء أو فتحها) :

صف الكلمات أو الشجر . أر : سدرو (sedro) ترتيب . من (سدر (sdar) رتب .

هذا المعنى الأرامي مجازي متطور من المعنى العربي ، من مثل قولهم « سطرت القرطاس : رسمت عليه خطوطا يحتذيها » .

الساطور :

وسده وصده ورده واحد . وقد استعملوا (الصد
بمعنى السد في مثل قولهم صد الطريق : اعترض دونه
مانع من عقبة ونحوها ، أي صار ما نسميه بالطريق
المسدود .

سكين كبير لقطع اللحم . أر : (سوطـورـو
(sotouro) سكين الطباخ الكبير .

ورد ايضاحها ضمن (سطره) .

السطام (زنة السلاح)

سطم الباب :

سداد القارورة ، أر : يقول انها من أصل
سطم) .

أغلقه . أر (سطم (stam) أغلق .

نعم ، تؤيد ذلك . فانظر (سطم الباب)

(سطم) الباب : أغلقه ، ومثله (سدمه) :
رده ، اثلهما الصدم وهذه من الصد ، بدليل قولهم :
رد الباب بمعنى أطبقه . والمقصود من إغلاق الباب

— يتبع —

امسي شاعر :

هو الزبيري صاحب أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي ، كان أدبيا
شاعرا فطنا بديها ذكره أبو عامر بن شهيد وقال كان أميا لا يقرأ
ولا يكتب وكان مع هذا من أطبع الناس شعرا وأسرعهم بديهة
(جذوة المقتبس في ولاية الاندلس لمحمد بن فتوح الحميدي مخطوط
488 - ص 384)

اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلاً؟

الأستاذ عبد الرحيم أبو اليمن
أوبلادن - ألمانيا الغربية

اشخاص من بني الانسان لا تتميز جماعة عن جماعة الا بالعلاقات . ان المجتمع في حقيقته التفصيلية هو اناس ، وافكار ، ومشاعر ، وانظمة . هذه الامور الاربعة هي المجتمع . ذلك ان الذي ينشئ العلاقة بين الناس هو المصلحة ، فاذا وجدت مصلحة كانت العلاقة ، واذا لم توجد مصلحة لا توجد علاقة . والمصلحة مبنية على افكار عن الشيء او الامر بأنه مصلحة ، فاذا توافقت افكار الناس على امر بأنه مصلحة وجدت بينهم علاقات وتوحدت هذه العلاقات ، واذا اختلفت افكارهم على امر من حيث المصلحة ، هذا يراه مصلحة وذاك يراه مفسدة فانه لا توجد بينهم علاقات . فالذي يوجد العلاقات بينهم هو اتفاق افكارهم على ان هذا الامر مصلحة . وهذا اول شيء في وجود العلاقة . الا ان هذا لا يكفي وحده بل لا بد ان تتوافق مشاعرهم نحو هذه المصلحة ، فاذا توافق فرحهم للمصلحة وتوافق حزنهم عليها وتوافق رضاهم عنها وتوافق سخطهم عليها الى غير ذلك من مظاهر المشاعر فان العلاقة توجد ، واذا لم تتوافق هذه المشاعر لا توجد العلاقة حتى لو وجدت الافكار ، فاذا حينئذ تكون مجرد افكار فلسفية كفلسفة اليونان عند الفرنسيين مثلاً ، فان الفكر لا يكون فكراً له واقع اي لا يكون مفهوماً الا اذا ارتبط بالمشاعر ، فوجود الافكار والمشاعر تتكون العلاقة . الا ان هذه العلاقة لا تخرج الى حيز الوجود ولا تكون لها ثمرة الا اذا توحدت بينهم الانظمة التي تنظم هذه العلاقة ، فوجود العلاقة ملموسة

يكثر الكتاب والمفكرون في العالم المسمى بالعالم الحر من ذكر المجتمع وتحليله على اعتبار ان المجتمع هو مجموعة الناس من البلد أو البلد باعتبارها مسكونة بالناس . فيقولون قضايا المجتمع ، والنهوض بالمجتمع أو القضايا المادية للمجتمع وما شاكل ذلك . والعالم الغربي أو ما يسمى بالعالم الحر هو المسيطر على أكثر أجزاء العالم ومنه العالم الاسلامي بحضارته ومفاهيمه ، ولذلك تركز هذا المعنى للمجتمع في اذهان الناس في العالم الاسلامي ولا سيما في اذهان المثقفين والمفكرين وحتى جمهرة اليساريين بجميع أنواعهم . وبالرغم من وضوح خطأ هذا المعنى ، ومن مخالفة الفكرة الاشتراكية له فانه ظل هو الغالب لدى المثقفين والمفكرين بل ظل هو المسيطر . ولما كان هذا المفهوم للمجتمع من الافكار الاساسية لدى الغرب ولدى الحضارة الغربية ، ولما كنا نحن المسلمين نعمل على قلع الحضارة الغربية من جذورها لازالة الخطر وخطر الغرب كله كان لا بد من توضيح معنى المجتمع بشكل شامل لمن سيطرت ثقافة الغرب على عقولهم من أبناء المسلمين ومنهم من يعتنقها ، لادراك واقعه حين ادراك مدلولاته .

واقع المجتمع انه مجموعة الناس بما بينهم من علاقات ، وليس مجموعة الناس فقط . فمجموعة الناس هي جماعة وليست مجتمعاً . والذي يكون المجتمع هو العلاقات وتتميز المجتمعات عن بعضها بحسب هذه العلاقات ، والا فالناس في كل بلد هم الناس ، اي هم

ومثمرة لا يتأتى بتوحيد الافكار والمشاعر بل لا بد من توحيد الانظمة التي تنظم هذه المصلحة . بل ان الانظمة التي تنظم المصلحة اذا وجدت ، ولو بطريق الفرض والاجبار ، تنشأ عنها الافكار والمشاعر ، ولذلك كانت الانظمة في تكوين المجتمع عاملا وان كان دون أهمية المفاهيم أي الافكار التي أصبحت مفاهيم .

وعلى هذا فانه من الخطأ ان يقال قضايا المجتمع ويراد الناس ، بل قضايا المجتمع هي قضايا العلاقات بين الناس وليست قضايا الناس ، ولذلك فان اصلاح المجتمع هو اصلاح العلاقات وليس اصلاح الناس ، وتغيير المجتمع هو تغيير العلاقات وليس تغيير ما يستعمله الناس من أدوات ولا تغيير ما يلزم لحياة الناس . ومن هنا لم يكن جعل الفسالة الكهربائية مكان لجن (طشت) الفسيل ، وجعل المكينة الكهربائية مكان مكينة القش ، ولبس السروال الاجنبي مكان القنباذ أو الجلباب ، لم يكن ذلك كله وسيلة لتغيير المجتمع ولا اصلاحه ، فانه لا علاقة له في المجتمع . صحيح انه قد يؤثر على الافكار ، وقد يؤثر على المشاعر ، ولكنه تأثير انطباع وتقليد لا تأثير فهم وأصاله ، وهو تأثير مؤقت من السهل ازالته ، ومع ذلك فانه لا ينشئ علاقة ولا يكون مجتمعا . بل اصلاح المجتمع وتغييره انما هو بتغيير الافكار والمشاعر والانظمة ، ولا يصلح ولا يتغير الا بذلك ، أي الا بالافكار والمشاعر والانظمة .

وانه وان كان ذلك ، أي فهم المجتمع هذا الفهم المغلوط يؤثر وقد اثر فعلا على الناس بوصفهم أفرادا وبوصفهم جماعة ، وحال دون نهضتهم وجعلهم في حلقة مفرغة عشرات السنين ، ولكن تأثيره على السياسة أي على رعاية شؤون الناس كان أضعف بل كان الكارثة التي حلت بهم والتي نقلتهم دون ان يشعروا الى أخذ الحضارة الغربية أخذا يصل الى حد الاعتناق في بعض الأحيان ، وجعلهم ينتقلون حتى في أذواقهم نحو مفاهيم الغرب من شدة تأثير الحضارة الغربية عليهم في اغتنامها فرصة الفهم المغلوط لمعنى المجتمع .

ولناخذ من ذلك مثالين اثنين هما - مفاهيم الحكم ومفاهيم الاقتصاد ، لانهما اظهر المفاهيم التي أخذت عن طريق الفهم المغلوط للمجتمع ، وأثرت على تصرفات الناس وأذواقهم . فالغرب يرى ان الحكم للشعب ، وان السيادة للشعب ، وان القيادة جماعية ، وان الأمة مصدر السلطات . وهذه المفاهيم هي افكار تتعلق بالعلاقات في السياسة ، أي بالعلاقات في رعاية الشؤون . وهي مفاهيم نشأت عند الغرب نتيجة

الظلم السياسي الذي حصل في أوروبا ثم في أمريكا من قبل الملوك والامراء والاقطاعيين ، ومن قبل الدول الاستعمارية في أمريكا حين كانت مستعمرات ، فنشأت عن هذا الظلم محاولات من قبل المفكرين أدت الى هذه المفاهيم ، فجعل كل للشعب من أجل رفع الظلم السياسي عن الناس . وبالرغم من لمسه من واقع الحكم هو غير هذه المفاهيم ، ومع ذلك ظلت هي المسيطرة عليهم وعلى مفكرهم وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم . ولما كان المجتمع عندهم هو مجموعة الناس فانهم لم يلاحظوا رعاية الشؤون أي السياسة هي علاقات الناس فيمن يحكمهم وليست حاكما ومحكوما . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يحكمون انفسهم ، أي يرعون شؤونهم أي يرعون شؤون انفسهم ، فظلوا تائهين عن معاني هذه المفاهيم ، يعتقونها وان خالفت الواقع الذي هم فيه . فهم لم يلاحظوا ان الشعب لا يحكم ، فهو لا يتولى السلطة وانما الذي يتولاها نيكسون في أمريكا ، وبريجينييف في روسيا ، وبومبيدو في فرنسا الخ . ومع ذلك ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يحكم ، ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى القضاء وانما يتولاه قضاة قد درسوا القانون ، وانه كما يستحيل على الشعب ان يتولى السلطة كذلك يستحيل عليه ان يتولى القضاء ، فانهم ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يتولى القضاء تماما كما يقولون ان الشعب هو الذي يتولى الحكم . ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى التشريع وانما يتولاه رجال القانون وتسنة الحكومة ، ومع ذلك ظلوا يقولون ان التشريع للشعب وان الشعب هو الذي يتولى التشريع ولم يلاحظوا ان الشعب ليس له في الواقع الا اختيار الحاكم وليس له عزله ، وان الحاكم هو الذي يشرع ، وهو الذي يسيطر على القضاء وانه لا توجد الا سلطة واحدة هي سلطة الحاكم . ومع ذلك قالوا ان هناك ثلاث سلطات هي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ، وان الشعب هو مصدر السلطات . نعم لم يلاحظوا مخالفة مفاهيم الحكم لواقع الحكم ، الى اذ أعماهم عن ذلك الفهم المغلوط عن المجتمع ، الى جانب ما سمعوه عن الظلم السياسي وما يتصورونه من هذا الظلم اذا لم يكن الشعب هو كل شيء .

هذا بالنسبة لمفاهيم الحكم ، اما مفاهيم الاقتصاد فان ما عانته أوروبا من ظلم الاغنياء والاقطاعيين والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش ، وما عانته أمريكا من ظلم الاستعمار واستيلائه على خيرات البلاد الى جانب

المال ، وإن الحاكم لا عليه إلا أن يوفر المال للبلد بوصفه كلا أي لمجموعة الناس ، فظلوا تائهين عن معاني هذه المفاهيم يعتقدونها وإن خالفت الواقع الذي هم عليه وإن الحققت بهم الاضرار وركزت ظلم الاغنياء ووسعت التباعد الفاحش بين الناس في العيش .

هذا هو المفهوم المغلوط للمجتمع ، وهذه المفاهيم المغلوطة عن الحكم وعن الاقتصاد وكل ما ترتب على معنى المجتمع عندهم من مفاهيم أخرى هي التي نقلت العلاقات بين الناس ، ونقلت مفاهيم الناس وحتى ادواهم الى الخضوع للحضارة الغربية بل الى طريقة العيش (عند الغرب) ووجهة نظره في الحياة . لذلك كان من أهم ما على الناس جميعا حتى في الغرب ، ولا سيما المسلمين في العالم الاسلامي ان يتبنوا معنى المجتمع ، وان ينبئوا ثم يحاربوا مفهوم الغرب عن المجتمع كخطوة أولى لنبد سائر مفاهيمهم لا سيما مفاهيم الحكم والاقتصاد لأنهما الركيزة الأساسية في التأثير .

لذلك كان لا بد من ان يتركز عند الناس ولا سيما المسلمين في العالم الاسلامي ان المجتمع هو مجموعة الناس بأفرادهم بما بينهم من علاقات وليس البلد ولا مجموعة الناس ، وبناء على هذا التركيز يبنون عليه ان ما بين مجموعة بأفرادها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة ومن يتولى السلطان فيها أي يتولى رعاية شؤونها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة الناس هذه ومجموعات أخرى أي أمم ودول أخرى هو العلاقات ، وان المسألة كلها تتعلق بالعلاقات فيكون البحث هو من هذه العلاقات .

ظلم الاغنياء والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش قد أوجد عند المفكرين فكرة توفير المال للناس يأخذونه بمقدار قدرتهم على تحصيله وتوصلوا الى أن المشكلة الاقتصادية هي الندرة للمال ، أي عدم كفاية المال في البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس ، كان الفقر هو حاجة البلاد للمال وليست حاجة أفراد الناس له ، فصار الفقير هو المجتمع حسب فهمهم وليس الافراد ، أي هو مجموعة الناس وليس أفراد هؤلاء الناس ، وبناء على ذلك انصب التفكير على إيجاد المال في البلد بكميات تكفي لحاجات مجموعة الناس ، وليس توفير حاجة كل فرد من الناس . وبالرغم من لمسهم ان واقع الاقتصاد هو حاجة كل فرد من الناس وليس مجموعة الناس ، وبالرغم من لمسهم ان ظلم الاغنياء لا يزال قائما بل ازداد ، وان التفاوت الفاحش بين الناس في العيش قد ازداد ، أي بالرغم من لمسهم ان واقع الاقتصاد هو غير هذه المفاهيم . ومع ذلك ظل مفهوم المشكلة الاقتصادية عندهم هو القدرة النسبية ، وظلت هذه المفاهيم الاقتصادية هي المسيطرة عليهم وعلى مفكرهم ، وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم ، ونظروا لأن المجتمع حسب فهمهم هو مجموعة الناس ، لم يلاحظوا ان الاقتصاد أي التوفير توفير المال هو علاقات بين الافراد مع بعضهم ، وعلاقات بين مجموعة الناس ومن هو مسؤول عن توفير حاجاتهم ، وليست مالا يوضع في اليد ويأخذ منه كل بحسب قدرته . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يوفرون لمجتمعهم

اعلانات :

الواح تعلق في الاسواق (كامل ابن الاثير ج 10 ص 171 و ج 11 ص 29 وتاريخ ابن الفرات (ج 4 ص 17 و 64) .

الألفاظ الهندية المعربة

من مظاهر الوحدة:

الدكتور محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية - جامعة كراتشي (باكستان)

أوروبا إلى الشرق الأدنى « (الحضارة الإسلامية ، 1950 ، ص 4) . كذلك يعتبر اهتداء واسكو دي كاما (Vasco . da Gama) إلى طريق الهند نقطة التحول في العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقا لأن كانت صفقة تفوق صفقة أبي غبشان في الخسارة والغبن ، فهي تلك التي جعلت أسد البحر ابن ماجد يقود رائد البرتغاليين إلى ميناء كاليكت (Calicut) في سنة 1498 م .

فأثر تجارة الهند والصين في التطورات السياسية بين الأمم الشرقية والغربية معروف عند كثير من المؤرخين بإبرازه وتقدير خطورته ، إلا أن هناك ناحية أخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام اللائق بها إلا منذ زمن قريب ، ألا وهي تأثير العلاقات التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى ، ولا أجد ما أقدم به لهذا الموضوع أحسن مما كتبه البروفيسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص في العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

لمتازت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع انتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما أنها اشتهرت بجودة الصناعات المختلفة المرتكزة على ذلك الانتاج الطبيعي ، ثم هي تصاقب من الناحية الشرقية بلاد الصين التي اقتصت بطائفة أخرى من الحاجيات والكماليات التي لم يكن للعالم الغربي يذوقها ، ومن هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها المتنافسون من الفرس والعرب والروم ، وأخيرا اقوام أوروبا الغربية ، أعني البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والانجليز ، وقد استمرت هذه التجارة العالمية تجري من الشرق إلى الغرب حتى غير مجراها الآلات والمخترعات الحديثة وما أدت إليه من الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادي في الممالك الغربية .

لقد كان لهذه التجارة أثرها الفعال في مداولة الأيام بين الناس ، فمثلا يقول العلامة بارتولد : « صارت إيران مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين ... واستولت برا وبحرا على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطر لجميع العالم المتحضر ، وبهذا الحادث يتبدى انتقال التفوق في الحضارة من

الجغرافي ، أكثر تلك الشعوب اتصالا وحرصا على الاحتفاظ بدورهم في حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر أراضيهم الى شواطئ البحر الابيض المتوسط ، ولئن كنا نأسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية عن نشاط العرب في هذا الميدان فيما يتعلق بالعصور السابقة للإسلام ، ففي وسعنا ان نتلافى هذا النقص بالرجوع الى لغة العرب وآدابهم (1) ودراستهما دراسة مقارنة الى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الفرنج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند ، وبما ان العرب كانوا في موقع وسط بين الروم والهند فقد القت بحوثهم أضواء على العلاقات العربية الهندية الا انها ، بطبيعة الحال ، أضواء جانبية فقط ، أما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغفورا مجحودا لا شيء الا لعدم اتساع علم اللغويين الاول والعينين بالمعرب والدخيل في العربية الى الهند ولغاتها ، نراهم — وكثير منهم ينتمون الى أصل فارسي — يقتصررون على ارجاع الكلمات الى الفارسية ، وفي بعض الأحيان يتفنون حائرين أمام كلمات لا يجدون لها أصلا بالفارسية فيأتون بتعليلات من الخيال (2) ان دلت على شيء فهو ان الكلمة عدت غريبة في نظرهم ، وأخيرا لفتت دراسات الغربيين النظر الى هذا الموضوع الشيق فأتبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ، ونعلا اثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث انها مهدت الطريق أمام الباحثين في المستقبل الى ميدان واسع بكر .

/*/

هناك ثلاث طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانئ البحر الابيض المتوسط :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, with very few exceptions, all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, notwithstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated. It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." A. H. L. Heeren: *Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity*, Oxford, 1833, vol. I, pp. 35-56.

اذن كان من اثر تجارة الهند ان تطورت سبل المعيشة وأساليب الحياة ، بل وتغيرت الأمزجة والطباع لغير واحد من الشعوب القاطنة غربي الهند، وغني عن القول ان العرب ، بالاشتراك مع الفرس سكان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم

(1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الأصل بقوله :

"We too often find ourselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a village inn would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries." Heeren, 139-40.

(2) راجع مثلا تحقيقنا عن « الفالنج » و « القلقي » والكلام على « الشمال » في الصفحات التالية .

1) برا من الممرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير القوافل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى انطاكية والموانئ المجاورة لها .

ب — بحرا من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسي مصعدا بالفرات ثم برا الى انطاكية والموانئ المجاورة لها .

ج — بحرا من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك اما على طول ساحل البحر الاحمر او على خط سير القوافل الى موانئ سوريا وفلسطين .

غني عن القول ان الطريق البري استخدم قبل ان يستخدم الطريقان البحريان ، وفعلنا وجد علماء الآثار ما يؤكد ان العلاقات بين ارض الانهار الخمسة (البنجاب) وارض الرافدين ترجع الى عشرين القرون قبل عهد التاريخ المنتظم (3) الا ان التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى اخرى ضد احوال طبيعية صعبة وكانت ايضا متأرجحة لعدم استقرار الاحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحري ايدانا بزيادة ملحوظة في التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثوق به على جلب البضائع برا من الهند فيلة (4) على مسلة (Shalmanassar) (858 — 824 ق . م) ذكرت باسم غير معهود في الاشورية هو (Baziati) عن السنسكريتية (Vasita) وبما ان الفيلة ذكرت الى جانب « الابل من (Bactria) ذات السنمين » يتأكد لدينا انها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند (5) .

ولا بأس بأن نقف قليلا عند ذكر « الابل من Bactria » في القرن التاسع ق.م فنلاحظ أن من أشهر

وأعز أصناف الابل عند العرب « البختية » وهي على حد قولهم « الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنمين... يحمل من السند للفحلة (الصحاح) وصف الفالج بهذه الصفة ابن حوقل سنة 350 هـ (6) والمقدسي سنة 375 هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذي تراه بالشرق وفارس يولد البختي وهو أعظم من البخت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملكه الا الملوك ولا تكون البخت الا منه » (7) .

والفالج كلمة سندي محلية والجيم فيها علامة العجبة لا غير مع أن بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالج « يسمى بذلك لأن سنامه نصفان » (المخصص 68/7) !!! وكذلك البختية « فخل في المربية أعجمي معرب » (اللسان ومثله في المخصص 135/7 عن صاحب العين) . إذن فما هو أصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتموا اليه حتى أن بعضهم اجترأ على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) ... على كل حال ما من شك في أن « البختية » لم تكن غير « الابل من Bactria » .

ومن الجدير بالملاحظة أيضا في هذا الصدد أن أصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عادتهم ، بين مادتي « بخت » و « بخر » الا أن مشية الجبال البختية طوال الاعناق ذات السنمين هي أشبه شيء بمشية الخيلاء وقد جرت العرب على هذا المنوال في قولها « تفختت » من مشي الفاخرة (المخصص 109/3) ومن الثابت أيضا أنها كانت تصف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

وفيهن من بخت النساء سبيلة
تكاد على غر السحاب تروق (9)

(3) Wilson: The Persian Gulf, p. 28

(4) الفارسية « pil » السنسكريتية « pilu » إلا أن بعض العلماء يذهبون الى أن هذه الكلمة ليست أصيلة في السنسكريتية . انظر Hobson-Jobson, (Supplement, « Elephant

(5) Kennedy, J.; Early Commerce of Babylon with India. JRAS, 1897, p. 242-288

(6) المسالك والممالك ص 231 .

(7) أحسن التقاسيم ص 482 .

(7) أحسن التقاسيم ص 482 .

(8) انظر Dozy: Supplement

(9) سمط اللالي 351 .

أما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر وبين الهند فمن المقطوع به أنها راسخة في القدم إلا أن الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة 700 ق.م ليست بكثيرة ، من أهمها :

1 — ورد في الكتابات التي ترجع إلى ما قبل 2000 ق.م أن الأكاديين كانوا يستوردون الأخشاب من (Magan) أي عمان ، ويرجح أن تلك الأخشاب إنما كان أهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند (10) .

2 — كلمة (Sindhu) الواردة في مكتبة (Assurbanipal) (668 — 626 ق.م) إنما يرجع أصلها إلى الهند وهي تعني « القطن الهندي » ومنها العبرية (Sadin) والعربية « سدين » (11) .

3 — كلمة « Karpas » العبرية توافق السنسكريتية « Karpasa » .

4 — في القرن العاشر ق.م استعان سليمان ، جرياً على سياسة أبيه داود ، بالفينقيين لتنشيط حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber) (العقبة) (12) و Ophir = Abhira أعالي الساحل الغربي للهند (13) وتعد الكلمات الآتية من آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك أقدم بكثير من عهد سليمان ، ولم يكن منه إلا أن جعلها مباشرة بعد أن كانت تجري على أيدي وسطاء كثيرين :

1 — العبرية « Shen Habbin » = « من الفيل » (العاج) عن السنسكريتية « ibha-danta » .

2 — العبرية (almug) (14) عن السنسكريتية والتاميلية (valgu) .

3 — العبرية (Koph) القردة عن السنسكريتية (Kapi) (قارن المصرية القديمة (Kafu)) .

4 — العبرية (thuki-im) عن التاميلية (tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالإضافة إلى الذهب والفضة والأحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد (15) .

ولا يخفى أن هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض (16) إلا أنهم في الوقت نفسه أكدوا أن عدم توفر الدليل لا يعني وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراويون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذقديم الزمان بالاتجاه إلى الملاحة .

ومنذ القرن السادس ق.م ينتشع الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

1 — العثور على قطع من الساج (المرهتية (Sag)) وغيره من الأخشاب الهندية في قصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) (604 — 562 ق.م) وفي معبد اله القمر الذي جدد نبخت نصر ببناءه بـ (Ur) .

2 — انتشار عدد كبير من البضائع الهندية في اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابل ولا تزال

(10) انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 ولعل Magan هي « مزون » بالعربية .

(11) H. J. Rawlinson: Intercourse Between India and the Western World, Cambridge. 1926, p. 2-3

(12) لقد أمكن تحديد الموقع بتل الخليفة غربي العقبة على اثر الأعمال التي قامت بها بعثة أمريكية هناك أثناء 40 — 1938 م .

(13) اختلف كثيرا بشأن Ophir بعضهم قرأوا الكلمة Sophir « سوبارة » بالهند أيضا أو « ظفار » باليمن أو « سفالة » الزنج ، إلا أن المرجح أنها كانت بالهند .

(14) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الأحمر على الأرجح راجع Cheyne: Ency. Biblica

(15) Rawlinson, pp. 10-11

(16) في مقدمة هؤلاء الأستاذ J. Kennedy الذي مضت الإشارة إليه .

الالماغ اليهم) قيل انهم اثاروا اعجاب اهل بابل بالغراب تارة وبالبطاووس تارة اخرى .

ولا يفوتنا في هذا المقام التقويه بأن تجارة الهند هذه كانت السبب الرئيسي في رخاء بابل وعظمتها التي بلغت أوجها في هذا العصر حتى اثارى حسد فرعون مصر (نخاو) (Necho) 612 — 596 ق.م) فما كان منه الا أن بذل الكثير من الاموال والارواح في سبيل اعادة بناء القناة الموصلة من النيل الى البحر الاحمر، تلك التي كان افتتحها لأول مرة (Sesostris) في القرن العشرين ق.م .

/*/

وقد كان لهذه العلاقات أيضا اثر خالد في أربع من أهم نواحي الحضارة في الهند :

1 — الخط البراهمي (Brahmi) ، الذي تفرعت منه الخطوط الهندية المختلفة، انما كان من أصل سامي قوي الشبه بالحروف الفينيقية الى درجة تؤكد انه دخل الهند عن طريق الساحل الغربي على أيدي التجار الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهلر (Dr. Bühler) تاريخ دخوله الهند بسنة 800 ق.م ومع أن هذا التحديد لا يزال موضع نقاش الا انه من البديهي أن الخط لابد أن يكون قد مضى عليه قرون قبل أن يتطور فيتلأم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو

اسماؤها اليونانية والعربية ترشدنا الى أصلها فمثلا :
السنسكرتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاميلية (Arisi) = العربية (الأرز) (17) .
التاميلية (Karppu) = العربية (قرفة) .
التاميلية (Inchiver) = العربية (زنجبيل) .
التاميلية (Pippali) = العربية (فلفل) .
السنسكرتية والتاميلية (18) (Vaidurya) = العربية (بلور) .
السنسكرتية (Kirmi) = العربية (قرمز) .
فهذه هي بعض الكلمات الهندية الأصل التي دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل في الفترة التي نحن بصدددها (19) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي أدت الى نمو التجارة البحرية بين بابل والهند في القرنين السابع والسادس ق.م فوجدوا أن تلك الظاهرة توافق تنكيل (Sennacherib) بالكلدانيين واحلال الفينيقيين محلهم في سنة 694 ق.م لأن الكلدانيين الذين سكنوا « سيف البحر » (20) منذ القرن التاسع ق.م لم يكن لهم من التفوق في الملاحة ما كان لأقرانهم الفينيقيين الذين جلبهم الملك الآشوري من أعالي دجلة والفرات وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقيين وخبرتهم بأعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها في موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر الهندي (21) . ومن ناحية أخرى نجد في المصادر الهندية الراجعة الى هذا العهد ولاسيما المجموعة المسماة بـ « Baveru Jataka » قصصا عن التجار الهنود (أغلبهم من الدراوريين الذين مضى

17 الرز والأرز والرنز لغات فيه (* الانجليزية « Rice ») وقد اتجه بعض العلماء أخيرا الى الاعتقاد بأن المركز الذي انتشر منه الأرز في العالم هو التركستان ولذلك قالوا ان أصل الكلمة هو « virinzi/virinza » بالفارسية القديمة = « briinj » بالفارسية الجديدة = « vrihi » بالسنسكرتية .

انظر : Sir George Watt: The Commercial Products of India London, 1908, p. 824 etseq.

وليعلم أن كلمة أخرى مماثلة « البهط : الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة » هندية أيضا كما جاء في المخصص 3/5 وأصلها « bhata » .

18 بالبراكرتية « Vailurya » انظر : « Beryl » Hobson-Jobson .
19 Rawlinson, p. 14

20 « Sealand » الوارد ذكره في الكتابات السامرية والممتد من مصب الفرات الى Dilmun البحرين (فارس نامه لابن البلخي تذكارجب، 1921 م ص 140) ويظهر أن العرب كانوا يسمون بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصة ، قال الأختس بن شهاب :

لكيز لها البحرين والسيف كله وان ياتها بأس من الهند كارب (المفضلية 41 / 9)
21 راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

في الكتابات التي يرجع عهدها الى القرن الثالث ق م وهي اقدم الكتابات التي عثر عليها في الهند (22) .

2 — نظام منازل القبر المهود عند الهنود
انما هو مأخوذ من بابل . (Nakshatras)

3 — يرجح الاستاذ كينيدي (Kennedy) أن الهنود انما اقتبسوا نظام التعامل بالعملة المعروفة بـ « Puranas » مما كان متبعاً عند أهل بابل (23) ولا يخفى أن (Puranas) أقدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها الى عهد قريب ، ويرى كاتب هذا المقال انها هي المعنية بـ « الفهري » عند مسعر بن مهلهل (24) و « القنهرى » (تصحيف « الفهري » أو « الفهري ») ، عند المقدسي (25) .

4 — يتبين بعض العلماء علاقة ما بين الاوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند أهل بابل مثل « المن » اذ أن امرها مشكوك فيه جداً (26) .

*/

في سنة 538 ق.م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وامتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادي السند من جهة أخرى في جورتهم الا ان هذه الميزة ، التي لا يمكن التقليل من أهميتها ، لم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت أهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد — عهد الأخمينيين (Achoemenians) الذي

امتد الى ظهور الاسكندر (القرن الرابع ق.م) — عهد ركود على الرغم مما هو معروف عن دارا الأكبر (521 — 485 ق.م) — أنه جهز وحدة بحرية تحت قيادة (Scylax) اليوناني للسفر وتفتد الأحوال من نهر السند الى مصر كما أنه أنشأ قناة من النيل الى السويس وأرسل من هناك سفناً الى فارس .

لكن العلاقات التجارية بالهند كانت قد توطدت الى حد أنها ابت الا ان تتخذ لها مجرى آخر (27) ، فان الفرس لما لجأوا الى التنكيل بأهالي بابل وتخريب موانئهم وسد دجلة والفرات ما كان من الكلدانيين ، الذين قد عرفناهم من قبل ، الا أن نقلوا أنفسهم ونشاطهم الى (Gerrha) (على شاطئ الحسا) (*) التي سرعان ما أصبحت مدينة تجارية معروفة ، وبعد قليل ظهر اليمنيون كمنافس قوي للكلدانيين في هذا الميدان فاتخذوا من (Mouza) = موخا وقتنا (Kane) وعدن مراكز لهم ومالبثوا أن جذبوا اليها معظم تجارة الهند وأفريقيا الاستوائية أيضاً بالإضافة الى التجارة في انواع الطيب المحلية من جنوب جزيرة العرب وكلها تدفقت هذه التجارة على خط سير القوافل من اليمن الى الشام — ذلك الخط الذي ربما سارت عليه بلقيس لزيارة سليمان — اشتهر قوم سبا بالثروة والبسطة اللتين ضرب بهما المثل . وسنرى كيف ان فقدان هذه التجارة نحى الى خراب العمران الذي أصبح هو الآخر مضرب المثل .

*/

في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م. قلب الاسكندر الأوضاع ببسط سلطانه الى حدود السند

- (22) Cam. Hist. of India I, pp. 140-142 وانظر أيضاً دائرة المعارف البريطانية « Sanskrit » كذلك الخط الخروشتي الذي انتشر في المناطق الشمالية الغربية للهند كان من أصل سامي آرامي .
(23) راجع الجزء الثالث من مقاله الذي سبقت الإشارة اليه .
(24) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (أهل كله) يزن ثلثي درهم ويعرف بالفهري » .
(25) أحسن التقاسيم 482 — في نسخة « الفهري » وليعلم ان المقدسي نفسه ينص على القنهرات غير « القاهريات » أو « القندهاريات » (كما عند ابن حوقل 228 والاصطخري 173) = كل درهم منها خمسة دراهم .

(26) Rawlinson, p. 15

- (27) لعل تحول تجارة الهند من طريق الخليج الفارسي الى طريق البحر الأحمر كان قد بدا في عهد نبخت نصر ويعال ونسنت Vincent تخريب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السيف نفسه . انظر Wilson, p. 33 .
(*) بحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « المعتير » وهي الآن ميناء صغير وعلى مقربة منها خرائب يعتقد العلماء انها موضع (Gerrha) = جرهاء . (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 140/1) .

الروم واليونان كانوا يعتقدون طوال هذه المدة ان المنتجات الهندية التي كانت تنقل اليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (28) . ويجدر بالملاحظة في هذا المقام ان الاخطار الشديدة التي كانت تحدث بالملاحة في البحر الأحمر فوق عدن من عدم وجود موانئ صالحة وقلة الماء والقرصنة وما إليها كانت من أهم العوامل التي جعلت من الخط البري الطريق المفضل قرونا عديدة ، الا ان اليونانيين كانوا دائما يبدلون محاولات جدية للتغلب على تلك الصعاب من قاعدتهم في مصر مما جعل اليمنيين يقربون تصرفاتهم ببساطة وحذر ، فمثلا لما عمد بطليموس الثاني (285 — 246 ق.م) ، الذي كانت سلطته تمتد الى فينيقية وفلسطين ، الى اعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) أولا وانشاء الطريقين الصحراويين من (Koptos) الى (Berenike) ومن (Koptos) الى (Myos Hormos) ثانيا أحدث ذلك رد فعل قوي بين اليمنيين . على كل حال أقصى ما توصل اليه اليونان ، بعد هذه الجهود المضنية ، هو ابتياع البضائع الهندية من حين الى آخر في الموانئ اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها الى (Koptos) كما مر بدون ان يتسنى لهم الاستغناء عن وساطة سبا ومن المعتقد ان النساء والكلاب والثيران والابقار والتوابل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازدان بها الموكب التاريخي لبطليموس الثاني سنة 271 — 270 ق.م انما وصلت الى عاصمة مصر بعد اعادة شحنها في الموانئ اليمنية . نعم وقد برز في هذه الآونة أيضا اسم جزيرة سقطرة (29) كسوق دولي هاجر إليها واستوطنها اليونانيون (30) للمشاركة في تجارة الهند والحبيشة .

مخالصة القول ان تجارة الهند ما زالت تتحول من الخليج الفارسي الى البحر الأحمر منذ بداية عهد الفرس الاخمينيين ، بل وقيل ذلك منذ أيام بخت نصر الى ان أصبح الطريق الأخير هو الطريق الرئيسي في القرن الثاني ق.م وفي هذه الفترة بالذات اي منذ انتقال الكلدانيين الى (Gerrha) بدأ العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية

وسرعان ما أبدى اهتمامه باعادة النشاط التجاري بين ساحل الهند والخليج الفارسي فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الأكبر من قبل الا ان موته حال دون القيام بأي عمل آخر في هذا الشأن. أما خلفاؤه الذين اقتبسوا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الاهلية حتى ان السلوقيين (Seleucids) لم يكن يهمهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق ايران كما ان خصمهم في مصر بطليموس الثاني كان معنى بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لأغراض حربية ولكن الى جانب ذلك نلاحظ ان العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة أخرى كانت في هذه الفترة أكثر توثقا من ذي قبل ، لا ادل على ذلك من وفود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس و بطليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريا (Chandragupta Maurya) ومما يذكر عن ملك الهند هذا انه اقام عددا من الموظفين للاتصال بالاجانب والسهر على راحتهم أثناء زيارتهم للهند ويستنتج من هذا كله ان التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وقفت أو هبطت الى درجة كبيرة ، ثم ساعدت الأحوال السائدة بأعالي الخليج على تركيز هذه التجارة في أيدي اهل (Gerrha) الذين ربما كانت تتألف أغلبيتهم الآن من العرب وفي نفس الوقت كان نشاط سبا في ازدياد مستمر وقد شاركهم في هذا النشاط النبطيون بأعالي البحر الأحمر ، أولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقيم (Petra) لتتألم شهرتها في التاريخ لولا انها وقعت موقعا هاما على خطي سير للتوافل من اليمن ومن العقبة (Aelana) أيضا .

/*/

لقد اتضح مما سبق ان مصير سبا ورخاءها وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطا تاما باستمرار تجارة الهند على الخط البري المحاذي لساحل البحر الأحمر الى أسواق الشام ، وفعلنا نرى تجار سبا حريصين حرصا بالغا على الاحتفاظ بهذا الخط الى حد ان

(28) Hitti : Hist. of the Arabs, p. 48

(29) السبسكرتية « Dvipa Sukhatara » اي جزيرة السعادة.

(30) يقول أبو زيد السيرافي ، سلسلة التواريخ ، باريس 1845 ، ص 133 - 134 ، ان الاسكندر هو الذي اهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقا لرغبة ارسطاطاليس في الاستيلاء على منابت الصبر بها .

يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر حتى أصبحوا محتكرين لها يعضون على احتكارهم بالتواجد ولم يستطع عملاؤهم اليونان ، مع شدة قلقهم ، أحداث اي تغيير جوهري في الوضع حتى القرن الثاني ق.م.

/*/

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهاية حتى حدث ما كان في الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحا هنديا غرقت سفينته فوصل في قارب النجاة الى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نقله الى الاسكندرية ، وبينما هو في تلك المدينة وقد أخذه الحنين الى الوطن اذ التقى بـ (Eudoxus of Cyzicus) الذي كان له باع في علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الاثنان وحصلا على موافقة الملك (Euergetes II) ومساعدته للقيام برحلة الى الهند وقد تم ذلك فعلا ما بين 120 — 110 ق.م (31) فرجع الملاح الهندي الى اهله بعد أن دل يودوكسس على الطريق الى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجارا تنبت الصوف » و « أحجارا تذوب في الفم فتكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والنكر على حد تعبيره — Herodotus, Megasthenes على الترتيب) .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيق على الملاحين اليونان فقد أتبعها يودوكسس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لانا نفاجأ قبل مضي فترة طويلة بسبق الملاح اليوناني ، المتمثل في (Hippalus) ، على العرب الى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في السفر الى الهند أيام الصيف . من المؤكد أن العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلا على ذلك أن الكلمة العربية « موسمية » هي التي انتقلت وتطورت

الى (monsoon) لكنهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها ابان هياج البحر في فصل الصيف بالذات (32). مهما يكن من أمر فان ما امتاز به اليونان كان كشافا عظيما ادى الى انقلاب خطير في طريق الملاحة والتجارة ويؤرخ هذا الكشف - كشف (Hippalus) - في سنة 45 م الا أن بين أيدينا أدلة على تغلغل اليونان وكثرة ترددهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك، منها ايفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند (33) الى (Augustus) بمصر في سنة 20 ق.م ، كذلك شهادة استرابو (Strabo) الصريحة بأن 120 مركبا سارت الى الهند في سنة واحدة (25 ق.م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulus Galus) على اليمن في عهد (Augustus) نفسه سنة 24 ق.م لم تكن الا حلقة في سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من أيدي العرب (34) . وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سبا الذين سبقت الإشارة اليهم ، لكن الحملة فشلت فشلا ذريعا وظل مركز العرب قويا وكان ناقوس الخطر قد دق والخراب يتسرب الى اليمن رويدا رويدا .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلا لنضرب مثلا للفائدة التي تعود على الادب العربي من الدراسات المقارنة فنقول ان مملكة (Pandye) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمفاصات اللؤلؤ الواقعة في المياه الضيقة بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها في الاساطير الهندوكية أن الاله كرشن (Krishna) جمع اللآلئ من انحاء العالم وركزها في تلك المنطقة لتتزين بها ابنته ملكة (Pandye) . لقد ذكر (Megasthenes) المفاصات والأسطورة المتعلقة بها (35) كما لم يغفل الاشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة في جميع العصور من بينهم سليمان التاجر (36) وماركو بولو (37)

(31) انظر : Rawlinson, p. 96-99

(32) سيجد القارئ بحثا قويا عن هذا الموضوع في : George Fadlo Hourani Arab Sea-faring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

(33) « Pandion » = Pandya هذا هو التفسير السائد وقد ذهب البعض الى أن المراد به بالمنطقة الشمالية الغربية انظر : Rawlinson, p. 108

(34) انظر : Hitti, p. 46

(35) Cam. Hist. of India

(36) سلسلة التواريخ ص 120 .

معظمها كانت قد تحولت الى اليمن والبحر الأحمر .
ومن الجدير بالملاحظة أن هؤلاء التجار الوسطاء على
ساحل الخليج الفارسي استمروا في أعمالهم ونشاطهم
طوال قرون عديدة بدون أية محاولة للتدخل من قبل
السلوقيين اللهم الا ما كان من (Antiochus III)
الذي أغار على (Gerrha) حوالي سنة 205 ق.م
لكنه سرعان ما رضي بالرجوع تانما بالفنائم والهدايا
من البضائع التي كان الأهالي يتجرون بها ولا يخفى أن
السلوقيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق
البر (إيران) وهكذا ظل الحال أيام البارثيين
(Parthians) الذين استولوا على بابل والمدائن ما
بين 140 و 130 ق.م فهم أيضا قصروا اهتمامهم على
تجارة الهند (والصين أيضا) عن طريق البر فقط (42)
وقد كانت تكفي لتدر عليهم أرباحا طائلة . على كل حال
لم يحدث في منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث في
منطقة البحر الأحمر من منافسة اليونان للعرب .

/*/

لم تكد دعائم الامبراطورية الرومانية تتوطد في
سوريا وفي مصر قبيل بدء التقويم المسيحي حتى نعمت
البلاد بالاستقرار وتأمين السبل والقضاء على
القرصنة مما أدى الى شدة الاقبال على سلع
الكماليات المستوردة من الهند والصين في رومسا
والاسكندرية والمدن الأخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول
المسيحي ازهى عصور تجارة الهند بالغرب ، أما
التطورات التي كانت قد حدثت في سير هذه التجارة
بالنسبة الى العرب فتبينها بوضوح في مذكرات بحار
يوناني مجهول كتبها حوالي سنة 80 م باسم
(The Periplus of the Erythraean Sea)
— تبين منها ان الملاحين الروم كانوا اذ ذاك يبحرون
رأسا من قنا أو من (Ocelis) الى
(Cranganore = Muziris)
بالجزء الاسفل من الساحل الغربي للهند وفلسك في
الحقيقة يمثل تقدما كبيرا على ما جرت عليه العرب

الا انه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع
الآلي التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) (38)
وبما أن مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع
هذا الميناء اثناء العصور القديمة نفسها اختفت الإشارة
اليه فيها عدا المصادر اليونانية الراجعة الى الفترة
التي نحن بصددھا ، ثم مضت قرون فاجأنا على أثرها
الشاعر العربي علقمة بقوله :

محال كأجواز الجراد ولؤلؤ
من القلقي والكبيس الملوب (39)

كذلك قول ابن الرومي أيضا :

يفتر ذاك السواد عن يقيق
من ثغرها كالآل القلق (40)

« القلقي » = الـ (Kolkai) لا غير . لكن
انظر ما جاء عنه في اللسان « القلقي ضرب من الحلبي ،
قال ابن سيده : ولا أدري الى أي شيء نسب الا أن
يكون منسوباً الى القلق الذي هو الاضطراب كأنه
يضطرب في سلكه ولا يثبت .. » ! وفي بعض الاحيان
الجات الحيرة النساخ الى التحريف : « القلعي » بدل
« القلقي » — الا أن الأمر لم يزل مغلقا .

لقد سبق أن رأينا ما كان لـ (Gerrha)
من شأن كبير في التجارة الدولية ، يبين لنا
(Eratosthanes) (276 — 194 ق.م كيف أن أهلها —
ولاشك أن غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقومون
بنقل انواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبي
جزيرة العرب والحبشة الى بابل و (Seleucia)
كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما أيضا بالسفن
التي كانت تصعد بدجلة الى (Seleucia) نفسها (41)
وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند أيضا مع أن

- (37) The Travels of Marco Polo, Broadway Travellers, London, 1931, pp. 292-293
(38) على نهر Tamraparni باتليم Tinnevely انظر The Periplus of the Erythraean Sea (Schoff), 1912, p. 237
(39) العقد الثمين ق 4/1
(40) كتاب التشبيهات لابن أبي عون — تذكركب — ص 97
(41) Wilson, p. 45
(42) Hourani, p. 14

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ،
ولاسيما انواع الطيب ، ذروته في عهد نيرو (Nero)
- 54 - 68 م - فقد ذكر بيلني (Pilny)
ان المملكة الرومانية كانت تتكبد ما يقدر بمليون ومائة
الف جنيه سنويا ثمنا لمشترياتها من جزيرة العرب
والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تقريبا من
نصيب الهند وحدها (48) . وقد اضطر الملوك الذين
جاءوا من بعد الى فرض بعض التقشف صونا
للمركز المالي الا ان حركة الاستيراد ما زالت قوية حتى
كان عهد طراجن (Trajan) 98 - 117 م - الذي
سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك باعادة فتح
القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر . (وكانت قد
انسدت منذ عهد البطليموس الثاني) وتوصلها الى
بابل مصر ثم بضم اقليم النبطيين ، الذين كانوا قد
ساعدوا (Aulus Galus) ضد اليمانيين ، الى
مملكته وانشاء طريق رئيسي من العقبة الى
دمشق وأخيرا بانتزاعه جميع الاراضي الممتدة الى
(Charax) و (Apologus) بأعالي الخليج الفارسي
من ايدي البارتيين . لاشك ان فكرة السيطرة على
هذين المنعنين كانت فكرة سليمة جريئة لانهما كانا
على اتصال بحري شرقا بالهند وقد اتفق لطراجن
نفسه حينما كان واقفا على رصيف Charax أن رأى
سفينة تتأهب للاقلاع الى الهند فأسف على انه لم يكن
في وسعه التقدم الى تلك البلاد لكبره وكانت تمتد
ايضا من المنعنين خطوط تجارية غربا الى موانئ
الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن ان يتم له الجمع بين
منطقتي الخليج الفارسي والبحر الاحمر تحت سيطرته
وتلك ميزة لم تتيسر من قبل لغير دارا الاكبر والاسكندر
وكان يرجى ان تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة
لولا ان البارتيين سرعان ما استردوا ما كانوا قد
فقدوه فاقترنت النتيجة على ان برز اسم مدينة
(Palmyra) تدمر كخلف للرقم التي خربها طراجن
سنة 105 م وقد نال هذا المركز التجاري الجديد
قسما وافرا من الازدهار لأن الفريقين رأيا من
مصلحتها عدم التعرض له حتى بقي أهله يتجرون

من السير بمحاذاة الساحل الى «منطقة البوازيج» (43)
اي كجرات (Gujerat) وربما انحدروا من هناك الى
ساحل المليبار ايضا - الا ان الروم ، على الرغم من
تفوتهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على
نفوذ العرب القديم في الأسواق الهندية ، يذكر أن
الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على القرقة
(اللحاء) الا في رأس (Guadrafui) لانها كانت تحجب
عنهم في الأسواق الاصلية بينها كان ورق تلك الشجرة ،
شجرة القرقة نفسها ، معروضا عليهم في المليبار حتى
اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) (44) وهذا اطرف
مثال للاواصر الوطيدة بين المصدرين من التجار
الهندوس والوسطاء العرب ضد عملاتهم الروم .

لكن لا يظن ان الاتفاق بين الشريكين القديمين
كان كفيلا بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذي اقتحم
الميدان مسلحا بالتفوق في طرق الملاحة فان المصدر
نفسه أعني (Periplus) يحدثنا ايضا عن الموالاة بين
الروم وبين حميز ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل
سبا منذ حوالي 115 ق.م ، وذلك شاهد على ان
العرب وان لم يكونوا قد تركوا الميدان الا انهم كانوا قد
بدأوا يهادنون خصومهم وهل ذلك الا كنتيجة للضعف
والوهن ؟

ومما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب في
تجارة الهند . لا يخفى ان الهندوس كانت لهم علاقات
تجارية قديمة جدا بساحل الصومال والحبشة ، لا ادل
على ذلك من ان المصادر الهندوسية تحتوي على أقدم
الاشارات الى « رجال القمر » و « جبال القمر » (45) ،
ثم ان العرب ، وان لم يرحبوا بالتجار الهندوس في
الموانئ اليمنية ، كانوا قد أمسكوا عن مزاحمتهم في
منطقة شرق أفريقيا (46) حتى أصبحت ملتقى للتجار
الهنود والعرب واليونان والروم أيضا وقد ظلت على
حالتها هذه الى ان بدأ الحبشيون يتطلعون في الفترة
التي نحن بصدها الى نصيب اكبر لانفسهم من تجارة
الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالفا مع الروم
ضد العرب لهذا الغرض (47) وهكذا أصبحوا عاملا
جديدا كان له شأن يذكر فيما بعد .

43) هكذا يسميها أبو الفداء : التكوين (باريس) ص 358 .

44) Periplus ص 4

45) المصدر نفسه ص 87 نقلا عن Speke : Discovery of the Source of the Nile

46) المصدر نفسه ص 3

47) Hitti ص 59

48) Rawlinson ص 103

اشتد أيضا في الوقت نفسه مركز الاحباش حتى
اصبحوا المنازع الوحيد للفرس في تجارة الهند :

انتقل زمام الحكم من البارتين الى الساسانيين
في سنة 225 م ومن اهم ما امتاز به الساسانيون
اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس - الناحية التي
لم يلتفت إليها اسلافهم قط ، يتجلى هذا الاهتمام فيما
قام به اول ملوك الاسرة الجديدة ، اردشير الاول
(225 - 241 م) من انشاء الموانئ وما إليها . وفي
مطلع القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان
الساحل الغربي على الفرس بالساحل الآخر عبر
الخليج الفارسي ثم عن انتقام سابور الثاني من
العرب بعد ذلك بزمان قليل مما يدل على تقدم الملاحة
واجتياز العنصرين دورا من المزج والصهر في بوتقة
واحدة . وفي هذه الاثناء زالت روما وخلفتها قسطنطينية
سنة 330 م كما ان حمير استكملت سيادتها على الجزء
الجنوبي من جزيرة العرب حتى أصبح التبع « ملك
سيا وحضر موت ويمنات ونهامة » لكن حمير كانت
الآن مهددة تماما من قبل الحبشيين الذين كان يجري
في عروقهم دم المهاجرين من اليمن نفسها وفعلا بدأ
ملوك كسوم (Axum) يتحرشون بسكان الساحل
الشرقي للبحر الاحمر منذ اواخر القرن الثالث حتى
نجحوا في النصف الاول من القرن الرابع في اخضاع
حمير لسيادتهم ، ومع ان سيادتهم لم تدم الا برهة
قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها الا ان
الحبشيين بقوا عاملا يعتمد به في كل ما يتعلق بالتجارة
والسياسة في البحر الاحمر .

لقد مررنا سريعا بالقرن الثالث والرابع
والخامس لقلة المصادر عنها غير ان الوقائع التي
سردناها تعطينا فكرة عن التيارات الآخذة في النمو
والاشتداد وما ان نصل الى القرن السادس حتى نرى
نتائجها واضحة مستكملة وهي تتلخص في استيلاء
الحبشيين مرة أخرى على حمير سنة 525 م ، وما
يستلزمه الانتباه ان ذانواس لم يكن يملك اسطولا ولم
يظهر اية مقاومة الا بعد وصول المهاجمين الى البر ،
ثم جاءت النهاية الكبرى للخراب الذي كان يتسرب

في كلتا المملكتين المتخاصمتين وينقلون البضائع بينهما
وذلك الى سنة 273 م - الوقت الذي رأى فيه الروم
ان الفرصة قد سنحت للاستيلاء على تدمر كما كانت
قد استولت على الرقيم من قبل .

يتجلى لنا في جغرافية بطليموس (حوالي 150 -
160 م) مدى التقدم الذي كان قد احرزه التجار
الروم في الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعا
على حساب نفوذ العرب ومصالحهم فقد كانوا عرفوا
خليج البنغال بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges)
و « بلاد الذهب » (جنوبي ملايو) كما ان واحدا
منهم على الأقل يسمى الاسكندر كان قد زار طونكنج
(Tong King) ، كذلك وصل وفد منهم في سنة 166 م
الى عاصمة الصين ليشكو من احتكار الايرانيين لتجارة
الحرير ويعرض انشاء علاقات مباشرة عن طريق
الهند (49) ومن جهة أخرى تفيدنا المصادر الهندية
التاميلية (Tamil) عن وجود جاليات للروم في جنوب
الهند وانخراطهم في خدمة الامراء الهنود (50) كما ان
ظهور التجار الهنود في اسواق الاسكندرية - الامر
الذي يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراجن (51)
يعد دليلا على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين
الروم والهند .

وهكذا استمرت هذه الحركة قوية طوال القرنين
الثاني والثالث بينما أصبحت العرب غير ذات شأن
الى ان حدثت تطورات سياسية جديدة وسماحت
احوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التي
كان يتعامل بها كل من العرب والهنود فكانت النتيجة
ان ركبت التجارة وتضاعفت الى ادنى حد بدليل انه لم
يعثر في الهند على العملة الرومانية الراجعة الى ما
بعد 211 م الا القليل النادر (52) .

*/

لقد رأينا أننا كيف ان العرب غلبت على تجارة
الهند ولكن القضاء لم يمهل الروم طويلا ليجنوا من
ثمرات نصرهم فسفرى كيف ان الفرس حلوا محل
العرب والروم جميعا أثناء القرون التالية ، نعم وقد

ص 173 - 178

(49) انظر Hirth: China & the Roman Orient, 1885

(50) Rawlinson ص 121

(51) المصدر نفسه ص 140

(52) المصدر نفسه ص 151

لم ينجحوا في ذلك لما كان يتمتع به الفرس من النفوذ وحسن إدارة الأمور في أسواق سيلان والهند. ولم يقتصر نفوذ الفرس عند هذا الحد بل تعداه إلى إنشاء مراكز لهم في سقطرة وفي (Adulis) نفسها وأخيرا نراهم يطردون الحبشيين من اليمن وينتزعونها لأنفسهم حوالي 570 م .

هكذا تمت للفرس السيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة وساحل شرق أفريقيا من جهة أخرى ، وكان من الطبيعي أن يصبح الخليج الفارسي الطريق الرئيسي لتجارة الهند في عهدهم ، كما كان البحر الأحمر إبان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الأحوال منعكسة على الشعر الجاهلي العربي والروايات التي وصلتنا عن ذلك العهد : أمهل أدل على الاتصال الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسي من أن الأبله كانت تعرف بـ « فرج الهند » (55) كذلك يرجح أن « عدولية » في قول طرفة :

عدولية أو من سفين ابن يامن (56)
يجور بها الملاح طورا ويهتدي

هي السفينة المنسوبة إلى (Adulis) مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسي .

بقي أن نتساءل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة والتجارة في هذا العهد ؟ يبدو أنه لم يكن لهم صفة مستقلة ، إنما كان أهالي عمان وما حواليتها

إلى اليمن منذ قرون بشكل انشقاق سد مأرب ما بين 542 — 570 (53) أما الفرس فكانت مكانتهم عالية ممتازة جدا ، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانئ الهندية وكانوا كما يشهد به (Procopius) و (Cosmos) يتسلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من « الصين » (Sinae) الساحلية في سيلان بينما كانوا هم أنفسهم مسيطرين على الخطوط البرية الموصلة عبر وسط آسيا إلى (Seres) مصدر « السرق » (54) أي الصين الشمالية . فخلاصة القول أنه لم يكن أحد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانئ الهندية إلا الحبشيون الذين كثيرا ما ترددوا ببضائعهم ، ولا سيما العاج ، على سيلان والساحل الغربي للهند حتى على موانئ الفرس أنفسهم وكانت (Adulis) (حاليا Massawa) ميناء الحبشة الرئيسي (وقاعدة الهجوم على اليمن) ، في هذا الوقت مركزا تجاريا هاما لأن الروم كانوا قد اضطروا إلى قصر نشاطهم على الاتصال بها والحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون التجاوز عن باب المندب إلا قليلا ، وهل أدل على تخرج موقف الروم وعجزهم من أنهم تو ما سمعوا عن استيلاء الحبشيين على اليمن بعثوا بعيد 531 م بسفارة من قبل الإمبراطور (Justinian) إلى اكسوم يطلبون من الحبشيين أن يحاولوا شراء الحرير رأسا من الهنود وبيعه لهم (الروم) لكي تتوفر الأموال التي كان الروم مضطرين إلى دفعها لأعدائهم الفرس ، فعلا حاول الحبشيون العمل بهذا الاقتراح إلا أنهم

(53) المهم أن انشقاق سد مأرب كان نتيجة لا سببا لخراب اليمن وتشتت سبأ . انظر Hitti ص 65
(54) ظل العالم الغربي يجهل حقبة طويلة أن (Sinae) التي كان الوصول إليها عن طريق البحر و (Seres) التي كان الوصول إليها عن طريق البر إنما كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد ، كما أن سكانهما كانوا من شعب واحد ، وتمثل كلمة « السرق » بالعربية (* بالانجليزية « Silk ») الحرير الوارد عن طريق البر أي إيران (بالفارسية « سره » والاصل بالمنغولية (sirkek) والصينية « ssi ») انظر (Periplus) ص 266 .

(55) تاريخ الطبري (ليدن 12 / 2021 ، انظر أيضا 2023 حيث جاء : « كان فرج الهند أعظم مخرج فارس شأننا واشدها شوكه وكان صاحبها يحارب العرب في البر والهند في البحر »

(56) ورد ذكر ابن يامن في بيت لأمري القيس أيضا :

أو المكرعات من نخيل ابن يامن
المشقر : قصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجح الدكتور سليمان الندوي أنه كان تاجرا عربيا يهوديا هناك (عربون كي جهاز راني ص 26) .

(57) انظر (Hourani) ص 42 . أما اللغويون فنجد أقوالهم متناقضة مما ينم على نوع من التخطئ : عن الأصمعي عدولي قرية بالبحرين ، وقيل موضع يسمى عدولة ، وعن ابن الكلبي : عدولي ليسو من ربيعة ولا مضر ولا ممن يعرف من اليمن إنما هم أمة على حدة (كذا في اللسان « عدل ») .

قد اختلطوا اختلاطاً كبيراً بجيرانهم الفرس ، وكان من الطبيعي أن يشاركوهم أعمالهم مما اكتسبهم دراية وخبرة . أو لا نرى إلى أزد عمان وهم يحتشرون لكونهم « مزونيين » وملاحين كما أن كبارهم ربما نسبوا في معرض الهجو إلى أصل فارسي (58) . أما الصور الرائعة لمناظر البحر وأحواله وسير السفن فيه التي يزخر بها ديوان العرب ، فلا يصح أن نتخذ دليلاً على مزاوله العرب للملاحة أو اهتمامهم بها ولا سيما إذا كان هناك ما يؤكد استهجانهم لها ، إنما كانت تلك الصور كليشاهات نقلت إلى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية (59) .

{*}

على ضوء ما سردناه آنفاً من الأوضاع المسائدة في القرن السادس نستطيع أن نفهم جيداً بعض الحوادث التي وقعت في أوائل العهد الإسلامي، فمثلاً حملة أهل عمان البحرية على فارس وحتى سواحل السند وكجرات بدون سابق إذن من الخليفة الثاني عمر إنما تدل على المعرفة القديمة والتحمس الجديد لإثبات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متفوقين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف أن عمر الذي كان حذراً خائفاً من « حمل الدود على العود » اضطر إلى السماح بمهاجمة (Adulis) لأشعار الحبشيين بانتفاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسعت الفتوح الإسلامية حتى شملت مصر من جهة والسند من جهة أخرى فكانت النتيجة أن أصبح طريقاً الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وتلك غاية طالما تأقت الحكومات المختلفة إلى تحقيقها فلم توفق إلى إزالة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبع هذا التطور الجديد أن ارتفع التنافس والتسابق بين المنطقتين ورجع نشاط كل منهما إلى ما كانت تقتضيه طبيعة العمران والاستهلاك المحلي ، وبما أن خط الخليج الفارسي كان أكثر استقامة وأقرب مسافة وأوثق اتصالاً وأن التجار لم يلجأوا إلى البحر الأحمر إلا للضرورة ، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ

عهد الساسانيين وما زاد في نشاط هذه الناحية زيادة ملموسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة إلى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذي يسيطر فيه مزايا الموقع الجغرافي لتلك المدينة يقوم أوضح دليل على أهمية العلاقات التجارية التي نحن بصدددها، قال دهقان بغداد للمنصور : « ... تحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ... » (60) .

يصدق هذا القول ما أورده الرحالون والجغرافيون أمثال سليمان التاجر (237 هـ) وابن خرداذبه (232 هـ) والمسعودي (332 هـ) والمتدسي (375 هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمران في الإبله وسيراف والبصرة ، لقد كانت المراكب تغلغ من هذه الموانئ إلى مسقط ومن هناك رأساً إلى كولم إلى (Quilon)

بجنوب الهند حيث كانت تفرق الطرق فاما إلى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرقي واما إلى سرنديب (جزيرة سيلان) وكله (Kedah بملايو) على الطريق إلى الصين ، هذا فضلاً عن حركة التجارة المتصلة بالموانئ القائمة على الساحل الغربي للهند فوق كولم ومن أشهرها الديبل على مصب نهر السند وكبابت وبروص (Broach الحالية) بكجرات وتانه وصيمور (Chimur) وسوباره (Churparaka = Sopara)

بأنليم بومباي ولنفكر مدى توثق العلاقات بين المصدرين الهنود وزبائنهم بقول سليمان عن ملوك الككم (Konkon) أنهم « يعمرون ربما ملك أحدهم خمسين سنة وتزعم أهل ملكة بلهرا (Rashtrakutas = «Vallabhras») »

إنما يطول مدة ملكهم وأعمارهم في الملك لمحببتهم للعرب وليس في الملوك أشد حبا للعرب منه وكذلك أهل مملكته (61) لم لا والرخاء الاقتصادي في البلاد كان يتوقف على تصريف المنتجات في أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن انتشار الإسلام إلى الجانب الشرقي للخليج الفارسي ساعد كثيراً على تكوين شعب واحد من الفرس والعرب سكان السواحل في تلك المنطقة وقد كانوا اختلطوا

(58) المهلب بن أبي صفرة مثلاً .

(59) انظر دائرة المعارف الإسلامية « السفينة » .

(60) البلدان لياقوت (ط أوربا) 681/1 .

(61) سلسلة التواريخ ص 27 .

يركبون في البحر الغربي غربا عدلوا بتجاراتهم السى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها الى ملك فرنجة فيبيعونها هناك ، وان شاعوا حملوا تجارتهم من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسيروا على الارض تلك مراحل الى الجابية ثم يركبون في الفرات الى بغداد ، ثم يركبون في دجلة الى الابله ومن الابله الى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل ببعضه ببعض (63) .

ثم يحدثنا ابن خردادبه عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« هم جنس من الصقالبة فانهم يحملون جلود الخنزير وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلية الى البحر الرومي فيعشرهم صاحب الروم وان صاروا في تنيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون الى بحر جرجان ... وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الابل الى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون انهم نصارى فيؤدون الجزية ، فاما مسلكهم في البر فان الخارج منهم يخرج من الاندلس او من فرنجة فيعبر الى السوس الأقصى فيصير الى طنجة ثم الى افريقية ثم الى مصر ثم الى الرملة ثم الى دمشق ثم الى الكوفة ثم الى بغداد ثم الى البصرة ثم الى الأهواز ثم الى فارس ثم الى كرمان ثم الى السند ثم الى الهند ثم الى الصين (64) .

اما البضائع والمنتجات التي عرلت الهند بها بين العرب فقد أشار إليها بالاجمال أيوب بن القرية (من اصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) حينما سألته الحاجاج عن الهند فأجاب بقوله : « بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر » (65) . وقد عرض لها بالتفصيل أبو زيد السيرافي حيث قال :

« بحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفي جباله الجواهر ومعادن الذهب ، وفي أفواه دوابه العاج ، وفي منابته الابنوس والبقم والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندل وسائر الافواه الطيبة الذكية وطبوره الففافي (يعني الببغاوات والطواويس) وخرشبات

وامتزجوا الى حد كبير في العصر السابق ، ولذلك نراهم في العصر الاسلامي يشتركون في أعمال الملاحة والتجارة اشتراكهم في استعمال اللغة العربية كتابة وخطابة مما يجعل من العسير التمييز بين العنصرين ، الا ان نظرة واحدة على اسماء النواخذة الوارد ذكرهم في كتاب عجائب الهند لبزرگ بن شهريار (62) تكفي للتدليل على وجود العنصر الفارسي بل وعلى غلبته ايضا .

اما مقدار التجارة عن طريق البحر الأحمر فكان وفقا لحاجة مصر لا غير وللسبب نفسه يرجح انه زاد كلما ارتفع شأن مصر على اثر انحلال الدولة العباسية لاشك ان عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل والقلمزم الا انه لم يكن يستهدف من ورائه غير نقل الميرة الى الجار ميناء المدينة .

وأخيرا يجب التنبيه على ان ظهور الاسلام وان ادى الى قيام دولة واحدة تشرف على طريقي الخليج الفارسي والبحر الأحمر الا انه في الوقت نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة وبيزنطة ، تلك القطيعة التي استمرت طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار احدى الدولتين بالاطمئنان الى انشاء صلات مستديمة مع الدولة الاخرى فكانت النتيجة ان انحصرت مهمة نقل البضائع بين دار الاسلام وبلاد المسيحية في ايدي اليهود الذين يتحدث عنهم ابن خردادبه بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والافرنجية والاندلسية والصقلية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والفلمان والديباغ وجلود الخنزير والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرجون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلمزم ... ثم يركبون البحر الشرقي من القلمزم الى الجار وجدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلمزم ثم يحملونه الى الفرما ، ثم

(62) Leide, 1883-86

(63) المسالك والممالك 153 - 154 .

(64) المسالك والممالك 153 - 155 .

(65) الاخبار الطوال للدينوري ص 326 .

أرضه الزباد وظباء المسك وما يحصيه أحد لكثرة خيره » (66) .

هذا وقد جمع أحد من الشعراء الموالي اسمه أبو الضنع (كذ في معجم المرز بانبي 513 وفي الفهرست 174 « أبو الصلح ») السندي كل ما امتازت الهند به من وفرة الانتاج واشتهرت به من جودة الصناعات في أبيات رائعة في معرض المدح والإفتخار : قال :

لقد انكر أصحابي : وما ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهند وسهم الهند في المقتل
لعمري أنها أرض إذا القطر بها ينزل
يصير الدر والياقوت والدر لمن يعطل

فمنها المسك والكافور والعنبر والمندل
وأصناف من الطيب ليستعمل من يتفل
وانواع الأفاويه وجوز الطيب والسنبل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
وان أنتوتيا فيها كمثل الجبل الأطول
ومنها الببر والنمر ومنها الفيل والدغفل
ومنها الكرك والبيفاء والطاووس والجوزل
ومنها شجر الرانج والساسم والفلفل
سيوف ما لها مثل قد استغنت عن الصيقل
وارماح إذا ما هزت اهتز بها الجففل
فهل ينكر هذا الفضل إلا الرجل الأخل ؟

الآثار للتزويني ص 85 وانظر الحيوان 50/7 .

الألفاظ الهندية المعربة

بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الموطن الاول لبضاعة من البضائع إذا اقترن بثبوت استيراد العرب لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلا قويا . بل قاطعا . في كثير من الاحوال ، على أن الاسم هندي الاصل كالبضاعة ذاتها . فمن الامثلة المتفق عليها من هذا القبيل الموز والكافور والقرنفل والصندل والساج والمسك والليمون والنارجيل وأسماء عدد من العقاقير كالاطرفل وجميع أصناف التوابل تقريبا كالفلفل ، وسنرى أننا لو سرنا على هذه القاعدة لكان في وسعنا أن نلقي بعض الضوء على أصول عدد من الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من الغموض .

ولا يخفى أن لبحثنا هذا جانبا آخر على درجة كبيرة من الأهمية وهو أن معظم تلك الكلمات التي يقل عنها أنها عربية دخيلة في اللغات الأوربية ، ولاسيما الإسبانية والفرنسية والانجليزية ، هي في الاصل معربة عن الهندية واللغات المحلية لمناطق أخرى شرقي الهند ، وذلك لأن تلك الكلمات إنما شقت طريقها إلى أوربا عن طريق التجارة على أيدي العرب ، ولكن العرب لم يكونوا منتجين في أي من حقلَي الزراعة والصناعة لا شيء إلا لأن الطبيعة حرمتهم من الثروة النباتية والمعدنية . إذن فكان

أن العلاقات التجارية بين الهند والعرب راسخة في القدم تتمثل في الاسماء الهندية المعربة أكثر منها في اشارات أو روايات في بطون الجاميع الادبية والتاريخية أو المؤلفات الجغرافية ، وقد استحضرنا في ذهني عددا من المفردات المتعلقة بالتجارة وما إليها اتوسمها لعلها قد بقي فيها بعد طول اغترابها ما يمكننا من ردها إلى أصلها الهندي العتيق ، وأقدم فيما يلي بعض النتائج التي وصلت إليها بشأن أصل طائفة من الألفاظ المعربة ، والتي ربما اعتبر بعضها عربيا محضا .

ويهمني أن أنوه في هذا المقام بظاهرة ربما يكفل إبرازها القضاء سلفا على أي استغراب يلحق القاريء فيما بعد ، وهي أن العرب الأول الذين نراهم عبر التاريخ يغامرون بحياتهم في لجج البحر الهندي إنما دأبوا على ذلك ليجلبوا من الهند وما وراء الهند لا البضائع فحسب بل أسماءها المحلية أيضا كما سمعوها من أفواه الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ، وسيبدو ذلك طبيعيا إذا نحن قدرنا أن معظم تلك البضائع هي التي لم يعرفها العرب في اوطانهم وغير اوطانهم من قبل ، بل إنما عرفوها لأول مرة في الهند ثم عرفها العالم الغربي عن طريق العرب فيما

المصريين وبدأوا ينطقونها «المناخ» . . (2) الحقيقة أن أصلها « رهمانج » عند ابن ماجد (69) وهو تحريف البحارين لكلمة « الراهنامج » التي جاء عنها في التاج 51/2 : « فارسية استعملها العرب وأصلها « راه نامه » ومعناه : كتاب الطريق) . . . وهو الكتاب الذي يسلك به الرابطة) . . . في سفر البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها) كالشعب ونحو ذلك » .

صناعة السيوف وما إليها

(1) الآنك : لقد أصاب أدى شير القول بأنها قريبة من « Ranga » بالسنسكريتية (الفارسية : آهك) ، والرصاص الأبيض معروف إلى الآن في الهند بذلك الاسم ، وهو جزء من كلمة « الاسرنج » - لعل أصلها أن يكون « h'sang » (70) (لا « سرخ » + آنك » كما أورده أدى شير)

أما معدن الرصاص فيقول عنه مسعر بن مهلهل (القرن الرابع الهجري) : « أنها (كله) أول بلاد الهند مما يلي الصين ، وأنها منتهى مسير المراكب ، ولا يتها لها أن تجاوزها والا غرقت ،

الانذار حتمت عليهم أن يقوموا بدور الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها إلى أوروبا إلى أن قدر لأوروبا الاتصال مباشرة بالشرق الأقصى في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو لعمرى دور لعبه العرب لا بجرأة وكفاءة فحسب بل بأمانة تركت أطيب الأثر وأعظمه في نفوس السكان غير المسلمين لمختلف مناطق الهند الساحلية . فهذه الظروف تقرر علينا . كلما وجدنا في اللغات الأوروبية كلمة تتعلق بالملاحة (67) أو التجارة على أيدي العرب في المحيط الهندي ، أن نواصل البحث عن أصلها الهندي بعد أن نهدي إلى شكلها العرب في العربية ، ولعل في مقارنة الطرفين الأوربي والهندي ما يكشف لنا بعض ما غمض على المتأخرين من العرب أنفسهم في بعض الأحيان .

فمثلا كلمة (Almanac) لم يشك أحد في أنها انتقلت إلى أوروبا عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتمام إلى أصلها فقالوا أنه « المناخ » (محيط المحيط - ن و خ) أو أن العرب الاندلسيين استعاروا كلمة

BA YIXIΛ3WYB (68) من

(67) لقد صرح المسعودي : فيما يتعلق بالملاحة ، أن العرب حرصوا على الأخذ بالألفاظ المحلية في مختلف المناطق التي تردوا عليها ، انظر إلى قوله : « إنما نغير بلغة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج 332/1 (أيضا 343 : « إنما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم » .

ويلاحظ أيضا في هذا الصدد أن العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية الفصحى ، ولا هم اعتنوا بأشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل إنما أخذوها من أفواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يترددون عليها ، ولا يخفى أن تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة .

Hob.-Job. - « Almanack » (68)

Ferrand : Instructions Natiques, Tome I ص 60 « رهمانج » - 88 « رهمانجات » - 76 (69) « رهمانجا » .

واللبس مثل الذي نشاهده في أول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق بالكلمات الأعجمية التي في أولها حروف تقارب الألف واللام . فكلمة « انجر » (Anchor) مثلا أصلها بالفارسية « لنكر » (القاموس - نجر) ، أضاف العرب عليها الألف واللام (ال لنكر) ، ثم التبس عليهم الأمر فظنوا أن اللام ليست من الحروف الأصلية « النكر » وقالوا « انجر » - وكذلك الرصاص من « أرزير » (انظر أدى شير) ، والماس من « Adamas » (Periplus ص 224 وانظر بزرك ص 128 « الادماس ») بتمامه كلمة غير عربية والألف واللام من بنية الكلمة ، كذا في شفاء الفليل واللسان (ماس) عن ابن الأثير - وسيأتي الآنك من « Ranga »

يلاحظ أيضا أنهم كثيرا ما يحذفون الكاف والميم من الأول في التعريب ، انظر مثلا الرند = كرندة و « انباتي » نسبة إلى كنبات و « انبجاني » نسبة إلى « منبج » واترج / ترنج تعريب « ما تلتفا » - وكذلك الواو يسقط من الأول مثل « النج » من « valgu » وارز من « virizi »

Watt (70) ص 707 .

وقد ذهب الباحثون الى ان « كله » توازي « Kedah » أو « Kra » الحالية (75) .

ويلاحظ ان اهم ما اشتهرت به سيوف الهند جودة الصقل ، وهو عمل لا يتأتى الا بالآلئك الذي استأثرت القلعة بانتاجه ، أما الحديد اللازم لصناعتها فقد اورد الادريسي بشأنه ما يلي :

« ان بلاد سفالة (سفالة الزنج أي شرق افريقيا) يوجد في جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة ، واهل الرانج (الزانج ؟) وغيرهم من ساكني الجزائر المطيفة لهم يدخلون اليهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السند وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لان بلاد السند اكثر تصرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وان كان الحديد موجودا في بلاد الهند ومعادنه بها ففي بلاد سفالة هو اكثر وأطيب وأرطب ، لكن الهندين يحسنون صنعته وتركيب اخلاط الادوية التي يسكنون بها الحديد اللين فيعود هنديا منسوبيا الى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعتهم يجيدونها فضلا عن غيرهم من الامم ، وكذلك الحديد السبي (كذا وفي نسخة أخرى: السندي) والسرنديبي والبنيماني كلها تتفاضل بحسب هواء المكان وجودة الصنعة واحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلء ، ولا يوجد شيء من الحديد أمضى من الحديد الهندي ، وهذا شيء مشهور لا يقدر أحد على انكار فضيلته » (76)

هذا وقد كانت البيلمان (البنيمان) مركزا آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليه السيوف البيلمانية ، وكانت تقع على ملتقى حدود السند والهند كما يتضح مما ورد في شأنها في فتوح البلدان للبلاذري ص 440 و 442 ، أما القول بأنه « يشبه ان يكون (البنيمان) من أرض اليمن » (انظر البلدان لياقوت والقاموس « ب ل م ») فلا يقوم على سند .

وبها قلعة يضرب بها السيوف القلمية . وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا الا في هذه القلعة . . وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلمي الا في هذه القلعة » (71) .

فالنسبة في « السيوف القلمية » و « الرصاص القلمي » (الفرنسية : Alkalap الى هذه الصنعة بـكله (72) وقد شهد الادريسي ايضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الابيض بالنسبة الى العالم أجمع في زمانه ، فانه يقول :

« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلمي . وهو بها كثير صافي الجوهر ، والتجار يغشونه بعد خروجه عنها ، ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الارض » (73) .

ثم يظهر ان مثل هذا المعدن نجم في الاندلس ايضا فيما بعد ، فبدأ التجار يتجولون عن الهند اليها ، حتى اذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسعر بن المهلهل بلد في اول بلاد الهند من جهة الصين ، واليه ينسب الرصاص القلمي والسيوف القلمية ، واقليم القلعة من كورة قلبرة بالاندلس ، وأنا اظن الرصاص القلمي منسوبيا اليها او الى قلعة بالاندلس فانه من هناك يجلب » (74) ان شهادة مسعر بن المهلهل والادريسي ليست موضع الشك ، وكل ما افادنا ياقوت هو ان الرصاص الابيض كان في أيامه يجلب من الاندلس بعد ان كان يجلب من القلعة بـكله من ذي قبل . ولعل في الاخذ باسم « القصدير » - الذي يرادف الآنك الا انه معرب عن اليونانية - ايضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق الى الغرب .

ثم انه يرجع عندي ان المراد ليس « القلعة بـكله » بل كلمة « قلعة » هي تعريب « كله » لا غير ، والمعدن المسمى « كله » باللغة المحلية انما كان واقعا على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو ،

(71) القزويني 69 وياقوت « القلعة » و « الصين » .

(72) المغرب للجوالقي ، تحقيق احمد محمد شاكر - ص 276 .

(73) دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 ص 130 .

(74) المشترك والمفترق 357 .

(75) انظر دائرة المعارف الاسلامية « Kalah » و « Kal'i » .

(76) ص 108 - 109 . قارن ابن الوردي ، القاهرة 1328 هـ ، ص 51 .

الرمح

تلك هي قصة السيوف التي لم تزل تحمل نسبتها الى الهند كسماح لجودة الصنعة وحسن الحقل ، ولنتقل الآن الى الحديث عن الرماح التي ضويت نسبتها الى الهند على مر الزمان ، الا انه يمكننا اذا امعنا النظر ان نستشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الغرابة والغربة مع انها كثيرا ما عدت عربية لا نشيء الا لعدم الاهتداء الى اصلها .

يتكون الرمح من جزئين : الاول هو النصل او السنان ، والثاني هو القنّاء . وغنى عن البيان ان صناعة السنان متجانسة مع صناعة السيوف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي ان يغلب الظن بان العرب ربما استعملوا الأسلحة المصنوعة في الهند الا انه لا يعدلنا من الدليل الإيجابي ما يرتفع بهذا الظن الى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعملون ببعض الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . انظر الى كلمة « الخرص » تبدو كأنها دخيلة على مادة « خ ر ص » العربية .

فالخرص تعني الجزء الاعلى الذي فيه الحد من السنان ، وهي بهذا المعنى توازي كلمة « Kirch » بمليالم (Malayalam) إحدى اللغات الدكنية - والأردوية أيضا ، ولعل أصلها في لغة جاوة وملايو « Kris, Kiri, Kres » (77) - وربما اطلقت

الكلمة على القضيب والرمح نفسه كما قال حميد وابن ثور : « عض الثقاف آنخرص الخطيا » (78) ولا يخفى ان هذه النسبة الى الخط هي اقوى ما يؤيد الاصل الهندي للرمح المنسوبة اليها لان الخط لم تكن الا مرفا للسفن الواردة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد .

اما الجزء الثاني ، وهو بلا شك أهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى ان الشعر العربي يزخر بأوصافها ونعوتها الا ان كثرة استعمال العرب للاسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على السنتهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما الى ذلك جعلنا اصل تلك الاسماء نسيا منسيا . هذا مع انه قد ثبت بصورة

قاطعة لا يتطرق اليها اي شك ان منبت القنا الذي كان العرب يعتمدون عليها لسد حاجتهم - وما أكثر تلك الحاجة - لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفا بعد ان نسوق بعض المقدمات ونتعرض لبعض الملاحظات التي لا بد منها نظرا الى غموض الموضوع .

أولا : القنا = قصب السكر . لا يخفى ان اطلاق القنا على هذا المعنى انما هو على سبيل التبعية والمجاز . وان كان ذلك مطابقا للمألوف في اللغة السنسكريتية وبعض اللغات الهندية الاخرى . وعلى كل حال فالمرجح عند العلماء هو ان موطن قصب السكر الاصلي لا يتجاوز ما بين بنفالة والهند الصينية (79) والدليل على ذلك ان جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم بأسمائها الهندية وهاكها فيما يلي :

1 - Candy = الفارسية والعربية « قند » = سنس « Khanda » ومليالم « Kandi » (79) .

2 - العربية « فانيد » = الفارسية « بانيد » = سنس « Phanita » - قارن « Penidium » Med. Lat. وقد ذكر ابن حوقل والبشاري الفانيد من أهم الصادرات من مدن السند: فنجبور ومولتان وطوران .

3 - Sugar = العربية « سكر » = الفارسية « شكر » = البراكرتية « Sakkara » / سنس « Sarkara » .

ومن الطريف في هذا الضدد ان الهنود ، وان كانوا اول من قام بإنتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر ، وذلك لان الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند الى الصين والى مصر (ثم الى صقلية والاندلس) ، لم يلبثوا ان سبقوا الهنود في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ، ففاق الصينيون في صنع سكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة ، كما ان المصريين اقتصوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذينك الصنفين من السكر من

(77) « Crease, Cris » - Hob.-Job.

(78) اللسان 8 / 287 .

(79) « Candy » - Hob.-Job.

جدا في العصور الوسطى ، ومن المتفق عليه ان كلمة انطاشير انما هي منقولة عن سنس « Trakkshira » اي انها هندية الاصل (81) .
ثم ان الخيزران يصفه العرب انفسهم بأنه شجر هندي وهو عروق القنّاة (انظر الصحاح والتاج « خزر ») أفلا يكون القنّاة اذن شجرا هندية ؟ والخيزران الهندي (82) هو الذي يتمثل به في

الصين ومن مصر الى مطلع القرن الماضي حتى انهما يعرفان الى الآن في اسواق الهند باسم « صيني » و « مصري » على الترتيب (80) .
ثانيا : القنّاة بمعنى الرمح . يلاحظ في هذا الصدد ان هناك شيئا يشبه السكر كثيرا ما يتكون داخل القنّاة (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعا

(80) « Sugar » - Hobson-Jobson

ومما يشهد ببراعة المصريين في هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركو بولو (Ramusio II, 44) :

« And before this city » (a place near Fu-chau) « came under the great Can these people knew not how to make fine sugar ; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia » (i.e., of Cairo) « who happened to be at the court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees » - 1298 A.D.

ومجلة « اللسان العربي » تلاحظ ما يلي :

كان السكر يصنع في شقي العروبة بأفريقيا : المغرب ومصر وقد حدثنا المقرئ انه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب كما كان يعلو عدة أحجار (انخطط ج 1 ص 203) وكذلك في قابس وجولوا (البكرى في المسالك جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) .
وقد أكد ماس لاطري Latrie ان المغرب كان يصدر السكر في القرن الثالث عشر الميلادي الى الفلاند والبندقية (علائق وتجارة افريقيا الشمالية ص 376) وقد نبه الحسن بن محمد الوزان المعروف - Léon l'Africain على وجود السكر بسوس قبيل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا اساليب تصفية هذا السكر وتبييضه في معاصر ساهم الاسرى المسيحيون في تأسيسها بأكادير وخاصة ، سكاوة وشيشاوة (مستندات دوكانتر ج 1 ص 303) .

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد الغالب - المسلوخ - عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) في رجب 968 (مارس 1561 م) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربي مع زيادة نسبة في المائة وكذلك اصدار النحاس المغربي لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 746) .

ولما عجز الاوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر في معمل اكادال بمراكش وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عملياتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصنّاع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاد لابن زيدان ج 3 ص 556) .

واسس مولاي الحسن عام 1878 مصنعا للسكر بمراكش وكلفه ذاك نفقات باهظة . ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبغة للجلود (كامبو ص 59) .

وقد كان البلاطان الفرنسي والانجليزي يتنافسان في القرون الاخيرة على اقتناء السكر المغربي المكر لصفائه وجودته .

(المعجم التاريخي للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله ص 38) .

(81) « Tabasheer » - Hob.-Job.

(82) لقد عرف العرب ان بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدي : « بلادهم بلاد الخيزران » (انظر اللسان - خزر) الا انه من المحقق انهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه في شدة اللون . كذا في محيط المحيط - خزر . وقد أورد القزويني في الآثار ص 38 عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل الى سائر البلاد » .

(x) وقد كان أهل Magan اي عمان يستوردون الاخشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح - انظر : Wilson : The Persian Gulf, p. 27

شدة اللين ومنه قولهم : الخيزرى والخوزرى
والخيزلى = مشية فيها تفكك .

وربما اقترن اسم القنا بالقسط ما عدا الخيزران
عند الربانة والجغرافيين العرب كما سنرى ،
ومن المسلم به ان القسط أو الكسط هندي بحت
(سنس « Kustha ») وانما نسبوه فى بعض
الاحيان الى ظفار باليمن لانه كان يجلب اليه من
الهند ، القاموس « ظفر » .

ولنبحث الآن عن المواضع التى كان العرب
يترددون عليها لجلب القنا منها ، نجد انها لا تتجاوز
ساحل السند والساحل الغربى والجنوبى لمنطقة
الدكن بالهند (※) : فهذا قول ابن خرداذبه 62 :
« ومن السند يجيء القسط والقنا والخيزران »
ويقول ايضا : « ومن مهران الى اوتكين وهي اول
ارض الهند مسيرة اربعة ايام ، وفى هذه الارض
ينبت القنا فى جبالها والزرع فى اوديتها واهلها
عثة مردة لصوص » - كذلك يقول ابن الفقيه 251 :
« خص الله بلاد السند والهند ب... القنى
والخيزران ... » - وهذه شهادة مسعر بن مهمل
يقول : « وخرجت الى سواحل البحر الهندي
متيسرا فسرت الى بلد يعرف بمدورقين منابت
غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير
وذلك ان القنا اذا جف وهبت عليه الريح احتك
بعضه ببعض واشتدت فى الحرارة الحركة فانقذحت
منه نار فربما احترقت منه مسافة خمسين فرسخا
او اكثر من ذلك ، فالطباشير الذى يحمل الى
سائر الدنيا من ذلك القنا . فاما الطباشير الجيد
الذى يساوي مثقاله مائة مثقال او اكثر فهو شيء
يخرج من جوف القنا اذا هزت وهو عزيز جدا ... »
ثم يقول عن مدينة كولم ايضا : « والخيزران والقنا
بها كثير جدا » (انظر يا قوت « الصين ») . كذلك
يقول الادريسي : « ومدينة تانة (بالقرب من
بومباي) جيلة ... وبجبالها وارضها ينبت القنا
والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا ومنها يحمل
الى سائر البلاد من المشارق والمغرب » - ص 297 .
وبعد ان تفقدنا منابت القنا وجب علينا ان نقتفي
آثار نواخذة العرب لنرى اين تفرغ سفنهم حمولتها

وهاك ما يقوله ابن سيده (المخصص 34/6) عن
« الرماح الخطية » اشهر الرماح عند العرب : (الخط
مرفا السفن بالبحرين (※) ينسب اليها الرماح
وليست الخط بمنبت لها ولكنها مرفا السفن التى
تحمل القنا من الهند كما قالوا مسك دارين (※)
وليس هناك مسك ولكنها مرفا السفن التى تحمل
المسك من الهند) .

ترى كيف ان القناة المطلوبة من منابتها بالهند
والتي ركب عليها خرص او سنان مصنوع فى مصانع
السيوف حول معادن الرصاص القلعي بالهند ، كيف
ان هذه القناة هي التى تصبح « رمحا خطيا » بمجرد
دخولها حدود جزيرة العرب ؟

السمهري :

والحديث عن « الخطي » يذكرنا على الفور بـ
« السمهري » و « الرديني » . لو رجع احد الى
اللغويين واصحاب المعاجم لوجدهم يقولون ان
السمهري نسبة الى سمهر والرديني نسبة الى ردينة
وهما زوجان كانا يقومان ببيع الرماح بالخط، ولكن
المتبع للشعر العربى والتأمل فى اقوال اللغويين
 واصحاب المعاجم انفسهم لا يلبث ان يتبين ان
السمهري يفاير الرديني تماما من حيث الصفات
النسوبة الى كل منهما ، فالسمهري يمتاز بصفتين
هما : 1 - الاعتدال ، 2 - الصلابه ،
اما الرديني فيتميز بضد الصلابه وهو اللدونة لانه
هو الذى يهتز دون السمهري . وعلى هذا فبالله من
تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع
رماح من نوعين مختلفين - ولعل المفروض انهما
كانا يتخذان محليهما جنبا الى جنب فى سوق
الخط - بدون ان يطفى الواحد منهما على الآخر !
ويا لها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث
يكون بيع الرماح الصلبة من حصه الزوج وبيع
الرماح اللدنة من نصيب الزوجة !! ومما يزيد اقوالهم
ارتباكاً كما يزيدنا ارتياها ان احدا منهم على الاقل
- وهو الزبير بن بكار - ذهب الى ان سمهر كانت
قرية بالحبشة (انظر التاج حيث جاء ان الصاغاني
انكر هذا القول) كما ان بعضهم قال ان سمهر اسم
امراة كانت تقوم الرماح !!!

(※) ذكر Pliny اسم موضع Chateni يقع على سواحل الخليج هو الخط ولا شك ، (الدكتور

جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 309/2) .

(※) Daden/Dirin = البحرين او جزيرة بالقرب منها - (Heeren, II, 230)

كبير عناء بعد أن حططنا الاغلال التي كانت تقيّد فكرنا . كفانا أن ننظر الى كلمة « Rattan » بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غاية في المتانة والجودة وتمتاز قناته أكثر من أي شيء آخر بالمرونة واللدونة (انظر « Rattan » - Hob.-Job.) ومما لا يشك فيه أن هذه الكلمة بالانجليزية منقولة عن « Rotan » بلغة ملايو والهند الشرقية . فهل يستبعد أن تكون (ردينة) الحلقة الوسطى بين « Rotan » من جهة و « Rattan » من جهة أخرى ليس إلا ؟

القنا :

لقد آن لنا أن ندون بعض الملاحظات عن أصل كلمة « القنا » . اننا نرى أن العرب ، مع كثرة وصفهم للرماح ، لم يذكروا أي منبت للقنا في ديارهم . بل بالعكس أجمعت الأدلة كلها على أنهم كانوا يعتمدون على منابت القنا بالهند ، ولا يفوتنا في هذا المقام أن نذكر ما أورده الجاحظ (البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون 16/3) من أن الشعوب طعنوا في العرب بقولهم : « انما كانت رماحكم من مران واستنكم من قرون البقر ... » - لعل مفزى هذا المظن لا يعدو أن العرب لم يجدوا في ديارهم ما يمكنهم من صنع الرماح بجزيئها القناة والسنان - وأخيرا يجب علينا أن لا نفعل اعتبار الاحوال الطبيعية اللازمة لنمو القنا وهي تنحصر في سفوح جبال تهطل عليها السماء مدرارا ثلاثة أو أربعة أشهر متتالية في السنة . أفيوجد مثل هذه الاحوال في جزيرة العرب أو شرقيها وغربيها الا في السند والدكن أي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ ويخيل الي ان قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بأن سمهر كانت قرية بالحشة) يخفي وراءه حقيقة ثابتة وهي أن العرب في وقت من الاوقات اتخذوا من الحشة بديلا من الهند ، مرجعهم الفضل ،

ان المهم في هذا كله هو أن الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانا يبعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفا ، لم تكن الا مرفا للسفن الواردة من الهند ، اذن فمن المؤكد أن السمهرات والردنيسات كانت رماحا هندية ، هذا بغض النظر عن من قام بأعمال بيعها أو توزيعها في الخط . أفستغرب بعد هذا أن يكون التجار العرب قد أخذوا اسم الصنفين من الرماح - الصلب واللدن - من افواه التجار الهنود ؟ ان مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة المعاملات التجارية كما انه يصادف حرص العرب على تسمية الاشياء والبضائع التجارية بأسمائها المحلية . فربما يكون سمهر اسما هنديا جيه العرب مع مسماه (أي الرماح الممتازة بالاعتدال والصلابة) الى الخط وطبعاً خفي امره على الناس لكونه غير عربي ، فلذلك لم يفقهوا غير انه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفأ بالبحرين (83) .

ولعل القاريء الأريب يتبين في قول ياقوت الآتي تأييدا لجميع ما قدمنا آنفا . يقول ياقوت : « سمهر قرأت بخط أبي الفضل بن العباس بن علي الصولي المعروف بابن برد الخيار ... قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني الزبير بن بكار قال الرماح السمهرية نسبت الى قرية يقال لها سمهر بالحشة ... قلت انا وحدثني بعض من يوثق به أن هذه القرية في جزر من النيل (الآثار للقزويني ص 30 « جوف النيل ») يأتي من أرض الهند على رأس الماء كثير من القنا فيجمعهم أهل هذه القرية ويستوقدون زواله ويبيعون جيده وهو معروف بأرض الحشة مشهور - وقول من قال أن سمهر اسم امرأة كانت تقوم بعمل الرماح فانه كلف من القول وتخمين (*) » .

الرديني :

لكن انتفاء شخصية سمهر يستلزم أيضا عدم بقاء ردينة كأرملة تخير في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة ، الا ان تلك مسألة لا تستدعي

(83) لم استطع الجزم بالأصل الهندي الا انه لفت نظري الكلمتان التاليتان المعبرتان عن الاعتدال والصلابة : SAMA, even, level... straight - Williams : Sanskrit-English Dictionary, p. 1066. KHARA, hard, harsh, rough... dense - Ibid., p. 74

(*) هذا ونجد مثالا آخر لهذه الاسطورة بالذات فيما يتعلق بكلمة « السندرة » (انظر ص 68 الآتية) وقد أدرك القتيبي ان القول « السندرة امرأة كانت تبيع القمح وتوفي الكيل » مجازفة لجأ اليها الذين وقفوا حيارى أمام كلمة أعجمية ألفوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدروا ما أصلها .

انعت قوسا نعت ذي انتقاء
جاء بها جالس بروصاء
بعد اعتياد منه وانتصاء
كافية الطول على انتهاء
مجلوزة الأكعب في استواء
سالمة من آبن السياء

(البيان والتبيين 3/93 - 94)

وانظر ايضا الى قول آخر للرقاشي في صفة
القناة التي تبرى منها القسي :

من شتى خضر بروصيات
صفر اللحاء وخوقيات
جدلن حنى اذن كالحيات
رشائقا غير مؤبنات
انفهن متمطرات
عمرو بن عصفور (85) على استنبات

(المصدر نفسه 3 / 71)

لا يخفى ان بروصا كما وردت الكلمة مضبوطة
في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر « بروصاء »
- « بروصاء » بالضاد المعجمة تحريف من الكاتب
ليس الا - في القطعة الاولى لضرورة الشعر - كانت
ميناء هامسا على ساحل كجرات فوق بمباي حاول
العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسند وابان حكمهم
لها ، الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلاذري)
وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم
« Bharoch »

والشريح بمعنى العود يشق منه قوسان (انظر
قول الشماخ : « شرائج النبع براهها القواس »)
هي « chari » بالجييم علامة المعجمة بأخرها .
ومنه يقال لخطى نيري البرد شريحان .

ولا ننسى كيف ان ياقوت خلط بين كله (القلعة)
وبين معدن القصدير بالاندلس لاسباب متشابهة (*)
اذن اهل كلمة « قنا » نفسها معربة من
الهندية « ganna » البراكرتية « gandoo »
السنسكريتية « gandaka » (*)

الوشيج :

اذا كان « الخطي » هنديا فهل من الغريب ان
يكون « الوشيج » - الذي لا يثبت الخطي الا هو -
هنديا ايضا ؟ ان اصل هذه الكلمة هو (Vansha)
والجيم في الآخر علامة المعجمة لا غير . وقد عهدنا
العرب دائما يظهرهم مكة قوية للاحتلة الطبيعة
بالدقة والاتقان وان كلمة الوشيج وما اشتق العرب
منها الا دليل على التأثير بالطبيعة واستخلاص
المعاني العامة من مظاهرها فان كل من اتفق له ان
يتمتع بنظرة الى منبت القنا ليقدر تمام التقدير ان
اهم ما يروع المرء من اشجاره هو التفاف سيقانها
وتعائق اغصانها ، ومنه قولهم الوشيج بمعنى
القرابة ، والوشج بمعنى الاشتباك . واذا كان احد في
شك من هذا فليتنظر الى كلمة « البيش » (84)
لا ريب في انها هندية معربة اصلها (Visha/Bisa)
استخلص العرب من شجرتها معنى الخضرة
والنضارة فقالوا « بيش الله وجهه » ولاحظوا ايضا
ان شجرة البيش شديدة الثبات والتأصل فقالوا
« اباش الشجرة » .

القسي

اما فيما يتعلق بالقسي ، فقد كفانا الجاحظ
مؤنة البحث عن اصلها بقوله : « وكل قوس بندق فانما
جيء بقناتها من بروص ومدح ببريها وصنعتها عصفور
القواس . وقال الرقاشي :

(*) انظر ص 34 السابقة .

(*) Nainar, S. Muhammad Husayn : Arab Geographers' Knowledge of Southern India, Madras, 1942, p. 193, note 29, vide Platts : Hindustani Dictionary.

(84) « البيش وهو نبت لا يوجد الا بالهند » كذا في الآثار للقزويني ص 85 .

(85) لو كان سمير مثقفا للرماع أو يباها لها لكان من الواجب ان نظفر من شاعر من الشعراء القدماء
باشارة صريحة الى ذلك مثل ما نجد امامنا بخصوص عمرو بن عصفور ، ولكننا بخلاف ذلك
نراهم ، حسبما اعرف ، دائما يذكرون « السميرية » و « الردينية » و « رماح ردينة » (الشماخ ،
ديوانه ص 98) من غير ان يزيدوا شيئا ثم يجيء اللغويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم
بدون أي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

الكلاب السلوقية

يذكر عند العرب ذكر الكلاب « السلوقية »
وعني على حد قولهم منسوبة الى ساوق قرية باليمن
الا انهم لا يستقرون على رأي بل يظهرون كأنهم
يخومون حول (Sileucia) = سلقية التي يصفونها
بمدينة الروم (معجم البكري) ومدينة اللان ومدينة
بالشام (البندان لياقوت واللسان) . لكن الجدير
بالاهتمام تصريح القزويني بأن « الكلاب يسفدها
الذئب (86) فتاتي بالكلاب السلوقية » (الانسار ص
29) . وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر بارض
الهند وبصحبة الملك (Saubhuti) لكلاب لا ترخي
قبضتها على الاسد حتى ونو قطعت ارجلها . قيل
انها من نتاج الكلاب من النمر (87) ، ثم نذكر ايضا
ان اهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء
الهندي المعروف (Barygaza) = بروص (88) كما
نعرف ان الموكب التاريخي لبطليموس Philadelphus
كان حافلا بالكلاب الضواري الهندية الى جانب
النساء الهنديات وانتاوبل الهندية ، وبعد هذا كله
نعثر على قول ابن رسته الآتي في معرض الكلام عن
ملوك الهند : -

« وبعد ملك يقال له نجابه (٩) وهو شريف
فيهم وبلهرا الملك يتزوج فيهم ، وهم السلوقيون ولا
يتزوجون الا فيهم لشرفهم وهذه الكلاب السلوقية
يقال انها وقعت من بلادهم ولهم الصنل الاحمر في
بلادهم وغياضهم .. الخ » (89) .

وسفوة القول ان قصب الهند على العموم هي
التي كان يضرب بها المثل لما يقول الشاعر :
قصب الهند والقنا اخدانك
والمقادير في الوري اعوانك
النويري 54/2 . وجاء في كنايات الجرجاني
63 ان الشاعر هندي .

القطن ومنسوجاته

لا شك ان الهند هي الموطن الاصلي لشجرة
القطن الا ان الشجرة الهندية الاصيلة كانت طويلة
العمر كما يبدو من اقوال القدماء . اما الشجرة التي
تزرع سنويا فالظنون انها نتجت على ايدي العرب
في العراق وسوريا والبلاد المجاورة ، على كل حال
اقتربت هذه الشجرة بالعرب الى حد انها هي
والسكر والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم
في نظر الاوربيين (Watt, p. 569) هذا وقد
اشتهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقة
منسوجاتها التي كان الثوب منها يدخل في حلقة
خاتم ، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة
التواريخ ص 30) ، ويذكر ابن خرداذبه (ص 70)
ان الثياب القطنية المخمل كانت تجيء من الهند كما
ان « الشال » و « الشيت » و « النفوطة » من
الاسماء الهندية المعربة .
وبلاضافة الى منسوجات القطن امتازت الهند
ايضا بصناعة الثياب من الحشيش (ابن خرداذبه
ص 70) .

(86) من طرائق النساخ ان « الذئب » تحولت الى « الثعالب » حيث جاء في صبح الاعشى 42/2
نقلا عن المقر الشهابي ابن فضل الله ان السلوقية « مولدة بين الثعالب والكلاب » !!

Cam. Hist. of India, 1/407 (87)

Heeren, 2/207 (88)

(89) الاعلاق النفيسة ص 135 .

معجم

الفاظ الهندية العربية

صاحب السكان (91) حيث يدخر المتاع) -
معرب من « Creshtin » الكلمة المألوفة في
المصادر الهندية القديمة بمعنى رأس التجار
(Cam. Hist. of India ص 137 و 207 و
477) مشتقة من سنس « Sreshti »
وقد تطورت الى « chatim » و « chetty »
بجنوب الهند (توازي « بانانيه » بشمال
الهند) ومنها سارت عند الاتراك بارتولد :
الحضارة الاسلامية ص 88) وهي Seth
بالهندية الدارجة ، وربما تكون هي أصل كلمة
« ستي » عند ابن بطوطة (259/4) كلقب
للتجار الكبار في الصين .
(Hob.-Job. - « Chetty »)

اطريففل ♦ سنس « Triphal »

النج / ينج / النجوج / ينجوج / النجيج =
عود الطيب وقيل هو شجر غيره يتبخر به -
قارن به كلمة « Algum/almug » بالانجليزية
عن سنس « valguka » والتاملية « valgu »
وهو نوع احمر من عود الصندل كان كثيرا
ما يستعمل لنحت الاصنام وصناعة أعمدة
البيوت ، ومع أن مثل هذا الاستعمال لم يذكر
في المصادر العربية الا ان الصندل من أعواد
الطيب بدون شك والمقارنة بين الكلمتين قوية
واضحة .

(انظر اللسان « لجج » ، المخصص 198/11 ،
« Algum » O.D. Watt ص 24 و 909

راجع ما ذكرناه آنفا

الماس -

راجع ما ذكرناه آنفا

الوه / الالوه / الوه / لوه / ليه = العود
الذي يتبخر به ، قال أبو منصور : اراها هندية
(اللسان) ، أصلها سنس « Laghu/Lauha »

أبق = القنب أو قشره ♦ « abaqa »
بلغة الفلبين (Watt, 790)

ابنسوس = كلمة من الهند الصينية سارت شرقا
وغربا . هي بالصينية
« O ban-tzi » : Amoy ولهجة « wu-mon-tzi »
(Chau Ju Kua, 216)

اترج / ترنج ♦ سنس « ماتلنفا »
(matulunga/matulanga)
(Watt, 325 Williams, 768)

(راجع ما ذكرناه آنفا)

ادماسه ♦ سنس « ادهماسا »

انظر ايضا ص 88 الآتية ، الحاشية (3) .

ارجوان ♦ ف « ارغوان » ♦ سنس
« Ergewan/Argawan »

يقال له ايضا « دازاروان / دار اروان (دار
ارغوان) ، وهذا اللون من الملابس مما كانت
القياصرة تختص به فيما مضى وتحظره على
غيرهم - كذا في ابن العبري 491 وانظر
Vullers « ارغوان » .

ارز / رز / آرز / ونز - قد اتجه بعض العلماء اخيرا
الى الاعتقاد بأن المركز الذي انتشر منه الارز
في العالم هو التركستان ، ولذلك قالوا ان أصل
الكلمة هو virinzi/virinza بالفارسية
القديمة = brinj بالفارسية انجديدة =
virihī بالسسكريتية arisi بالتاملية -
قارن « oryza » باليونانية و Rice بالانجليزية.
(Watt, 824 et seq.; Periplus, 176; Rawlinson, 14)
ارزيو - راجع ما ذكرناه آنفا

اوين = قبة الارض ، تحريف « ازين » ♦
« Ujjiyaini » اسم مدينة بوسط الهند -
(Legacy of Islam, p. 93)

اشتيام = رئيس الركاب ، رأس الملاحين ،
صاحب المتاع المحمول في السفينة (90) ،

(x) ♦ رمز معناه « أصله من .. »

(90) Bibl. Geog. (Glossary)

(91) شرح ديوان زهير ص 118 .

بالهندية الاناء : لف القماط) - وربما كانت الكلمة برتغالية الاصل كما في
Hob.-Job. - « Basan »

و « سنية » = البقشة : ابن بطوطة 232/4
مقارب من « سنية » . سنس « vasana »
= الهيمان .

بانانويه . الواحد منه « بنان » . الكجراتية
« vaniyan » . سنس « vanij » .

بخست / فالج -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

بد / بوذا . Buddha او تمثاله : ومنه
ولد العرب : باذيبوذ اي افتقر بما أن الفقر من
أشهر خصائص الديانة البوذية .

بسرملك -

انظر مقالنا الملحق عن العلاقات العلمية (ص 89
وما بعدها)

بققم - لم يأت « فعل » الا قليل بالعربية
(شرح ديوان زهير 54) - ابن دريد : فارسي
معرب (الجواليقي) - الدينوري : ليس في
شجر بلاد العرب ولكنه من نبات ارض الهند
وأرض الزنج (92) ، « بكم » . الهندية
« بكم » .

انظر أيضاً « الصرف » و « الورس » .

بلاذر . الهندية « Bhilawa » . سنس
« bhallatka » [Anacardiaceae =] جيد

لفساد الذهن وجميع الاعراض الحادثة في
الدماغ من البرد والرطوبة ، وهو من جملة
السموم ايضاً (ابن البيطار) - وقد لقب
صاحب فتوح البلدان بـ « البلاذري » لانه
شرب من عصير هذا النبات فجن ومات .

انظر Watt E.I. : « Baladhuri » ص 981 ،
ابن العبري - رياض النفوس ص 416 الحاشية

(1) ، سواء السبيل) .

بلوور . البراكرتية « vailurya » . سنس
والتاماية « vaidurya » .

Hob.-Job. « Beryl » E.I. « Billaur »

Rawl ص 14 ، Watt ص 556)

راجع ما ذكرناه آنفا

ف « alwa ») - وقد كان هذا العود .
ولاسيما الذي ينسب الى سقوطه ، يستعمل
كدواء ايضاً فان عصارته هي الصبر
(السقوطري) . قازن « aloes » بالانجليزية .
ومن عود البخور هذا ما يسمى بالسكركتية
« Agar » (التأملية « Aqhil » : لغة ملايا
« Uggar/Gahru » : الهندية « Agar »)
العربية « الفار » (١٣٣) - و « Agar »

معناه الذي لا يطفو على الماء

و « Laghu » ضده اعني الذي يرسب في
الماء - ولما انتقلت هذه الكلمة الى الإنجليزية عن
طريق البرتغاليين

(Portg. : Aquila ; Fr. : Bois d'aigle)

صارت « Eagle-wood » ، تتقارب في المخرج ،
ثم بدا الناس يبحثون عن وجه لنسبة هذا العود
الى العقاب فقالوا ان قشرة العود تشبه ريش
العقاب ! ولكن هذا محض اختلاق .
(Watt, 72 ; Hob.-Job. - « Aloes » and « Eagle-
wood »)

انبيج / عنبه . الهندية - « amba »

والانبيجات هي المربيات (أو المربيات = المعمولات
بالرب) جمع « انبيج » وهي فاكهة هندية تربي
فاطلاق عند الاطباء على ما سواه . كذا في
شفاء القليل .

انجسدان . ف « Anguzan » . سنس « hingu »

ابن البيطار : قال بعض الاطباء هو (انجدان)
ورق شجرة الحلتيت ، والحلتيت صمغه ،
والمحروث اصله - أبو حنيفة : المحروث أصل
الانجدان ومنابته في الرمل التي بين بست
وبلاد القيقان -

(انظر ابن العبري و Watt ص 533)

انجسر -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

اوج . سنس « uchcha » - (Rawlinson, 174)

بارجيه . الهندية « بيره » - انظر البيروني :
كتاب الهند ص 102 و Fahmy ص 106
باسننه = آلات الصناعات وجوالق غليظ من
مشاقة الكتان ، ليس بعربي محض ، « باسن »

(*) قال عدي بن زيد :

« رب نار بت ارمقها

(البخلاء نشر فان فلوطن ، ص 257 .

(92) مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلد 26 الجزء الثالث - « الجزء الخامس من كتاب
النبات » .

بنسج = قال ابن دريد : لا احسبه عربيا
المخصص 38/10 ، سنس « Bhanga »
- ومنه بنج أي ثومه بالبنج -

بهار = الصنم . الكلمة بهذا المعنى منتشرة عن
« vihara » وهو معبد البوذيين .

انظر مقالنا الملحق عن « اعتراقات العلنية » .

بهار = شيء يوزن به . ومنه البهار بمعنى
العدل وحمل البعير ومتاع البحر ، قال القتيبي :
« يحملن البهارا » أي يحمن الاحمال من متاع
البيت . الكلمة غير عربية كما اجمع عليه
الجميع . ما عدا الازهري . وليست قبطية كما
ذهب اليه ابو عبدة ، بل هي هندية اصلها
« Bhara » - وهي انما تعني الحمل ويختلف
مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليه
والبلد ايضا (93) وهذا هو منشأ البلبلة
وتضارب الاقوال بشأن تحديده (94) .

بهطلة = الارز يطبخ باللبن والسمن خاصة .
هندية (المخصص 3/5 والخوارزمي 177) .
اصلها « Bhata » .

بهند = الذي لا يجوز عليه الحكم لقلته
ومهانته وسقوطه مثل المغني والزامر وما اشبه
ذلك (بزرك 117 . سنس « Bhanda »

بيش -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

تكري = القائد من قواد السند والجمع تكاترة
قال :

لقد علمت تكاترة ابن تيري

غداة البداني هيرزي

وفى التهذيب الجمع تكاكرة وبذلك انشد
البيت (اللسان « تکر ») . الهندية « thakur »

تلاج / ثلاج = بركة ماء (بزرك 106) ،
الحوض الذي يزيد على عشر في عشر الى ما

يمكن ان يكون (ظفر الواله 2 - 3) .
الهندية « talla »

تنبول = سنس « tambula » .

تنكار = سنس « tunkar/tankar »

- قارن « tingkal » بلغة ملايو و « tincal »

بالانجليزية . (Watt. 171 « Tincal » O.D.) .
توتيساء - قال صفوان : « ومن توتياء في معادن
هندي » (البيان والتبيين 1 / 38) . سنس /
ف « tutha » .

انظر Watt ص 403)

جلفاط - يقول الجواليقي : في حديث عمر ان
معاوية كتب اليه يستأذنه في غزو البحر .
فكتب اليه : اني لا احمل المسلمين على اعداء
نجرها النجار وجلفطها الجلفاط - اصل هذه
الكلمة غير عربي -

وجلفطة السفن كانت من اختصاص الهند
لاسبب طبيعية .

يقول الادريسي :

« وكل ما يجري في بحر الهند والصين من
المراكب السفرية صفارا كانت او كبارا فانها منشأة
من الخشب المحكم نجره وقد حملت اطرافه بعضها
على بعض وهندم وخرز بالليف وجلفط ، بالندقيق)
وشحم البابة ، والبابة (95) دابة كبيرة تكون في بحر
الهند والصين منها ما يكون طوله نحو من مائة ذراع
في عرض عشرين ذراعا ينبت على سنام ظهرها
حجارة صدفية ، وربما تعرضت للمراكب فكسرتها
وحكى (ايضا) الربانيون انهم يرشقونها بالسهم
فتنحى عن طرائقهم ، وذكر انهم يتصيدون ما صفر
منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها
وتعود شحما مذابا ، وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن
في عدن وغيرها ... وهو عمدتهم في سد خروق
المراكب » (دار الكتب المصرية جغرافيا رقم 150
ص 154 ، والزيادة ما بين المحققين عن نسخة اخرى
رقم 263 .

واليك قول لبيد العامري شاهدا على اشتهار
الهند بالبراعة في هذه الصناعة ، يقول لبيد في
تشبيه الناقة :

كسفينة الهندي طابق درءها

بسقائف مشبوحة ودهان

(الديوان ، طبعة الخالدي ، فينا 1880 ، ص 65)

لا شك ان الكلمة انتقلت من الهند الى العربية
ومنها الى اللغات الاوربية ، فالكلمة الهندية والبنغالية
Kalapatti ان كانت مأخوذة من البرتغالية

(93) « Bahar » - Hob.-Job.

(94) انظر العرب للجواليقي .

(95) كذا - « البالة » ؟

(96) « Calputtee » - Hob.-Job.

« Calafate » (96) فالظاهر انها بضاعة الهند ردت اليها .

جونة - لم يستورد العرب من الهند انواع الطيب فقط بل جونة العطارين ايضا، اصلها « Goni » - ولا املك فى هذا المقام الا ان اردد قول الاعشى يصف نساء تصدين لرجال حاليات :

اذا هن نازلن اقرانهن

وكان المصاع بما فى الجون

(اللسان (« ج و ن » والمخصص 11 / 202)

قارن الانجليزية « Gunny » (Hob.-Job.) - انظر

ايضا Watt ص 261

جيب (من مصطلحات علم الهيئة) . سنس « jiva » .

جتره = بلجيم الفارسية) = مظلة من ريش الطاويس ، يتخذونها لرؤساء الهند (السيرافي 145) والكلمة هي بالهندية (والفارسية ايضا كما اوردها ادى شير)

خرص = سنان الرمح وقيل ما هو على الجبة من السنان (اللسان « خ ر ص ») . الهندية « Kirich » وبلغه ملايو « Kris » - قارن

بالانجليزية « Crease/Cris » .

(Hob.-Job. « Crease », etc.)

(راجع ما ذكرناه آنفا)

الخطي - (راجع ما ذكرناه آنفا)

الخيزران - (راجع ما ذكرناه آنفا)

خيـش - فارسي محض (ادى شير) ، لعل اصلها بالسسكريتية « Kosh »

انظر Watt ص 406 .

بازي - نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من الهند (انظر ابن خرداذبة ص 71) يقول عنه

سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو شراب ابيض ، فاذا شرب ساعة يوخـذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فاذا ترك ساعة صار شرابا ، وان بقي اياما صار خلا »

(سلسلة التواريخ ص 18) (*) - اصل كلمة

الداذي هو « Tari » بالهندية وهي بالانجليزية « Toddy »

دلو - مثل « دول » معنى وقريب منه لفظا (ادى شير) .

دوينـج . الهندية « دونكي » . سنس « Drona »

(ياقوت : البلدان - « قيس » وسليمان ندوي :

عرب وهندي) تعلقات 63 و

Williams ص 441 .

ذريـره . ف « زريـره / ذريـره » . سنس « Jira » من مادة « Jri »

(بمعنى الهضم) - انظر Watt, 442 442 فئات من قصب الطيب الذى يجاء به من بلاد الهند (اللسان) .

رانـج = الجوز الهندي . كانه اعجمي (الجواليقي) . بلفة بورما « Ong »

رخ - من اداة الشطرنج ، الليث معرب من كلام العجم من ادوات لعبة لهم . سنس « رته » (سواء السبيل) .

ردينـي - (راجع ما ذكرناه آنفا)

رهمانـج - (راجع ما ذكرناه آنفا)

زنجيـيل . التاميلية « Inji-ver » . سنس

« Sringavera » - قارن الانجليزية « Ginger » . (Watt, 1139 ; Cam. Hist. of India, 593)

راجع ما ذكرناه آنفا

سـاج . المهرتية (Mahratti) : « Sag »

سنس « Shaka »

راجع ما ذكرناه آنفا

سـاسـم / **سـانسـب** / **سيسـب** - ابو حنيفة :

هو من شجر الجبال ، وهو من العتق التى

يتخذ منها القسي ، وزعم قوم انه الابنوس ،

وقال آخرون هو الشيز ، قال : وليس واحد

من هذين يصلح للقسي ، ويتخذ منه السهام

ايضا (اللسان « سـسـم ») =

Dalbergia Sissoo . الهندية « shisham »

سنس « sinsapu » .

وربما تسوى منها الشيزي اي القصاع من

خشب ، كما يقول ابن الاعرابي وابو عمرو

(اللسان « سـسـم » و « شيز ») . سنس

« S'ans'apa » اي القصعة المتخذة من خشب

سـاسـم - انظر Williams ص 998 .

سانـسـه - الادريسي (دار الكتب المصرية جغرافيا

رقم 150 ص 114) : ويسمون هؤلاء المخشين

السانه . سنس « Santha (Sanda) » .

(Williams, 989)

(*) قارن به ما قاله ماركو بولو عن الداذي :

The Travels of Marco Polo, Tr. by Prof. Aldo Ricci, London, 1931, p. 285.

سديين - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سرق - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سرورة / سرية = نعل صغير مدور مدملك
لا عرض له كأنه مخيط أو مسلة أدق ما يكون
من نصال السهام يدخل في الدروع (اللسان)
• الهندية « سرورة / سرية » • سنس
« S'ora » - قارن ف « سرى = تربي بر »
(نفائس اللغات لأوحد الدين البلكرامي)
(Williams, 994)

سكر - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سهري - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سنن - نظرا الى سبق اهل الهند في الصقل
وما اليه ، لا يفوتنا البحث عن أصله في سنس
« shan » (قارن الانجليزية « Hone ») .

سنبه - أي الدهر :

رب غلام قد صرى في فقرته
ماء الشباب عنفوان سنبته

(الاضداد لابن الانباري ص 31)

هذه الكلمة هي في الواقع دليل على معرفة
العرب بالتقويم الهندي فان « Samvat »
انما تعني السنة ، ولا شك ان العلاقات
التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند
الهنود ، هي التي ادت العرب الى تلك المعرفة .

سندر - « السندر الجريء المتشبع والسندرة
ضرب من الكيل .. والسندر مكيال معروف ..
قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيال كبير ضخم ..
وقيل السندرة امرأة كانت تباع القمح وتوفي
الكيل ... قال القتيبي : ويحتمل ان يكون
مكيالا اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل
منها النبل والقسي ومنه قيل سهم سندري -
ويقال قوس سندرية منسوب الى السندرة
اعني الشجرة التي عمل منها هذا القوس ،
وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سندرية

وسنان سندري اذا كان ازرق حديدا
(اللسان) .

اصلها « Chandra » لا « Sundara »
كما أورده ادى شير ، بالنسكرتية تعني
1 - شجرة معينة و 2 - الرجل البارز
الشهير و 3 - اللمع البراق - قارن
« سنان سندري » -
(انظر Williams, p. 315)

سندروس - السيرافي 117 : « وهو مع
النار كالنفت » • سنس « Sindur »
(Williams, p. 115 ; Watt, p. 707)

الشال • سنس « Shala » (لا) وانظر الى قول
صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذي
يعمل بكشمير ولاهور ويجلب به الى البلاد
ويقال انه وبر الجمل سمي به لانه يرفع على
الاكتاف ان كانت عربية » - لا شك انه تحفظ
بقوله « ان كانت عربية » لان نسبة الشال الى
كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة الا ان
تعليله لهذا الاسم بكونه مرفوعا على الاكتاف
يبين لنا طريقة اللغويين في البحث عن الاصول
القامضة لبعض الكلمات .

(Platts, John T. : A Dictionary of Urdu, Classical
Hindi and English, Oxford University Press).

الشبه والشبهه (بالفتح والكسر) = النحاس يصيغ
فيصفر ، وفي التهذيب ضرب من النحاس يلقي
عليه دواء فيصفر ، قال ابن سيده : سمي به لانه
اذا فعل ذلك به اشبه الذهب بلونه (اللسان) -
لقد اشتط ابن سيده ولا شك ، انما هو
تعريب Shenbu بالهندية (من الحملات
المتأخرة باللمعان - انظر ايضا الحيوان 83/1) .
(Watt, 401)

شريج -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

شطرنج - اللعبة من ابتكار الهند ، انظر اليعقوبي
99/1 وما بعدها • سنس « Chaturanga » .
(سليمان ندوي : عرب و هندي) (تعلقات ص
181 وما بعدها .

صلا / صلاة وصلاة = ما يسحق عليه الطيب
(المخصص 11 / 202) • سنس «s'ila»
والهندية «سل» .

صنـج ، يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر
• الهندية «جهانجه» واجتماع الصاد والجيم
في كلمة واحدة علامة العجمة لا غير . (انظر
فرهنگ آندراج) . والصنج ذو الاوتار معرب
« جنك » بالفارسية .

صنـدل • سنس «Chandan» .
صنفي = العود المنسوب الى صنف
South Cochinchina = «Champa»

صمر / صمر = الشعر الذي يتخذ منه
المذاب ينصب العاج والفضة الذي يقوم به
الخدم على رؤوس الماوك (من مملكة رهي -
المروج I / 385) ، شعر ذنب الحيوان
انتبني المعروف بـ «Yak» سنس «Chamar»
(Hob.-Job. - «Chowry»)

طاووس • التاميلية «tokei / togai»
قال المسعودي : « للطواويس بأرض الهند شأن
عجيب ، والذي يحمل منها الى ارض الاسلام
وتخرج عن ارض الهند فتبيض وتفرخ تكون
صغيرة الاجسام كدرة الالوان ، لا تعطي أنوارا
للابصار وبأدراكها وانما تشبه بالهندية بالشبيه
اليسير » .. (المروج 2 / 438) .

طباشير • سنس «Trakkshira»
(راجع ما ذكرناه آنفا)

طن = حزمة القصب ونحوها ، وهو عربي
صحيح لا دخيل ؛ وقال في كتاب البيان
الطن من القصب ومن الاغصان الرطبة اعواد
تجمع وتحزم ، ويسمى الكنش وأصلها نبطية
يقال لها « كنشا » ولا اظن الطن عربيا -
وقال في كتاب التنبيه على الغلط للبصري :
الصواب ان الكنشا وقاية بين السفينتين تدفع
ضرر احدهما عن الاخرى شبه بها الطن وليس
باسم خاص له بالنبطية ، وأما الحرف العربي
فالطن مشبه بطن الإنسان وهو قامته (شفاء
القليل)

شكسي - من ثمار بلاد الفلفل ، ذكره الادريسي
وابن بطوطة • بلغة مليالم «Chakka»
• سنس «Chanpkalu»
(Chau Ju Kua, 212)

شلقاء - الشلق : الضرب والبضع والشلقاء
السكرين • سنس «S'alaka» = آلة محددة
من آلات الجراحين ، كانوا يستعملونها للبضع ،
وقد جاء في اللسان ان الكلمة ليست بعربية
محض . (Williams, 995 ; Vaidya, 711)

شمينية = العباد والنساك من البوذيين كما
عند البيروني) • اللغة البالية :

«Samana» : (Pali) • سنس «Gramana»
(Hob.-Job. - «Gautama» ; Cam. Hist. of India,
420)

والكلمة بالفارسية « شمن » أي عابد الاصنام.
انظر الى قول رودكي :
« أين جهان جون بت است وما شمنيم »
وقول الفردوسي :

« برستش كنم جون بتان را شمن »

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجي في
شفاء الفليل الى ان «صنم» معربة من « شمن »
الا ان ذلك خطأ كما جاء بهامش لف القمط
بدليل ان شمن يعني العابد لا الصنم .

شنك = البوق الذي ينفخ فيه (سليمان 7) ،
معدنه في البحرين الهند وسرنديب ، • الهندية
وسنس «S'ankh» .

(Watt, 989; Hob.-Job. - «Chank»; Williams, 988)

شنكل / شناكل • سنس «S'rinkala»
اي سلسلة من الحديد - (Williams, 1018)

شيت • سنس «chitra» ولا يخفى ان
الاقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة
التي اشتهرت الهند بصناعتها .

صرف (= البقم / الورس) • التاميلية
«Shappu»

فنجـان * الهندية « بنكام » (ادى شير) .

الفهري / الفهري

— انظر ما سبق —

فوطـة — قال الازهري : رايت بالكوفة ازرا مخططة يشتريها الحمامون والخدم فيتزرون بها . الواحدة فوطـة ، قال الجواليقي : فلا ادري اعربي ام لا « انظر المعرب » والاصل بالهندية « Pata » .

فوفـل * الفارسية « pupal » * سنس « Kubara » — قال السمودي :

« الفوفل وهو الذي قد غلب على اهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن في هذا الوقت مصغه بدلا من الطين » ، (مروج الذهب بارس 2 / 84) . (Watt, 83)

فيلـ * ن القديمة « پيل » * سنس « pilu » مع بعض الشك . يقال ان الفهلوية هي الاصل ومنها انتقلت الكلمة الى السنسكريتية .

(Hob.-Job. (Supplement) - « Elephant » ; Jefferey : Foreign Vocabulary of the Quran, Baroda, 1938)

القاقـلى — العود المنسوب الى قاقله — مرسى على الساحل اشرفي لشبه جزيرة ملايو بالقرب من Kelantan (كذا عند ابن بطوطة 242/4 — 243) — والقاقلة (= الهال بوا) الكبيرة لها صلة بمقاطعة Krakor ببلاد Kamboja .

(Vide Gerini, G.E. : Researches on Ptolemy's Geography of Eastern Asia, London, 1909, p. 444)

القامـروني = العود المنسوب الى قامرون Assam = « Kamarupa » بشرق الهند ، وانظر وصف هذا العود في سلسلة التواريخ ص 130 .

قشـارة = حديدة شبه سكة الحرث يدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربتها لا تبقى (ابن بطوطة 31 / 4) * سنس « Katar » (Hob.-Job. - « Kutaur »)

انما يرتفع كل هذا الارتباك والتخبط اذا تذكرنا ان (Cedrella Toona) « Tun/tundu » اسم شجرة هندية ربما استعملت لفرض الوقاية بين السفينتين واغراض اخرى مماثلة ، ولها اسم آخر مترادف وهو « Kac'cha » . (Watt, 290 ; Williams, 194)

عاج = انياب الفيلة ، عظم الفيل * Singhalese (لغة سرنديب) : « ala » = الكبير (العاج — ال من اصل الكلمة — اي الناب الكبير) او سنس « ibha-danta » (قارن العبرية : « Shen habbin » اي سن الفيل . (Hob.-Job. (Supplement) - « Elephant » ; Raw., II ; Williams, 141)

عدولـية — (راجع ما ذكرناه آنفا)

غار — انظر الاولوه .

غـري = صبغ احمر : قال الشاعر :

« كانما جبينه غري » — (المخصص 211/11)
قريب الصلة بالهندية « geru » = سنس « gairika » (*)

غريـن / غريـل = ما بقي في اسفل القارورة من الدهن ، نفل ما صبغ به ، ما بقي في اسفل الحوض والقدير من الماء والطين ، الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او يابس (اللسان) * سنس « Khal » بتلك المعاني سواء بسواء (97) والنطق بالهندية « Kharya » اشبه بالكلمة العربية .

فالجـ

— انظر ما سبق —

فانيـد

— انظر ما سبق —

فـفـل * سنس « pipali » .

(97) « Khal » = sediment, drugs, the deposit of oil, etc. - Williams, 274.

(*) Platt : Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press.

قرفسة • التاميلية « Karppu » = دار صيني
(Watt, 313 ; Raw, 14 ; Cam, Hist., 593)

قرمزمز • سنس « Kirmi » اي الدودة (قارن
الانجليزية « Crimson » (Raw., 14)

قرنفل • لغات الهند الجنوبية

« Kirambu/Karampu »

توازيها باليونانية « Caryophyllon »

ويذهب البعض الى ان الكلمة سارت من
اليونانية الى الهند الجنوبية عن طريق العربية .
(Watt, 526)

قسط • سنس « Kushta » .

- انظر ما سبق -

القلمعي

- انظر ما سبق -

القلمقي

- انظر ما سبق -

القماري = العود المنسوب الى قمار
Cambodia = « Khmer »

قنبا - انظر ما سبق -

قند

- انظر ما سبق -

قنقن (الادريسي ، نسخة الدار ، ص 114
اللقنن) • سنس « Kankan » نوع من
الحلى كالسوار .

كاغذ • Kodzo = شجرة موطنها الاصلي
الصين واعالي بورما ، صنع منها الورق في
قديم الزمان = « الكاذي » عند المسعودي :
المروج 2 / 202 - . (Watt, 186)

كافور • سنس « Karpura »

كبتيج = الودع (سلسلة التواريخ ص 6) •
الهندية « Kavadi »

كسر - انظر « كنبار » .

كركدن - « لا احسبه عربيا لانه مفارق لابنتهم »
(المخصص 8 / 58) • سنس
« Khadgadanta »
اي ذو سن كالسيف - (« Sofula » - E.I.) .

كرندة (بزرک 118) • سنس « Karanda »
وربما حذفوا الكاف فقالوا « الرند » - قال
الازهري : والرند عند اهل البحرين شبه
جوالق واسع الاسفل مخروط الاعلى يسف من
خوص النخل ثم يخيظ ويضرب بالشرط
المفتولة من الليف حتى يتمتن فيقوم قائما
ويعرى بعري وثيقة ينقل فيه الرطب أيام
الخراف يحمل منه رندان على الجمل القوي ،
قال ورايت هجريا يقول له « الرند » وكأنه
مقلوب ويقال له « القرنة » ايضا .

كشلى = الزر والماش ، يجمعون بينهما
ويسمون المجموع منهما كشلى يأكلونه بالشيرج
(نجمة الدهر للدمشقي ص 169) • الهندية
« Khichri »

كنببار - الفزل المفتول من ليف النارجيل لخرز
المراكب (البيروني 103) .

كر - ايضا قيد من ليف او خوص ، جبل السفينة •
بلغة مليالم « Kaiyar » والتاميلية « Kayiru »
وهي اصل « Coir » بالانجليزية بالاتفاق ،
وهل يستبعد ان تكون هي اصل كلمة « Cable »
ايضا ، فان مدلولها الاصلي لم يتجاوز ذلك
النوع الخاص من الحبل ؟
(Watt ص 355)

لكيشا = الكثير (المقدسي • سنس « laksha »

ليمون • سنس « Limpaka, nimbuka » الشك .
(Watt, 325)

مسك • سنس « mushka » .

مصريّة (ابن بطوطة) = الناموسية • سنس
(Williams, 752) « Masa-hari »

مطيلال (بزرگ 36) = قارب صغير يشد الى
سفينة كبيرة ♦ الهندية « Patela »
(Periplus, 248)

المندلي = العود (98) المنسوب الى مندل
(Mandal) وهي تعني « الاقليم » عامة
والمشهور « كورومندل » بجنوب الهند الا انه
قد ورد في بعض المصادر ما يشعر بوجود
« مندل » (= اقليم) آخر بالقرب من قامرون
بشرق الهند . اما ما ذهب اليه Ferrand
من ان النسبة الى « Mandri » مكان بعينه على
الساحل الجنوبي للهند فاحتمال بعيد جدا
(انظر حدود العالم ، تذكاري ، 1937 م ص
240) . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الدين
نسبة المندي الى الهند بقوله :

المندي كريم
سقياله ولفرسه

لما اراد يرينا
للهند نسبة جنسه

غدا على النار ملقى
يجود فيها بنفسه

(حلبة الكميث ص 153)

وذكر ان الحسين بن برمك هو الذي حمل العود
« المندي » (كذا في صبح الاعشى 2 / 124 - وفي
التويري 29/12 « الهندي ») معه اثر عودته
من الهند وعرضه على المنصور فاستحسنه وامر
ان يكتب الى الهند بخمائل الكثير منه فاشتهر
بين الناس وعز من يومئذ واحتمل ما فيه من
مرارة الرائحة وزعارتها لانها تقتل القمل وتمنع
من تكونه في الثياب .

مـوـز ♦ سنس « mocha » .

نارجيل ♦ « narikila » .

نارنج ♦ سنس « Nagaranga » - قال
المسعودي : « شجر النارج والاترج المدور
جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان
ثم الى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس
بطرسوس وغيرها من الشجر الشامي وانطاكية
وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد
ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الخمرة الطيبة
واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند
لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد
(المروج 2 / 438 - 439) - هذا وقد جلب
النارج الى الهند من الصين حيث موطنه
الاصلي (Watt ص 318) .

النردين = هو السنبل الهندي (باليونانية
« Nardos ») أصلها بالسسكريتية « Nalada »
(بالفارسية القديمة « ناردا ») -
انظر ادي شير - « الرند » .

النمط - أصلها « Namata » بالسسكريتية
(= ف : نمذ) وربما استعملوا هذا النوع من
الصوف الغليظ لتغطية المرات ، ومن هنا نشأ
معنى الطريقة والمذهب .

النيلج ♦ سنس « nili » .

هرد ♦ سنس « hari dra » اي الخشب
الاصفر = الاردوية « Watt » « haldi » (ص 445)
وهو الكركم كانوا يأتون به من الهند (ابن
البيطار) وفي الحديث « ينزل عيسى بن مريم
في ثوبين مهرودين » (المخصص 211/11) .

هرهرة = حكاية اصوات الهند في الحرب ♦
« Hari Hari »

هندول - مثل لحفة على اعناق الرجال (بزرگ
118) ♦ سنس « hindola » - قارن « Andor »
بالبرتغالية (H.J.) - ومنه :

هندويل = الضخم الانوك المسترخي الضعيف

(98) العود الهندي « سمي عودا حتى صار اسما علما من قبل انه اشرف انواع العود »
(المخصص 198/11) .

(Hob.-Job. - « Sappan Wood » ; « Brazil Wood »

وشيح =

- انظر ما سبق -

اليسارة = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المظر فانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة اشهر تباعا » (أبو زيد السيرافي في سلسلة التواريخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان يسر بارض الهند اي شتا هناك (المسعودي : مروج الذهب 1 / 327) - اصل الكلمة بالهندية « varsha » .

الهيل أو الهال ، هي بالسسكريتية « ايل » وبالفارسية « هيل » وكان معدنه رأس هيلي / ايلي على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره الجغرافيون العرب وابن بطوطة الرحلة 81/4 .

ورس (= البقم / الصرغ) - شاعت كلمة « الورس » وانتقلت من العربية الى اللغات الاوربية في العصور الوسطى (الاطالية « verzi ») حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس، سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

الرموز

سنس = اللغة السنسكريتية

ف = اللغة الفارسية

♦ = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- 1 - الآثار للقرطبي = آثار البلاد واخبار العباد ، صنيف زكريا بن محمد بن محمود القرطبي . E. Wustenfeld, Gottingen, 1848
- 2 - الاخبار الطوال للدينوري ، لندن ، 1888 م
- 3 - الادريسي = نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 .
- 4 - ادى شير : الألفاظ الفارسية المعربة .
- 5 - بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .
- 6 - ابن بطوطة = الرحلة له ، طبعة باريس .
- 7 - بزرگ = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرگ بن شهريار الناخداه الرام هرمزي ، Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.
- 8 - البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .
- 9 - البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو
- 10 - الجواليقي = المغرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .
- 11 - سلسلة التواريخ (سليمان التاجر وابو زيد السيرافي) ، باريس 1811 م
- 12 - سليمان ندوي : (عرب وهنديكي تعليقات ، اله آباد ، 1930 م .
- 13 - شفاء القليل للخفاجي .
- 14 - سواء السبيل في المغرب والدخيل ، تأليف توما آرنلد وقاضي ظفر الدين احمد ، مطبع رفاه عام 1903 م .
- 15 - ظفر الواله بمظفر وآله للحاج دبير ، طبعة السير دنيس روس .
- 16 - ابو الفداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1830 م .
- 17 - لف القمط = لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المغرب والدخيل والاغلاط، لابني الطيب الصديق بن حسن القنوجي ، بهوبال ، 1296 هـ .
- 18 - المروج = مروج الذهب للمسعودي ، طبعة باريس .
- 19 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي ، بطرسبورغ ، 1865 م .
- 20 - ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .
- 21 - ياقوت : معجم البلدان .

المراجع الانجليزية

- (1) Bibil. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoe, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill, St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Seapower in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

للبفاة والطفافة التسلل عبر الحدود والالتجاء بملسك السند ، مما زاد في اهتمام العرب بجارتهم ، وفي الوقت الذي كانت الممالك الشرقية للدولة الأموية قد استكملت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معا بعد أن انتظمت أمورها وسليست صعابها تحت إمرة حاكمها الحازم ذي البأس الشديد الحجاج ابن يوسف الثقفي ، في ذلك الوقت سببت الصلة التجارية بصورة مألوفة في التاريخ القديم والحديث على السواء ، التدخل السياسي والعسكري من جانب العرب ، وذلك بأن بعض القراصنة استولوا بالقرب من ديبيل على مركب كان ينقل إلى العراق عددا من الأراذل واليتامى لبعض التجار العرب الذين وافتهم آجالهم في جزيرة سيلان ثم اعتذر داهر ملك السند بعجزه عن تنفيذ طلب الحجاج بمعاقبه المجرمين وتسليم الأسرى ، فلم يكن منه هو الآخر إلا أن ندب ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفي لغزو السند نهائيا (3) .

دخل محمد بن القاسم السند في سنة 89 هـ ووفق في إنجاز مهمته توفيقا تاما ، فانه تمكن في بحر خمسة أعوام من القضاء على مملكة داهر وفتحها للمسلمين من منابع نهر جهيلم بكشمير في الشمال إلى البحر في الجنوب ، إلى حدود مملكة قنوج (كنوج) بالقرب من ملتان وحدود كجرات في الشرق ومنذ ذلك الحين ظل إقليم السند جزءا من الدولة الأموية ، تعاقب على حكمه عدد من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسيع نطاقه في الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقوا في ذلك كبير نجاح ، ولكنهم على كل حال بقوا أقوياء قادرين على اخماد الثورات ولكن لازمة الأمور في الداخل .

وهكذا أصبحت للعرب علاقات سياسية وطيدة مع الهند بعد أن كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فيما قبل الاسلام ، وكان من المحتوم على هذه القاعدة الجديدة للعرب داخل أراضي الهند أن تصبح مبدا

من المعروف أنه لم يكن هناك اسم واحد يطلق على الشبه قارة الهندو - الباكستانية بأكملها بل كانت الأقاليم المختلفة تعرف بأسمائها كل على حدة وربما شمل اسم العاصمة جميع المناطق الواقعة تحت سلطتها أو نفوذها . وكان نهر « السند » الذي يذكره العرب القدماء باسم « مهران » - معروفا باسمه الحالي إلى أن امتد إليه نفوذ أهل غارس في العصر القديم فسموه « هندهو » جريا على عاداتهم في ابدال السين في السنسكريتية بالهاء ، ولذلك أمثلة كثيرة في اللغة الفارسية القديمة . ثم جاء العرب فاقروا اسم « السند » للأراضي الواقعة على ضفتي ذلك النهر ، وبدأوا يطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قد عرفوا الهند قبل الاسلام وأحبوها إلى حد أنهم اتخذوا منها اسما لنسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها وأحجارها وسيوفها وثمارها ولما كانت تجارتهم عن طريق البحر كان من الطبيعي أن يقتصر اتصالهم على الشواطئ والسواحل ، ولاسيما الساحل الغربي والجنوبي ، لا أدل على ذلك من أسماء في العربية هي في الأصل أسماء للأمكنة التي كانت تستورد منها مسياتها، مثل المنديل والهيل(2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المعرفة والصلة التجارية من أهم ما وجه المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة لها إلى شن الغارات البحرية بفية تأسيس دعائم حكمهم على مواقع من ساحل السند وكجرات ، تهانة (تانه) بالقرب من بومباي وبهروج (بروص) وديبل بالقرب من كراتشي ، وكان ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان شديد الحذر من « من حمل الدود على العود » ثم تكررت محاولة من هذا القبيل في عهد عثمان أيضا ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات أثر يذكر ، ومضى العرب في هذه الأثناء قدما من نصر إلى نصر حتى تم لهم فتح بلاد فارس كلها وصارت حدود دولتهم الشرقية تتأخم حدود مملكة السند الغربية مباشرة بحيث تسنى

(1) الدكتور السيد سليمان الندوي : عرب وهندي تعلقات ص 12 .

(2) على الترتيب ، العود المستورد من « كورومندل » كان العرب يطلقون عليها « المعبر » أيضا وفوه « هال » أو « هيل » (بالعامية : حب هان) المستورد من (رأس) هيلي أو « ايلي » بجنوب الهند بالقرب من كورومندل ، كانت ميناء ومدينة عامرة أيام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرحلة 81/4 .

(3) الفتوح للبلاذري 431 - 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ، ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انما نمت وازدهرت في العهد العباسي الأول . اما في العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددده في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفنا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثرت احتكاكهما بالعرب حتى اننا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذي ، باب الأمثال) مما يدل على أنهم كانوا معروفين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح فارس على أيدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الاسلام : استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة اموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب الى العاصمة (x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية

كبيرة ، كما أن أولئك الدخلاء اثبتوا على الأخص بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السند أن بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى أنه ذكر أن أحدا منهم (ابن زياد بن أبي كبشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال أبي معشر نجيع بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8) ، ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال أبي عطاء السندي وأبي الأصم (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين وثلاثة على فتح السند ، وقد استغثت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيها بعد .

لا شك أن الارتقاء وغيرهم من عامة أهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالعجائب والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما أثرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الاذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية انما كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين الخاصة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الاحوال الداخلية

(4) يرجح أن الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر أن جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب اما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فتلك محاولة معروضة حاولها كثير من الموالى لاثبات أصالتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

» انظر قول ابي النجم العجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

(6) ابن الأثير 217/5 .

(7) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواقدي بالمدينة .

(8) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(9) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان أميراً على دمشق فأخرب سورها في فتنة أبي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

(10) أبو عطاء معروف ترجمته في الأغاني وأبو الأصم الهندي له ذكر في المزياني 513 (« أبو الضلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

(11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ أولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت أواخر أيام بني أمية ألوهن والاختلال والفتن أعقبتها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم الخراساني بعض العناء في اخضاع منصور بن جهمور الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيرا في ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بنقل العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الأمور تنتظم في العهد الجديد حتى نرى وفدا من أهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة أيام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله في وقت غير ملائم .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

× قال البحتري (د الجواب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر از لم تفق حاسبه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهنديكي تعلقات ص 134 هذه الارقام مفروقة عند العرب بـ « الارقام الهندية » وعند الافرنج بـ « الارقام العربية » [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني عرب الاندلس وربما سماها عرب الاندلس « حساب الفبار » لأن الهنود كانوا يرسمونها على التراب أو الرمل بدل اللوحة أو السبورة لتعليم الاولاد كما يشاهد ذلك في بعض أرياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الآداب 90/2)

(15) هاك الالفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : « كرجه » (الوتر المستوي) اصلها بالسنسكريتية « كرمجيا » ، « جيب » اصلها « جيوا » ، « أوج » اصلها « اوج » بالجم الفارسية ، « ارين » من « أجين » اسم لبلدة في وسط الهند ، « ادماسه » اصلها « ادھماسا » .

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين أخرى ، ولانسيها الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابا ن مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده وبقي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نقف عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة انمرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين واصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بان الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وايدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » اسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بانه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : « برمك ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

وهذه الرواية مختلفة بدليل ان المؤرخين مجمعون على ان « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لكان والنسبة اليه « برمكي » . واتى ابن الفقيه الهمداني وياتوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لان معبد بلخ كان قد اُنشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وان « برمكة » انما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق — مؤرخ « البرامكة » (باللغة الأردوية) الى ان اصل « برمك » هو « برمغ » — « بر » يعني « كبير » و « مغ » [magos باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار — وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الفين » « بالكاف » في التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبداً للمجوس يعبدون فيه النار أو معبداً للبوذيين يعبدون فيه الأصنام أو « البلد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بأيدينا وصفا مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياتوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهناك ما يقوله ياتوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الأصنام وزينوه بالدباج والحريـر وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

16 ابن أبي أصيبعة 33/2 .

17 كتاب البلدان ص 323 « فسموا سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا .

18 معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولى منهم السدانة برمكا » .

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقيه بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك » .

هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما أورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياء من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن أزرع الكرمانى كما فعله ياقوت هو الاول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقرطبي 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف :

اولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالمعكس نص فيه على ان معبد بلخ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الاوثان والاصنام التي كان من بينها « الصنم الأكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمداني وياقوت (وستقل هذه القطعة فيما بعد) انه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Buddhism) .

رابعا : ان (« الاستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرفة لكلمة « استب » بالاصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي اودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مستط رأسي مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الاستن » اي العامود بالفارسية محرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك ادلة اخرى ترشدنا الى الجزم بان معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(1) ان بلخ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنية اي البوذية ، كان اكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض أهل الرواية والتقرير انه قرا على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » . اما « بوذاسف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل اصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقمر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقمر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان اصل « هندو » هو « اندو » اي القمر (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر ») .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك في ان النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه المجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان اصل النوبهار هو « نووهار » وهار اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتهالد (Barthold) (دائرة المعارف الاسلامية) (Barmakids) كما أن الأول هو الذي بحث عن الأصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجها الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهندي تعلقات 102 - 124 » ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة أخرى فيلفت النظر الى أن القول بانحدار البرامكة من أصل إيراني ينتقض أيضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى أن فتحت خراسان أيام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك أبي برمك أبي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما أتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آبائه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضلته عن غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا أرجع الى دين بادي العوار متهتك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استجذبت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يفتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك أبي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشмир ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وانواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فتشاعروا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فأجلسوه في موضع أبيه فتولى أمر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيسان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وأم خالد ، وسليمان بن برمك من امرأة غيرها من أهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وأم القاسم وبنتا أخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا أعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا أو عقدوا بابا جديدا أو طائفا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك بأول ربحان يطلع في ذلك الوقت ، غلها بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار غسمى نوبهار لذلك » (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد البوذيين من قبيل وهار ، وهاك مما أورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح أطافت بالمدينة ، وكانت تدور ، والبد فيها ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم أو أصنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة أيضا ، وكل شيء أعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد أيضا .

أو لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بأن الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخطبون خطب عشواء في تفسير « برمك » فأنهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام » (ياقوت) أما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرسوا بأن تكون « برمك » مشتقة من « برمكين » ثم دعموا هذا التخرس برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » وأباها هي أن « برمك » أصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر أو ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب أحد من سدنة بيوت النار أو معابد المجوس ، بل انما اختص به رؤساء النوبهار لأسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان أثبت ان أول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

هذا وقد جاء في التويري (نهاية الارب 29/12)
عن محمد بن العباس المسكي عن الاسباب التي
حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو اقرب الى
الصواب فانه يقول : « لما قلت الاموال في ايديهم
(الامويين) شرعوا في مصادرات الرعايا واخذوا
الاموال من غير وجوهها وتعرضوا الى اموال الاوقاف
والايتام فتعرض ولاية خراسان لبرمك ولولده وطالبوهما
بالاموال وكان تحت يد برمك اوقاف جليلة فهرب هو
وولده من اعمال خراسان الى بلاد الهند فاقاموا بها
الى ان ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن
برمك واخوه الحسين واهلهما على المنصور ، ابنى
جعفر لما افضت الخلافة اليه فاصطنعهم وادناهم
وقربهم الخ (نفس الرواية في صبح الاعشى 126/2)

اولا يجدر بنا ان نتساءل : لماذا هربت ام ابي
خالد الى بلاد قشمر ؟ لان اصل البرامكة كان من
الهند لا من ايران ولا يخفى ان قشمر كانت مركزا
من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك
نشأ برمك ابو خالد على دين آباءه . لاشك ان الفرس
ادعوا انتماء البرامكة الى جاماسب وزير كستاسب
ليثبتوا انها اسرة ايرانية عريقة في الوزارة ، كما ان
العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة الى انفسهم بدعوى
ان ام خالد حيلته من عبد الله اخي قتيبة لكنها دعاوا
بقيت موضع الشك الى ايامنا هذه . اما الماع الشعراء
الى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل
جدا عدم الاخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين
المجوس والبوذيين ولاطلاعهم « المجوس » على العجم
كلهم . واخيرا لا ننسى انه كان في مصلحة البرامكة
التضامن مع الفرس لاغراض سياسية ظاهرة .

اذن يتضح لنا كل الوضوح تلك الظاهرة القوية
التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب
الهندية الى بغداد ، وهي عناية البرامكة التامة بهذا
الموضوع ، فاننا نراهم يستخدمون جميع الوسائل
الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون
كانهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . انظر
اليهم يستقدمون ابن دهن فيمهدون اليه بادرة
المستشفى المعروف باسمهم والاشراف على ترجمة

الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم انظر
الى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة الى الرشيد لمعالجة
ابن عمه ابراهيم بن صالح (21) ويمنح اباان الشاعر
جائزة قدرها مائة الف درهم على نظمه قصيدة كليلة
ودمنة (22) اما قصب السبق في هذا الميدان فكان
ليحيى بن خالد — حفيد ابي خالد الذي نشأ في بلاد
قشمر وتعلم هناك « النجوم والطب وانواع الحكمة »
فانه هو الذي جلب من الهند علماء واطباء امثال بهلة
ومنكة وبازيكر قنبرقل وسنديباد الذين اقاموا ببغداد ،
وربما اسلم بعض اولادهم مثل صالح بن بهلة والذين
عرفوا العرب الطب والبلاغة عند اهل الهند (23) ،
ولكن اهم الاعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد
اطلاقا هو ارساله رجلا في بعثة علمية الى الهند
« ليأتيه بعقائير موجودة في بلادهم وان يكتب له
اديانهم » (الفهرست 345) فان التقرير الذي وضعه
هذا المبعوث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب
والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين
الى ظهور ذلك النابغة المحقق ابي ربحان البيروني .
وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير
مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
واربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة اخرى
بخط يعقوب بن اسحق الكندي ، اورد منه ابن النديم
مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وشرح الهنود
(الفهرست 345 — 349) ونجد بمقارنة بعض اجزاء
هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ
(9/4 الى 19) ان مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ،
ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم ان بيان مطهر
ابن طاهر المقدسي كانه جزء مما جاء (مترجما
بالفارسية) في كتاب زين الاخبار لكرديزي في هذا
الباب (24) وقد نص الكرديزي على انه اخذ عن كتاب
التواريخ لابي عبد الله محمد بن احمد الجيهاني وزير
بني سامان (اوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب
البروفسور مينورسكي الى ان الجيهاني ربما اعتمد
بدوره على كتاب المسالك الكبير (اصل المختصر
الذي نشره دي غويه) لابن خرداذبه . هذا وقد
عثرنا اخيرا على مقطوعتين في كتاب اخبار الزمان
المنسوب الى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

(21) ابن ابي اصيبعة 34/2 .

(22) الجهشيارى 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الاسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

(24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانهما اصل الترجمة الواردة في كرديزي (البندان 41 و 42) .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنا الى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيهقان ، وكما يجعلها قوله : « انها الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) اما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تفكرنا انها استمرت فيها بعد الى ان بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقية (الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبدالحق فاضل

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذى أغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة
قلميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القارئ البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنى هنا ، فى
هذا الحديث القريب موضوعا والمعجب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الاله مياه العالم
السفلى التى تحسبها دعائم او اعمدة ، وكانهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلى الشربير على قاع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول
احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاح
السدود يفرق القرى والزرع كما شهدنا مرارا فى
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الاخيرة التى اجتمعت واسرجت دجلة والفرات ايام

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء

فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
لينذرا بين يديه فى السهول والجبال
واقتلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانها لماء العالم السفلى)
وجاء بعده « نترتا »
(رب الوباء ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...

وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكتملا
احتدمت

حتى طفى هبوبها العاتي فطفى الاجيلا
فتك فتكا بالنفوسي
هوجاء كالحرب الضروسي !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..

... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهمننا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان واعي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم **هرقل** (Herakles) بالاغريقية و Hercules باللاتينية) . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم أجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية) .

واذا لحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لنترك المسألة الرابعة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis أو Atlantica) - قارة او جزيرة أسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذي رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مضرين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مآثر اثينة قاطبة هو دحرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويروى امتدادها على مجموع ليبيا وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنية (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبثت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذية على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فذاخت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخطى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد المغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم فصار كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضاحض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقيننا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتطاوّل . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون وإلى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

« المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة أخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سيق أن امتدادها « يربو على مجموع ليبية وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - فى البحر المتوسط طبعاً - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي أو الاطلسي منه الى اسم أي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الاثيني وعدد آخر - يبدو أنه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون أن البحر الابيض المتوسط كان أرضاً يابسة تصب فيها الأنهار من أوربة وأفريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وأن جبل طارق كان يمتد بينهما فى أقصى الغرب منهما كالجسر ، أو بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات أرضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فأغرق أرضاً شاسعة هي التى تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتقت القارتان اللتان كانتا رتقاً .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا فى المحيط الأطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التى تحجز المياه ويحكمها الاله ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الآفة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها .

ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة . فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتايين (Montaigne) وبفنون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنبثقة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التى وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفايانيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، أو الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف اولئك الاطلنطيين المغرقين هم الباسكيون أو قدامى الايطاليين أو غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل مقبول . فهل فى وسع اللغة أن تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المتاهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل ويراقل ، والى دعائم هذا واعمة ذلك . وقد جردنا الطوفان الذى احده قلع اعمدة ايراقل واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة أو القارة التى اغرقها الزلازل فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقنا بدورها فى بحر من الغموض والتناقضات . فقد سلف انها تقع فى

(1) نقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » ونقترح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .

وهو نفسه بدون تحريف أو تحوير ، اسم اللات باللغة البابشورية (1) . ويسمى باللاتين (لاتونة Latona) أيضا . ومن فرط افتتانهم باللات وتقديسهم إياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر - ولديها من جويتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالإضافة إلى اسميهما الأصليين ، وهما (لاتوبوس Latoius) : أبولو ، و (لاتوية Latoia) أو (لاتوية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذى تقدم هو الذى يبرر لنا إلى حد ما أننا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزا . أطلقه الإغريق على الإله الدعائم المائية أولا ثم على البطل الإنسان ، الإغريقي المشهور . لا كما ذهب إليه كاتب المعلمة البريطانية من أن « شخصاً حقيقياً أو رئيساً .. يمكن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التى زادها ذلك التائيل الخاطيء من اسم (هيرة) تعقيدا . وتسمية الأشخاص البشر بأسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الرافدانيين نستشهد منهم بالآلهين اللذين مر ذكرهما فى إطلاق بلاء الطوفان وهما (أدد Adad) : الإله الزوابع والرعود والأمطار ، و (ننرثا Ninurta) : الإله الحرب .

أما التناقضات التى مر حديثها عن موقع اطلنطة فتنحل مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت فى البحر المتوسط ، لا فى المحيط الأطلسي كما توهم الأقدمون الذين خدعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك الجزيرة . والذى يهدينا إليه التائيل أن أسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقا (Atlantica) والمحيط الأطلنطي (Atlantic) ترجع إلى أتل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (أطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكتمال اللغة العربية وسعة امداء انتشارها فى ربوع العالم القديم .

فيضان الأنهار . واذن فهذا الجبل المنقسم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا أو غربا . واذن فالإله هرقل هو المجرم الذى قلع أعمدة مياهه فأغرق اطلنطة وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان إيراقل يرتكب جريمة قلع أعمدة المياه السفلية فى الرافدانية كل عام فيحدث الفيضان الذى يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، إلا إذا فُتق الإله الحرب (ننرثا) بعض السدود فيغرق الأراضي الفيضية أحيانا ، وذات مرة بالإضافة إلى تفتيقه السدود أغدق الآلهة (أدد) مياه العالم العلوي أيضا فحدث الطوفان الأكبر الذى أغرق العالم كله وأهلك الحرث والنسل .

كان هرقل الإله عند الإغريق ، أبوه جويتر ، وأمه (الكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل إغريقي أنجز اثنتي عشر فعلة بتعذر إنجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية - ط 1960 - تقول أن هرقل ، أشهر أبطال الإغريق ، لا يمكن أن يكون الإله فى الأصل لأن اسمه الإغريقي (Herakles) ربما كان يعنى « العطية المجيدة من (هيرة Hera) » ، لأنه لم يكن للإغريق قط إله يتركب اسمه من اسم الإله آخر . « فلعل رجلا حقيقيا ، أو رئيسا .. يمكن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » - (مادة Hercules) ،

بعد الذى رأينا لا نستطيع أن نظمن إلى صحة هذا التائيل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللفظي الذى وجوده بين اسم هيرة والنصف الأول من اسم هيراكلس - بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التائيل لطريقة الإغريق فى تسمية آلهتهم . بل يغلب على الظن أن الاسم منقول بتمامه من اسم (إيراقل) أو من اسم آخر كان أثلا لكليهما .

وشبهه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) أم ديانة وأبولو ، اللذين أنجبتهما من جويتر أيضا .

- (1) اللغتان البابلية والآشورية متقاربتان لأن الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الآشوريون على بابل اتخذوا اللغة البابلية الفصحى - أي الرسمية - لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسميها علماء الرافدانيات اللغة « البابلية الآشورية » . ونقترح ادماج الاسمين اختصارا فى اسم واحد هو (البابشورية Babissyrian) .
- (2) ويحتمل بالإضافة إلى ذلك أن يكون اسم « لاتو » أو أحد مشتقاته أتل كل من « لاتيوم Latium » أي الموقع الذى تقوم عليه مدينة روما ، و « لاتينيوم Latinium » أي اللاتيني (اللاتينية) واللغة اللاتينية .

والأطلس (Atlas) اسم أطلقه الإغريق على الإله
يسند الأعمدة الباسقة التي تستبقي الأرض والسماء
منفصلتين ، ثم مسخه الإله (بيرسوس Perseus)
جبلًا صخريًا عقابًا له على سوء استقباله . لكن الذي
نخمنه أن العكس هو الصواب أي أن الاسم كان يطلق
أولاً على جبل أطلس ثم مسخته الأسطورة إلهًا . . على
عادة الأساطير مع الجبال الأخرى والانهار والآبار
والأشجار والأحجار . وامتداد جبل أطلس حتى المحيط
الأطلسي هو الذي جعل هذا المحيط يسمى أولاً
« البحر الأطلسي » ثم « المحيط الأطلسي » ، نسبة
إلى الجزء العربي الأخير ، المجاور للمحيط ، من هذه
لسلسلة الجبلية الطويلة .

وهذا أيضاً يؤكد أن أطلنطة كانت في البحر المتوسط
لأن جبال أطلس موازية ومحاذية له ، فمن المعقول عندئذ أن
تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول
أولئك الكهنة أن إمبراطورية أطلنطة كانت تمتد من
الأعمدة حتى مصر وبرهنية ، ويوحى إلينا من جهة
أخرى أن أرض أطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة
من الجبال أي أنها لم تغرق كلها طبقاً لحدودها
السياسية بل غرق الجزء المنخفض الأهم المأهول أو
المزدحم بالسكان منها ومن بعض الأقطار المجاورة لها ،
فقال الأسطورة أنها غرقت كلها ، كما أن الفضان
البابلي أغرق جزءاً كبيراً من جنوبي العراق . فقلت
أسطورتهم أنها أغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن
القول أن بعض أراضي المغرب العربي الكبير - من
ليبيا إلى المحيط - كان جزءاً من إمبراطورية أطلنطة

ويذكر القاري أن الكهنة قالوا لصولون أنه بعد
حدوث الزلزال العظيم « غار كل قومك الصناديد في
الأرض ، واختفت جزيرة أطلنطة كذلك في البحر .
وهذا هو تفسير الضحاضح التي توجد في ذلك الجزء
من المحيط الأطلنطي » .

إن النصف الأول من هذه العبارة يؤكد كذلك
كون أطلنطة في البحر المتوسط لأن قوم صولون
الصناديد فيه تقع بلادهم . وأما تلك الضحاضح « في
ذلك الجزء من المحيط الأطلنطي » فلا نعرف المكان
المقصود به لكننا واثقون أن أمم هذا المحيط مقعماً هنا
في غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التي ضللت
الرواة منذ قديم الزمان . غير أنه يمكن تطبيق
الضحاضح على بحر أيجة الذي يكتنف أرض اليونان
وعلى الأرخيبيل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا أن الباحثين المحدثين
قد وجدوا بقايا من طمي دلتة النيل في ذلك الأرخيبيل
قرب اليونان ما ينبئ أن هذا النهر كان ينصب هناك
ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى
الأرخيبيل الإيجي قبل الفرق . وذلك تأييد أي تأييد
لقول الكهنة العلماء أن أطلنطة كانت قد عبات قواتها
ضد مصر وهيلاس ، لأن امتداد الأرض المصرية حتى
السواحل اليونانية يعني طبعاً أنهما كانتا متجاورتين .

وقد تساءلنا آنفاً عن معنى كلام الكهنة عن تحرر
جميع الأمم الواقعة « ضمن الأعمدة » ، الذي يوهم
ظاهرة أن هناك أعمدة كانت تحيط بعدد غير قليل من
الأقطار . فالآن نجيبنا حقيقة انفتاح جبل طارق عن
تسائلاً . فالمقصود هو جميع الأقطار التي تقع ضمن
المنطقة التي أغرقها اقتلاع الأعمدة ، أو البحر الذي
لا منفذ له إلى المحيط الأطلنطي غير تلك الأعمدة التي
انقثمت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

وأما نعت أطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طوراً من
قبل الكهنة أنفسهم فالظاهر أنها تسمية متأخرة .
سميت قارة تعبيراً عن اتساع رقعتها ، وسميت
جزيرة على اعتبار أنها كانت في المحيط الأطلسي .

لكن العجب العجيب هو شأن أولئك الباحثين
الذين شخصوا الأرض المفرقة بأفريقية واسكندناوية
والكناري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر
المعلمة حجة كل منهم . لكن هذه أراض موجودة لا
مفقودة ، ويجوز أن يقال أن زلزالاً قد أبرزها من البحر
لا أن يقال أن زلزالاً قد أغرقها في البحر .

وأما قول القائلين أن جسراً كان يقوم على مضيق
جبل طارق فوهم صراح ، لأن العالم المتحضر لم
يستطع حتى اليوم أن يقيم جسراً على مثل هذا المضيق
البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر أن بعضهم
صار يسمي المضيق نفسه « أعمدة هرقل » فأول ما
يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ،
فخالوا أن جسراً كان وزال . وحين يكون جسر يعبر
الناس ، والدواب أيضاً .

ونعود إلى قول الكهنة أن تاريخ أطلنطة يرجع إلى
تسعة آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه
لأن الحضارات وتأسيس الإمبراطوريات الضخمة
والجيوش المعبأة المنظمة الجراءة لم تكن قد ظهرت في
ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

الجبال المغربية الموازية لها ، أو الداخلة ضمن منطقتها على الأرجح ، أو المعينة لحدودها الجنوبية . وقد سماها الأجانب **أطلنطس** (Atlantic) ، ثم سمو المحيط الأطلسي (Atlantis) نسبة إليها ، ثم هم عادوا الى القارة فسموها **أطلنطيقية** (Atlantica) نسبة الى هذا المحيط ، الذي حسبوها غرقت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور **tauros** واللاتين يسمونه **taurus** وهو اسمه العربي الواضح . حتى زيادة السين في آخر الاسم سبق أن أثبتنا في العربية (في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مفامرات لغوية ») . وكان القومان - الاغريق واللاتين - كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس . وربما كان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما أقدم كثيرا من اللاتين والاعريق ، أي قوما كانوا يتكلمون العربية ، أو كانوا يتكلمون لغة أقرب الى العربية من الاغريقية التي تدل الملابس اللغوية على أنها هي الأخرى كانت في عهدها الأولى أقرب الى العربية .

فمن أجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ، أنه لا يستبعد أن يكون هذا شأن الذين أطلقوا اسم (**أطلس**) على الأرض التي التهمها البحر المتوسط ، بمعنى الأرض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا بالكثير من التسميات الأوروبية القديمة التي تتأثر في العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسرت لنا الفرصة ذات حين . ويكفينا الآن أن نقول مثلاً أن اسم قرطبة **Corduba** باللاتينية (الذي أظنه (قرية طيب) أي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3)) .. وكما يقول الباحثون .. يذكرونا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان الاغريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ، وعلى مدينة ثانية في (بويوتية Boiotia) أسسها قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة في (ثسالية

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم . وانما هم الارضانيون الذين يسعهم أن يفيثونا في معرفة ذلك . لكن الواضح أن الرقم (9000) المبالغ فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتواريخ الموهلة في القدم ، التي كثيراً ما يداخلها الخلط والتزويد ، حتى لو كانت قائمة في أصلها على حقائق من الواقع .. كالذي نراه حتى في (تواريخنا) المعاصرة .

الأرجح عندنا إذن أن اسم (**أطلس**) قد كانوا يطلقوه على اطلنطة نفسها أول مرة ، ثم انتقل الى سلسلة الجبال الموازية لها ، أو التي كانت ضمن امبراطوريتها أو حدودها كالذي نوهنا به قبل ، ومن ثم انتقلت التسمية الى المحيط الأطلسي .

ومعنى (**الأطلس**) في عربيتنا الباقية : الاغبر الى سواد . وأصله فيما نعتقد : الأسود ، وهذا أصله المظلم ، من قولهم **طلس البصر** : ذهب ، وأثله طمس البصر أو النجم : ذهب ضوءهما ، أي أظلما . ومثل ذلك **دلس ودمس** ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ وتجانس معانيها في موضوع « دخيل أم أثيل » في مكان آخر من هذا العدد من «اللسان العربي») .

ويبدو أن تلك الأرض انما سميت بالاطلس كناية عن خصبها على غرار تسمية العراق « أرض السواد » . وانذى يرجح ذلك ويؤيد أن الاقدمين كانوا يطلقون السواد على الأرض المخصاب لشدة خضرتها هو أن قدامى المصريين أيضاً كانوا يطلقون نفس الاسم على بلادهم .

ومعلوم أن العرب كثيراً ما كانوا يذكرون بعض الألوان مكان بعض على المجاز أو الاستعارة ، ومن ذلك إطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار قولهم « سواد البلدة » يعني ما حولها من الريف والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة إذن هو (**أطلس**) على ما يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم أطلقت على

- (1) من أمثلة خلط العرب الألوان بعضها ببعض تسميتهم الأسود أخضر - على العكس مما تقدم - في مثل قولهم « أخضر شاربه » أي أسود ، وأصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » أي الزرقاء ، و « زرقاء المنايا » أي سودها . والبغداديون يقولون أن الخوخ مثلاً « أزرق » أي أخضر ، فج لما ينضج .
- (2) جاء في الآية : « بلدة طيبة ورب غفور » مما قديدل على أن هذا التعبير كان مالوفاً ومستحباً عند العرب ، ومن ثم سمو به قرطبة ، وغيرها أيضاً فيما نظن .
- (3) يراجع فصل لنا في المصدرين المذكورين عن تسمية « فنيقية » .

التي سمي فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الفريق
(اطلسس) .

ولنزد الامر غرابة وتطلبا للتأمل وانعام النظر
فنقول لعل اسم (تايوان) (I) - اي جزيرة فرموزة
كما سماها البرتغاليون الفاتحون - ايضا من هذه
الفئة فهو قريب من اسم (تيب) ولاسيما اننا سمعنا
من أحد الصينيين أن اسمها يعني الأرض أو الجزيرة
الجميلة !

فمن من قرائنا انكرام تناح له الفرصة لمعاونتنا في
التحقق من هذه وتلك ؟

فيثيوتيس (Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة
في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها أخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كنعانيا كتلك
التي بناها قدموس في بويوتية فلعل (طيبة) مصر
وبعض الاخباريات أقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ،
ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت
Tibet) في احضان هملاية ايضا قد تكون من هذه
المجموعة الأعرابية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لغتهم
قديمًا أو ما زال يعني الطيبة أو الحسنة ، أو ما الى
ذلك . فان صح هذا كان لنا أن نستنتج أن فريقا من
العرب سموا التيبب بالطيبة ربما في نفس الحقبة

- (1) ان الحروف B و W و V - كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية
ينطق الواو باء في بعض الالفاظ مثل كـاب وكـاو : بقرة . لهذا تنطق تايوان في الفارسية
مثلا : Tayban و Tayvan .

ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي

الدكتور محمد عبد المولى (تونس)

اقتصر هذا المعهد في البداية على البحث في العلوم الجنائية كعلم الجريمة وعلم كشف الجريمة ، وعلم العقاب ليصبح بعد ذلك سنة 1960 « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية » . وانطلاقا من هذا التاريخ أصبح المعهد يعنى بالعلوم الاجتماعية بمعناها المعروف ، ونعني بذلك علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية (1) .

— وتأسست ، حوالي سنة 1962 ، دائرة لعلم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الانسانية بالجامعة اللبنانية ويمكن للطلاب أن يتخرج منها بالاجازة في علم الاجتماع .

— وفي تونس تأسس فرع خاص بالعلوم الاجتماعية سنة 1964 ... كما تأسس مركز للبحوث الاجتماعية الى جانب مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (C.E.R.E.S.) ومن المعلوم أن هذا المركز يضم الى جانب البحوث الاجتماعية شعبا عديدة مثل شعبة اللسانية والحقوق والاقتصاد والديمقراطية . ومن ميزة هذا المركز — الذي كان يتلقى اعانة مالية من مؤسسة فورد الأميركية حتى سنة 1971 — أنه يهتم بالبحوث الميدانية وخاصة في الحقول الاجتماعية والديمقراطية (2) .

ان مجتمعاتنا العربية الاسلامية ، والمجتمع المغربي جزء منها ، في اشد الحاجة الى دراسات اجتماعية لجميع مشاكلها ومؤسساتها ونظمها وتطاعات حياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ...

فالبحث العلمي الاجتماعي يعد في الواقع تقليدا جديدا في مجتمعنا ، وليس للعرب فيه اسهام حديث يستحق الذكر . هذا اذا استثنينا العلامة العربي عبد الرحمان بن خلدون (1332 — 1406) الذي كرسنا له ، خارج هذا العرض بحثا خاصا .

فلم يصل ، الى علمنا ، أن أحد الباحثين العرب تمكن من ربط تراثنا العلمي العربي في حقل الدراسات الاجتماعية والسياسية بالحركات الفكرية والعلمية في العالم ، وخاصة ربط هذا التراث بحقول علم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، والانثروبولوجية الاجتماعية ..

ان محاولات اجراء البحوث الميدانية والعلمية في حقول علم الاجتماع (سوسيولوجيا) وعلم النفس الاجتماعي ، في المجتمع العربي ، ما تزال في بدايتها ..

— فالبنسبة لجمهورية مصر العربية ، فنان البحث الاجتماعي ما زال في بداية المحاولة وليس له جذور راسخة ... ويعتبر انشاء المعهد القومي للبحوث الجنائية عام 1956 نقطة الانطلاق في هذا المجال :

للسيد ياسين . (الطليعة — العدد العاشر — اكتوبر

(1) انظر : الدراسات الاجتماعية . وتطوير المجتمع 1971 — ص 95 — 100) ص 95 و 96 .

(2) انظر مشاريع البحث العلمي في نشرتين خاصتين (I.P.S.E.J.E.S.), 23, rue d'Espagne. 1970 (C.E.R.E.S.), 23, rue d'Espagne.

— ومنذ سنوات قليلة تأسست جمعية جزائرية للدراسات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية Aardes ، وهي تقوم بتنفيذ طلبات وزارة التخطيط والاقتصاد الوطني . كما اكد لي ذلك مديرها — وأعمال هذه الجمعية لا تعدو أن تكون جمع المعلومات الحيوية واحصائها وفهرزها .. حول ناحية معينة او موضوع معين كالملكية الخاصة ، او الاستهلاك العائلي ، أو احصاءات تتعلق بالسكان .. الخ بحيث ليس هنا بحوث اجتماعية بالمعنى العلمي للكلمة .

— وفي المغرب الأقصى انشئ معهد العلوم الاجتماعية ثم الحق بكلية الاداب .

أما دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة الجزائر، فبحكم حداثة سنّها لا اشعاع علمي لها .. ربما ذلك راجع الى قلة الباحثين والأساتذة الأكفاء .. وفي سنة 1967 تأسس قسم بعلم الاجتماع في جامعة بغداد .

هذه هي ، باختصار محاولات الاعتناء بالبحوث الاجتماعية ، وهي تجربة لا تزال تلتبس طريقتها الى النمو والاصالة والابداع .

ولا يسعنا امامها الا ان نبدي الملاحظات المنهجية التالية :

1 — ان اللغة الاساسية لتدريس العلوم الاجتماعية والبحث العلمي الاجتماعي ، في كليات ومعاهد الشرق العربي هي اللغة العربية .. الى جانب لغات اجنبية مساعدة .

أما اقطار المغرب العربي ، فان الفرنسية هي المعتمدة كأساس للتدريس والبحث في حقول الدراسات الاجتماعية ، نستثني من ذلك دائرة العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر التي قطعت خطوات موفقة في تعريب العلوم الاجتماعية . ومن المألوف ان نلاحظ ان جل الباحثين في علم السوسيولوجيا بتونس والمغرب الأقصى ، عندهم جهل يكاد يكون تاما باللغة الوطنية والتراث الشعبي ، وبالتالي بلغة المجتمع ورموزه وتاريخه ...

2 — اقتصر الجيل الاول من الباحثين واساتذة علم الاجتماع — وكان تكوينهم في الغالب فلسفيا — على تدريس علم الاجتماع (سوسيولوجيا) ، على غرار التقاليد الفرنسية التي تهتم بشديد الاهتمام بالمقارنة بين الأفكار والمدارس السوسيولوجية ، مقارنة تفتقر الى الدراسات الميدانية والواقعية ... (وانصب جزء كبير من اهتمامهم على شرح اعمال المدرسة الدوركهايمية (1) ابتداء من مؤسسها اميل دوركيم ومرورا بأعمال فوكوني (2) عن المسؤولية وسلاستين بوقلي (3) في كتاباته عن المساواة : والديمقراطية امام العلم وريني هيرس (Hubert) (1885 — 1954) في قواعد السلطة في الديمقراطية .. ودراسات ليفي بربل الانثروبولوجية ... الخ .

وقد اقتصر هؤلاء الأساتذة والباحثون الرواد : كما فعل زملاؤهم في أمريكا اللاتينية على النقل دون الفحص والتفسير والتأصيل . وهذا يعني ان هؤلاء جميعا لم يهتموا بربط النظريات الاجتماعية بالظروف الاقتصادية والسياسية التي نشأت وترعرعت في ظلها، فلا يمكن بأية حال من الأحوال ان نفهم مدرسة اميل دود كيم الا في ضوء أوغست كونت (4) الذي هو الآخر لن يفهم في معزل عن ظسروف العصر الذي عاشه : مثلا الصراع بين البورجوازية والطبقات الكادحة على مستوى حركة المجتمع ، وبين الإيجابية الوضعية (Positivisme) والاشتراكية على مستوى الصراع الايديولوجي .

ان الدراسات داخل هذا الاطار تساعدنا كثيرا على فهم أوغست كونت وبالتالي اميل دوركيم .

ويقول كاتب معاصر في هذا الصدد : « عجز هذا الجيل عن تقديم منظور سوسيولوجي للمعرفة يربط بين الفكر وبين البناء الاجتماعي برباط وثيق ، وبالتالي قدم الفكر السوسيولوجي الفرنسي معزولا عن جذوره ، وبكل ما يتضمنه من تحيزات ايديولوجية صارخة ، لم يكن الغرض منها سوى الحفاظ على مصالح الطبقة البورجوازية الأوروبية ، وأهم هذه التحيزات ضرورة الفصل بين القيم والواقع ، ومنع

- | | |
|----------------------------|-----|
| Emile Durkheim (1858-1917) | (1) |
| Paul Fauconnet (1874-1938) | (2) |
| Célestin Bouglé | (3) |
| Auguste Comte (1793-1857) | (4) |

الباحث الاجتماعي من تقييم الظواهر الاجتماعية أو الحكم عليها نزولا عن رغبة « موضوعية » العلم و « حياده » .

3 - وبعد سنوات جاء جيل من الأساتذة والباحثين العرب فأدخلوا ، لأول مرة ، في البيئة العلمية العربية مناهج وطرائق البحث الاجتماعية الميداني ، وشرعوا في تطبيقها على نطاق محدود جدا لا يتعدى الدراسات والبحوث ، للحصول على درجة الدكتوراه أو في صورة أعداد بحوث جزئية لدراسة موضوعات خاصة .

ومن الملاحظ ، في هذه المرحلة بالذات ، تأثير الباحثين والاساتذة العرب ، أو جلهم على الأقل ، بالمناهج الغربية وبأدوات البحث المستعملة في الغرب الرأسمالي وكان من الصعب أن تتوغل الفطنة النظرية لدى الباحث الاجتماعي العربي حتى يكشف عن الجذور الايديولوجية التي يزرع بها علم الاجتماع .

ولم يكن من الهين ، في هذه المرحلة الانتقالية على الباحثين العرب هضم ما درسوه في الشرق أو في الغرب ، والاستقلال بوضع طرائق علمية وعلم اجتماع عربي - اسلامي له أساليبه وطرائقه لدراسة واقع المجتمعات العربية - الاسلامية ، بينانيها وطبقاتها الاجتماعية ومشاكلها ومؤسساتها ، وفي تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيم غنية خالدة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض ، صنعت بعضها ، عصور الانحطاط والظلام ، وصنع بعضها الآخر التخلف الفكري والمادي طوال الاحتلال الاستعماري في العصر الحديث .

4 - ان استعمار المناهج المستوردة في دراسة المجتمعات العربية الاسلامية : دون نظر الى طبيعتها الخاصة وظروفها وتطورها التاريخي والسياسي والاقتصادي ، ورموزها وحركيتها ، هو خطأ منهجي في منتهى الخطورة . انه مصدر سوء التفاهم والخلط الذي كثيرا ما يحدث في استعمال المناهج العلمية في غير ما وضعت له . واذ عمد الباحثون الأجانب ، الى دراسة المجتمعات العربية الاسلامية ، رغم جهلهم

الظاهر بطبيعتها ورموزها ولغتها ، وحركيتها وتفكيرها الديني ، - استعملوا طرائق منهجية قد تكون صالحة لدراسة مجتمعاتهم ، والتطور التاريخي والاجتماعي والفكري لها - فاذا ما تهافت الباحثون العرب وخاصة في المغرب العربي - الا من رحم ربك - على هذه الدراسات التي وضعها الأجانب عن المجتمع العربي وتاريخه ، فانهم يفقدون بذلك موضوعية بحثهم ويرتكبون بذلك ، خطأ منهجيا ، خطير العواقب (1) .

لا بد اذن ، والحالة هذه ، من اعادة النظر في دراسات الأوروبيين والأجانب من مستشرقين ومن دار في فلكهم من اساتذة ودكاترة ، ان عدم ثقتنا بأنفسنا وتخلفنا العلمي والتكنولوجي ، والاقتصادي قد حجب البناكل ما هو اجنبي « الى حد ان هناك جماعات تعتقد ، كما اكد علل الفاسي ، ان الخير كل الخير هو في تقليد أوروبا الغربية ، وأمريكا السكسونية ، وروسيا السلافية ، والمانيا الجرمانية » .

5 - ان التقاليد الفرنسية في علم الاجتماع ، جعلت جل الدراسات الاجتماعية مبنية على مبدأ الحياد وتغلة الموضوعية ، وهذا الموقف لا يمكن ان يفسر الا بتطور المجتمع الأوروبي نفسه . ذلك ان المجتمعات الأوروبية - والمجتمع الفرنسي جزء منها ، - قد تأثرت بمؤثرات وحفت بها ملامسات ، ما عاشتها مجتمعات العالم الثالث ، والمجتمعات العربية الاسلامية خاصة : مرت هذه المجتمعات (الغربية الرأسمالية) بعصور الاقطاع والجهل والظلام ، الى عصور الثورات التي عصفت وما تزال : فمن ثورة فكرية في القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية في القرن الثامن عشر ، الى ثورة اقتصادية في القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية في بداية القرن العشرين كل هذه الثورات بمذاهبها المختلفة وملابساتها الخاصة جعلت للمجتمع الأوروبي تركيبات وانظمة خاصة بها ، وبالتالي تفكيرا اجتماعيا وسوسيولوجيا خاصا . ولا يتسع المجال هنا لعرض تطور الفكر الاجتماعي في أوروبا (2) : بل نشير فقط الى ان علم الاجتماع قد ولد بصفة رسمية في أوروبا في القرن التاسع عشر ، (وفي الوطن العربي في القرن الرابع عشر على يد العلامة

(1) انظر بحثنا عن التحليل العلمي الشامل ... اللسان العربي - المجلد السابع الجزء الاول - يناير 1970 الرباط . ص . 342 - 349 .

(2) انظر كتابا مبسوطا لبوطول وهو معرب :

Bouthoul, Histoire de la Sociologie, Que sais-je ? - PUF, Paris.

بعد ، أساس علم الاجتماع الفرنسي . لقد وصلت مقومات فكرة علم الإنسان هذه الى سان سيمون ، عبر الفلاسفة المثاليين والأطباء . واحد هؤلاء الأطباء هو الدكتور بيردان (Dr Burdin) الذي أوحى الى سان سيمون بأن يلقب علم الاجتماع بعلم ايجابي - وضعي ، وكأنه علم الحياة العضوية (Physiologie) أما أوغست كونت ، فابتدا اول الأمر بتسمية علم الطبيعة الاجتماعي كما فعل سان سيمون قبله ، والقصد من هذه التسمية ، هو الهاداة بقيام علم جديد يكون على غرار علم الموجودات الطبيعية (Sciences naturelles) غايته دراسة الأحداث الاجتماع ويتجانس مع بقية اقسام الطبيعة . وفي سنة 1835 تمكن الفلكي البلجيكي كاتلي من نشر تأليف عنوانه :

« الإنسان وتطور ملكاته » أو في سبيل فيزياء اجتماعية ، ثم اعاد نشره سنة 1860 تحت عنوان « فيزياء اجتماعية » (2) (Physique sociale) كانت منهجية كاتلي في كتابه الأنف الذكر تعتمد على معطيات مختلفة ديمغرافية وإحصائية في دراسة الجريمة مثلا . وقد اتضح له من خلال البحث والملاحظة ان القوانين التي تظهر في المجتمع ، تخضع لنفس النظام الذي تخضع له القوانين في الطبيعة . وقد توصل عبد الرحمان ابن خلدون ، قبل كاتلي بقرون ، الى نفس الملاحظة ، اذ قال : « فشان المجتمع في ذلك (النواميس والعلل) شأن عالم الطبيعة وناموس العلة وأحدقيهما (3) .

أما أوغست كونت فكان ينتهج طرائق مغايرة ، وهي ان هناك انقطاعا بين علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية ، فبالإضافة الى كراهيته الشديدة للأحصاءات وحساب الاحتمالات ، رفض أن يسمى هذا العلم الجديد بالفيزياء الاجتماعية واختار له اخيرا اسما آخر هو علم الاجتماع (سوسيولوجيا) ، وذلك لاسباب شخصية بينها في كتابه : « دروس في الفلسفة الايجابية » (4) .

عبد الرحمان ابن خلدون () ، لكن لابد من الرجوع الى القرن السادس عشر لنعرف « ان أزمة المؤسسات السياسية والدينية والتربوية قد ادت الى خلق علم اجتماعي لم ينفج بعد ، ولكنه كان نقديا على أية حال ، للنظام السائد والأفكار التي تؤيده . مثلا : قام رابلي ، قبل الثورة الفرنسية (1789) بنقد اجتماعي كما قام منتاني (Montaigne) بتحليل عملية جعل الثقافة والعلم والتربية ، لائكية ، يعني ان التربية ، بعد أن كانت جهازا تابعا للكنيسة ، تصبح شيئا فثيئيا جهازا تابعا للدولة . وقد قال ما معناه : « ان العلاقة بين الكنيسة والدولة او العلاقات بين الكنائس وجميع اشكال الدولة في اوروبا ، وعلاقات الكنائس بالمدارس والمؤسسات ، وكذلك علاقة العائلة بالكنيسة ... يجب أن تتقلب رأسا على عقب وذلك حسب عملية انتقال لها جميع خصائص الزلازل الأرضية (أو السهوية ؟) . ان هذا التحليل والموقف الانفجاري لا يعدو أن يكون ، في ذلك الوقت ، محاولات انتقادية أشبه ما تكون بالأدب الساخر . نظرا لفقدان الكشوف الميدانية والاحصاءات .. (1)

6 — ومن المؤلف ، في تاريخ الفكر الاجتماعي الحديث ان علم السوسيولوجيا قد ولد في نفس الوقت الذي اخترع له أوغست كونت (1798 — 1857) هذا الاسم (Sociologie) في اغلب الأحيان ينسب ان هذه التسمية قد وضعت كرد مضاد لمؤسس آخر وهو كاتلي (Quetelet) عندما كان أوغست كونت سكرتيرا خاصا لهنري سان سيمون (H. de St Simon) (1760 — 1825) الذي استوحى « فكرة علم الإنسان » من كتاب دائرة المعارف ، ولا شك ، أن لهم أهمية فائقة في عصر سان سيمون : كانوا اول من عمل على جمع العلوم في مؤلف واحد ، بعد ما أكدوا وحدة المعارف الاجتماعية ، ثم توصلوا الى وجوب فصل النظرية عن الواقع ، وهذا الفصل أصبح ، فيما

(1) انظر كتاب :

Clefs pour la Sociologie, Seghers, Paris 1971 (par Georges Lapassade et René Lourau), p. 25

Sur l'homme et le développement de ses facultés, ou essai de physique sociale. (2)

انظر : المقدمة (في النصوص الفلسفية المبصرة) لكمال اليازجي . ص : 408 (3)

الجزء الرابع ، الدرس 47 . ص : 252 (4)

ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية

للدكتور عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي بجامعة الكويت

الحركة النحوية في عصره :

السنتهم ، ويصلح كلامهم ، وتفهم رسائلهم ، ويكونوا قريبين من هذا الشعب العربي الذي يخضع لحكمهم .

من أجل ذلك لم يكن عجيبا ان يضرب ملوك هذه الدولة بسهم وافر في ايجاد حركة نحوية قوية .

وقد بلغ بالملك العزيز ان ينتقل لطلب العلم بين الاسكندرية والقاهرة ولا يجد حرجا في ان يجلس مجلس التلميز امام معلميه ، وكما اخذ هذا الملك الحديث في الاسكندرية عن الحافظ السلفي ، والفقه من ابي طاهر بن عوف الزهري اخذ النحو بمصر عن العلامة ابن بري النحوي (1) .

اما الملك الكامل فانه اشتهر بصفة خاصة بعلم النحو ، وله فيه آراء وأفكار مما هيا له ان يكون عالما بهذا الفن ، مسلما بمسائله ، خبيراً بمشكلاته فاهما لخلافاته والغازه .

وهذه المنزلة التي بلغها الكامل جعلت العلامة ابن بري يمنحه اجازة في هذا الفن (2) .

ومعنى هذه الاجازة ان هذا الملك وصل الى درجة الافتاء في النحو والتعميق في مسائله والقدرة على حل مشكلاته .

كان للخلفاء الفاطميين قبل بني ايوب عناية خاصة بالنحو العربي وفضل كبير في نشره ، ورعاية كتبه ، ورصد الجوائز للناهبين من ابناءه وحرصهم على ان تسير كتبهم وتعاليمهم ورسائلهم على نهجه حتى انه بلغ بهم الامر ان عينوا ابن بابشاذ النحوي محررا في ديوان الرسائل والانشاء ، وكان ابن بابشاذ من كبار النحويين والقراء في هذه الدولة .

واذا كان الشأن كذلك في الدولة الفاطمية فان دولة بني ايوب لم تكن اقل منهم عناية بهذا العلم ، بل ان ملوك هذه الدولة جعلوا النحو في مقدمة العلوم التي يتعلمونها لما له من فضل كبير في تقويم الالسنه ، وفهم القرآن ، ومعرفة اسرار السنه هذا فضلا عن انهم لم يكونوا عربا ، لانهم اكراد ، واللحن في السنتهم سليقة وطبيعة ، وقد جاءوا على انقاض دولة عربية ، كانت العربية في ابنائها جبلة وطبعا ، ومع هذا لم يقصروا في تعليمها ، والالمام بقواعدها والزموا ابناءهم بتعلمها لاختلاطهم بغيرهم ممن فسدت السنتهم ، وكثر اللحن في كلامهم .

لهذا فقد رأى ملوك بني ايوب انهم احوج الى تعلم العربية ممن سبقهم من الفاطميين حتى تستقيم

(1) النجوم الزاهرة ج 6 ص 127

(2) النجوم ج 6 ص 228

«ومدرسة القدس تقع على طرف صحن الصخرة
من جهة القبلة الى الغرب بناها المعظم عيسى سنة
604 هـ وكان يدرس فيها الكتاب لسيبويه (5).

على ان هذه المنزلة التي وصل اليها الكامل في علم النحو لم تصل الى الدرجة الكبيرة التي وصل اليها اخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام في هذا المضمار ، فقد كان المعظم عيسى اديبا نحويا ، يحب الادب ، ويقدر النحو والنحاة ولعل نشأته بالشام ، وقرآنته الادب والنحو على تاج الدين الكندي كان لها اثر كبير في تكوين شخصيته النحوية الادبية هذه الشخصية التي كانت المع شخصيات ملوك هذه الدولة ، وبخاصة في الميدان العلمي .

وقد قرأ المعظم عيسى كتاب سيبويه على التاج
الكندي والم بشرحه الكبير للسيرامي وكتاب سيبويه
في حقيقة امره مدرسة قائمة بذاتها فكل من فهم هذا
الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على أسرارهِ ،
وغاص الى درره كان حريا به ان يتصدر في النحو ،
وان يكون علما من أعلامه .

ولم يقف أمر المعظم عند هذا الحد ، بل انه
 نبغ في القراءات والقراءات والتدو متلازمان ، فقرأ
 كتاب الحجة لأبي على الفارسي في القراءات على شيوخه
 تاج الدين الكندي وقرأ أيضا عليه كتاب الإيضاح لأبي
 علي الفارسي حفظا (4) .

لهذا كله يحق لنا أن نقول : أن احتضان الملك
المعظم عيسى لعلم النحو والقراءات أماد هذا العلم
فائدة جليلة ، لأن الناس على دين ملوكهم كما يقولون
فقد اتبل المتعلمون على النحو ، وفتح لهم الملك المعظم
عيسى أبواب تعليمه ، وتعلمه بل أنه جعل لكل من
يحفظ كتاب سيوييه جائزة كبرى فتنافس الطلاب في
حفظه وتعاونوا على فهمه مما كان له أثر كبير في
إيجاد حركة نحوية ، وبخاصة في إقليم الشام حيث
يعيش هذا الملك ، وتعيش معه عطاياه وجوائزه .

ومن حسناته التي خلدها التاريخ انه أنشأ مدرستين للتخصص في الدراسات النحوية ، واحدة في القدس والاخرى بدمشق .

(1) **نمونه :**

(3) النجوم ج 6 ص 237 .

(4) النجوم ج 6 ص 267 .

(5) خطط الشام ج 6 ص 119 لمحمد كرد علي .

(6) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 41 .

2 - نشأته :

قرأ علي أبي الفضل الغزنوي ، وأبي الجود اللخمي ، وأخذ عن الشاطبي القراءات كما أخذ عنه النحو (12) .

ولم يقتصر ابن الحاجب على ما أخذ من علماء القاهرة فأتجه الى دمشق ليأخذ عن أساتذتها ، وكبار علمائها مما كان له اثر كبير في تكوين شخصية ابن الحاجب العلمية التي استطاع صاحبها بفضل ما أوتيته من قوة في التفكير وقدرة في الذكاء ، ونبوغ في العقل ان ينتفع بها أخذ من كبار العلماء في عهده .

4 - حياته :

ولما تسلم ابن الحاجب بما يتسلح به العالم من شتى أنواع العلوم والمعرفة جلس للأفادة وتردد بين القاهرة ودمشق مرات كثيرة ، وأقامته بدمشق مكتنه من أن يكون « مدرسا للمالكية » وشيخا للمستفيدين عليه في علمي القراءات العربية (13) .

وقد كانت المادة التي تشغل حيزا كبيرا من تفكيره هي مادة النحو فقد ظل في دمشق يؤدي رسالة العلم والمعرفة ، وكان الاغلب عليه دراسة النحو (14). وأقامته في دمشق لم تستمر بسبب حادث العز بن عبد السلام مع الملك الأشرف فقد كان هناك خلاف بين العز وبين الأشرف ولم يجد العز من يقف في جانبه من العلماء ويشد أزره في محنته غير ابن الحاجب ، وكان هذا الموقف من ابن الحاجب سببا في تغير الملك الأشرف عليه ، وكرهيته له ، مما أدى به ، وبصاحبه الى الخروج من دمشق والعودة الى مصر (15) وكانت عودته الى مصر سنة 628 (16) وفي مصر تصندر بالفاضلية ، وجلس في موضع الشاطبي (17) .

ولد في أواخر سنة 570 هـ بآسنا من بلاد الصعيد « وهي بلدة كبيرة خرج منها جمع كبير من أهل العلم والأدب (7) .

وقد انتقل الى القاهرة صغيرا ، لانه كما تحدثنا دائرة المعارف الإسلامية قد حفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه وأصوله على مذهب الإمام مالك ، وكذلك النحو والأدب (8) .

واشتهر بابن الحاجب ، لان أباه كان حاجبا للامير عز الدين موسى الصلاحي (9) ووظيفة الحاجب كانت في هذا العصر وظيفة لها مكانتها الاجتماعية ، لان الحاجب « كانت مهمته ادخال الناس على السلطان حسبما تقتضيه الضرورة بالسماح لهم بالثول بين يديه ، مراعيًا في ذلك مقامهم ، وأهمية أعمالهم ولم تقف مهمته عند هذا الحد ، بل كان يفصل فيها يحدث بين الأمراء والجنود ، وذلك بعد استشارة السلطان أو نائبه (10) .

وهناك رواية أخرى يرويها بعض المؤرخين حيث يقول : ان أباه لم يكن حاجبا ، وإنما كان يصحب بعض الأمراء فلما مات كان أبو عمرو صبيا فرباه الحاجب فعرف به ، ولكن الادنفوي في الطاليع السعيد ينفي هذه الرواية ، ويؤكد أن الرواية الأولى هي المشهورة (11) .

3 - شيوخه :

وانتقله الى القاهرة ، وأقامته فيها يسرت له الاتصال بكبار الشيوخ والعلماء والجلوس في حلقاتهم ، والأخذ عنهم ، والتأدب عليهم .

- (7) الطالع السعيد للادنفوي ص 16 مطبعة الجمالية.
- (8) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول ج 2 ص 126 .
- (9) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .
- (10) الظاهر ببيرس للدكتور جمال الدين سرور ص 132 .
- (11) الطالع السعيد من صفحة 188 الى 195 .
- (12) الطالع السعيد من صفحة 188 الى 195 .
- (13) البداية والنهاية ج 13 ص 179 .
- (14) روضات الجنات ص 8 - ع ص .
- (15) شذرات الذهب ج 5 ص 646 .
- (16) الذيل على الروضتين وفيات 646 هـ .
- (17) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 139 د . بدوى .

5 - تلاميذه :

وأشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه : المنفري
الدمياطي أخذ عنه الحديث أما علم العربية فقد أخذه
عنه الرضى القسطنطيني (21) .

6 - ثناء العلماء عليه :

وصفه شهاب الدين أبو شامة فقال : « وكان من
أذكي الأئمة قريحة وكان ثقة حجة ، متواضعا ،
عفيفا ، كثير الحياة ، منصفا ، محبا للعلم ، وأهله ،
ناشرا له محتملا للآذى صبورا على البلوى (22) .

وأنشى عليه ابن خلكان فقال : وجاء لي مرارا
بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية
فأجاب أبلغ أجابة بسكون كثير وثبتت تام (23) .

7 - كتبه :

خلف ابن الحاجب وراءه تراثا ضخما من العلم،
وبخاصة علم النحو وكان هذا التراث ممثلا في كتبه .
وقد قالوا عن هذه الكتب التي تركها لتحبي ذكره وترفع
قدره عند النحويين ، والدارسين للنحو ، « انها كانت
في غاية الحسن ورزقت قبولاً تاماً بحسنها
وجزالتها » (24) .

وكتبه النحوية كانت مدرسة قائمة بذاتها ،
عاش على مائدتها النحويون . وقد قال عنه الرواة
انه : « خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم
اشكالات والزامات منحة يعسر الجواب عليها (25) .
وقد قال الإدقوني يصف كتب ابن الحاجب :
« ان الناس انتفعوا بتصانيفه لما فيها من كثرة النقل
مع صغر الحجم ، وتحريير اللفظ » (26) .

وكان الشاطبي امام مصر في علمي القراءات
العربية ، وبالفاضلية كثر الطلبة وقصدوها من كل
مكان من أجل ان يأخذوا العربية عن ابن الحاجب .

وظل ابن الحاجب متصدرا بالفاضلية يفيد تلاميذه
ويملئ عليهم من مختلف العلوم وبخاصة علم النحو
والقراءات حتى انتقل للاسكندرية للاقامة فيها .

ويذكر الدكتور بدوي في كتابه « الحياة العقلية »
ان ابن الحاجب انتقل الى الاسكندرية بعد تصدده
بalfاضلية ، ولا يدري سببا لهذا الانتقال (18) .

ويظهر لي ان ابن الحاجب - وان فتح له باب
الفاضلية ، وجلس في موضع رجل من كبار شيوخ
مصر ، وهو الشاطبي - فقد كان موره ممن قصدوه
بalfاضلية لم يمكنه من الحياة الهادئة المستقرة التي
تطلبها حياة العلماء لتجود قرائحهم وتنتج عقولهم .

ولم يجد في القاهرة من يحسن بحاله ، ويشعر
بحاجته ، فيكنيه مؤونة البحث عن الرزق . فهاجر
الى الاسكندرية عله يجد فيها ما فقدته في القاهرة .

وقد اوحى الي بهذه الفكرة هذان البيتان اللذان
يدلان على نفس قلقة وروح مضطربة ، وحياة بائسة.

يا اهل مصر رأيت ايديكم
عن بسطها بالنوال منقبضة

مذ جئت نازلا بأرضكم
أكلت كتبني كأنني أرضة (19)

على أية حال فقد التى ابن الحاجب عصا
التسيار في الاسكندرية ولم تطل مدة اقامته هناك ،
فوفاه الاجل في ضحى نهار الخميس سادس عشر من
شوال ودفن خارج باب البحر بقربة الشيخ صالح بن
أبي شامة سنة 646 هـ (20) .

(18) نفس المصدر والصفحة .

(19) روضات الجنات في باب العين ص 8 ع . ص .

(20) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(21) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(22) البداية والنهاية ج 1 ص 179 .

(23) وفيات الاعيان ج 1 ص 314 ط بولاق .

(24) روضات الجنات ، باب العين ص 48 .

(25) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(26) تاريخ سورية ج 6 ص 237 ليوسف الياس مطران بيروت (ط بيروت) مطبعة بيروت سنة 1902

ومعنى هذا انه كان متمكنا من اللغة ، ملما
باسرارها يسر له كثرة النقل والرواية .

ولاجل ان ينتفع الناس بتراثهم الماضي استطاع
بسلامة ذهنه وقوة فهمه ، فجاءت كتبه وافية بالفرض
الذي الفت من أجله ، وهو تيسير العلم ونشره في
وضوح وإيجاز .

ولهذا السبب راحت كتبه في بلاد العجم ، واهتم
الناس بها هناك لما فيها من إيجاز وترتيب وتنظيم ،
وتنسيق وتبويب .

قال صاحب كتاب تاريخ سورية : « ذكر هذين
الكتابين » أي الكافية ومختصره في اصول الفقه —
جميع البلاد خصوصا بلاد العجم واكب الناس على
الاستفلال بهما الى زماننا هذا .

وأشهر كتب ابن الحاجب النحوية كتاب للكافية.

1 — الكافية :

عرفها كشف الظنون بأنها : « مختصرة معتبرة ،
مغنية عن التعريف ، وهي دستور هذا الفن ، اذ بها
يعرف أكثر مسائله » .

ولما كانت الكافية تشبه القوانين العامة ، أو
الخطوط الرئيسية منها وتحتاج الى تفسير وإيضاح
— الف لها شرحا لبيان الغرض من مسائلها والهدف
من قوانينها وقد تداول الناس هذا الشرح ، واكبوا
عليه وافتادوا منه وشغلوا به وبالكافية .

وفي عهد ابن الحاجب كان الملك الناصر داود
ابن الملك المعظم عيسى الأيوبي محبا للنحو كأبيه
فلما رحل ابن الحاجب عن دمشق الى الكرك نظم لهذا
الملك مقدمته الكافية ، وسمى هذا النظم بالوافية ،
ولم يكتف بنظمها ، بل شرحها له (27) .

وهذا الصنيع من ابن الحاجب يدل على رغبته
القوية في تذليل النحو وتسهيله من أجل ان تهضم
قواعده ، وتشرح غوامضه .

هذا وقد تسابق العلماء على شرح كافيته ،
فظهر لها شروح كثيرة باللغة العربية ، وبالفارسية
والتركية .

وأهم شروحها باللغة العربية :

(1) شرح الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن
الاستراباذي النحوي .

قال السيوطي : « لم يؤلف عليها ، بل ولا على
غالب كتب النحو مثله جميعا وتحقيقا فتداوله
الناس ، واعتمدوا عليه ، وله فيها أبحاث كثيرة
ومذاهب ينفرد بها ، فرغ من تأليفه سنة
686 هـ (28) .

(2) وصنف السيد ركن الدين حسن بن محمد
الاستراباذي الحسيني ثلاثة شروح على
الكافية : كبير وهو المسمى بالبسيط ، ومتوسط
وهو المسمى بالوافية ، وهو المتداول وصغير
وتوفي سنة 777 هـ .

(3) وشرحها تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر
ابن مكتوم القيسي الحنفي المتوفى سنة 749 هـ .

(4) ومن الملوك الذين اهتموا بشرحها : الفاضل
الملك المؤيد عماد الدين بن الأفضل علي الأيوبي
المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة 732 هـ
وهو شرح لطيف علقه من شرح المصنف لهذه
المنظومة ومن غيرها من شروح الكافية ،
وفرغ من تأليفه في شعبان سنة 722 هـ .

(5) وقد أسهم في شرحها الامام تاج الدين أبو محمد
على بن عبد الله بن أبي الحسن الأشبيلي ثم
التبريزي ، نزيل القاهرة المتوفى في رمضان
سنة 746 هـ وهو شرح كبير كشرح الرضى ،
وفرغ من تسويده لثلاث بقين من محرم سنة
742 هـ سماه : مبسوط الكلام في تصحيح ما
يتعلق بالكلم والكلام .

(6) ولشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الإصفهاني
المتوفى سنة 749 هـ شرح كبير كالرضى ، قدم
فيه عشر معلقات نافعة . (29)

(27) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

(28) نفس المصدر والجزء والنهر ، وما بعده .

(29) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

الا بعد عصر أبي حيان وابن هشام ، فلم يقف على هذا الشرح (31) .

ولقد طغت شهرة كتب ابن مالك في الاقليميين على هذه المقدمة وشروحها فلم يكتب لها الحياة في مصر والشام الا في زمن متأخر حينما نقل شرح الرضى الى الاقليميين .

منهجه في الكافية :

رغب ابن الحاجب في ان تيسر النحو لطلابه ، فعمد الى كتاب المفصل للزمخشري واختصر منه هذه المقدمة الصغيرة وسماها : الكافية ، ولعل اسمها يدل على الغرض الذي من أجله ألقت فهي تغني الناشئ أو المتعلم عن كتب النحو المعتدة التي تحتاج الى ملم بهذا الفن ، خبير بمسائله .

وقد سار ابن الحاجب في ترتيبه لآبواب الكافية كما فعل الزمخشري في كتاب المفصل فالناظر فيه يرى انه مقسوم على أربعة أقسام : الاول — في الاسماء ، والثاني — في الأفعال ، والثالث — في الحروف والرابع — في المشترك من أحوالها .

وقد نهج على هذا التقسيم ابن الحاجب ، فقسم الكافية الى أربعة أقسام : أسماء ، وأفعال ، وحروف ، ومشترك من أحوالها .

وأغلب الظن ان هذا الترتيب والتقسيم لم يكن من مبتكرات الزمخشري فقد سبقه في هذا أبو علي الفارسي في كتابه « الايضاح » فقد كان أول من ابتكر هذا الترتيب ، وسنه للمعاصرين له من تلاميذه وللخالين من النحاة من بعده (32) .

على ان ابن الحاجب لم يكن بعيد الصلة عن كتاب الايضاح لأبي علي ، لان هذا الكتاب عني به المصريون منذ ان بدأ النحو في مصر يستقر على دعائم ثابتة على يد النحو المصري ابن بري ، وابن بري من الذين عنوا بالايضاح وشرحوه (33) .

وبعد ، فلا استطيع في هذا المقام ان أعدد جميع شراح الكافية ، واكتفي بما ذكرت ، وقد سجل حاجي خليفة في كشف الظنون شراح هذه الكافية (30) والحواشي التي وضعت على هذه الشروح ، ولا يسعني في هذا المقام الا ان أبين ان الكافية شغلت العلماء طوال العصور منذ عصر ابن الحاجب الى يومنا هذا ، ومن ثم كثرت الشروح والتعليقات عليها ، ولا زالت الكافية وشروحها مصدرا كبيرا من مصادر الدراسة النحوية في عصرنا هذا .

والحق الذي لا ينكر ان الذي أضفى على هذه المقدمة شهرة واسعة النطاق هو شرح الشيخ رضى الدين الاسترابادي ، هذا الشرح الذي انتشر ذكره وعمت دراسته ، وبخاصة في بلاد العجم حيث ترجم الى الفارسية .

وكان انتفاع العجم بالمقدمة وشروحها اكثر من انتفاع مصر والشام بها وذلك لانه وان أسهم بعض علماء هذين الاقليميين بشرح هذه المقدمة والتعليق عليها فان هذه الشروح لم تنتشر بين الطلاب ويشتهر امرها كما كان ذلك في بلاد العجم .

ولعل لهذا سرا ، فان ابن الحاجب كان يميل الى الفلسفة والمنطق والقياس والتعليل ، وقد سادت فيه هذه الروح منذ ان نبغ في علم الأصول وعلم الأصول تقوم قضاياه على النهج المنطقي .

وكان اهل مصر ينفرون من الفلسفة ، ويفرون من المنطق ، ويحبون الوضوح في كل شيء ، في حين ان اهل العجم كانوا يميلون الى الفلسفة ويتجهون في دراستهم الى المنطق ، فكان ذلك ادعى الى ان تروج كتب ابن الحاجب وبخاصة الكافية في بلاد الفرس ، على حين انها تقف في دائرة ضيقة محدودة في الاقليميين المصري والشامي .

— وكما قدمت سابقا — ان هذه المقدمة نفخ فيها من روح الحياة ووضع فيها سر الخلود هو الرضى بشرحه ، ولم ينتفع اهل مصر والشام بهذا الشرح لانه نقل الى مصر في زمن متأخر ولم ينقل الى مصر

(30) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

(31) هامش كشف الظنون نهر 1370 مجلد — 2 .

(32) أبو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي — ص 521 — مطبعة مصر الجديدة .

(33) سيويه امام النحاة — للاستاذ علي النجدي ص 187 .

وظل هذا الكتاب المحور الذي يدور حوله الفحاة منذ القرن الرابع الهجري حتى عصر ابن الحاجب الذي أسهم بنصيب كبير في شرحه لهذا الكتاب .

فابن الحاجب اذن لم يكن تأثره بالايضاح اقل من تأثره بالمفصل ، فقد شرح الكتابين وكان لهما عليه تأثير كبير في نحوه ، بل وفي آرائه مما سآيينه بعد .

على أية حال ، فقد كانت الكافية تسير مقتفية خطى المفصل والايضاح في الترتيب والتنظيم وفي التبويب والتقسيم ، وان كان كل من المفصل والايضاح كتابا كاملا جمع النحو ، وحوى قواعده ، فان الكافية تلخيص موجز غاية الايجاز لهذين الكتابين مما أدى الى صعوبة فهمها ، وأدراك مسائلها الامر الذي حدا الكثير من النحويين للتصدي لشرحها ، والتعرض للتعليق عليها ، حتى بلغت تعليقاتها وشروحها ما يربو على الستين شرحا (34) .

اسلوب الكافية :

ابن الحاجب في الكافية عمد الى التلخيص والايجاز لدرجة ان الدارس لها يجد صعوبة في فهمها ، وحصل تراكيبها ، والوقوف على الغرض من عباراتها فهو وان حاول بهذا العمل ان يلخص النحو ، ويقدمه قواعد سهلة للمبتدئين الا انه خافه الحظ في الوصول الى هذا الغرض ، فجاء تلخيصه يحمل الفاظا غير واضحة ولعل ابن الحاجب احس انه لم يوفق في هذا التلخيص كل التوفيق فأتجه الى شرحه لينير الطريق لسالكه ، ويعبد السبيل لدارسه .

ولا ادل على ذلك من ان الرضى شارح الكافية كان يعاني من اسلوبها وتراكيبها الشيء الكثير مما أدى به الى مهاجمة المصنف ولومه على هذه الصعوبة التي كانت شعار اسلوبه في مقدمته فيقول :

« قال ابن الحاجب في مقدمته في اعراب الاسم » وهو معرب ومبني فالمعرب المركب الذي لم يشبه مبنى الاصل » .

وعلق الرضى بقوله « ولفظ المركب يطلق على شيئين على احد الجزأين أو الأجزاء بالنظر الى الجزء الآخر أو الأجزاء الأخرى ، كما يقال في ضرب زيد مثلا ان زيدا مركب الى ضرب ، وضرب مركب الى زيد فهما مركبان .

ويطلق على المجموع فيقال ضرب زيد مركب من ضرب ، ومن زيد ، وهذا كما يقول مثلا لأحد الخفين هو زوج الآخر ، ويقول لهما معا : زوج .

ومراد المصنف المعنى الاول ، وليس بمرض ، لان المركب في اصطلاحهم في المجموع اشهر منه في كل واحد من جزئيه ، أو اجزائه ، فيوهم ان المعرب من الاسماء لا يكون الا مركبا في شيئين فصاعدا كخمس عشرة ونحوه (35) .

ثم قال الرضى : وهذا دأب المصنف يورد في حدود هذه المقدمة الفاظا غير مشهورة في المعنى المقصود اعتمادا منه على عنايته وينبغي ان يختار في الحدود والرسوم أوضح الالفاظ في المعنى المراد ويحترز عن الالفاظ المشتركة فكيف باستعمال لفظ هو في غير المعنى المقصود أظهر (36) .

2 - الشافية :

وكما الف ابن الحاجب كافيته في النحو الف الشافية في الصرف وكذا في شرح ما الف ، وتوضيح ما أنتج شرح الشافية .

وأشهر من شرحها من نجا مصر في القرن الثامن الهجري ابن هشام الذي ألف لها شرحا في مجلدين سماه : عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب وتوفي ابن هشام سنة 672 هـ .

وكما انتشرت الكافية في مصر والشام في العصور المتأخرة انتشرت أيضا الشافية وظلت محور الدراسة والبحث حتى عصرنا هذا فقد قرر تدريسها في بعض المعاهد العلمية المهمة بالتواحي اللغوية والنحوية .

(34) كشف الظنون ج 1 ص 212 .

(35) شرح الرضى على الكافية ج 1 ص 14 .

(36) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1020 .

3 - الأمالي :

أمالي ابن الحاجب تضمنت آراءه في بعض المشكلات النحوية وتوجيهات لبعض الآيات القرآنية وتعليقات على كتاب المنفصل للزمخشري وآراء في بعض الإبيات لكبار الشعراء وتخريجها .

وقد أملى هذه الأمالي على تلاميذه في حلقات متعددة وأزمنة مختلفة وأمكنة متباينة .

وفي النسخة المحفوظة بدار الكتب (رقم 1007 نحو) نقرأ في الصفحة الأولى من الأمالي ما يأتي :

« هذه الأجزاء مشتقة على أمالي متفرقة في النحو جلية ، من كلام الشيخ الإمام العلامة حجة العرب وفخرهم منشاء العلوم والمرجع اليه في تقريرها وتحريرها جمال الدين عمرو بن الحاجب برد الله مضجعه وطيب مخرجته ، منها ما يتعلق بكتاب المنفصل للزمخشري . ومنها ما يتعلق بأبيات عربية ومحدثة وغير ذلك . وهذه الأمالي عزيزة الوجود مضمون بها على غير أهلها ، بل على أهلها لغاية شرفها عظيم نفعها (37) .

وكطبيعة كتب الأمالي لم تكن في أمالي ابن الحاجب وحدة ، أو تنظيم وترتيب ولكنها خواطر وآراء أملت في أزمنة متعددة في القاهرة ودمشق .

وقد بدأ بها سنة 609 هـ في القاهرة ، لانه قد جاء في أماليه ، وانه قال أيضا ممليا في القاهرة سنة تسع على قوله تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل أخوانا » (38) .

وقد تتبعت سنوات الإملاء في القاهرة ، فلم أجد له إملاء قبل هذا التاريخ وظل يملئ آراءه في القاهرة حتى سنة 616 هـ بدليل ما جاء في أماليه « انه أملى في القاهرة سنة ست عشرة على قوله تعالى : « ان تفضل أحداهما فتذكر أحداهما الأخرى » (39) .

وفي سنة 617 هـ نجده ينتقل الى دمشق ويملئ بها ، ويظل يملئ حتى سنة 625 هـ (40) . وهي السنة

الآخيرة في سنوات إملائه هذه الآراء مما يرجح ان ابن الحاجب مكث في القاهرة يعلم ويملئ حتى سنة 616 هـ ثم انتقل بعد ذلك الى دمشق سنة 617 هـ ، وبقي يقرأ بجامعها ، ويملئ هذه الأمالي حتى سنة 625 هـ وظل بدمشق بعد ذلك ينشر رسالة العلم حتى سنة 628 هـ حيث وقعت الفتنة بين الملك الأشرف ، وبين عز الدين هذه الفتنة التي أدت بابن الحاجب الى العودة الى القاهرة ، ثم الانتقال منها الى الاسكندرية حيث لقي ربه سنة 646 هـ .

4 - شرح الايضاح لابن علي الفارسي :

وكتاب الايضاح هذا شرحه كثير من النحويين قبل ابن الحاجب وعنوا به عناية فائقة وكان هذا الكتاب يسير جنبا الى جنب مع كتاب سيبويه .

وهو كتاب متوسط يشتمل على مائة وستة وتسعين بابا منها الى مائة وستة وستين نحسو ، والباقي الى آخره تصريف .

ومن الذين صنفوا له شروحا ابن الحاجب وسماه - المكتفي للمبتدئ (41) .

5 - شرح المنفصل :

ولم ينس ابن الحاجب ان يشرح كتاب المنفصل للزمخشري في كتاب سماه « الايضاح » وهو السذي تأثر بالزمخشري في مفصله ، حتى اختصر كتابته . وهذا الشرح منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم 545 ب وأخرى بمكتبة ابراهيم باشا رقم 18 وثالثة بمكتبة سوهاج رقم 5 نحو (42) .

6 - شرح كتاب سيبويه :

وكتاب سيبويه ، كما قلت سابقا منزلة كبيرة عند النحاة المصريين والشاميين فقد اهتموا به منذ ان عرفوا هذه الدراسات النحوية .

(37) الأمالي - ابن الحاجب ، مخطوط رقم 1007 نحو (دار الكتب)

(38) الحجر - 47 .

(39) البقرة - 282 .

(40) الأمالي - ابن الحاجب مخطوط رقم 1034 نحو .

(41) كشف الظنون - ج 1 نهر 212

(42) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 107 .

8 - آراؤه واتجاهاته :

1 اثر الفلسفة والمنطق في اتجاهاته النحوية:

صلة النحو بالفلسفة قديمة ، بدأت حينما ظهر المنطق اليوناني في مدينة البصرة التي كانت حينئذ مركزا كبيرا لفلسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الارسطي في اتجاهاتهم الكلامية .

ومن غير شك ان نحاة البصرة وعلى رأسهم سيبويه لم يكونوا في معزل عن هذا التيار الجارف ، تيار الفلسفة والمنطق فتأثروا به .

وقد كان النزاع الذي ظهر منذ القرن الثاني بين مدرسة القراء وبين مدرسة الكلام كان له اثره في اتجاه النحاة البصريين الى الاخذ بمبادئ مدرسة الكلام وتجنبهم الخصائص التي تتجه اليها مدرسة القراءة التي تعتمد على الرواية والنقل ، في حين تعتمد المدرسة الاولى على القياس والعقل .

يدل ذلك على ما رواه الشعبي : « من ان القراءة سنة فاقروا كما قرأ اولكم » (47) .

وفيما قاله الداني من ان ائمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الافشى في اللغة ، والافيش في العربية ، بل على الاثيث في الاثر ، والاصح في النقل والرواية ، واذا ثبتت عنهم لم يرد لها قياس عربية ولا فثو لغة لان القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها والمصير اليها (48) .

واستمرت النزعة الكلامية التي تقوم على الجدل والمنطق تعمل عملها في النحو منذ عصر سيبويه الى عصر ابن الحاجب ، فلقد تسربت اصطلاحاتهم وطرائقهم الى النحو حتى انه روي عن ابن جني انه قال ان اصحابنا انتزعوا العلل عن كتب محمد بن الحسن وجمعوها منه بالملاحظة والرقق .

وقد شرحه ابو جعفر المعروف بابن النحاس المتوفى سنة 338 هـ .

وشرحه ايضا وانتقده ، وانتصر له احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة 332 هـ وشرحه ايضا ابن الحاجب ليقرب نحوه لابناء عصره ويوقنهم على سراره وتركيبه (43) .

7 - ولابن الحاجب قصيدة في المؤنثات السماعية طبعها هافتر وشيخو في بيروت سنة 1908 (44) .

8 - رسالة في العشر - وهو بحث صغير في استعمال كلمة عشر مع الصفتين اول وآخر ، طبعت في بولن رقم 6894 (45) .

9 - وكما كان ابن الحاجب علما في النحو والصرف كان علما ايضا في علم العروض فله منظومة من البحر البسيط عن العروض سماها : « المقصد الجليل في علم الخليل » في ليدن فهرس 2 رقم 273 ، وبرلين رقم 7126 (46) .

وبعد ، فلسست في حاجة الى ان ابين شخصية ابن الحاجب في علمي الاصول والفقه ، فقد كان في هذا المضمار وحيد عصره له انتاج ضخم يشيد بقدره ويشير بفضل له ، ويرفع من ذكره .

وهكذا كان ابن الحاجب علما في النحو والصرف والعروض ، ونابغة في الفقه والاصول . وقلما تيسر العالم ان يجمع بين هذه العلوم وينبغ فيها ويجلس على قمتها اللهم الا اذا كان يتمتع بعقل ناضج ، وفكر ثاقب ، وذكاء لامع ، وقريحة وقادة ، وادراك واسع .

وقد وجد هذا كله في ابن الحاجب ، كما شهد له بذلك العلماء واثنى عليه الفضلاء .

ويكتفي ان مؤرخيه ذكروا عنه انه كان ركنا من اركان الدين والعلم .

(43) سيبويه امام النحاة - ص 188 الاستاذ على النجدي .

(44) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 127 .

(45) المصدر السابق .

(46) المصدر السابق .

(47) غاية النهاية ج 1 ص 357 لابن الجزري (مطبعة السعادة)

(48) النشر في القراءات العشر ج 1 ص 10 لابن الجزري ، تحقيق محمد احمد دهمان ط اولى مطبعة التوفيق بدمشق .

انه يختلف عن اسلافه من عدة وجوه ليس هذا دليلا واضحا على ان الرجل كان يمزج النحو بالفلسفة وكان يورد القضية النحوية ووراءها دليلا المنطقي . كل ذلك يوضح لنا اثر علم الاصول ، ومضايها واقبيستها ومنطقها في نحو ابن الحاجب .

واذا حاولنا ان نأتي بأمثلة تؤيد هذا الاتجاه ، فاننا نجد الكثير منها .

مثال ذلك :

(1) في موضوع مسوغات الابتداء بالنكرة يرى ان كل ما دل على معنى العموم صالح للابتداء ، وخرج الآية القرآنية ، « ولعبد مؤمن خير » على هذا الاتجاه (55) .

قال ان المسوغ للابتداء في الآية انها هو معنى العموم وخير خبر المبتدا « قال لانا قاطعون بأن المراد المفاضلة بين الجنسين لا افرادهما الخصوصية » .

واذا قرر ابن الحاجب ذلك لا يكتفي بمجرد سرد الفكرة ، وذكر الراي انها يحاول ان يدعمه بحجته المنطقية ، وادلته الفلسفية ما استطاع الى ذلك سبيلا وسبيله الى هذا سبيل الحوار والجدل يورد اسئلة يقتضيها المقام ، ثم يجيب عنها اجابة تكشف حقيقتها ، وتوضح غموضها وهذا من غير شك اثر من آثار الفلسفة والمنطق وهاك الدليل :

يقول : فان قلت — المسوغ هنا الصفة ، قلت لا يستقيم لانها انما تكون معتبرة في الموضع الذي لا يراد فيه الجنس ، وتاتي هي مخصصة لذلك المفسر المقصود ، وهو مع ذلك ضعيف ، قليل استعماله ورب فكرة بلا صفة اخص مما لها صفة ، والذي اضعفه انه اذا صح جسم حي في الدار لوجود التخصص بالصفة ينبغي ان يجوز ، رجل في السدار لانه اخص منه بدرجات ثم قال — « فان قلت الدليل

والحق الذي يقال — ان ابن جنى قد وضع الامر في نصابه حينما قرر العلاقة القوية بين النحو وبين علم الكلام والاصول ، بل انه لم يقف عند هذا الحد فقرر ان علل النحو انتزعت من كتب محمد بن الحسن وجمعت منها ، وكتب محمد بن الحسن تقوم على الاصول والمنطق لان اصول الفقه تعتمد كل الاعتماد على الاقيسة العقلية ، والقضايا المنطقية وقد نقل السيوطي في الاقتراح : « ان ابن جنسى قال ، اذا ادرك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه ، ثم علق عليه بقوله : وهذا يشبهه في اصول الفقه نقض الاجتهاد اذا بان لنص بخلافه » (49) وهذا النص الذي ذكره ابن جنى يوضح تمام الوضوح ، كيف يقتضي النحاة اثر الاصوليين في نظرياتهم وقواعدهم ومناهجهم .

وبعد :

فاننا اذا اردنا ان ننظر الى اتجاهات ابن الحاجب النحوية فلا ننسى انه كان اصوليا بل وقد كان ضليعا في علم الاصول ، فقد صنف فيه مختصرا وآخر اكبر منه سماه المنتهى (51) .

ولغلبة المنطق والفلسفة على ابن الحاجب ، قال عنه المؤرخون انه كان فقيها مناظرا مفتنا (52) .

وكل الذين كتبوا عن ابن الحاجب ذكروا انه خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تتعذر الاجابة عنها (53) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية انه اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف من عدة وجوه عن اسلافه (54) .

وحينما يورد ابن الحاجب اشكالاته والزاماته للنحويين ليجيبوا عنها ، وهي اشكالات ملهمة والزامات معقدة وحينما تذكر عنه دائرة المعارف ،

(49) الاقتراح ص 86

(50) الاقتراح ص 86

(51) روضات الجنان باب العين ص 8 — ع — ص .

(52) نفس المصدر .

(53) شذرات الذهب ج 5 ص 234

(54) المجلد الاول ج 2 ص 126 .

(55) البقرة 221 .

على ان المخصص بالصفة انك لو قلت : ولعبد خير باستطاعتك الصفة لم يجز ، قلت هو مستقيم في الاعراب ، الا ترى انك اذا قلت — العالم قديم لكان كلاما مع انه كذلك (56)

ليس هذا الحوار فلسفة ؟ وماذا تكون الفلسفة اذا لم تكن هذه النظرات فلسفة ؟ والذي لا شك فيه ان الفاظ العموم ، والخصوص والاعم والاختصاص اصطلاحات اصولية تقوم عليها نظرات علم الاصول .

وطريقته في الاستدلال من غير شك طريقة منطقية فهو يذكر القضية ويورد الاعتراضات عليها ، ثم يهدم هذه الاعتراضات اعتراضا اعتراضا ليخرج بالنتيجة التي قررها أولا .

(2) القياس اصل من اصول الفلسفة وركن كبير من اركان الاصول كان ابن الحاجب يستخدمه في كثير من آرائه النحوية ، فاذا ما خرج شيء عن القياس ، وشذ عنه فان هذا لا يقنع ابن الحاجب ، بل يحاول ان يبحث ويدقق حتى يجد له نظيرا فيلحقه به .

يقول في كتاب الامالي في مطلب ربه رجلا : الضمير في قوله ، ربه رجلا ليس بنكرة وانما كان حكمه حكم التكرات باعتبار كونه مبهما اطلق عليه النكرة لذلك ، ولذلك لم يوصف لانه ضمير بلا خلاف ، والضمائر لا توصف ، ثم قال انه مفرد على كل حال لانه مضممر على خلاف القياس اتى به لغرض الابهام فوجب ان يكون مفردا قياسا على نعم .. انتهى (57) .

(3) وتراه يعقب على الزمخشري تعقبا فلسفيا منطقيا حينما قال — ملبيا على قوله في المفصل — المبني هو الذي سيكون اخره وحركته لا يعامل — قال ابن الحاجب هذا الحد ليس بمستقيم لانه اتى في الحد بواو العطف فان قصد الجمع لم يستقم اذ ليس شيء فيه سيكون وحركة في آخره وان قصد معنى او كان فيه تزود لفظي في استعماله الواو بمعنى او ، واستعماله لفظ او في الحد الواحد (58) .

(4) وابن الحاجب له بصر بفلسفة الكلمات ، ولمس المعاني الخفية التي تتحملها والتي لا يبصرها

كثير من الناس وذلك لان دقته في الاصول كشفت له عن كثير من جوانب اللغة والمعاني التي ترمز اليها الكلمات فقد املى بدمشق سنة اربع وعشرين وستمائة — على قوله في الفصل في حروف التخصيص:

« ان قبل ان حروف التخصيص اذا وقع بعدها الماضي فيستحيل فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته وان لم يكن فيها معنى الطلب تعذر النصب بعدها بالفاء ، والجزم بغير فاء » .

وهذا اعتراض في ظاهره وجيه ، لانه اعتراض واقعي ، فما دامت حروف التخصيص ليس فيها معنى الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته ، فلا يصح حينئذ ان ينتصب بعدها الفعل او يجزم بغير فاء .

ولكن ابن الحاجب تسعفه فلسفته في هذا المقام فيجيب عن هذا الاعتراض بما يقنع به نفسك ، او يجعلها قريبة من الاقتناع حينما يقول :

« فالجواب انها لا تنفك عن افادة معنى الطلب في الوقت الذي كان ضالحا له ، وانما اوقع بعدها الماضي تنبيها على ان المطلوب منه ذلك ، وقته حتى انقضى وقته ، فصار كالتوبيخ واللوم على ترك المطلوب فباعثا ما فيه من معنى الطلب المقدر في وقته نصب جوابه بعد الفاء ، وجزم بغير فاء » ... انتهى (59) .

هذا الاتجاه الفلسفي او الاصولي في نحو ابن الحاجب ظاهر في معظم آرائه وتوجيهاته النحوية ، مما يدل على ان الرجل كان بصريا في اتجاهاته منطقيا في آرائه فلسفيا في تحقيقاته اصوليا في تعبيراته وتخرجاته .

2 — ابن الحاجب مع البصريين :

نحو البصرة كان النحو السائد لعلماء مصر والشام منذ الرحلات القديمة التي قام بها علماء مصر اذ ذاك اهل ابن ولاد ، وابن النحاس الى العراق ، والتزود من الدراسات النحوية فيه .

1034 نحو دار الكتب .

رقم 1034 نحو دار الكتب .

(56) حاشية ياسين ج 1 ص 169 (الحلي) .

(57) الامالي لابن الحاجب ص 63 من النسخة رقم

(58) نفس المصدر .

(59) الامالي لابن الحاجب ص 67 مخطوط نسخة

وكتاب سيبويه الذي حوى مسائل النحو البصري ، والذي أحاط بكثير من أصولها وفروعها وعللها ، وأقيستها ، سار هذا الكتاب سير الشمس في جميع الاقطار الاسلامية واشتغل الناس به درسا وتمحيصا وشرحا واختصارا .

ويحدثنا التاريخ انه ما من عالم مصري ، او شامي ذهب الى العراق الا وكان كتاب سيبويه هو غايته الاولى ، يدرسه على كبار الشيوخ ثم يعود الى مصر والشام لينشر هذا الكتاب بين الطلاب ، اما بشرحه كما فعل ابو جعفر المعروف بابن النحاس (60)

واما بنقده والانتصار له كما فعل احمد بن محمد ابن ولاد (61) ولم يكن الامر مقصورا على هذه الرحلات الى العراق فحسب ، فقد كان هناك كثير من علماء العراق يقدون الى مصر او الشام ويطلب لهم فيها المقام ، ويتصدرون في النحو على اصول كتاب سيبويه فابن بري قرا العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر ، وحصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره وانفرد بهذا الشأن ، وقصده الطلبة من الاماكن وكان عالما بكتاب سيبويه وعلله واكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه واخذوا عنه (62) .

وعبد الله بن اسحاق الصيرفي النحوي ابو محمد قدم مصر وحفظ عنه شيئا من اللغة وغيرها ، وصنف كتابا في النحو سماه (التبصرة) .

وهذا الكتاب احسن فيه التعليل على مذهب البصريين (63) .

وعبد الرحمن بن اسحاق ، ويعرف بالزجاجي صاحب الجمل نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع في النحو ، ثم سكن طبرية ، واملى وحدث بدمشق عن الزجاج ونفطويه وابن دريد ، والاخفش الصفيسر وغيرهم (64) .

وكتاب الجمل « هو كتاب المصريين والشاميين الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جني ، والايضاح لابي علي الفارسي » (65) .

والجمل واللمع والايضاح منابع من معين كتاب سيبويه البصري . وعلي بن سليمان الاخفش الصغير الذي قد قرا على المبرد ، زعيم المدرسة البصرية فيما بعد . قدم مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج الى حلب سنة ثلاثمائة وله شرح لسيبويه (66) .

هؤلاء العلماء الوافدون الى مصر من العراق ، وعلماء مصر الذين وفدوا الى العراق احدثوا في مصر نهضة نحوية قوامها كتاب سيبويه ، وما اشتق منه من كتب وظل الامر كذلك حتى تسلم ابن الحاجب هذا التراث البصري المثل في كتاب سيبويه فحافظ عليه ، وعمل على نشره لانه الف فيه شرحا (67) .

لهذا لم يكن عجبيا ان يكون ابن الحاجب بصريا في آرائه وميوله في اقيسته وتعليلاته ، واثر سيبويه في ابن الحاجب واضح وضوحا لا ينكر .

والامثلة التي تدل على تأثر ابن الحاجب بالبصريين كثيرة سجلتها مختلف الكتب النحوية واني اكتفي هنا بمثال واحد تتبين فيه حرارة الدفاع عنهم ، وعمق التأثر بهم ، نراه في هذا المثال يعرض آراءهم ثم يترصد للنقد الذي وجهه او من الممكن ان يوجه اليهم فيهدمه بأدلة منطقية ليدعم مذهب البصريين .

قال في « الامالي » في خبر ما ، ولا المشبهتين بليس .

« واختلف الناس في — لا — هذه ، فقال البصريون : هي المشبهة بليس لانها الحقت التاء المختصة بالافعال ، فلولا شبهها بالفعل لم تلحقها واذا كانت المشبهة بالفعل فهي التي بمعنى ليس .

وايضا ، فان المعنى على قولك ، ليس هذا الحين حين مناص ، وشبهه بما تقع فيه لات ، وافتقروا

(60) سيبويه امام النحاة على النجدي ص 188 .

(61) نفس المصدر ص 188 .

(62) انباه الرواة ج 2 ص 111 .

(63) انباه الرواة ج 2 ص 123 .

(64) البغية ص 297 .

(65) الانباه ج 2 ص 161 .

(66) البغية ص 338 .

(67) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 126 .

(2) مذ ومنذ : مذ ومنذ يستعملان اسما في موضعين : احدهما ان يدخل على اسم مرفوع لكرة ، وهما حينئذ مبتدآن ، وما بعدهما خبر عنهما واجب التأخير اجراء للرفع مجرى الجر ، وهو مذهب طائفة من الكوفيين واختاره ابن الحاجب (71) .

4 — المسائل التي انفرد بها ابن الحاجب :

عرفنا فيما سبق ان ابن الحاجب سار في ركب البصريين ، ثم خالفهم متبعاً الكوفيين في بعض المسائل التي وضح فيها الحق بجانبهم .

فهل كان ابن الحاجب يدور حول هذين المذهبين فحسب ، يختار اقربهما الى نفسه ، واصحهما في عقله واتواهما في نقله . او انه خرج عن هذه الدائرة يلتزم الدليل من غير نظر الى هذا المذهب او ذاك .

كل الادلة تؤيد هذا الاتجاه ، وثبت ان ابن الحاجب كان اماماً مجتهداً في النحو كما كان مجتهداً في الفقه .

ومعنى ذلك ان لابن الحاجب آراء انفرد بها ، وتوجيهات نحوية لم يسبقه احد فيها ، وقد اقر له بذلك كل من ترجموا له ، وكتبوا عنه فقد قالوا ، « وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تتعذر الاجابة عنها » (72) . وتقول دائرة المعارف الاسلامية : « وقد اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف عن اسلافه » (73) .

فما هي اذن المسائل التي خالف فيها النحاة ، والتي انفرد بها وله توجيهات خاصة فيها ؟ ..

لا نستطيع ان احصر هذه المسائل في هذا المجال الضيق الذي لا يتسع لها ، وانما اذكر بعضها كأثلة تؤيد ما ذكرت .

ما يلزمهم لقيام هذا الدليل ، والذي يلزمهم ان لا بمعنى ليس شاذ وجوابه انه شاذ ما لم تدخل التاء ، فاذا دخلت فليس بشاذ ومنها ما يلزمهم من اضمار الاسم في الحرف ، لان المعنى عندهم ليس الحين حين مناص ، والحروف لا يضر فيها .

وجوابه انه قد قوى شبهه بالفعل فأجرى مجراه في هذا المثال لكثرة الاستعمال مثله .

ومنها ما يلزمهم من الاضمار قبل الذكر ، لان المعنى ليس الحين حين مناص وجوابه : ان مثل هذا الاضمار جائز لقيام القرينة الحالية عليه ، واذا قامت القرينة على الاضمار كان بمثابة تقدم الذكر (68) .

3 — ابن الحاجب مع الكوفيين :

ومع هذا الدفاع الحار عن البصريين فانه لم يكن يسلم لهم في مسائل عديدة من مسائل هذا العلم ، لانه امام مجتهد يأخذ ما صح في منطقته ولا يكون معهم كالألة التي لا ارادة لها ولا عقل .

وقد عرفنا ان من مميزات هذا الرجل ، صحة الذهن ، وقوة الفهم ، وحدة القريحة ومن أجل ذلك نراه يوافق الكوفيين في طائفة من المسائل النحوية اكتفى بذكر بعضها كدليل يسند ما أقول :

(1) اللغة عند الكوفيين رواية ونقل ، لا قياس وعقل كما يدعي البصريون حيث يعتمدون بالقياس والمنطق ، ولا يعتمدون على الرواية والنقل .

وابن الحاجب يؤمن بالاتجاه الكوفي في هذا المضمار لانه ذكر في اماليه في مسألة دخول الفاء في خبر ان ، واختلاف سيبويه والافخش في هذا الدخول .

ذكر ان « الاحكام اللغوية لا تثبت بقياس ، وانما تثبت بالنقل ثم تعلل » (69) .

وعند ابن الحاجب « ان رفع الفاعل ونصب المفعول انما ثبتا بطريق الاستقراء » (70) .

(68) امالي ابن الحاجب ص 106 .

(69) الامالي : مخطوط رقم 1034 .

(70) مدرسة الكوفة : المخزومي ط ثانية ص 412 .

(71) شرح التصريح ج ص 20 (الحلبي)

(72) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(73) دائرة المعارف الاسلامية م 3 ص 126 .

(1) الاسماء الستة :

قال ابن الحاجب لهم في اعراب هذه الاسماء اقوال :

فظاهر مذهب سيبويه ان لها اعرابين تقديري بالحركات ، ولفظي بالحروف ، وهو مذهب ضعيف لحصول الكفاية بأحد الاعرابين .

وقال الكوفيون : انها معربة بالحركات على ما قبل الحروف وبالحروف ايضا وهو ضعيف لمثل ما ضعف له ما تأول المصنف من كلام سيبويه .

ويرى ابن الحاجب : ان اللام في أربعة منها وهي أبوك ، واخوك ، وحموك ، هونوك اعلام للمعاني المتناوبة كالحركات ، وكذا العين في الباقيين منها اعنى فوك ، وذو مال ، فهي في حال الرفع لام الكلمة أو عينها ، وعلم العمدة وفي النصب والجر علم الفضلة ، والمضاف اليه فهي مع كونها بدلا من لام الكلمة وعينها حرف اعراب .

ويؤيد ابن الحاجب في هذا الرأي بقوله : ان دليل الاعراب لا يكون من نسخ الكلمة ، فهي بدل يفيد ما لم يفده البدل منه ، وهو الاعراب كالتاء في بنت تنيد التانيث بخلاف الواو التي هي اصلها ، ولا يبقى ذو ، وفوك على حرف لقيام البدل مقام المبدل منه (74) .

(2) الحال من المضاف اليه :

« لا يثبت ابن الحاجب واتباعه » (75) .

(3) الاستفهام المسوغ للابتداء عنده :

« هو الهمزة المعادلة بام مثل أرجل في الدار ام امراة » (76) .

(4) الاضافة لا تفيد الا تخفيفا ، وقد ايده في هذا الرأي ابن هشام فقال في التوضيح : « والدليل على

انها أي اضافة الصفة لمفعولها تفيد تخصيصا ان اصل قولك : ضارب زيد ضارب زيدا ، فالاختصاص بالمفعول موجود قبل الاضافة فلم تحدث الاضافة تخصيصا .

قال في التصريح : وفي ذلك رد على ابن مالك حيث رد على ابن الحاجب في قوله ولا تفيد الا تخفيفا ، فقال : بل تفيد ايضا التخصص فان ضارب زيد اخص من ضارب ، قال في المعنى : وهذا سهو فان ضارب زيد اصله ضارب زيدا بالنصب وليس اصله ضاربا فقط فالتخصص حاصل بالمفعول قبل ان تأتي الاضافة (77) .

(5) كل ما دل على هيئة صح ان يقع حالا نحو هذا بسرا اطيب منه رطباً .

قال شارحه الرضى : هذا رد على النحاة فان جمهورهم شرطوا اشتقاق الحال وان كان جامدا تكلفوا رده بالتأويل الى المشتق قالوا : لانها في المعنى صفة والصفة مشتقة ، او ما في معنى المشتق فقالوا في نحو : هذا بسرا اطيب منه رطباً هذا مبسرا اطيب منه رطباً ، أي كائنا بسرا ، وكائنا رطباً . وهذه ناقة الله لكم آية أي دالة (78) .

قال قال المصنف (ابن الحاجب) وهو الحق لا حاجة الى هذا التكليف لان الحال هو المبين للهيئة كما ذكره في حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق . (79) .

(6) لو حرف امتناع :

انها تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، واختلف في المراد بذلك .

فقال ابن الحاجب في اماليه :

« انها امتناع الاول أي الشرط للثاني أي لامتناع الجواب ، ووجهه بان انتقاء السبب لا يدل على انتقاء مسببه لجواز أن يكون ثم اسباب آخر .

(74) الرضى على الكافية ج 1 ص 26 .

(75) حاشية ياسين ج 1 ص 366 (الحلبي)

(76) التصريح ج 1 ص 169 (الحلبي) .

(77) شرح التصريح ج 2 ص 28 (الحلبي)

(78) الاعراف : 73 .

(79) الرضى على الكافية ج 1 ص 190 .

جني ، وقسم يميل الى ترك النحو ممزوجا بالادب والشعر والرواية بعيدا عن حقائق المنطق والتعليقات والتقسيمات وعلى رأس هؤلاء أبو سعيد ، وتلميذه ابن خالويه « (83) .

وعلى الرغم من ان ابا علي او بالاحرى مدرسة أبي علي كانت تتميز بالمنطق واقبيسته فانها لم تتعمق فيه الى حد المغالاة كما كان الحال عند الرماني الذي غالى في اقبيسته المنطقية حتى قال فيه أبو علي : ان كان النحو ما يقوله الرماني هو النحو فليس معناه منه شيء ، وان كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء (84) . ولهذا السبب ظلت مدرسة أبي علي خالدة لتفوقها في النحو واقبيسته ، تلك الاقبسية التي كانت تبتعد عن التعمق والمغالاة .

وهذه المدرسة قامت على اصول مدرسة البصرة وقواعدها فطابع البصرية فيها واضح وضوحا لا ينكر ، والدليل على ذلك أنه في كتابه الايضاح لا يرى التعجب من السواد والبياض مباشرة ، والكوفيون يرونه (85) .

ويجوز في باب كان عنده ان يتقدم الخبر على الاسم (86) .

واذا كان أبو علي الفارسي صاحب مدرسة في النحو لمع نجمها في القرن الرابع الهجري ، وظلت تبسما مضيئا للنحاة المتأخرين فهل أخذ ابن الحاجب هذا القبس ؟ وهل تأثر بهذه المدرسة ؟

ذكر الرواة ان كتاب « الجمل » للزجاجي وهو كتاب المصريين واهل المغرب واهل الحجاز واليمن والشام الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جنسي والايضاح لابي علي الفارسي (87) .

ومعنى هذا الكلام ان كتاب الجمل كان مدرسة قائمة بذاتها في النحو الى ان ظهر كتاب الايضاح للفارسي واللمع لابن جنسي فاشتغل الناس بهما وكانا

قال ويدل على هذا : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » فانها مسوقة لنفي التعدد في الالهة بامتناع الفساد ، لا ان امتناع الفساد لامتناع الالهة ، لانه خلاف المفهوم من مساق امثال هذه الآية ، ولانه لا يلزم من انتفاء الالهة انتفاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الالهة ، لان المراد به فساد نظام العالم عن حالته ، وذلك جائز ان لا يفعله الا الله الواحد سبحانه « وتابعه على ذلك ابن الخباز » .

واستنكر ابن هشام في المغني مقالة ابن الحاجب ومن تبعه (81) .

5 - ابن الحاجب وأبو علي الفارسي :

تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسي تطورا كبيرا ، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين فضلا عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة .

فقد كانت هناك مناقشة بين أبي علي الفارسي وبين أبي سعيد السيرافي ، ولقد قارن التوحيدي بين هذين النحويين الكبيرين ، وكان تحيزه لشيخه الفارسي ظاهرا (82) . وكانت هناك ايضا خصومة عنيفة بين أبي علي ، وبين ابن خالويه تلميذ أبي سعيد السيرافي « .

وان الباحث في هذه المناقشات التي بين هؤلاء العلماء يرى انها قدمت للنحو ثروة كبيرة ، لانها اذكت نار البحث والنقد « وجعلت علماء العالم ينقسمون الى قسمين فقسم يميل الى القياس والتعليل والتعمق ، وتعقيد القواعد في النحو والصرف ، وعلى رأس هذا القسم أبو علي الفارسي ، وتلميذه ابن

(80) الانباه : 22

(81) اللمع ج 2 ص 64 .

(82) معجم الادباء ج 6 ص 253 .

(83) مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد 25 من مقال ابي الفتح ابن جنبي لاسعد اطلس .

(84) البغية ص 344 .

(85) ابو علي الفارسي د. شلبي ص 532 .

(86) ابو علي الفارسي د. شلبي ص 532 .

(87) الانباه ج 2 ترجمة الزجاجي ص 165 .

كمدرسة خلفت مدرسة « الجمل » وقد دوى صوت هذه المدرسة في العراق والشام ومصر .

ومن المصريين الذين عنوا بالايضاح ابن بري المصري (88) .

ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بالايضاح ايضا في القرن السابع الهجري ابن الحاجب فقد درسه وشرحه (89) .

من هذه النصوص التي ذكرتها نستطيع ان ندرك مدى قيمة نحو الفارسي الممثل في كتاب الايضاح في الدراسات النحوية . ونستطيع ان نلمح ايضا اثر الفارسي في ابن الحاجب ، فدراسته لكتاب الايضاح وشرحه له يبين لنا اثر الفارسي في ابن الحاجب .

والدارس لكتاب الكافية يرى انها سارت على نسق ترتيب أبي علي في الايضاح وذلك لان الزمخشري في كتاب المفصل نظر الى ترتيب أبي علي في كتاب الايضاح حيث جعل كتابه مقسوما على أربعة أقسام: أسماء وأفعال وحروف ومشتراك بين أحوالها (90) .

وقد قال النحاة عن كافية ابن الحاجب : انها تلخيص للمفصل وحقيقة الامر ان ابن الحاجب كان متأثرا في كافيته بالايضاح وبالمفصل معا .

امثلة توضح اثر الفارسي في ابن الحاجب :

(1) « اذا كان الخبر طرفا ، او جارا او مجرورا رجح ابن الحاجب تبعا للزمخشري والفارسي تقدير الفعل ، لانه الاصل في العمل ولتعيينه في الصلة » (91)

(2) اختلف النحاة في الحاق تاء التانيث بالفعل في جمعي التصحيح المذكور والمؤنث — فسيبويه وجهور البصريين يوجبون التفكير في الفعل في نحو

قام الزيدون والتانيث في الفعل في نحو قامت المدمرات ، خلافا للكوفيين فيها ، فانهم اجازوا في الفعل مع كل من جمعي التصحيح التفكير والتانيث .

وخلافا للفارسي من البصريين في جمع تصحيح المؤنث ، فانه انفرد عن أصحابه بجواز الامرين ووافق أصحابه في وجوب تذكر الفعل مع تصحيح المذكر قال ياسين في حاشيته : ان ابن الحاجب مشى على مذهب الفارسي (92) .

(3) وتختص الواو بجواز عطفها عاملا قد حذف ، وبقي معموله مرفوعا كان نحو اسكن انت وزوجك الجنة (93) او منصوبا نحو : والذين تبؤوا الـسـدار والايـمان (94) . او مجرورا نحو : ما كل سوداء ثمرة ، ولا بيضاء شحمة ، وانما لم يحصل العطف فبين على الموجود في الكلام بدون حذف لئلا يلزم في الاول رفع فعل الامر للاسم الظاهر وفي الثاني كون الايمان متبوا وانما يتبوا المنزل ، وفي الثالث العطف على معمولي عاملين مختلفين ، وذلك لا يجوز عند سيبويه والاكثرين .

وقيل يجوز مطلقا حكاة الفارسي وابن الحاجب عن القراء (95) .

(4) الضمير اذا اتصل برب مثل ربه فتى او ربه رجلا .

ذهب جماعة كابن عصفور والزمخشري ان الضمير نكرة عائدة على واجب التفكير وقال جماعة كالفارسي معرفة جار مجرى الفكرة (96)

وابن الحاجب يقر في اماليه في مطلب «ربه رجلا» ان الضمير في قوله : ربه رجلا ليس بنكرة ، وانما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهما اطلق عليه

(88) سيبويه امام النحاة ص 187 .

(89) كشف الظنون مجلد 1 نهر 212 .

(90) شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش ج 1 ص 17 ط المنيرية .

(91) الجمع ج 1 ص 98 — 99 .

(92) التصريح والحاشية ج 1 ص 280 .

(93) البقرة : 35 .

(94) الحشر : 9 .

(95) التصريح ج 2 ص 154 .

(96) حاشية الصبان على الاثموني ج 2 ص 207 (الحلي) .

النكرة ، ولذلك لم يوصف ، لانه ضمير بلا خلاف والضمائر لا توصف (97) واذا تارنا بين قول ابي علي وبين قول ابن الحاجب في هذا الضمير لرأينا الفكرة واحدة .

هذه امثلة تدل على ان ابن الحاجب كان يميل احيانا الى آراء ابي علي في كثير من المسائل النحوية ، وليس في هذا الميل نقصان لشخصية ابن الحاجب فأبو علي امام مجتهد في النحو تطور النحو على يديه بما وضع من مقاييس وتعليلات وكانت له نزعة بصرية توجهه وجهتهم في كثير من المسائل النحوية ، فلا حرج اذن على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلة ، والبرهان والجدل — شأنه شأن البصريين .. لا حرج عليه ان يتأثر بأبي علي في بعض المسائل النحوية ، لانه يشبهه الى حد كبير في نزعته الى القياس وميله الى المنطق .

على ان تبعية ابن الحاجب للفارسي ليست تبعية عمياء ، وانما التبعية التي يتضح فيها الدليل ، ويستقيم المنطق ، وتتبين فيها الحجة ولا ادل على ذلك من ان ابن الحاجب خالف ابا علي في بعض المسائل ، خالفه لانه لم ير في رايه القوة التي تحمله على التبعية .

ومن غير شك ، ان هذه المخالفة ان دلت على شيء فانها تدل على شخصية ابن الحاجب النحوية تلك الشخصية التي لا تقبل رأيا الا بعد تمحيص وتدقيق وبحث ومناقشة ، لا تقبل رأيا الا بعد ان تسلط عليه أضواء عقلها ، واشعة فكرها لتبين وجه الحق فيه ، فاذا ما صح هذا الراي في نظره أخذه من غير مبالاة ايا كان مصدره وايا كان منبعه بصريا أو كوفيا أو بغداديا .

واذا لم يصح في رايه رفضه ، ومع الرفض الاسباب المنطقية التي دعت الى الرفض اذن فابن الحاجب لا يتقيد بمذهب معين ولا بتوجيه معين ، لا يتعصب للبصريين أو للكوفيين من غير نظر وروية ، لا يؤمن بقداصة كبار النحاة ولا بالآراء التي تصدر عنهم فكما قدمت رأينا كيف ناقش البصريين ، ورفض بعض مسائلهم ، كما انه ناقش الكوفيين ، وهدم بعض

نظرياتهم حتى سيويه امام النحو واستأذه وضع آراءه على المشرحة فما صح أخذه وما لم يصح رفضه ، وقد تقدمت امثلة تؤيد هذا الذي قلت . ولا استطيع في هذا المجال الضيق ان اعدد المآخذ التي أخذها ابن الحاجب على ابي علي ، الا اني اكتفي بسرد بعضها كدليل على ان ابن الحاجب كان شخصية مستقلة ، تؤمن بالاستقلال الى حد كبير .

قال الاشموني شارحا قول ابن مالك في المنوع من الصرف .

وكن لجمع مشبه مفاعلا او المفاعيل بمنع كافلا

يعني انه مما يمنع من الصرف الجمع المشبه مفاعل او مفاعيل ، اي في كون اوله مفتوحا ، وثالثها الفاعل غير عوض ، يليها كسر غير عارض ملفوظ او مقدر على اول حرفيه بعدها ، او ثلاثة اوسطها ساكن غير مستوي به وبما بعده الانفصال ، فان الجمع متى كان بهذه الصفة كان فيه فرعوية اللفظ بخروجه عن صيغ الاحاد العربية وفرعية المعنى بالدلالة على الجمعية فاستحق منع الصرف .

ثم قال في التثبيات : اتفقوا على ان احدى العلتين هي الجمع واختلفوا في العلة الثانية .

فقال أبو علي : هي خروجه عن صيغ الاحاد ، وهذا الراي هو الراجح .

وقال قوم : العلة الثانية تكرار الجمع تحقيا أو تقديرا فالتحقيق نحو : اكلب ، وارهط ، اذ هما جمع اكلب وارهط والتقدير نحو مساجد ومناير فانه وان كان جمعا في اول وهلة لكنه بزنة ذلك المكرر اعني اكلب وارهط فكانه ايضا جمع جمع ، وهذا اختيار ابن الحاجب ، واستضعف تعليل ابي علي بأن افعالا وافعلا نحو افراس وافلس جعلان ، ولا نظير لهما في الاحاد ، وهما مصروفان (98) .

1) الزمخشري وابن الحاجب :

كان ابن مالك يقول عن ابن الحاجب : انه أخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوي صغير (99) .

(97) الامالي ص 63 (مخطوط 1034) نحو دار الكتب .

(98) الاشمونسي ج 3 ص 243 .

(99) البغية ص 55 .

وقال الامام الزمخشري — انه مخفوض على الجوار ، وليس يحيد اذ لم يات الخفض على الجوار في القرآن الكريم ، ولا في الكلام الفصيح ، وانما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب فلتحمل الآية على ما ذكر (101) .

وهذا الرد من ابن الحاجب يبينها الى امر آخر خالف فيه الزمخشري كل المخالفة وذلك لان الزمخشري كان يؤيد مذهب أبي علي في القياس ، فقد كان يرى الاحتجاج بأقوال المولدين ، والقياس عليها (102) .

اما ابن الحاجب فلم يتبع هذا ولا ذاك ، بل يقرر ان الاستشهاد النحوي يبحث عنه في القرآن الكريم ، ثم في الكلام الفصيح ، اما ما عدا ذلك فهو كلام من لا يؤبه له من العرب ممن لا يصح في مذهبه ان يستشهد بقوله او يؤخذ بكلامه .

(2) تعقيبه على الزمخشري حينما قال : المبني هو الذي سكون آخره وحركته لا يعامل ... تقدم ذكر ذلك ص 18 ، من البحث .

وليس معنى مخالفة ابن الحاجب للزمخشري انه كان متعصبا ضده ينتقده في كل رأي ويهدمه في كل فكرة ، لا .. لم يكن هذا من شيمة ابن الحاجب لانه كان رائده الحق ، والحق وحده ، انى وجده اخذه بغض النظر عن مصدره ومنبعه .

لهذا فقد وافق الزمخشري في بعض المسائل التي وضح فيها الدليل وليس معنى هذه الموافقة انه اخذ نحوه منه ، لان ابن الحاجب لا يوافق على رأي الا بعد مناقشة وبحث ، موافقة مصدرها الاجتهاد والعمق لا الاتباع والتقليد .

فمن المسائل التي وافق فيها ابن الحاجب الزمخشري :

(1) السموات : قوله تعالى : خلق الله السموات (103) مفعول مطلق لبيان النوع عند الزمخشري وابن الحاجب .

ومعنى هذه العبارة ان ابن الحاجب تلميذ للزمخشري تأثر به وسار على نهجه وردد آراءه ودافع عنها ، وليس له فكر مستقل يستعمله في العويص من المشكلات النحوية وبعبارة أخرى ، ليس ابن الحاجب اماما مجتهدا في النحو ، يأخذ ما يميله عليه غيره من غير نظر او بحث .

وحقيقة الامر انه ان صح ما قاله ابن مالك ، فان هذا تقليل من مكانة الرجل من غير دليل ، وتضعيف لشخصيته من غير حجة .

والحقيقة التي لا شك فيها ان ابن الحاجب كما قلت اكثر من مرة — له شخصيته المستقلة في توجيهاته وفي آرائه وهو وان تأثر بالبصريين أو بأبي علي في بعض المواطن فهو التأثير الذي لا يذيب شخصيته ولا يفني تفكيره ولا يبيت عقله .

والدليل الاوضح على ان ابن الحاجب لم يكن نسخة طبق الاصل من الزمخشري يردد آراءه ويتعبد بأقواله ، ويأخذ بوجهة نظره كما ادعى ابن مالك هو املأؤه على المفصل للزمخشري ، ونقده له في كثير من المسائل وفي كتاب : الامالي : جعل قسما خاصا لاملائه على المفصل ناقدا وموجها ، شارحا ومحصا مما يدل على ان ابن الحاجب صاحب قريحة وقادة من الصعب عليها ان تسير في ركب أي اتجاه نحوي من غير ان تبصر الهدف وتتعرف على الطريق .

(1) قال رضى الله عنه مهليا على قوله تعالى وامسحوا برءوسكم وارجلكم (100) من قرا بالخفض عطفًا على قوله برءوسكم ، والمراد اغسلوا ارجلكم وليس الخفض على المجاورة وانما على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر .

والعرب اذا اجتمع فعلا متقاربين في المعنى ولكل واحد متعلق جوزت ذكر احد الفعلين وعطف متعلق المحذوف على المذكور على حسب ما يقتضيه لفظه حتى كانه شريكه في أصل الفعل اجراء لاحد المتقاربين مجرى الآخر كقولهم تقلدت بالسيف والرمح ، وعلفتها بالتبن والماء .

(100) المائدة : 6

(101) الامالي : ص 55 .

(102) من اسرار اللغة . الدكتور ابراهيم أنيس ص 20 .

(103) العنكبوت : 29

فرحوا به ، وانا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفاتها دليلا على صحتها فلان يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى (109) .

وابن الحاجب لم يكن كما كان غيره من النحاة البصريين ينظرون الى القراءات نظرة الريبة والشك، بل كان يؤمن بتواتر القراءات السبع وان الاستشهاد بها اخرى من الاستشهاد بغيرها واقرى . وقد قلت سابقا : انه رد الخفض على الجوار وبين انه غير جيد اذ لم يات في القرآن الكريم بقراءاته المشهورة ، ثم الكلام الفصيح قال ابن الحاجب في مختصر المنتهى : ان القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الاداء، كالمدة والامالة وتخفيف الهزة ونحوها (111) .

ومع هذا لم يسلم ابن الحاجب من النقد في قوله : « ان المد والامالة وتخفيف الهزة ، ونحوه غير متواتر » .

فقد تعرض له ابن الجزري بقوله : ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول فقص اثره ؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما اقدم عليه ، وليت الامام ابن الحاجب اخلى كتابه من ذكر القراءات واثرها كما اخفى غيره كتبهم منها ، بل ليته سكت عن التمثيل (112) .

هذا واذا قارنا بين ما قاله ابن الحاجب عن القراءات وتواترها بما قاله الزمخشري عنها لوجدنا ان ابن الحاجب يختلف تمام الاختلاف عن الزمخشري فالقراءات عند الزمخشري غير متواترة وينبني على هذا ان الزمخشري يسقط القراءات من حسابه فيسقط اصلا من اصول الاستشهاد في اللغة كبيرا .

وذلك كما يقول ابن هشام في المغني : ان المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم اوقع الفاعل به فعلا .

والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده ، وان كان ذاتا لان الله سبحانه موجد للافعال وللذوات جميعا (104) .

(2) وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم (105) .

الزمخشري مثل بالآية لتقدم الخبر . قال ابن الحاجب : كون سواء خبرا مقدما هو الصحيح ، وقول الأكثر (106) .

(3) جميع الاوزان من غير الثلاثة اسم فاعل مطلقا عند ابن الحاجب والزمخشري لان الصفة المشبهة عندهم لا تكون مجارية للمضارع وان لم يقصد بها الحدوث (107) .

7 - ابن الحاجب والقراءات :

القرآن الكريم افضل ما يحتج به في تقرير اصول اللغة ، فانه نزل بلسان عربي مبين .

ولا يمتري احد في انه بلغ من الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقى ، فيجب ان تأخذ بالتقياس على ما ورد عليه ، كلمة ، وآياته من احكام لفظية (108) .

وقال الرازي في تفسيره عند قوله تعالى : «تسألون به والارحام» ، اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في القرآن الكريم فاذا استشهدوا في تقريرها بببيت مجهول

(104) التصريح ج 1 ص 80 .

(105) البقرة : 6 .

(106) حاشية ياسين ج 1 ص 155 .

(107) حاشية ياسين ج 2 ص 78 . طر الحلبي

(108) القراءات واللهجات عبد الوهاب حموده ص 129 .

(109) نفس المصدر ص 130 .

(110) الامالي ص 130 .

(111) مختصر المنتهى الاصولي ص 49 مطبعة كردستان العلمية .

(112) القراءات واللهجات ص 70 .

قال الزمخشري في تفسيره « الكشاف » عند تعرضه لتفسير الآية القرآنية « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » : « وأما قراءة ابن عامر : قتل أولادهم شركائهم ، برفع القتل ، ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا ، فكيف به في الكلام المنشور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء ، لان الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (113) .

قال أبو حيان معقبا على الزمخشري في تفسيره (البحر) :

« وقرأ ابن عامر كذلك الا انه نصب أولادهم وجر شركائهم ، فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالرفع وهي مسألة مختلف في جوازها فجمهور البصريين بمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ، ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر .

وبعض النحويين اجازها ، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة الى العربي الصحيح المحض ابن عامر ، الاخذ بالقرآن على عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب (114) .

ثم قال أبو حيان موجها نقده اللاذع للزمخشري حيث رد قراءة ابن عامر : « وأعجب لعجبي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الائمة الذين تخيرتهم هذه الامة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم (115) .

ومن هنا نعرف لابن الحاجب قدره فهو لسم يكن كالزمخشري يجري وراءه ويقتفى اثره في كل ما يقول ابن مالك : اخذ نحوه عن صاحب الفصل . وصاحب المفصل نحوي صغير .

هذه خطوط عريضة لاتجاهات ابن الحاجب النحوية ، فهو بصري ان صح له دليل البصريين ، وهو كوفي ان وضحت له حجة الكوفيين وهو متأثر بأبي علي اذا كان رأيه مؤيدا بالمنطق ويتبع الزمخشري اذا كان دليله مدعما بالبرهان .

ورجل شأنه هكذا لابد ان يكون مستقلا في آرائه وتوجيهاته ، بعيدا عن التعصب ونزعات الهوى ، قريبا من الحق انى وجده ، تحيط بآرائه ادلته كما يحيط السوار بالمعصم يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالقراءات المتواترة ، وبالكلام العربي النصيح ، يستخدم القياس وقضايا المنطق في مسائل النحو ، وينظر الى العلة نظرة التقديس والاحلال .

(113) الكشاف : الزمخشري ج 2 ص 70 ط ثانية (مطبعة دار الاستقامة)

(114) البحر المحيط : ج 4 ص 229

(115) البحر المحيط : ج 4 ص 230 .

مراجع البحث

- (1) الاشباه والنظائر في النحو : السيوطي : الطبعة الثانية : حيدرآباد .
- (2) الاقتراح : السيوطي : مطبعة دار المعارف النظامية : حيدر آباد .
- (3) الامالي : ابن الحاجب مخطوط رقم 1007 نحو - دار الكتب المصرية .
- (4) انباه الرواة : جمال الدين علي بن يوسف القنطي : تحقيق الاستاذ أبي الفضل . مطبعة دار الكتب .
- (5) البحر المحيط : اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان : مطبعة السعادة .
- (6) البداية والنهاية : أبو الفداء عماد الدين اسماعيل .
- (7) البغية : السيوطي : مطبعة السعادة (الطبعة الاولى) .
- (8) تاريخ سوريا : يوسف الياس مطران : مطبعة بيروت 1952 .
- (9) حاشية الصبان على الاثموني : محمد بن علي الصبان : مطبعة الحلبي .
- (10) حاشية ياسين على التصريح : ياسين بن زين الدين العليمي : مطبعة الحلبي .
- (11) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية : الدكتور أحمد بدوي : مطبعة نهضة مصر .
- (12) خطط الشام : محمد كرد علي : المطبعة الحديثة بدمشق 1925 .
- (13) دائرة المعارف الاسلامية .
- (14) روضات الجنات في احوال العلماء والسادات : محمد باقر بن زين العابدين .
- (15) سيبويه امام النحاة : الاستاذ علي النجدي : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (16) شذرات الذهب : ابن العماد .
- (17) شرح التصريح : الشيخ خالد بن عبد الله الازهري - مطبعة الحلبي .
- (18) شرح الرضى على الكافية : محمد بن حسن الرضى : مطبعة مجمع الرضى 1275 هـ .
- (19) الطالع السعيد : الادفوي : كمال الدين أبو الفضل : مطبعة الجبالية بمصر .
- (20) الظاهر ببيرس وحضارة مصر في عهده . دكتور جمال الدين سرور - دار الفكر العربي .
- (21) أبو علي الفارسي : دكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي : مطبعة نهضة مصر .
- (22) غاية النهاية : ابن الجزري : مطبعة السعادة .
- (23) القراءات واللهجات : الاستاذ عبد الوهاب حموده : مطبعة السعادة .
- (24) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري : مطبعة دار الاستقامة .
- (25) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : وكالة المعارف باستانبول .
- (26) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- (27) مختصر المنتهى الاصولي : ابن الحاجب : مطبعة كردستان .
- (28) مدرسة الكوفة : الدكتور مهدي المخزومي : مطبعة الحلبي .
- (29) معجم الادباء : ياقوت بن عبد الله الحموي : مطبعة الحلبي .
- (30) من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم انيس : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (31) النجوم الزاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغزي بردي - مطبعة دار الكتب المصرية .
- (32) النشر في القراءات العشر : ابن الجزري : مطبعة التوفيق بدمشق .
- (33) همع الهوامع جمع الجوامع : السيوطي : مطبعة السعادة .
- (34) وفيات الاعيان : ابن خلكان : تحقيق الاستاذ محمد محي الدين - مطبعة السعادة .

علم الحركة في الفلسفة العربية

مفاهيمه وألفاظه

الدكتور جلال شوقي - جامعة القاهرة -

العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولي والصورة والحركة والمكان والزمان ، اذ كانت هذه الأشياء الخمسة محتوية على كل جسم » .

ويستطرد اخوان الصفا في رسالتهم فيعرفون كلا من هذه الاشياء على النحو التالي :

« اعلم وفقك الله أن معنى قول الحكماء « الهيولي » انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وتولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر . واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولي ... » .

« أما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه الممكن » .

« وأما الحركة التي تسمى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان الى مكان آخر ... »

« ثم اعلم انه لا تنفصل حركة عن حركة الا بسكون بينهما ، وهذا يعرفه ولا يشك فيه اهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تأليف النغم ، والنغم لا يكون الا بالأصوات والأصوات لا تحدث الا من تصادم الأجسام ، وتصادم الأجسام لا يكون الا بالحركات ، والحركات لا تنفصل بعضها عن بعض الا بسكونات تكون بينها » .

درس العرب حركة الأجسام ضمن نطاق « الطبيعيات » ، فحددوا مفاهيمها وعناصرها ، ووضعوا لها التقسيمات المختلفة ، واستعملوا في كتاباتهم لفاظا معينة منها الفاظ « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك » وذلك للدلالة على معان شتى . ويهم الباحث في الفلسفة العربية أن يقف تماما على المعاني التي وردت فيها هذه الألفاظ حتى يتسنى له الوقوف على ما توصل اليه العرب في مجال علم الحركة ، ويقدم هذا البحث عرضا شاملا وتحليلا دقيقا لمفهوم الحركة والفاظها كما جاءت في كتب الفلسفة والحكمة العربية.

1 - الطبيعيات وعلم الحركة

تعرض العرب بالدراسة لحركة الأجسام في كتب الفلسفة لا سيما في قسمي « الطبيعيات » و « الالهيات » ونبين فيما يلي بعض كتابات العلماء والفلاسفة العرب التي تدل على نسبتهم لعلم الحركة لقسم « الطبيعيات ».

يقول اخوان الصفا (1) في رسالتهم الخامسة عشرة (2) :

« والامور الطبيعية هي الأجسام وما يعرض لها من الأغراض اللازمة والمزايلة ، وقد عملنا في هذه

(1) من علماء وفلاسفة القرن العاشر الميلادي .

(2) هي نفسها الرسالة الأولى في الجسمانيات الطبيعيات .

أما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والأيام والساعات .

ويقول اخوان الصفا أيضا في رسالتهم السادسة عشرة (3) :

« والحركات ستة أنواع ، أحدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ... وأتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات » .

ويعود اخوان الصفا مرة ثانية الى تأكيد مفاهيمهم للأمور الطبيعية في رسالتهم الرابعة والعشرين (4) ما نصه :

« بيان ذلك أن الجسم بالسكون أولى من الحركة هو أن الجسم ذو جهات ست ، ولا يمكنه أن يتحرك الى جميع الجهات دفعة واحدة ، وليست حركته الى جهة أولى من جهة ، فإذا السكون أولى به من الحركة » .

ويقول اخوان الصفا في الرسالة الثامنة من القسم الرياضي في فصل أن الجسم لا يتحرك من ذاته:

« والجسم من حيث الجسمية ليس بمتحرك ، والانفعال لا تكون الا بالحركة ، فالمحرك للجسم جوهر آخر ... » .

ويعرف الامام محمد أبو حامد الغزالي (5) الطبيعيات في كتابه « معيار العلم » (6) فيقول :

« ولكل علم موضوع ... »

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن .

ويقول أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادي (7) في كتابه « المعتبر في الحكمة » (8) :

« ... فعلى هذا يسهل طريق التعليم الحكمي الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون بعينه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي »

(3) هي الرسالة الثانية من الجسمانيات الطبيعيات.

(4) هي الرسالة العاشرة من الجسمانيات الطبيعيات .

(5) عاش في الفترة من سنة 1059 حتى 1111 م (451 — 505 هـ) .

(6) كتاب القياس — النظر الرابع في لواحق القياس — طبعة دار المعارف بالقاهرة صفحة 251 .

(7) توفي عام 1151 م (547 هـ) .

(8) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الأول — الورقة 3 .

(9) عاش في الفترة من عام 980 م حتى عام 1037 م (370 — 428 هـ) .

المنسوب الى الطبيعة ، وهو المشتغل على العلم يسائر المحسوسات من الحركات والمتحركات والمتحركات وما مع الحركات وبالحركات والمتحركات وفي المتحركات من الآثار المحسوسة » .

ويضئ ابن ملكا في الورقة الخامسة من نفس المخطوط يقول :

« ... وقوم سمو بالطبيعة كل قوة جسمانية ، أعنى كل مبدأ فعل يصدر عن الاجسام مما وجوده فيها ، فنكون الأمور الطبيعية هي الأمور المنسوبة الى هذه القوة ، اما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالأجسام ، فيقال أجسام طبيعية ، واما آثار وحركات وهيئات صادرة عنها كالألوان والأشكال .

والعلوم الطبيعية هي العلوم النازرة في هذه الأمور الطبيعية ، فهي النازرة في كل متحرك وساكن وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما اليه ، وما فيه الحركة والسكون .

والطبيعيات هي الأشياء الواقعة تحت الحواس من الأجسام وأحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وانفعالاتها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لأظهرها فأظهرها أولا ، ويرتقى منه الى الأخفى فالأخفى ... » .

2 — عناصر الحركة وأقسامها :

تعرض العلماء والفلاسفة العرب بتفصيل عظيم لحركة الأجسام ، فأسهبوا في الكتابة عن مفهوم الحركة وعناصرها وارتباطها بالزمان ، كما قسموها الى انتقالية ودورانية ، كذا الى طبيعية وقسرية ، ونورد فيما يلي نماذج من كتاباتهم في هذا المجال .

أولا : عناصر الحركة :

يحدد الشيخ الرئيس ابن سينا (9) في كتابه

« الشفاء » (10) الأمور المتعلقة بالحركة بكونها ستة أمور ، فيقول :

« المتحرك ، والمحرك ، وما فيه ، وما منه . وما اليه ، والزمان » .

بالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة ، وبالمحرك القوة المسببة للحركة ، ويقول ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما اليه مواضع الابتداء والانتهاء ، أي طرغي مسافة الانتقال وتنضمن اتجاه الحركة ، أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التي تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (11) .

« فاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة ، ووحدة الحركة هو باتصالها في الزمان والمسافة » .

ثانيا : أقسام الحركة :

قسم فلاسفة العرب الحركة الى انتقالية ووضعية ، كذلك الى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية) ، وتوضح هذه المفاهيم بجسلاء في كتاباتهم التي نورد نماذج منها فيما يلي :

أ) تقسيم الحركة الى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسائل الأولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » (12) :

« الحركة التي من أين الى أين تسمى نقلة

الحركة التي من وضع الى وضع تسمى وضعية » (13) :

« نكل حركة في مسافة تنتهي الى حد ما ، تنتهي الى سكون فيه . فتكون غير الحركة التي بها يستحفظ الزمان المتصل .

فالحركة الوضعية هي التي بها يستحفظ الزمان المتصل ، وهي الدورية » .

أما هبة الله بن ملكا البغدادي فيقول في كتابه : «المعتبر في الحكمة» (14) :

« ... وأعم اعراض الجسم الطبيعي واحصاها به من حيث هو جسم هي الحركة : وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجوه ، فمنها الحركة المكانية وهي التي بها ينتقل المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهي التي تتبدل بها وضاع المتحرك ، وتنتقل أجزاؤه في أجزاء مكانه ، ولا يخرجها عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا ... »

ب) تقسيم الحركة الى طبيعية وقسرية :

1 - بالحركة الطبيعية يقصد العرب حركة الجسم الى موضعه الطبيعي بعد أن يخرج عنه قسرا ، وذلك عند زوال القاسر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هي حركة الثقل الى السفل ، وحركة الخفيف الى العلو ، اذا ما أخرج الجسم قسرا من مكانه الطبيعي .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الأولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » .

« وكل جسم متحرك فحركته إما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية ، وإما من سبب في نفس الجسم ، إذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب أن كان محركا على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فيسمى طبيعة ، وإن كان محركا حركات شتى بإرادة أو غير إرادة ، أو محركا حركة واحدة بإرادة فيسمى نفسا » .

(10) طبيعيات الشفاء — المقالة الثانية — الفصل الأول .

(11) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الثالث والعشرون ، الورقة 87 .

(12) كتاب « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة 1326هـ (1908 م) ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر .

(13) النظم السادس — الفصل السادس — الفصل السادس عشر .

(14) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل التاسع — الورقة 26 .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه
«المعتبر في الحكمة» (15) :

«... فان الحركة اما طبيعية واما قسرية ،
والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لان المقسور انما هو
مقسور عن طبعه الى طبع قاسره ، فاذا لم يكن حركه
بالطبع لم يكن حركه بالقسر ، والطبيعية انما تكون
عن مابين بالطبع الى مناسب بالطبع ، او الى مناسب
انسب من مناسب ...»

ويقول الامام غفر الدين الرازي في كتابه: «المباحث
الشرقية في علم الالهيات والطبيعات» (16) :

«... وان كانت الحركة حاصلة فيه ، فاما ان
يكون سببه شيئا موجودا في الجسم ، او يكون سبب
تلك الحركة خارجا عن ذات المحرك ، والقسم الاول
هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثاني هو الحركة
القسرية ، واما القسم الاول وهو الذي يكون مبدا
الحركة قوة موجودة في ذلك الجسم ، فقد عرفت في
باب القوى ان كل فعل يظهر من الجسم لا بالعرض
ولا بالقسر ، فلا بد وان يكون لقوة موجودة فيه .»

2 — بالحركة غير الطبيعية يقصد الحركة التي تنشأ
عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمي
الفلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ،
وفيها يمكن للمحرك ان يلزم الجسم المتحرك اثناء
تحركه ، او ان يفارقه بعد ان يبدا الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادي في الجزء الثاني
من كتابه «المعتبر في الحكمة» (17) :

«فنتقول ان المحرك بالذات لكل متحرك يكون
اما طبيعية ، واما قسرا ، واما ارادة ، ويخصون
باسم الطبيعة ما يحرك بالتسخير وعلى سنن واحد ،
ويعني بالتسخير انه تحرك بغير معرفة ولا روية منه،
كالحجر في هبوطه ، والارادة فمعلومة ، وهي معرفة
الفاعل بما يفعله وعزيمته عليه .»

والقسر فمن شيء خارج عن المتحرك بحركة
على مقتضى طباع المحرك او رويته ، لا على مقتضى
طباع المتحرك ورويته .

والسواء لا يجوز ان تكون حركتها قسرية ، لان
القسر اذا دام تبطل الطبيعة ، وينسد المطبوع
ويحليه الى مقتضاه ، وهو فعل الاضداد باضدادها ،
والسواء لا ضد لها ، ولا تضاد فيها ، ولا غساد لها ،
وحركتها دائمة ، كذلك فليست بقسرية ومن القاسر
فان كل قاسر لجسم عن طبع آخر ، فاما ان القسر
الدائم يبطل الطباع ، وينسدها فمعلوم من جهة ما
لدينا من المتضادات وانسداد بعضها بعضا ، فما
السموات مقسورة على حركتها الدائمة ، ولا حركتها
بالطبيعية المسخرة ...»

3 — الفاظ «المبدا» و «الميل» و «الاعتماد»

استعمل العرب في كتاباتهم عن الحركة تعابير
خاصة تشتمل على الفاظ «المبدا» و «الميل»
و «الاعتماد» ، كذا «مبدا ميل» ، ونقدم فيما يلي
المعاني التي تؤديها هذه الالفاظ من واقع النصوص
التي ورد استعمالها فيها .

أولا : «المبدا» :

بكلمة «مبدا» قصد العرب عموما السبب
والعلة . هذا الى جانب استعمالها بمعنى موضع بداية
الحركة .

يعرف الامام محمد ابو حامد الغزالي لفظ «المبدا»
فيقول (18) :

«والمبدا اسم لها يكون قد استتم وجوده في
نفسه ، اما عن ذاته ، واما عن غيره ، ثم يحصل منه
وجود شيء آخر يتقوم به ، ويسمى هذا علة بالاضافة
الى ما هو مبدا له .»

(15) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الرابع عشر — الورقتان 47 ، 48

(16) الكتاب الثاني — الفن الخامس — الفصل الخامس والاربعون (طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ،
الصفحة 621) .

(17) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 — الفصل السابع — الورقة 135 .

(18) كتاب «معيان العلم» : كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة،
الصفحة 330 .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في معرض حديثه عن القوة الطبيعية في كتابه « النجاة » (19) :

« ... فمنها قوى سارية في الأجسام تحفظ عليها كمالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية واناعليها ، وإذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها وأحوالها ، أعادتها إليها وثبتتها عليها ، مانعة من الحالة الغير الملائمة أياها ، بلا معرفة وروية وقصد اختياري بل بتسخير ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهي مبدا بالذات لحركاتها بالذات ، وسببونها بالذات . ولسائر كمالاتها التي لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية بخال عن هذه القوة ... »

ويقول ابن سينا عن القوة الطبيعية أيضا في طبيعيات كتابه « الشفاء » (20) :

« كل جسم له مكان طبيعي أو حيز تقتضي طبيعته الكون فيه ، وهو يخالف سائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدا وقوة معدة نحو ذلك المكان » .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (21) :

« انك لتعلم ان الجسم اذا خلى وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فاذن في طباعه مبدا استجاب ذلك » .

بهذه الكلمات يقصد ابن سينا ان الجسم يبقى بطبعه — ساكنا في موضع معين ، متخذا شكلا معيناً ، ومحافظا على هذه الحال بسبب طبعه ، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي يخرج به عن هذا الموضع أو الشكل أو عن كليهما ، أي ان من طبع الجسم المدافعة عن بقائه على حالة سكونه الطبيعي ويمثل

هذا المفهوم المعنى الأول لما تعارفنا على تسميته بالقانون الأول للحركة .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعبر في الحكمة » (22) :

« غبيذا يعلم ان لكل جسم طبيعي حيزا طبيعيا . فيه يكون بالطبع ، واليه يتحرك اذا أزيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الأجسام . بل بصفة خاصة به هي طبيعة القوة أو صورة خاصة بذلك الجسم ، خصته بذلك الحيز وحركته اليه ، فتلك الطبيعة الخاصة في ذلك الجسم مبدا حركة بالطبع وسكون بالطبع ، والتحريك النقل المكاني انما يكون عنها بعد سبب طارئ يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتحركه هي اليه » .

ثانيا : « الميل »

استعمل العرب لفظ « الميل » على أربعة وجوه ، أولها المعنى الحرفي بمعنى الرغبة والاتجاه ، وثانيها معنى القوة سواء كانت قوة طبيعية ناشئة عن قوة تناقل الجسم ، فيطلق عليها تعبير « الميل الطبيعي » ، أو قوة قسرية مسلطة على الجسم من خارج فتسمى « ميلا قسريا » ، أما المعنى الثالث الذي ترد فيه كلمة « الميل » فهو معنى مدافعة الجسم عن حاله التي هو عليها ، سواء كان ساكنا أو متحركا حركة منتظمة وعلى استقامة ، وهو المعنى الذي نشير اليه في كتاباتنا المعاصرة « بالقصور الذاتي » أو « العطالة » (23) ، وهو ذات المعنى الوارد فيما نعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة المنسوب عرفا إلى اسحق نيوتن (24) . وهناك أيضا معنى رابع ترد فيه كلمة « الميل » هو كمية الحركة (25) . ونسوق فيما يلي نماذج من النصوص الفلسفية العربية للتدليل على قصد العرب لهذه المعاني .

(19) طبعة القاهرة عام 1331 هـ — الجزء الثاني — الصفحتان 161 ، 162 .

(20) المقالة الرابعة — الفصل الثاني عشر .

(21) النمط الثاني — الفصل السادس .

(22) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل السادس والعشرون ، الورقة

102 .

(23)

(24) عاش في الفترة من عام 1642 حتى عام 1727 م ، واليه تنسب قوانين الحركة الثلاث التي نشرها في كتابه « الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية » .

(25) هي حاصل ضرب الكتلة \times السرعة

1 - الميل بمعنى الحرفي :

وردت في كتابات علماء العرب وفلاسفتهم لفظة « الميل » في مواضع أرادوا بها فيها معناها الحرفي ، فقالوا بأن الجسم ان كان في حيزه الطبيعي ، فانه يميل ويرغب في البقاء فيه ، ولا يميل أو يتجه الى العزوف عنه ، وفيما يلي بعض الأمثلة للكتابات التي جاء فيها هذا المعنى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (26) :

« وانما يكون الميل الطبيعي — لا محالة نحو جهة يتوخاها الطبع ، فاذا كان الجسم الطبيعي في حيزه الطبيعي لم يكن له — وهو فيه — ميل ، لانه — لا محالة — انما يميل بطبعه اليه لا عنه . »

ويشرح الامام فخر الدين الرازي هذه الاشارة فيقول (27) :

« واما قوله واذا كان الجسم في حيزه الطبيعي ، لم يكن له — وهو فيه — ميل ، لانه انما يميل بطبعه اليه لا عنه ، فاعلم ان هذه الدلالة تدل على ان الجسم حال كونه في حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل عنه ، فاذا قلنا ولا يكون له ايضا ميل اليه ، لاستحالة طلب الحاصل ، فحينئذ تتم الدلالة على انه لا ميل فيه في تلك الحالة . »

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا في كتابه « المعتبر في الحكمة » (28) في معرض مقارنته بين الحركتين المستقيمة والمستديرة :

« ... فكما ان تلك القوة والطبيعة تحدث الميل ، وتحرك من الاين الغريب على الاستقامة ، لانها اقرب الى الاين الطبيعي ، كذلك هذه ، وكما يبطل الميل في تلك الوصول الى الحيز الطبيعي ، وتبطل الحركة ويعود الجسم الى سكونه ، كذلك في هذه يبطل الميل

عند الوصول الى الحيز الطبيعي والحركة المستقيمة ، ويعود الميل والحركة المستديرة ... »

2 - الميل بمعنى القوة

1 - الميل الطبيعي :

عبر العرب بالميل الطبيعي عن القوة التي تدفع بالجسم الى الوصول الى مكانه الطبيعي — عندما يكون خارجا عنه — وهي قوة الجاذبية الأرضية أو قوة التثاقل . اي ان الميل هنا بمعنى القوة التي تؤدي الى الحركة الطبيعية للجسم حتى يستعيد موضعه الطبيعي .

اذا فالميل الطبيعي قد عبر به عن القوة الطبيعية ، قوة التثاقل أو قوة الجاذبية الأرضية (التي تؤثر على الجسم لتعيده الى موضعه الطبيعي ، فالميل الطبيعي هنا بمعنى السعي الى الوضع الطبيعي ، ووسيلته الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (29) :

« الجسم اذا وجد على حال غير واجبة من طباعه ، فحصوله عليها من الأمور الإمكانية ، ولعلل جاعلة ، ويقبل التبدل فيها من طباعه الإلزامية ، واذا كانت هذه الحال في الموضع والوضع امكن الانتقال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل . »

من الواضح ان المقصود بالميل في هذا النص القوة الطبيعية الداعية الساعية الى استعادة الموضع والوضع الطبيعيين للجسم ، وهي القوة التي نعرفها اليوم بقوة الجاذبية الأرضية .

وبمضي الشيخ الرئيس فيقول في طبيعيات كتابه « الشفاء » (30) :

(26) النمط الثاني — الفصل السابع .

(27) الكتاب الموسوم بشرحي الاشارات لنصير الدين الطوسي وللإمام فخر الدين الرازي : النمط الثاني — الفصل السابع .

(28) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل السادس والعشرون ، الورقة 104 .

(29) النمط الثاني — الفصل الحادي عشر .

(30) المقالة الرابعة — الفصل الرابع عشر .

« أن الأجسام الموجودة ذوات الميل كالثقلية والخفيفة ، أما الثقلية فتميل الى أسفل ، وأما الخفيفة فتميل الى فوق ، فانها كلما ازدادت ميلا كان قبولها للتحريك القسري أبداً ، فان نقل الحجر العظيم الشديد الثقل أو جره ليس كنقل الحجر الصغير القليل الثقل أو جره » .

« كل ماله مكان فلا بد وأن يكون له مكان طبيعي ومكان غريب : ويكون له — لا محالة — ميل الى المكان الملائم ، وميل عن المكان الغريب ، والميل هو الثقل والخفة » .

ويؤكد الفخر الرازي ازدياد القوة الطبيعية مع عظم الجسم ، فيقول (36) :

« الأجسام كلها كانت أعظم ، كان ميلها الى أحيائها الطبيعية أقوى ؛ وكلما كان كذلك ، كان قبولها للميل القسري أضعف ، لما بينا أن الميل الطبيعي عائق عن القسري .

والشيء كلما كان العائق عنه أقوى ، كان وجوده أضعف » .

ب — الميل القسري :

استعمل العرب لفظ الميل القسري بمعنى القوة الخارجة عن الجسم التي تدفع به للتحرك ، أي بمعنى القوة المؤدية الى الحركة القسرية .

يقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» في معرض تأييده للرأي القائل بوجود سكوت بين الحركتين المتضادتين (37) : «... ونصر الرأي القائل بالسكون بين الحركتين المتضادتين بحجته هذه ، وقال أن كل حركة بالحقيقة فهي تصدر عن ميل يحققه اندفاع الشيء القائم أمام المتحرك أو احتياجه الى قوة تمنعه بها ، وهذا الميل في نفسه معنى من الأمور به توصل الى حسدود الحركات ، وذلك بابتعاد من شيء يلزمه مدافعة لما في وجه الحركة ، وتقريب من شيء ، ومحال أن يكون الواصل الى حد ما واصلاً بلا علة موجودة موصلة ، ومحال أن تكون هذه العلة غير التي زالت عمن المستفسر الأول ، وهذه العلة يكون لها قياس الى ما يزيل ويدافع ، وبذلك القياس يسمى ميلاً ، فان هذا

فالميل هنا بمعنى قوة الجاذبية ، ونحن نعلم أن الجسم كلما زاد وزنه كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذي عليه يرتكز ، إذ أن قوة الاحتكاك تتناسب تناسباً طردياً مباشراً مع وزن الجسم ، وبالتالي فكلما زاد وزن الجسم كلما ازدادت مقاومته للتحريك . بمعنى أن القوة اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم ، هذا هو المعنى الذي ورد في كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلاً تحريك الحجر شديد الثقل وقليله .

ويقول ابن سينا أيضاً في معرض حديثه عن الميل الطبيعي والقسري في كتابه «الإشارات والتنبيهات» (31) .

« وكلما كان الميل الطبيعي أقوى ، كان إمنع لجسمه عن قبول الميل القسري ، وكانت الحركة بالميل القسري أفتراً وأبطأ » .

ويشير الإمام فخر الدين الرازي (32) في كتابه «المباحث المشرقية في علم الآلهيات والطبيعيات» (33) الى الميل المسبب للحركة الطبيعية فيقول :

«... فان الثقل قوة محركة الى أسفل ، وهي اما الطبيعة وهي صورة جوهرية ، أو الميل الذي هو السبب القريب (34) للحركة ، وهو من مقولة الكيف » .

ويعرض الإمام الرازي في موضع آخر من كتابه يقول (35) :

(31) النمط الثاني — الفصل السابع .

(32) عاش في الفترة من عام 1150 م حتى عام 1210/9 م (544 هـ — 606 هـ) .

(33) الكتاب الثاني — الفن الأول — الفصل السادس (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، صفحة 187) .

(34) يقصد السبب المباشر .

(35) الصفحة 219 من طبعة الهند .

(36) شرح الإمام الرازي لكتاب ابن سينا «الإشارات والتنبيهات» : النمط الثاني — الفصل العشرون .

(37) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 المجلد الثاني — الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 89 ، 90 .

الشيء من حيث هو موصل لا يسمى ميلا وان كان الموضوع واحدا .

وهذا الشيء الذي يسمى ميلا قد يكون موجودا في آن واحد ، وانما الحركة هي التي عسى أن تحتاج في وجودها الى اتصال زمان ، والهيل ما لم يقترن ولم يجمع أو لم يفسد ، فان الحركة التي تجب عنه تكون موجودة ، واذا غلب الميل لم يكن غساده هو نفس وجود ميل آخر ، بل ذلك معنى آخر ربما يقاربه .

فاذا حدثت حركتان فعن ميلين ، واذا وجد ميل آخر الى جهة أخرى ، فليس يكون هو هذا الموصل نفسه ، فيكون هو بعينه علة للتحصيل وللنفارقة معا ، بل يحدث لا محالة ميل آخر له اول حدوث ، وهو في ذلك الاول موجود ، اذ ليس وجوده متعلقا بزمان : ليس كالحركة والسكون اللذين ليس لهما اول حدوث ، اذ لا يوجدان على وجه ما الا في زمان والا بعد زمان ... » .

ج - اجتماع الميلين الطبيعي والقسري :

يتناول هبة الله بن مالكا البغدادي دراسة حركة الحجر المرمي الى فوق ، فيعرض لما جاء فيها من اقوال شارحا ومفندا للحجج المختلفة ، الى ان يصل الى حقيقة أن الجسم المقسور على التحرك الى اعلى سيواجه قوة مقاومة لحركته ، سماها ميلا متاوما ، وما هذه القوة المقاومة سوى قوة الجاذبية الأرضية او « الميل الطبيعي » .

يقول ابن ملكا في هذا المعنى في كتابه « المعتبر في الحكمة » (38) :

« ... لو لم يكن فيه ميل مقاوم لما اختلف حال الحجرين المرمين من يد واحدة بقوة واحدة في السرعة والبطء اذا اختلفا في الصغر والعظم ، حتى كان اعظمهما ابدا صغودا واقرب مسافة ، واصغرها اسرع وابعد مسافة اذا لم يفرط صغره ، وما ذاك الا لان الميل المقاوم في الكبير اكثر وان كان مغلوبا ، واثباته المعاوتية للقوة الطبيعية التي عنها يحدث الميل

لو جعله للميل ايضا ، فقال انه مغلوب الميل لزال الاشكال الأبدي » .

ويمضي ابن ملكا في موضع ثان من نفس المصدر يقول :

« فكذاك الحجر المقذوف ، فيه ميل مقاوم للميل القاذف : الا لانه مقهور بقوة القاذف ، ولان القوة القاسرة عرضية فيه ، فهي تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعي ولمقاومة المخروق ، ولذلك كلما كان المخروق اكثف واعسر خرقا ، كان بطلان ذلك الميل القسري اسرع ...

فيكون الميل القاسر في اوله على غاية القهر للميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبطئ الحركة ضعفا بعد ضعف ، ويطأ بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيغلب الميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبطئ الحركة ضعفا بعد ضعف ، ويطأ بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيغلب الميل الطبيعي ، فيحرك الى جهته ، ويقوى عليه مستمرا حتى يبطله ، فيسرع بذلك حركته لبطلان المقاوم » .

ويشرح نصير الدين الطوسي (39) اجتماع الميلين الطبيعي والقسري (اي القوتين الطبيعية والقسرية) ، فيقول في معرض شرحه لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » (40) :

فاذا طرا على جسم ذي ميل بالفعل ، ميل قسري ، تقاوم السببان ، أعني القاسر والطبيعة ، فان غلب القاسر وصارت الطبيعة مقهورة ، حدث ميل قسري ، وبطل الطبيعي ، ثم تأخذ الموانع الخارجية والطبيعية معا في افنائها قليلا قليلا ، وتقوى الطبيعة بحسب ذلك ، ويأخذ الميل القسري في الانتفاض ، وقوة الطبيعة في الازدياد ، الى ان تقاوم الطبيعة الباقي من الميل القسري ، فيبقى الجسم عديم الميل ، ثم تجدد الطبيعة ميلها مشوبا بآثار الضعف الباقية فيها ، ويشدد الميل بزوال الضعف ، فيكون الأمر بين قوة الطبيعة والميل القسري ، قريبا من الإمتزاج الحادث بين الكيفيات المتضادة ... »

(38) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 94 ، 95 .

(39) « عاش في الفترة من عام 1201 م حتى عام 1274 م (597 هـ - 672 هـ) .

(40) النمط الثاني - الفصل السابع .

ويمضي الطوسي في موضع آخر من شرحه يقول :

« ... لولا اجتماع الميلين ، لكان الحجـران المتساويان اللذان يرميهما قوي وضعيف متساويين في الصعود ... »

تبين هذه النصوص بوضوح تام أن كلمة الميل قد وردت فيها بمعنى القوة ، فالمقصود إذن بالميل الطبيعي فيها القوة الذاتية المعروفة بقوة التثاقل ، وبالميل القسري فيها القوة المسلطة على الجسم من خارجه ، وللتي أن أثرت في اتجاه معاكس لاتجاه قوة التثاقل لقاومتها هذه القوة الأخيرة فضلا عن معاومات الوسط الذي يتحرك الجسم خلاله .

3 — الميل بمعنى المدافعة :

أ — المدافعة عن حالة السكون :

هنا استعمل العرب لفظ « الميل » كذا « مبدأ ميل » للتعبير عن رغبة الجسم وتمسكه والحاحه على البقاء على حالته الطبيعية ، أي مدافعة الجسم عن استمراره على حالته من السكون في موضعه الطبيعي ، ويتقضي ذلك تواجد مقاومة ذاتية للجسم ضد أي تغيير خارجي عليه من حيث الموضع والشكل ليبقى ساكنا في مكانه الطبيعي . وهذا هو بعينه المعنى الأول الذي يقوم عليه القانون الأول للحركة .

يقول ابن سينا في طبيعات كتابه « الشفاء » (41)

« وكل جسم ينتقل بالقسر ففيه مبدأ ميل ما ، أما الانتقال المكاني فقد بيناه ، وأما الانتقال القسري الوضعي فلأن ذلك الجسم ان كان قابلا للنقل عن مكانه فقد ظهر ، وان كان غير قابل له ، فله — لا محالة — قوة بها يثبت في مكانه ويلزمه ، ويختص به ، وهو غير جسيته » .

ويقول في موضع ثان من نفس المقالة :

« ان كل جسم فيه مبدأ ميل ما ، فان نقله عما هو عليه من أين وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال ،

بل يجب أن يكون كل جسم يقبل تحريكا وامالة طارئة ، ففيه مبدأ ميل طبيعي في نفس ما يقبله كان اينسا او وضعا » .

ب) المدافعة عن حالة الحركة :

استخدم العرب لفظ الميل بمعنى ميل الجسم ورغبته والحاحه في ن تستمر حركته ، والميل هنا بمعنى الخاصية الذاتية المدافعة عن الاستمرار في الحركة المنتظمة ، وهذا هو لمعنى الثاني الذي يشتمل عليه القانون الأول للحركة .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتحذيرات » (42) :

« الجسم له في حال تحركه ميل يتحرك به ، ويحس به الممانع ، ولن يتمكن من المنع الا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، فيبطل المنبعث من طباعه الى ان يزول فيعود انبعاثه » .

ويمضي ابن سينا في موضع آخر من كتابه (43) يقول :

« الجسم الذي لا ميل فيه ، لا بالقوة ولا بالفعل لا يقبل ميلا قسريا يتحرك به ، وبالجمله لا يتحرك قسرا ، والا فليتحرك قسرا في زمان ما ، مسافة ما ، وليتحرك مثلا في تلك المسافة جسم آخر فيه ميل مسا وممانعة ، فبين انه يتحركها في زمان اطول .

وليكن ميل اضعف من ذلك الميل يقتضي في مثل ذلك الزمان ، عن ذلك التحرك ، مسافة نسبتها الى المسافة الاولى نسبة زمان ذي الميل الاول ، وعديم الميل ، فيكون في مثل زمان عديم الميل يتحرك بالقسر مثل مسافته ، فتكون حركتا مقسورين ذي ممانع فيه ، وغير ذي ممانع فيه ، متساويتي الاحوال في السرعة والبطء ، وهو محال » .

ويذكر ابن سينا فيقول في موضع ثالث (44) :

(41) المقالة الرابعة .

(42) النمط الثاني — الفصل السابع .

(43) نفس المرجع السابق — الفصل الثامن .

(44) نفس المرجع السابق — الفصل التاسع .

4 — الميل والاعتماد بمعنى كمية الحركة :

ورد استعمال لفظي « الميل » و « الاعتماد » في كتابات العالم العربي الحسن بن الهيثم في كتابه « المناظر » بمعنى كمية الحركة ، وقد سماها ابن الهيثم « قوة الحركة » ، كما سيجيء الحديث عنه ، أما الفيلسوف العربي أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي فقد استعمل كلمة « الميل » و « قوة الميل » في معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله في كتابه « المعبر في الحكمة » (49) .

« فالميل الطبيعي مبدأ له غير مفارق ، ولا يزال يوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي ، وكلما حركت القوة في المسافة الغربية عن الطبع ، أحدثت ميلا بعد ميل ، فتنزايد بذلك قوة الميل مهما استمرت الحركة »

يبين من هذا النص أن الفيلسوف العربي ابن ملكا قد وقف على حقيقة أن الأجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كتلك التي تسقط سقوطا حرا تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (أي تحت تأثير الميل الطبيعي) ، تزيد سرعتها وبالتالي كمية حركتها كلما أمعنّت في السقوط ، وقد عبر ابن ملكا عن كمية الحركة في هذا النص بالميل بعد الميل وبقوة الميل .

ويمضي ابن ملكا في موضع آخر من نفس المصدر يقول :

« ... فإن قيل أن اشتداد الميل الطبيعي في آخره ليس لانسلاخ القاسر بل لأمر يخصه في نفسه ، ويستدل على ذلك بالحجر المرمي من عال من غير أن يكون عابدا عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه ميل قسري ، فإنك ترى أن ميلا غاية كلما كان أبعد كان آخر حركته أسرع ، وقوة ميله أشد ، وبذلك يشج ويسحق ، ولا يكون ذلك له إذا بقي عن مسافة أقصر ، بل يبين التفاوت في ذلك بقدر طول المسافة التي يسلكها »

« يجب أن نتذكر هنا أنه ليس زمان لا ينقسم ، حتى يجوز أن تقع فيه حركة ما لا ميل له ، ولا تكون له نسبة إلى زمان حركة ذي ميل » .

ويعرف الشيخ الرئيس الاعتماد والميل في « الرسالة الرابعة في الحدود » (45) فيقول :

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مدفعا لما يمانعه عن لحركة إلى جهة ما » .

هذا وقد انفرد الإمام الغزالي قسما مستقلا من كتابه « معيار العلم » لبيان الالفاظ المستعملة في الطبيعيات (46) ، نورد منها تعريفه للاعتماد والميل فيما يلي ، ويكاد يكون نفس النص الذي ساقه ابن سينا في رسالته الرابعة .

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مدافعا لما يمنعه عن الحركة إلى جهته »

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الأمر وضوحا ، فيشرح طبيعة مدافعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول في معرض حديثه عن الآراء المطروحة في سبب حركة الجسم المقذوف (المتحرك) بعد أن يفارقه القاذف (أي المحرك) ، بعد استعراضه لجملة الآراء (47) :

« ولكننا إذا حققنا القول ، وجدنا أصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلا من المحرك ، والميل هو ما يحس بالحس إذا ما حول أن يسكن الطبيعي بالقسر ، أو القسري بالقسر » .

من الواضح هنا استعمال كلمة الميل في معنى المدافعة ، واختصاص الجسم بكيفية أو صفة ذاتية بها يدافع الجسم عن استمراره في الحركة ، وهي الصفة التي نطلق عليها اليوم تسمية « القصور الذاتي » أو « العطالة » (48) ، وهذه إحدى المعاني الواردة في القانون الأول للحركة .

45 « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام 1908 م (1326 هـ) .

46 كتاب « معيار العلم » كتاب الحدود — الفن الثاني — القسم الثالث — طبعة دار المعارف بالقاهرة الصفحات 296 حتى 304 .

47 طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة — الفصل الرابعة عشر .

48

49 مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 95 ، 96 .

وهو ما نعره اليوم بكمية الحركة ، وقد عبر عنها ابن الهيثم بـ « قوة الحركة » وبـ « اعتماد المتحرك » ، فكتب الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (52) يقول :

« والمتحرك اذا لقي في حركته مانعا يمانعه ، وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه المانع ، فإنه يرجع من (حيث) كان في الجهة التي منها تحرك ، وتكون قوة حركته في الرجوع بحسب قوة الحركة التي كان تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة الممانعة » .

ومضى في الورقة التالية يقول :

« ... لأن الحركة المكتبة إنما تكون بحسب مقدار المسافة (و) بحسب مقدار الثقل » .

يتضح من هذين النصين وقوف الحسن بن الهيثم على معنى كمية الحركة معبرا عنه بقوة الحركة ، وسبقه اليه ، وبالتالي فإنه من المحتمل أن يكون علماء العرب وفلاسفتهم من أمثال أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي والخواجه نصير الدين الطوسي قد وقفوا على هذا المعنى الكمي الذي ورد محسدا في كتابات الحسن بن الهيثم في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، والذي حقق به سبقا واضحا على علماء الغرب بعدة مئات من السنين .

خلاصة

يخلص البحث الى أن العرب قد وقفوا على معان وأصول فكرية عديدة في مجال علم الحركة ، استعملوا في التعبير عنها اللفاظ خاصة تناولناها في هذه الدراسة بما هي أهل له من الشرح والتفصيل ، وأوردنا نماذج من الكتابات العربية قصدنا بها التدليل على المغاني المتبينة التي عبرت عنها هذه الالفاظ ، ويعتبر هذا البحث دراسة أساسية لا غنى عنها للباحثين عن فضل العرب في علم الميكانيكا ، وهو فضل قد ثبت لنا أنه جد عظيم .

يؤكد أبو البركات هنا زيادة « قوة الميل » (اي كمية الحركة) بازدياد المسافة المقطوعة ، وبازدياد قوة ميل الحجر المرمي يشتد تأثيره حيث يشحج ويسحق على حد قوله ، ومن الواضح أن مفهوم أبي البركات سليم تماما ، إذ أن سرعة حركة الجسم الساقط حرا تزيد بحسب المسافة التي يتحركها ، وبالتالي فإن كمية حركته — وقد عبر عنها الفيلسوف العربي هنا بقوة الميل — تشتد ويشتد معها تأثيرها كما جاء بجلاء في معنى كمية الحركة .

يقول نصير الدين الطوسي في معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول في طبيعيات كتساب « الإشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكيم ميلا »

اذن فاستعمال كلمة الاعتماد كان مرادفا لاستعمال كلمة الميل .

وفي استعمال كلمة الميل بمعنى كمية الحركة يقول الطوسي (50) :

« أقول : الميل الطبيعي يزداد بازدياد الجسم الى مكانه الطبيعي قريبا » .

اي أن الجسم الساقط حرا تزداد كمية حركته كلما اقترب من سطح الأرض أو من جسم ثابت عليها ، وهذا قول صحيح تماما لأن كمية الحركة — وهي حاصل ضرب الكتلة في السرعة — تزيد بازدياد السرعة ، وهذه الأخيرة تزيد بدورها كلما أمعن الجسم في حركته الطبيعية تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

4 — تعبيراً « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك »

فطن الحسن بن الهيثم (51) الى معنى كمي في الجسم المتحرك يتوقف على سرعته (معبرا عنهما بمسافة السقوط) ، وعلى ثقله (ويتناسب مع كتلته)

(50) شرح نصير الدين الطوسي لكتاب ابن سينا « الإشارات والتنبيهات » : النمط الثاني ، الفصل التاسع عشر .

(51) عاش في الفترة من عام 966/65 م حتى عام 1039 م (354 هـ — 430 هـ) .

(52) مخطوط مكتبة الفتح باستانبول رقم 3215 ، الورقة 70 .

مصادر البحث *

- (1) « رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا »
عني بتصحيحه خير الدين الزركلي
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة — عام 1928 .
- (2) « معيار العلم » للإمام محمد أبي حامد الفزالي
تحقيق الدكتور سليمان دنيا
دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية — عام 1969 ، 400 صفحة .
- (3) « المعتبر في الحكمة » لهبة الله بن ملكا البغدادي
مخطوط مكتبة احمد الثالث (طوب قابي سراي باستانبول) رقم 3222 —
225 ورقة .
- (4) « الشفاء — الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
تحقيق الدكتور محمود قاسم . مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مذكور ، دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام 1389 هـ = 1969 م
- (5) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
مطبعة هندية بالموسكي بمصر عام 1326 هـ = 1908 م ، 180 صفحة .
- (6) « الاشارات والتنبيهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الديسن
الطوسي
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر — القسم الثاني — الطبعة الثانية ، 468 صفحة .
- (8) « المباحث المشرقية في علم الالهيات والطبيعيات »
للإمام فخر الدين الرازي
الجزء الاول عام 1343 هـ = 1924 م ، 706 صفحة .
الجزء الثاني عام 1343 هـ = 1924 م ، 548 صفحة .
دائرة المعارف العثمانية — حيدر آباد الدكن بالهند .
- (8) « النجاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .
طبع بمطبعة السعادة بمصر على نفقة محي الدين صبري الكردي ، عام 1331 هـ
ثم عام 1357 هـ = 1938 م .
- (9) « الكتاب الموسوم بشرحي الاشارات » .
للخواجة نصير الدين الطوسي ، وللإمام فخر الدين الرازي .
المطبعة الخيرية بالقاهرة — الطبعة الاولى — عام 1325 هـ .
الجزء الاول 243 صفحة ، الجزء الثاني 146 صفحة .
- (10) « المناظر » للحسن بن الهيثم .
المقالتان الرابعة والخامة — مخطوط مكتبة الفتاح باستانبول رقم 3215 ،
322 ورقة .

* مرتبة حسب ورودها في متن البحث .

البحث النفسي في دراسة العقاد النقدية

للدكتور أحمد محمد الحوفي
رئيس قسم الدراسات
الادبية بكلية المعلمين - جامعة القاهرة -

وقد لخص العقاد المذاهب النقدية في ثلاث :
مدرسة التحليل النفسي ، ومدرسة الدراسة
الاجتماعية ، ومدرسة الأذواق الفنية .

وقال ان مدرسة التحليل النفسي هي اقرب
المدارس الى الرأي الذي ندين به في نقد الادب ونقد
التراجم ونقد الدعوات الفكرية جمعاء ، لأن العلم بنفس
الأديب أو البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه
النفس من أحوال عصره ، وأطوار الثقافة والفن فيه ،
وليس من عرفنا بنفس الأديب في حاجة الى تعريفنا
بعصره وراء هذا الغرض المطلوب ، ولا هو في حاجة
الى تعريفنا بالبواعث الفنية التي تميل به من أسلوب
الى أسلوب .

وللنقد مدرسة أخرى محترمة كثيرة الانصار في
العصر الحديث على الخصوص ، بعد استفاضة البحوث
حول الدعوات الاجتماعية ، وعلاقة الأديب بمطالب
عصره . وموضع الملاحظة على هذه المدرسة ان الذي
يعرفنا بأحوال المجتمع فحسب لا يستطيع ان يعرفنا
بأسباب الفوارق الكثيرة التي تشاهد بين عشرات
الأدباء من أبناء العصر الواحد ، ولا غنى له عن الرجوع
الى « النفسيات » مع التعويل على « الاجتماعيات » في
مسائل الادب والتاريخ .

اتجه العقاد في اعماله الادبية كلها الى استكناه
النفوس ، وتحليل نوازعها ، ورد ما يصدر عنها الى
بواعث قد تخفيها أستار من الأحداث والملابسات
وأحكام الناس ، فنراه في العبقريات يدرس الشخصية
ومعاملها ، ويتلمس مفتاحها . ونراه في شعره وفي
نقده محللا ومعللا ومتقبا عن الدخائل : كأنما يفحص
بالمجهر عن شيء في سائل .

يقول في دراسته لجميل بثينة : « وقد عنانا في
هذا الكتاب ان نوفق بين البواعث النفسية والعوامل
الطبيعية في سيرة جميل وبثينة ، وأن نفهم الادب على
مصباح من علم النفس ، ومن حقائق الطبيعة ، فلا
نرجع به الى لفظ تلوكة الأفواه ، بل نرجع به الى
وشائج تمتزج بالابدان والأذهان (1) » .

ويقول صديقه الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي :
« وقعت في أيدينا في تلك الأيام قصة الأكاذيب للكاتب
الفرنسي بول بورجيه ، وهو من رواد القصة النفسية ،
فقرأها العقاد ، وقرأها أكثر من مرة ، وكنا نعجب
لأحداثها التي تنطبق على ما نحن فيه ، وتحدث عنها
فيما بيننا » .

وللعقاد اعجاب كبير بهذا الكاتب ، فمذهبه
القائم على التحليل النفسي هو مذهب العقاد الذي
يتجراه في القصة وفي الشعر (2) .

(1) جميل بثينة 8 .

(2) في صحبة العقاد للجبلاوي 167 .

وهذا رأي قائل ، لان العشق حباله لبقاء النوع ،
قد يذهب العاشقان ضحية لها ، وقد يطفى فيه الجراح
والسورة والغضب على الرقة ولرضا واللين والانقياد .

— 2 —

اما العقاد فيرى (4) ان أجود الغزل ما عبر عن
عاطفة المتنزل تعبيراً صادقا ، سواء أوصف المحبوبة
بالحسن العائق أم بالحسن المعتاد ، وسواء أكان رقيقا
أم غير رقيق . فمجنون ليلى يقول :

كان فؤادي في مخالب طائر —
إذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

كان فجاء الأرض حلقة خاتم —
علي فما تزداد طولاً ولا عرضاً

ويلق العقاد على البيتين بقوله : ان قلب السامع
لينقبض ، وان صدره ليخرج لهذا الوصف ، ومع هذا
فأي شعر ابرع من هذا الشعر ؟ وأي شاعر أطبع
واعشق من المجنون ؟ .

فوالله ما في القرب لي منك راحة
ولا البعد يسليني ولا أنا صابر

ووالله ما أدري بأية حيلة
وأي مرام أو حظار أخاطر

وليس العشق الصادق حين يشب أواره بالعاطفة
التي يود صاحبها دوامها ، ويستريح الى مناجاتها ،
وتما هو غمة يود المبتلي بها لو تنقضي لساعتها ،
ويقوم في نفسه عراك لا تهدأ ثأثرته ، ولا يهنأ بالقلبة
فيه ، لانه هو الفالب وهو المغلوب ، وكأنما ينزع نفسه
من نفسه ، فيضيق ذرعا ، كما قال المجنون
وهذا شبيه بقول كاتولس

الشاعر الروماني : أيتها الآلهة ان كان لك رحمة
بالقلوب الصديقة المشقة فبحق براءتي عليك الا ما
نظرت الى عذابي ، ورثيت لما بي ، ومسحت عني هذا
الوباء الماحق والبلاء اللاحق ، وهذه اللوعة التي
تسربت رعدتها في عروقي فشفت الهناء عن قلبي .

اما المدرسة الفنية فهي مدرسة البلاغة والذوق ،
ومدرسة المعاني الرائعة والتعبير الجميل ، وهي
تلجنا لا محالة الى ذوق الأذيب وذوق الناقد على
السواء ، ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى
النفسيات ، ووصلنا قبلها الى الاجتماعيات على
لاجمال (3) .

وليس من غرض المفاضلة بين هذه المدارس ،
او مناقشة العقاد فيما ذهب اليه ، بل ساكتفي بعرض
اربعة نماذج من دراسات العقاد النفسية في ميدان
الآدب وحده ، واعقب على كل منها بما أراه :

النموذج الأول أجود الغزل

— 1 —

للقدماء رأيان مختلفان في أحسن الغزل وأجوده ،
فمنهم من يؤثر الغزل الذي يضيف على المحبوب هالة
من الجمال ، فلا يلحق بها عيب ولا نقص ، حتى
ليصور محبوبه مثلاً أعلى في الملاحظة والحسن والاغراء .

وهؤلاء يخلطون بين العشق والاستحسان ، وهما
في حقيقتهما مختلفان ، لأن الاستحسان قد يكون من
عاشق وقد يكون من غير عاشق ، ولأن العشق ليس
معناه ان المرأة المعشوقة أجمل في نظر عاشقها من
كل امرأة ، فلا غرابة في ان يحبها وهو عارف بعيوبها ،
وعالم بمحاسن غيرها ، ولكنه لا يحبها .

ثم ان الحب قائم على الاضطرار لأعلى الاختيار ،
فاذا رأى المحب سيئات من محبوبه ، وبقي على حبه ،
كان هذا ادل على قوة الحسب من استمراره مع
الاستحسان والاختيار .

ومعنى هذا ان المدرسة التي تجعل الاطراء
والاستحسان مقياس الجودة في الغزل تجهل بواعث
الغزل الجيد وتبعد عن حقيقته .

ومنهم من يتخذ رقة الغزل والمبالغة فيها مقياساً
لجودة الغزل ، فالمحب الذي يبكي أغزل ممن لا يبكي ،
والذي يبكي كثيراً أغزل ممن يبكي قليلاً ، والذي يتذلل
ويتضرع أغزل من الذي يثور ويتبرم ، والذي يبسط
خده موطئاً لقدم محبوبته أغزل ممن يترفع .

(3) مجلة قافلة الزيت مارس 1964 .

(4) شاعر الغزل العقاد .

ثم يوازن العقاد بين قول جنادة العذري :

من حبها أتمنى أن يلاقيني
من نحو بلدتها ناع فينماها
كما أقول فراق لا لقاء له
وتضمر النفس ياساً ثم تسلاها
ولو تموت لراعتني وقلست ألا
يا بؤس للموت ليت الموت إبقاها

وقول المجنون :

فيا رب اذ صيرت ليلي هي المنى
فزنى بعينها كما رتها ليا
والا فبفضها الى واهله
فاني بليلى قد لقيت الدواهي

وبين قول كاتيلوس : اني لأكره وأحب ، تسألني
كيف ذلك ؟ من يدري ؟ ولكني أحس بحقيقة هذا الامر
وشدة برحائه .

ويخلص من الموازنة الى أن نعمت الحب بأنه داهية
ليس فيه شيء من الرقة والدمائة ، ولكنه وصف اتفق
عليه شاعران ليس بينهما جامعة من ذوق لغة ، أو
وحدة زمن ، لأنهما اجتماعاً على عاطفة انسانية صادقة ،
شاركهما فيها كل الشعراء الذين جربوا العشق .

وكذلك لا يشترط في الغزل الجيد استحسان
شمال المحبوب والمبالغة في اطرائها ، ولا التذلل
والشكوى والضراعة .

واذا فالغزل الجيد هو التعبير الصادق عن الحب
وعن نفسية المحب ، وهو بهذه المثابة كالبحر اللجي
الذي تتيه فيه العقول ، ويتسع للناقض ، ويعج
بضروب من المفاجآت ليس لها انتهاء .

ولهذا كان من الخطأ أن يحصره النقاد في قالب
واحد وهيئة واحدة أو لون لا يتبدل .

— 3 —

وبهذا خالف العقاد أصحاب الاستحسان
وأصحاب الرقة في تقدّم قول جميل :
رمى الله في عيني بثينة بالقذى
وفي الغر من أنيابها بالقوادح

لأنهم عابوه إذ سأل الله تشوبه عيني حببته
ونفرها ، وهما أجمل ما يتمنى له الجمال في وجه
محبوبته ، فتجافى عن الرقة كلها من دعا عليها ذلك
الدعاء الغليظ يلعب به العدو على الد أعدائه .

وذهب العقاد الى أن هذا البيت أدل على عشق
جميل من عشر قصائد غزلية تفيض بالرقة والثناء
والاستحسان ، لأنه دليل على حب برح به ، وحر في
الخلاص منه ، وغلب على مشيئته فيه ، وظن أن البلاء
كله من جمال تلك الثنايا وتينك العينين ، فلم تبق له
من حيلة الا أن يسأل اتلاف هذا الجمال ، عسى أن
يطبق بعد ذهابه سلوه والراحة من بلواه .

فالببيت دليل على أعمق الحب وأصدق الغزل ،
ولك أن تقول انه غزل صادق من رجل سييء ، أو انه
غزل صادق من رجل طيب في سورة اليأس والحيرة ،
أما أن يكون مبطلا في عشقه وغزله لأنه تمنى تلك
الأمية ، فذلك غفلة عن العاطفة التي أمنت به ، ولغو لا
صدق فيه .

ولك أن تقول انها أمية رجل تغلب عليه الانانية .
ويتلمس الراحة بما استطاع من وسيلة ، ولو كان فيها
بلاء لمن يهواه ، الا أنك لا تنسى أنه تمنى تلك الأمية ،
لأنه أحب وضاق ذرعاً بحبه ، وبلغ أقصى ما يبلغه
العاشق من التعلق بالمعشوق والعجز عن الفكك من
أوهاق ، فهي ان شئت انانية ذميمة لا ترضى عنها
الأخلاق الكريمة ، ولكنه حب قوي ، وتعبير صادق عنه .

— 4 —

ثم تعمق العقاد فيما لم يتعمق فيه سواء ، إذ
أورد قول كثير عزة .

الا ليتنا يا عز من غير ربيسة
بغيران نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عمر فمن يرنا يقل
على حسننا جرباء تمدى وأجرب
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله
علينا فما ننك نرعى ونضرب

وودت وبيت الله أنك بكسرة
هجان واني مصعب ثم نهـرب
تكون بعيري ذي غنى فيضيعنسا
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ولم يعلق النقاد على الأبيات بأكثر من قولهم انها
أمية سخيفة ، إذ تمنى كثير لنفسه وللمحبوبته الرق
والجرب والرمى والطرء والمسخ ، فلم يبق مكروه لم
يتمنه لها ولنفسه ، فصار جديراً بقول القائل : معداة
الماقل خير من مودة الاحمق .

وعقب العقاد على هذا بأنهم صادقون ، لأنه ما من أمنية أدعى إلى الضحك والسخرية من هذه الأمنية .

ثم تغفل إلى نفسية كثير ، ليكشف عن بواطن هذه الأمنية الحمقاء ، فردا إلى قماءته ودماثة منظره ، وحقائقه ، وضعف حيلته ، وإلى غيرته على عزة التي كان يخشى أن يقلبه عليها كل المزاحمين ، لأنهم أجمل منه منظرا . واقدروا على الإغراء والاستهواء ، وقد فكر كثير في الوسيلة التي يأمن بها على صاحبته فلم يجد غير ابتلائها بالبلاء الذي يزهد الناس فيها ، فتصير له وحده . لأنه لا يستطيع أن يتحرر من حبها ، ولأنه عاجز عن حمايتها ، وهو لا يملك من الوسائل ما يملكه غيره من المنافسين .

على أنه ليس يستبعد أن كثيرا رأى البعيرين الموصوفين رؤية العيان ، لأن هذا منظر ينذر أن يشاعده ابن البادية مرات ، فخيّل إليه أنهما سعيدان حيث يسرحان ولا يطلبهما راع ولا مالك ، فتمنى السعادة على هذا المنوال .

وإذا كان سخيّا في أمنيته - ولا شك في ذلك - فهو محب صادق في التعبير عن حبه ، فلا علاقة بين سخره وأمنيته واتهام عاطفته ، لأنه أحب فنفسه الحب ، وحرمه الراحة من طريق غير هذا الطريق .

— 5 —

ومن هذا يتبين أن العقاد أرجع جودة الغزل إلى ينبوع الغزل نفسه وهو الحب ، وإلى صدق التعبير عن الحب ، فإذا كان الشاعر محبا وعبر عن حبه في صدق فغزله جيد ، وإذا كان غير محب أو كان محبا لم يستطيع التعبير عن حبه فغزله رديء .

لكن هذا المقياس - على أنه قيم - ليس دقيقا الدقة كلها ، لأنه يعوزه شيء آخر هو جودة التعبير عن العاطفة الصادقة ، وبراعة تصوير العاشق لما يجيش بنفسه .

وذلك أن التعبير قد يتصف بالصدق ولكنه لا يتصف بالبراعة ، إذ إن المحب قد تجيش نفسه بعواطف صادقة ، ويحاول تصويرها بفنّه القولي فلا يستطيع ، فيتمهل حتى تهدأ نفسه ، ثم يسترجع ما مضى ليعبر عنه تعبيرا ليس صادقا فحسب ، بل

(7) أبو نواس الحسن بن هانيء .

يجمع الصدق والروعة معا ، فيفلح مرة ويفشل مرة ، ويجيء في شعره الجهد ويجيء فيه غير الجيد .

لهذا كان هسكلي محقا في قوله : « يجب أن نتذكر أن قيسا ولبلى وأنطوني وكيلو باترة موجودون بيننا بكثرة لا تخطر على بالنا ، وذلك أنه يصعب على عابر الطريق أن يقرأ على وجوه الناس مدى عمق عواطفهم ، وكل وسائله في هذا أن يحس ويستنتج من تصرفهم وكلامهم ، لأن الغاظم في الأكثر والأعم لا تسترعي الانتباه ، إذ أن التعبير الرائع هبة لم يمنحها الخالق إلا فئة نادرة من الناس ، فليس ضعف التعبير دليلا على ضعف الشعور ، بل من المؤكد أن عدد المعبرين في جمال فني أقل بكثير جدا من عدد المحبين » .

ولو أن الصدق الشعوري والصدق التعبيري هما وحدهما المقياس الذي نقيس به الجودة لكانت قصائد الشاعر المحب على درجة واحدة ، فلا نستطيع ترجيح قصيدة على قصيدة ، ولكن الواقع غير ذلك ، لأننا حينما نقرأ شعر عروة بن حزام أو قيس أو جميل أو العباس بن الأحنف مثلا نفضل قصيدة على أخرى ، ذلك أننا لم نكتف بصدق الشعور وصدق التعبير ، بل أضفنا إليهما مقياسا آخر يتصل بالافتنان في تخير اللفظ ، وانتقاء العبارة ، وبراعة التصوير ، وحلاوة الجرس . ومعنى هذا أننا أضفنا إلى المذهب النفسي المذهب الفني .

النموذج الثاني

أبو نواس والنرجسية

فصل العقاد البحث في النرجسية من حيث دلالتها ونشأتها وبواطنها ومظاهرها ، معتمدا على آراء الثقات من علماء النفس المحدثين .

ثم حاول تطبيقها على أبي نواس (7) ، فألبسه ثوبا فضفاضا لا ينسجم على قده ، وحكم عليه أحكاما تخرج به عن سمته وحده .

— 1 —

فالنرجسية شذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى من الشذوذ في غرائب الجنس وبواطن الاخلاق ، لأنها

هيام الشخص بجسده او بنفسه الى حد الاستفراق
والعبادة والتدليل والعشق .

ولهما شعاب عدة ، تخير العقاد منها ما يتصل
بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها
شعبتان : أحدهما الاشتواء الذاتي
والأخرى التوثيق الذاتي
ومن أبرز ما يلازمهما ظاهرة التلبس أو التشخيص ،
وظاهرة العرض ، وظاهرة الارتداد .

أما ظاهرة التلبس أو التشخيص فهي عشق
الإنسان ذاته عشقا شهوانيا ، فالشاذ في حب جنسه
أو حب الجنس الآخر يجد طلبته ، ويقضي مأربه ، أما
الذي يشتبه بدنه فليس في وسعه أن يقضي مأربه
منه بفير التحايل على ذلك بالتلبس أو التشخيص ،
ولهذا يلبس شخصيته شخصا آخر يتوهم أنه هو ذاته
أو يحل محل ذاته .

وأما ظاهرة العرض فتشمل الاظهار بجميع
درجاته ، فقد يشاهد المصاب بها وهو يكشف عورته ،
ويعرض أعضائه ، ويتعري من ثيابه ، وإن كان الأكثر
الاعم أن هذا لا يكون الا في حالة الجنون وما يقاربه .

وأما الارتداد فانه يعتري النرجسين من تلبس
ذواتهم بغيرهم ، أو خلع ذواتهم على شخص آخر
يتلمسون المشابهة بينهم وبينه ، فينتحل النرجسي
صفة القوة من قوى يشبهه في القوام والملامح ، ويخالفه
في القوة ، أو يخلع ذاته على امرأة مشتبهة يجد شبا
بينها وبينه .

— 2 —

وقد حاول العقاد أن يطبق هذه الظواهر على أبي
نواس ، وأن يفسر بها جميع أحواله .

1 - فشذوذه الجنسي نرجسية مظهرها التلبس
والتشخيص .

وقد بدا هذا التشخيص في غزله حين اختار
لهواه غلاما الشغ مثله ، وإن كانت لثغة أبي نواس بالراء
ولثغة الغلام بالسين :

وإبابي الشغ لا جحته
فقال في غنج واخناث

لما رأى من خلقي له
كم لقي الناث من الناث

وبدا في اختياره غلاما لا يحسن النطق بالراء
تكسيرا لها :

بكسر الراء وتكسيراها
يدعو مقم الى الحنصف
وبدا في اعجابه بالبحه التي كانت من خواص
صوته ، فقال في وصف غلام :

وبه غنة الصبا تمنليها
بحة الاحتلام للتشريسف

وكذلك ذكر مثال الحسن في الذكور والاناث ،
في قوله :

ولو انها في الحسن كانت كيوسف
وبلقيس أو كانت كخط مشال
وقالت تزوجني على مهر درهم
لقلت اعزبي عني فمهرك غمال

ثم ذكر العقاد أن الجارية جنان كانت أحب
معشوقاته اليه ، وأنها كانت تحب النساء وتميل
اليهن ، وظن أن كلف أبي نواس بها ربما كان من ظواهر
نرجسيته ، لأن لازمة التشخيص تتحقق بها على نحو
لا تتحقق بغيرها .

ورجع أن هيامه بالجارية (حسن) راجع الى تشابه
اسمها واسمه ، حتى أنه تشفع بهذه المشابهة في قوله :

ان لي حرمة فلو رعبت لسي
لا جوار ولا أقول قرابة
غير أني سمى وجهك لسم
أحرمه في اللفظ والهجاء والكتابة

2 - وطبق عليه ظاهرة العرض ، ليبين أنه لم
ينظم شعرا في الخمريات أو الغزل أو المعجون الا تبين
منه أن الجهر بالمحرمات أدنى الى هواه من الاستمتاع
بها .

وذلك أن بعض الناس قد يولع بالإباحية ويجاهر
بالذات ، ويطيّب له الخروج على العرف وعلى المألوف ،
لمهانتهم على أنفسهم وعلى الناس ، فلا يبالون ، لأنهم
نسوا شخصيتهم ، وبعضهم قد يقترب هذا لتعاليمهم
على العرف وعلى الناس ، ولرغبتهم في تقرير
شخصيتهم .

ولم يكن أبو نواس من الفريق الاول ، لأن اختياره
واشعاره تنفي ذلك عنه .

وانما كان من الفريق الثاني المبالغ في تهتكه
ومجاهرته بما يقتدر من آثام .

لهذا يقول :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

ويقول :

اطيب اللذات ما كان -

جهر سارا بافتضاح

وله في هذا المجال شعر كثير .

3 - ثم حاول العقاد أن يطبق عليه ظاهرة
الارتداد ، من وصف لنشاطه ، وكلف بالخليفة الامين ،
وولعه بالجارية حسن .

— 3 —

وليس من شك في أن العقاد كان بارعا في هذه
المحاولة ، إذ استطاع أن يلخص معالم النرجسية ، ثم
حاول أن يطبقها على حياة أبي نواس وشعره .
ولكن هذا لا ينبغي أن في التطبيق الوانا من مظاهر
التمحُّن والاعتساف .

1 - فلا يصح أن تتخذ من غزل أبي نواس بغلام
النجع دليلا على ظاهرة التشخيص ، لأن لغة ذلك الغلام
تغابر لغة أبي نواس ، ولأن الشعراء كانوا كثيرا ما
يستمنحون أمثال هذه اللثة فيمن يحبون من اناث
وذكور ، كما كانوا يستملحون اللحن من الفتيات ومن
الحيوان .

وليس من الصواب أن يكون اعجاب أبي نواس
بالبحر في صوت غلام آخر مظهرا للتشخيص ، فان
مصدر هذا الاعجاب الاستملاح والاستطراف والارتياح
الى هذا الصوت ، وهو اعجاب صالح لأن يصدر عن
أبي نواس وعن غيره من الرجال .

وأما تمثيله للجمال الفائق بيوسف فانه تمثيل
للتفوق والامتيار ، ولا دليل فيه على تشخيص وتلبس ،
إذ انه أراد أن يصور أصراره على رفض الزواج من المرأة
التي وصفها ، مهما تبلغ من الاغراء ، فقال انها لو بلغت
من الجمال أعلى درجاته ، ومهما يهبط مهرها الى أدنى
درجاته ، فانه لن يرضاها زوجة له . وإذا كان قد
ضرب المثال بيوسف وبيقليس ، فان الشعراء
والقصاص قد نصبوهما مثلا أعلى للجمال .

ثم ان حبه للجارية جنان لا ينبغي عن تلبس
وتشخيص ، بدعوى انها كانت تحب النساء وتميل
اليهن ، فان حبه لم يكن مقصورا على النساء دون
الرجال ، وهي في الوقت نفسه جارية مغنية لا يتطلب
منها أن تنافس الحرائر ، أو تكشف النساء بالعداء .

على انه أحب الجارية دنائير وتفزل بها ، وتفزل
بمشر من الجواري الحسان ، منهن عنان التي غلبته في
مساجلة بالأدب المكشوف على مسمع ومرأى من وجوه
بفداد .

فلم يكن حب أبي نواس مقصورا على الجارية
جنان ، ولم يكن حبه لها عميقا طويل الاجل ، فانه
أحبها في مطلع شبابه ، ولم يلبث حبه أن خمدت
جذوته ، وكان معاصروه يشكون في صدق هذا الحب
وحرارته .

كذلك يبدو التكلف في الاستدلال على التشخيص
بأن أبا نواس هام بالجارية (حسن) لأن اسميهما
متشابهان ، فان هذا الهيام واقع لا محالة ، سواء أكان
اسمها ذلك أم غير ذلك ، والا فلماذا هام بدنائير وعنان
وجنان ونرجس ، وليس بين اسمه وأسمائهن تشابه
أو اتفاق ؟

ومن التضييق على أبي نواس أن نحجر عليه
التلاعب بالاسمين المتشابهين عن طريق المصادفة لا
عن طريق التعمد والاختيار ، كما تلاعب المتنبي فيما
بعد باسم سيف الدولة ، فشقق منه الوانا من المعاني
والأفكار والخيال .

2 - وعجيب أن يتخذ العقاد من مجاهرة أبي
نواس بخلاته دليلا على نرجسيته ، وعلى ظاهرة
العرض .

فقد عرف العالم عشرات من الأدباء المولعين
بمثل هذه المجاهرة ، لأنهم يجدون فيها أنواعا من
التعالي أو التظاهر أو التفرد بالخروج على المألوف أو
الاستهانة بالقيم التي يقدرها المجتمع الخ .

من هؤلاء في الأدب العربي الأعشى وسحيم
وأمرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ونصيب وابن سكرة
وكثير من شعراء اليتيمة .

ومنهم في الأدب الغربي بيرون وكازانوف ، ولم
يوصف واحد من هؤلاء أو أولئك بالنرجسية أو بظاهرة
من ظواهرها المعروفة .

وقد كان بايرون (8) يجاهر بعلاقاته ، ويسجلها في شعره .

وعرض كازانوف (9) قصة حياته عريانة في غير احتشام ، على ما فيها من مثالب ومخاز تحمر منها وجوه أكثر المجان من رجال ونساء ، ولم يكن غرضه تبرير أحواله أو التهوين من قيم المجتمع ، أو المباهاة بما اقترف ، وإنما كان راوية دقيقاً أميناً لا يعنيه إلا التسجيل للخير وللشر وللحرام والحلال .

3 - وإذا كان أبو نواس جميل الوجه . حسن السميت ، مفتراً بفراغة بدنه ، فقد كان أبو القشير كذلك . وكان يفاخر أبا نواس بجماله .

ذكر ابن منظور في أخبار أبي نواس : قال أبو القشير : نظمت الشعر وأنا غلام وأبو نواس غلام ، وكنا جميعاً نضرب بالعود ، وكنت أحسن وجهاً من أبي نواس ، وأبو نواس أطيع ، فتفاخرنا بأشعر وغيره ، ثم قلت له : اني أجمل منك وجهاً ، فقال : بل أنا أحسن منك وجهاً وأقره .

والذي يتبين من هذه المفارقة أن أبا القشير فاخر أبا نواس بجماله ، ولم يكن شعوره بتفوقه في الجمال ناشئاً عن ترجسية ، وأن أبا نواس رد على الفخر بمثله وزاد عليه قوة جسمه ، فلا دليل في هذا على ترجسية أبي نواس .

على أن كثيراً من الفلمان كانوا وما يزالون في هذه السن يتباهون بجمالهم وفراة أجسامهم ، حتى ليمارضون عضلات بعضهم بعضاً ، وحتى ليتصارعون ويتسابقون ، وهم أبرياء من مرضى الترجسية وأعراضها .

4 - اعتمد العقاد على وصف ابن منظور لأبى نواس بأنه كان حسن الوجه ، رقيق اللون أبيض ، حلو السمائل ، ناعم الجسم ، منسدل شعر الرأس ، الشغ بالراء يجعلها غينا ، وكان نحيفاً ، وفي خلقه بحة لا تفارقه .

وذكر بعض أبيات لأبى نواس ، كقوله :

تتبه علينا أن رزقت ملاحه

فمهلاً علينا بعض تبهك يابـدر

فقد طالما كنا ملاحاً وربما

صددنا وتنهأ ثم غيرنا الدهر

(8) بايرون : امينة السعيد .

(9) كازانوف : ستيفان زفايج - ترجمة دار الهلال

واستنبط العقاد من هذا أن ملامح الترجسية تكاد تتمثل من هذه الأوصاف ، فالبياض والرقرة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون بملامح الفتى نرجس ، الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسة ، واتخذ الأسطوريون اليونان نموذجاً للجمال . وقال أن اللثغة وبحة الصوت تشيران إلى تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج .

ولكن هذا الحكم فيه تجوز كبير ، فليس ممن الحتم اللازب أن يكون بياض البشرة وغضارتها وتهدل الشعر علامة من علامات الترجسية ، فطالما اشتهر رجال من الشرق والغرب بصفات الملاحة والجمال ، وهم بعداء عن الترجسية أيما بعد .

حسبنا أن نذكر منهم أبا القشير الذي فاخر أبا نواس بجماله ، ونصر ابن حجاج الذي افتتن به نساء المدينة ، فاضطر الخليفة عمر بن الخطاب إلى نفيه منها ، وذلك أنه كان يمس في ليلة كعادته ، فسمع امرأة تنشد شعراً وهي في بيتها ، منه :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها

أم من سبيل إلى نصر بن حجاج ؟

فلما أصبح الصباح استدعى نصراً ، فإذا هو شاب جميل يفتتن بمثله النساء ، فأمر بحرق شعره ، وهو يريد التقليل من جماله ، فازداد جمالاً ، فأمر بنفيه إلى البصرة من أجل الفتنة .

ومنهم بايرون ، فقد كان آية من آيات الجمال ، وكان شعره الذهبي يتهدل على جبينه في خصلات متموجة ، وله عينان زرقاوان يخالطهما لون رمادي ، وتحيط بهما أهداب غزيرة طوال ، وشفتاه قرمزيان ، وأنفه رقيق لطيف ، وقدم رشيق ، وبشرته شفافة كأنها البلور ، وصوته رخيم كونه نغمات والحن . وأما اللثغة بالراء فإنها اضطراب في النطق يصيب كثيراً من الناس ، وقد اشتهر بها وأصل بن عطاء ، وكان يهرب منها باجتناح حرف الراء في دروسه وفي خطبه .

وأما بحة الصوت فليست دليلاً على تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج ، لأنها ضعف في الحنجرة يعتري بعض الأسوياء الذين لا يوصفون بلون من ألوان الانحراف ، سواء أكانوا من الذكور أم من الإناث .

أهدين اليه ، فيهن صبية حواء وعجوز في إحدى
عينها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لي أمره ،
فلما مضت مدة سقطت لي ابنة من السطح ، وجفاه
القاسم ابن عبيد الله ، فعزا الحادثين إلى الحواء
والعجوز ، وكتب إلى بقيدة ، منها :

أيها المحتفى بحول وعسور
أين كانت منك الوجوه الحسان ؟
قد لعمرى ركبت أمرا مهينا
سأني منك أيها الخلفان
فتحك المهرجان بالحول والعسور
رأنا ما أعقب المهرجان
كان من ذلك فقدك ابنتك الحر
ة مصبوغة بها الأكفان
وتجافى مؤمل لي جليل
لج فيه الجفاء والهجران
خبر الله أن مشامة كما
نت لقوم وخبر القبران
افزور الحديث يقبل أم ما
قاله ذو الجلال والفرقان ؟

وإذا فلا غربة فيما قصوا من أحداث تشاؤمه
قولهم أن أبا الحسن علي بن سليمان الأخفش غلام أبي
العباس المبرد ، كان شابا ظريفا ، وكان يعبت بابن
الرومي ، فيقرع بابه سحرا ، فيقال له : من ؟ فيقول :
قولوا لأبي الحسن : مرة ابن حنضلة . فيطير ابن
الرومي ، ويقم في بيته أيا ما لا يبرحه .

وقال علي بن إبراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت
بداري جالسا ، فإذا حجارة سقطت بالقرب مني ،
فأمرت الغلام بالصعود إلى السطح والنظر إلى كل
ناحية ، ليعرف من أين تأتي الحجارة ، فعاد إلي يقول :
أمرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت وقالت :
اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة ماء ، والا هلكنا ، فقد
مات من عندنا عطشا . فأرسلت إليها امرأة من عندنا
بالماء والطعام ، فلما عادت قالت : إن الباب مقفل
عليهم منذ ثلاث ليال بسبب طيرة ابن الرومي ، لأنه
كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يمضي إلى الباب
والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب الباب ، فتقع على
جار له نازل بازائه وهو رجل أحذب يقعد كل يوم على
الباب ، فإذا نظر إليه ابن الرومي رجع وخلع ثيابه ،
وقال لا يفتح الباب أحد (10) .

ذلك ليست الضعيرة المرسله من شعر راسه
دليلا على أن أهله وجدوه شبيها بالبنات ، فأرسلوا
ضفيرته ، إذ أن بعض الناس كانوا وما زالوا يرسلون
ذوائب وضمائر للذكور الصغار ، لتدليل والتعليح
فحسب . وإن كان شكلهم أبدا ما يكون عن الجمال وعن
الشبه بالبنات .

ولهذا فلا مندوحة من العناية بالأحوال الاجتماعية
والسياسية في دراسة شخصية أبي نواس ، لأن
شخصيته ولبدة نفسيته من ناحية ، ووليدة بيئته من
ناحية .

ومعنى هذا أن نعتد على المدرسة النفسية
والاجتماعية معا في دراسة شخصيته .

أما دراسة فنه فلا بد أن نعتد فيها على المدرسة
الثالثة وهي المدرسة الفنية مع هاتين المدرستين .

النموذج الثالث

نظير ابن الرومي

— 1 —

لم يعرض أحد من القدماء أو المحدثين إلى دراسة
ابن الرومي إلا عرج على تطيره ، وضرب الأمثلة من
حياته ومن شعره على تشاؤمه . وأغلب الظن أن
الأحداث التي ذكرها عن تطيره حقائق واقعة ليس
فيها تزويد ولا مبالغة ، لأنه هو نفسه سجل تشاؤمه في
شعره ، ودافع عنه ، إذ كان يعرف من نفسه أنها
شديدة الحذر ، ويرى أن الحذر سلم إلى الأمان :

فأمن ما يكون المرء يوما
إذا لبس الحذر من الخطوب

وكان يحتج للطيرة ، ويقول أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يحب الفأل ، ويكره الطيرة ، أتراه كان
يتفاد بالشيء ولا يتطير من ضده ؟ وقال إن النبي مر
برجل وهو يرجل ناقته ويقول يا ملعونة ، فقال : لا
يصحبنا ملعون . وذهب إلى أن الطيرة أصيلة في
الطباع ، وإن كانت أظهر في بعض الناس من بعض .

وذكر عنه عبد الله بن المسيب أنه دخل علينا يوما
مهرجان ، وعند عبد الله عدة من القيان الحسان

ان لي مشية اغربل فيها
أما ان اساقط الاسعاطا

وهي مشية تشيع في المصابين باختلال في
العصب أو العضل .

وكان مسرفا في كل امر من أموره . لا تصده
عزيمة ، ولا يرده ضابط ، كان مسرفا في طعامه وشرابه
وشهواته ، ومسرفا في تهكمه وهجائه ونكاته .
ومسرفا حتى في استقصاء المعاني ، ولا سبب لهذا
الاسراف الا توفر الحسن ، والاستجابة للرغبات ،
والعجز عن كبها ، والانقياد لما تمليه اللحظة الحاضرة

وفي رأي العقاد ان خضوع ابن الرومي لكل
احساس طارئ ، واستغراقه فيه ، لم يترك له منفذا
الى التفكير في عقابه ، وجعله لا يعادل عما يزينه لسه
الحس والخيال الى ما تمليه عليه الحكمة والحصانة .

واذا كان مزاجه قد اغراه بالاسراف فان اسرافه
جنى على مزاجه ، لان اسرافه الموكل بالاستقصاء في
كل مطلب ورغبة خليق ان يسقم جسمه ، وينتهك
اعصابه ، ويتحيف على صوابه ، وهو في الوقت نفسه
لم يسرف هذا الاسراف الا وفي جسمه سقم ، وفي
اعصابه خلل ، وفي صوابه شطط .

— 3 —

ويذهب العقاد الى ان المرء قد تختل اعصابه
فينقلب جريئا جسورا عنيدا مقتحما للمخاطر والاهوال،
مستهينا بالعواقب وما يقتزن بها من آثار ، وقد
تضرب اعصابه فيصير ودعا مطيا شديد الخوف
والحذر ، هيبا للصفائر ، مبالغا في حبان النتائج
والعواقب الى حد التوهم . وقد كان ابن الرومي من
الطراز الثاني .

كان مريض النفس مختل الاعصاب فتطير ،
والرجل السليم لا يتطير ، لانه يتوقع من الدنيا خيرا ،
ولا يحس نفرة بينها وبين نفسه ، ولا يتسلف الفزع من
مكاره موهومة ، فاذا اصابه مكروه تلقاه بعزيمة ضابطة
لمشاعرت فلا افراط في الجزع ، ولا استسلام
للفزع .

وذكروا ان احد الامراء ارسل اليه خادما يستدعيه
اسمه اقبال ، ليتفاهل باسمه ، فلما اخذ اعينه لركوب
قال للخادم : انصرف الى مولاك ، فانت ناقص .
ومعكوس اسمك (لا بقا) (11) .

وارسل اليه بعض اصحابه غلاما اسمه حسن .
فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال : حسن . فتفاهل
به وخرج ، واذا امام الباب حانوت خياط صلب عليها
دراعتين بالهيئة اللام الف ، ورأى تحتها نوى تمر .
فتطير وقال : هذا بشير بان (لا تمر) ، ورجع ولم
يذهب معه (12) .

— 2 —

وقف الدارسون على اختلاف اعصارهم عند هذا
الحد ، فلم يتجاوزوه الى استكناه تطير ابن الرومي ،
واستشفاف ما وراءه من عوامل كانت السبب في
نشأته وفي نمائه .

اما العقاد فانه لم يقنع بما قنعوا به ، فجعل يحلل
تشاؤم ابن الرومي ويحلل له ، ويربطه بعوامل نفسية ،
ويلأثم بينها في دقة وحصانة ومهارة وتوفيق .

ونستطيع ان نتبين من دراسته لتطير ابن الرومي
ان مراجعته الى نوع من الاختلان العصبي والاضطراب
النفسي (13) .

ذلك انه كان ضعيف الاحتمال لحرارة الصيف .
يعاني منها ما جعله يقول :

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف

ف تعدو فلا ترده البطء

يا عليما بما اكابد فيه

لا تعاونه ان فيه اكتفاء

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف يعدو فلا
ترده البطء وكان متوفر الحس الى اقصى حد ، بهيج
اعصابه اهون مس ، ويستفزه ايسر حادث ، حتى ان
الروائح القوية كانت تؤذيه وتصدعه ، وهذا هو السبب
في ذمه الورد ومدحه النرجس .

وكانت مشيته - كما وصفها هو - مشية المختلج
كأنه بين يديه غربا لا يديره :

(11) العمدة 1 / 40 .

(12) معاهد التنصيص 1 / 43 .

(13) ابن الرومي لعقاد 65 ، 116 ، 117 ، 127 ، 130 ، 200 ، 209 .

وكثيرا ما تبلغ الطمانينة بالرجل السليم الى
التفاؤل المستسلم للأمن الصادق والكاذب ، كما
يستسلم المتطير للفرع والتوهم الصحيح والزائف .

— 4 —

واذا فقد كان تطير ابن الرومي مظهرها لاختلال
اعصابه واضطراب نفسه ، وكان ضعف اعصابه وشدة
حذره ومزاجه المتشائم تزين له أن يتوجس الشر في
كل شيء ، وأن يقلب الكلمة أو الفكرة على ما تحتمله
وما لا تحتمله من حالات ، ليستخرج منها ما يمكن أن
تؤديه وتدل عليه ، وسرعان ما ينتقل ذهنه بين المعاني
ونظائرها واشباهها ، وبين الكلمات وما يجانسها
ويشاكل أحرفها وأوزانها ، فلا يعوزه أن يعثر بما
يوافق نفسيته الحذرة .

ومن هنا كانت كلمة (جعفر) مثلا تساوي عنه
جاء وفر) وكلمة (الخان) تذكره بكلمة الخيانة :

فكم خان سفر خان فانقض فوفيم
كما انقض صقر الدجن فوق الأراب

بل ان خياله المتشائم امتد الى تصحيف الكلمات
فقال في القينة :

لا تلح من تفتنه قينه
فان تصحيف اسمها فتنة

وقال في شخص أبوه اسمه هرثمة :
عائد دهره اذا سطع النقيـ

مع بمعنى مصحف اسم أبيه
وصحف اسم عمرو الى غير في قوله :
يا عمرو لو قلب ميم مسكنة
باء محرقة لم تخطيء الفقهـ

ولقد استبد به الوسواس في اواخر حياته ،
فصار آفة غلبة على أقواله وأفعاله ، لا محيص له عنها ،
فأفرط في الطيرة ، واشتد خوفه من الماء ، حتى كان
لا يركب سفينة مهما تكن مأمونة ، ومهما يكن في
ركوبها من أغراء ، يدل على هذا قوله في وصف سفر
بدجله :

وأما بلاء البحر عندي فأنه

طواني على روع من الروح واقب
ولم لا ، ولو ألقيت فيه وصخرة
لواقبت منه القمر اول راسب

ولم لا اتعلم قط من ذي سباحة
سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
فاير اشفاقي من الماء أنسى
امر به في الكوز مر المجانب
واخشى الردى منه على كل شارب
فكيف بأمنية على نفس راكـ

اظل اذا هزته ربح ولاات
له الشمس ملوآجا طوال الغواب
كأنى ارى فيهن فرسان بهـ
يلوحون تحوك بالسيوف القواضب

— 5 —

ذلك تعليل العقاد لتطير ابن الرومي ، وهو تعليل
في رأي صواب كله ، لان مرده الى نفسية الشاعر لا
الى مؤثرات أخرى من السياسة والاجتماع .

أما اذا اردنا دراسة شعره المتطير فالأجدر بنا
ان نبني دراستنا على المذهب النفسي والمذهب الفني
والمذهب الاجتماعي جميعا .

النموذج الرابع

ولع المتنبي بالتصغير

— 1 —

كان أبو الطيب مولما بالتصغير الى حد لم يماثله
فيه شاعر ، ولم يخف هذا الولع على دارسيه ، ولكنهم
اذ تنبهوا للظاهرة لم يتعمقوا في التعليل لها .

وحسبنا أن أبا العلاء أجاب ابن القارح حينما
سأله عن هذه الظاهرة بقوله : « كان الرجل مولما
بالتصغير ، لا يقتنع منه بخلسة المغير ... ولا ملامة
عليه ، إنما هي عادة صارت كالطبع تفتقر مع المحاسن » .

— 2 —

ويعلق العقاد على كلمة المعري بقوله : لا شك
إنها عادة كما قال المعري ، ولكن أي عادة هي ؟ أمن
عادات اللفظ ؟ أم من ضرورات الوزن ؟ أم من عبثات
اللسان ؟

ويجيب بقوله : لا ، ولكنها فيما نظن عادة في
الطبع والخلق ، وما صارت كالطبع كما قال المعري الا
لأنها من الطبع ، وفيها ترجمة عنه ، ومجاعة لنوازه.

ثم يعلل لهذا الكلف تعليلا تفرد به ، وذلك ان المتنبي كان يتعالى بنفسه على التكسب بالمدائح والزلفى الى الملوك والامراء ، وكان يرى انه خلق لما هو اجل ، وارفع من ذلك ، وهو الملك والقيادة ، فلا يبالي ان يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد فى قصائده التي يمدحهم بها .

وكان يؤنب نفسه اذا ما آتس منها ركونا الى حياة الدعة ، واطمئنانا الى منامه بين حاشية الامراء واتباعهم المتكئين على عطاياهم ، فيحفظها وينجيها عن هذا المقام ، ويذكرها ما أعدت له من المجد والعظمة .

لكن المتنبي كان شريكا فى العظمة الدنيوية والاخلاق العلمية فى كل ما هو من باب الشعور والملاحظة ، ولم يكن شريكا فى كل ما هو من باب الانجاز والتنفيذ . كان يشعر شعور عظماء الأعمال ،

ويقىس الامور بمقاييسهم ، ويلزم نفسه الجد الذي يلتزمون فى حركاتهم وسكناتهم ، وتساوره المطامع التي تساورهم ، ولكنه لا يتم الأمور كما يتمونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها . كان مطبوعات على غرار رجال المطامع ولكن فى داخل نفسه لا فى ظاهر عمله ، فله فى خلقه وتفكيره استعداد عظماء الأعمال ولكن بغير دأاة العظمة .

واذا كان شعوره بالعظمة قد بدا فى المبالغة والتبويل والتفخيم أحيانا فان شعوره بالتأفف والاشمئزاز والتحقير قد بدا فى التصغير أحيانا أخرى ، فاذا ازدرى شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدراء يشوبه الضغن ، ويضاعفه ظل العظمة الملقى عليه ، فاذا الشئ شوىء واذا الرجل رجيل .

واكثر ما يصغر المتنبي حين يهجع مغيظا مخنقا ، او يستخف متعاليا محتقرا ، كما يقول فى كافور .

اوى اللثام كويغير بمعدرة
فى كل لؤم وبعض العدر تفنيد

وكما يقول فى الشعرا الذين يزاحمونہ :

افى كل يوم تحت ضبني شويعر
ضعيف يقاويني قصير يطاول

وكما يقول فى اهل زمانه .

اذم الى هذا الزمان اهيله
فأعلمهم قدم وحزمهم وغسد

ذلك تعليل العقاد لولوع المتنبي بالتصغير ، ولا شك انه تعليل صادق ، لانه أرجع التصغير عند المتنبي الى شعوره بالعظمة والى ازدرائه الناس .

ولكن العقاد تجاوز عن عامل آخر ربما كان ادعى الى ولوع المتنبي بالتصغير من هذه العظمة المصطنعة التي يمازجها احتقاره للناس .

وذلك ان المتنبي فيما ارى كان بنفس هذا التصغير عن موجدته وحفنه وشعوره بالمعجز عن تحقيق ما يتشاه ، فقد ذم الحياة ، وادعى انها لا تواتى الا الاغبياء والحمقى ، كقوله :

فما ترجى النفوس من زمن
أحمد حاله غير محمود
وقوله :

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا
وقوله :

فترى الدار اخون من موسى
واخذع من كفة الحابل
وقوله :

من خص بالذم الفراق فانني
من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد
وقوله :

وشبه الشئ منجذب اليه
وأشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعمل الا ذو محل
تعالى الجيش وانحط القتام
ولو لم يسرع الا مستحق
لرتبته اسامهم المسام (14)

وكذلك حنق على الناس ، لانهم نالوا ما لم ينل ، وبخاصة اصحاب الفنى والمجد والجاه ، وساء رايه فيهم وفى اخلاقهم .

(14) المسام : الرعية . الضمير فى اسامهم يعود الملوك المذكورين فى اول القصيدة : اي لو كانت الامارة بالجدارة لوجب أن يكون الملوك رعية ورعيته ملوكا لانهم احق منهم بالملك .

من ذلك قوله :

اليه أو يباريه أو يباليه ؟ بل يضطفن على العظيم لانه
قصر عن بلوغ غايته ، أو لأن الحظوظ التي نولت هذا
العظيم أسباب علاه ضنت على المتنبي بما كان يصبو
اليه ويتشبهاه .

وإذا فان كلف المتنبي بالتصغير كان صدى لما
يعتمل في نفسه ، وكان صدى للحياة السياسية
والاجتماعية في عصره ، اذ كان عصر امارات وثورات
ووثبات الى الحكم هنا وهناك ، وكانت القوة والحيلة
والدهاء أهم الوسائل لظفر الطامحين الى الحكم ،
والطامعين في السلطان ، وكانت الاحقاد والدسائس
والنفاق والملك والمنافسات واستكانة الشعوب
واستبداد الحكام فاشية في المجتمعات .

النتيجة

لعله قد تبين من هذه اللوحات ان الدراسة
النقدية لا يصح أن تنحصر في نطاق المدرسة النفسية
التي آثرها العقاد ، ولا يسوغ لنا أن يقصرها على
أصول المدرسة الاجتماعية وحدها ، أو يحصرها في
مجال المدرسة الفنية معزولة عن غيرها ، فانه لا
مناص من اعتماد الناقد على هذه المدارس جميعا ،
لان بعضها يخدم بعضا ، ولأن بعضها يجدي حيث لا
يجدي سواه .

وإذا كان الاعتماد على المذاهب الثلاثة هو المنهج
السليم الكامل ، فان الدارس أو لناقد ليس محتوما
عليه أن يطبقها جميعا في كل حالة من الحالات ، فقد
يكون الاستئناس بمصايحها كلها هو الهادي الى
الطريق ، وقد يكون في مصباحين أو مصباح واحد
غنساء .

وعلى الدارس والناقد أن يتخير في دراسته
الاجتماعية والسياسية ما يتصل اتصالا وثيقا بالشخصية
التي يعرضها ، أو النص الذي يدرسه ، وأن يبتعد في
دراسته النفسية والفنية عن التكلف والاعتساف ، حتى
لا يلبس الشخص أو يضيف على النصوص أردبية
واسعة العرض ، أو مفرطة الطول ، أو ضيقة عين
القدود .

أما انفس الانيس سباع
يتفارسن جهرة واغتيالاً
من اطاق التماس شيء غلاباً
واغتصاباً لم يلتمه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى
أن يكون الفضنفر الربالاً
وقوله :

إذا ما الناس جربهم لبيب
فاني قد اكلتهم وذاقا
فلم ار ودهم الا خداعا
ولم . ار دينهم الا نفاقا

وقوله :

ولا تشك الى خلق فتشمتهم
شكوى الجريح الى الغريان والرخم

وقوله :

وكن على حذر للناس تسترهم
ولا يفرك منهم تفر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة
وأعوز الصدق في الاخبار والقسم

فليس اذن على المتنبي ان يكلف بالتصغير ، لانه
في تعبيره لون من الهجاء والتحقير ، وضرب من
الاستهانة وقلة المبالاة ، ومبعث ذلك كله التنفيس عما
يعتمل في نفسه من عوامل متعددة ، أهمها الضرور
والتعالي المصطنع ، والسخط على الحياة ، والموجدة
على الناس ، ولهذا يقول :

اذم الى هذا الزمان اهليهم
فأعلمهم فدم وأحزمهم وغسدهم

واكرمهم كلب وأبصرهم عسهم
واسهدهم فهد وأشجمهم قرد

على أنني لا أوافق العقاد في قوله « ان المتنبي
إذا ازدري شيئاً ضئيلاً أو رجلاً حقيراً فذلك ازدراء
يشوبه الضغن » لأن المتنبي المتعاضم لا يضطفن على
رجل حقير ، وكيف يحقد على الحقير وهو لا يتطلع

فى اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اى كلما ابصروا فى المصحف حرفا مكتوبا اضافوا شعيرة . وتظهر ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء حين نتذكر أن بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وياءات المد والهمزات ... الخ . وأن بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمزة الوصل والالف بعد واو الجماعة . الخ . ومن هنا يمكن أن نتصور وقوع الخلاف فى العدد ، وأن كان من المستبعد أن يصل ذلك الى عشرات الالاف .

غير أن الخلاف فى جملة عدد الحروف لم يزعمنا بقدر ما ازعمنا وادهشنا أن يقع الخلاف بين الروايات فى عدد كل حرف على حدة . فلم تتفق روايات كتاب البصائر الا فى عدد الطاءات ، الفاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا فى عدد الظاءات فقط . وأما ما جاء فى الكشكول للعامري فلا يتفق فى اى حرف مع روايات الفيروزابادي أو النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الاضرابات والخلط .

وحين نستعيد من الحروف تلك التي يحتمل فى بعضها أن تكتب ولا تسمع ، أو التي تسمع ولا تكتب كالألفات والهمزات والواوات والياءات ، ونكتفى بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصحبها شيء من ذلك ، لا نكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف فى عدد حروف كالراءات أو الباءات مثلا !!

وإذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لمسنا كيف أن القدماء من العلماء كانوا فى شبه صراع مع عدد الحروف ، يبذلون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لأن الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للاسلام ، وبكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدد عدد اى حرف من القرآن الكريم الا الظاء .

وهناك صراع احصائي آخر نلاحظه بين المتقدمين من اصحاب المعاجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليل بن احمد أن عدد الكلمات التي يمكن عقلا أو نظريا أن يتألف من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يكاد يبلغ ، بل يجاوز حدود اثني عشر مليوناً ، على أساس أن الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثية الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول أو خماسية الاصول . كما

عطاء بن يسار ثلاثمائة الف حرف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا . (بالارقام : 300 023 ، 360 023) .

(2) عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثمائة الف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفا . (300 670)

(3) عن أبي معاذ النحوي : هو ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف . (361 200)

(4) عن عطار بن يسار : ثلاثمائة الف وثلاث وعشرون الفا وستمائة واحد وسبعون حرفا . (323 671)

(5) حسبوا حروف القرآن فعرصوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطوهم . فبلغ ما عدوه : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفا . (323 071) .

(6) عن أبي حمزة الزيات وأبي حفص الخراز قالا : حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وسبعون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا . (373 250)

(7) عن يحيى بن الحارث الذماري قال : عدد حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفا (321 250)

(8) عن راشد أبي محمد وكان شهد الحجاج حين ميز القرآن قال : وحروفه ثلاثمائة الف حرف وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفا (320 188)

وهكذا نرى أن هذه الروايات الثماني لم تتفق الا فى رقم ثلاثمائة الف ، اى لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الالوف ، ولكن بلغ حدود الالاف ، بل بلغ فى بعض الروايات حدود عشرات الالاف !!

ويذكر القرطبي فى تفسيره ثلاث روايات لجملة عدد الحروف فى القرآن الكريم لا تشترك مع اى من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت فى روايات القرطبي هي : (340 740 ، 323 015 ، 321 180) .

ومع ما ذكره الفيروزابادي فى تعليل ذلك الخلاف نود أن نضيف الى قوله أن الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو ، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اى كلما سمعوا من قارئ حرفا واتضح

تبيين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا يكاد يجاوز مائة ألف ، والباقي مهمل لا يرد في اللسان العربي .

وظهر أثر ذلك في المعاجم الأولى للغة العربية ككتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم تقرا - ولا سيما مع الجذور الثنائية والثلاثية - كلمتي المستعمل والمهمل لبيان ما ورد في اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جني في كتابه الخصائص (1) تفسيراً لاهمال ما أهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه الاستثقال !! فكثيراً ما يردد هذه الكلمة ، وكأنما قد تصور أن مؤتمراً قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ، وأنهم اهتموا خلال مناقشات هذا المؤتمر إلى الحكم على استثقال الكثرة الغالبة من الجذور ، فكان الأمر في تصويره كان أرادياً متعمداً ، فهو يردد في أحيان كثيرة قوله : أن العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من الحروف !! ولما وجد أن بعض الجذور المهمة لا يتسم بالاستثقال أو ما يشبه الاستثقال مثل المادة « لجع » قال عنها أنها أهملت حملاً على ما أهمل من تراكيب الرباعي والخماسي !!

فلنستمع إلى نص كلام ابن جني في الخصائص :
(أما اهتمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال ، وبقية ملحقة به ومقفاة على أثره ، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل : « صص » ، ظس ، ظك ، ظد ، ضس ، ضك ، ضد ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو « قج ، جق ، قك ، كج ، جك » . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف أعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو : « أهل ، أحد ، أخ ، عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما إلا بتقديم الأقوى منهما نحو : « أرل ، وتد ، وطد » . ويدل على أن الراء أقوى من اللام أن القطع عليها أقوى من القطع على اللام ، وكان ضعف اللام إنما اتاها لما تشرب به من الفنة عند الوقوف عليها !! وكذلك لا تكاد تعتنص اللام ، وقد ترى إلى كثرة اللثغة في الراء في الكلام . وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند

الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال وأنا أرى أنهم إنما يقدمون الأقوى من المتقاربين من قبل أن جمع المتقاربين يثقل على النفس ، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواها لأمرين : أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى ، والآخر أنهم إنما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره ... الخ .)
إلى أن يقول ابن جني في آخر هذا الفصل : (وتخطوا بذلك إلى اهتمال بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه بتقاربه نحو : « صص ، صس » لكن من قبل أنهم حذوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ، إلا ترى أن « لجع » لم يترك استعماله لثقله من حيث كانت اللام أخت الراء والنون ، وقد قالوا : « نجع فيه ، رجع عنه » ، واللام أخت الحرفين ، وقد أهملت في باب « اللجع » فدل على أن ذلك ليس للاستثقال) انتهى كلام ابن جني !!

وكلما مررنا بتلك الاشارات السريعة التي نصادفها في ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور اللغة ، أو عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا يجتمع ، أحسنا أنهم كانوا في شبه صراع رهيب ومحاولة يائسة لعلهم يصلون إلى نسبة صحيحة في الاحصاء أو الاستقراء . فاذا روي عن الخليل أنه قال : (ليس في كلام العرب شين بعد لام ولكن قبلها ، كلها قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلاً : (وقد وجد في كلامهم الشين بعد اللام ، قال ابن الأعرابي وغيره : رجل « لشلاش إذا كان خفيفاً » ، ثم يروي لنا بعض المعاجم أيضاً كالقاموس المحيط للفيروز آبادي أن الفعل « لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الاشارات السريعة التي جاءت في كتب القدماء بصدد نسبة شيوع الحروف في اللغة العربية قول ابن دريد في مقدمة معجمه الجوهرة (وأعلم أن أكثر الحروف استعمالاً عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة ، وأقل ما يستعملون لثقلها على السنتهم : الطاء ، ثم الدال ، ثم التاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الفين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم) !!

وأهم ما نلاحظه على إشارة ابن دريد المقضبة أنها لم تتضمن إلا نصف حروف الهجاء ، وأن النسخ المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت في شأن حرفين من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلا من الذال ، ويذكر العين بدلا من الغين !!

وأما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا نرى له سوى سطر واحد في البيان والتبيين يقرر فيه أن : الباء ، اللام ، الألف ، الراء ، أكثر الحروف ترددا من غيرها ، وأن الحاجة إليها أشد !! ثم يذكر لنا كيف اهتدى إلى ذلك في تعبير طريف يقول فيه : (واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد) !!!

وجاء في مقدمة لسان العرب لابن منظور : (وأما تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فإن لها سرا في النطق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره في حل المترجمات لسدة احتياجنا إلى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض . فإن من الحروف ما يتكرر ويكثر استعماله وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ي ، ن . ومنها ما يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه أكثر الكلمات حتى قالوا إن كل كلمة ثلاثية فصاعدا لا يكون فيها حرف أو حرفان منها فليست بعربية وهي ستة أحرف : ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض إذا اجتمع في كلمة إلا أن يقدم ، ولا يجتمع إذا تأخر وهو : ع ، ه ، فإن العين إذا تقدمت تركبت وإذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب إذا تقدم ويتركب إذا تأخر وهو : ض ، ج ، فإن الصاد إذا تقدمت تركبت وإذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا أن تقدم ولا أن تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

وأما أشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد فنراه في أثناء حديثهم عن التعقيد اللفظي ، وأكثره

تفصيلا ما جاء في عروس الانفراح للسبكي (2) ، ونقتبس هنا بعض فقراته :

(تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وإن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قريبا أو بعدا) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجدر الثلاثي على أساس أن الحرف قد يكون مخرجه من الحلق كالعين مثلا ، أو مخرجه من الفم كالذل مثلا ، أو مخرجه من الشفتين كالباء مثلا . فالحروف الثلاثة ع ، د ، ب ، يمكن أن يتألف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ، ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن أكثر هذه الصور شيوعا وأقلها شيوعا فيقول ما نصه : (إذا تقرر هذا فاعلم أن أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى « يريد حرفا مخرجه الحلق » إلى الأوسط « يريد حرفا مخرجه الفم » إلى الأدنى « يريد حرفا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى ، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط ، وما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيان في الاستعمال وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجحهما ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى . وأقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط) . انتهى كلام عروس الانفراح . والمؤلف في كل الحالات السابقة يريد بقوله الأعلى حرفا مخرجه الحلق ، وبالدنى حرفا مخرجه الشفتان ، وبالأوسط حرفا مخرجه الفم .

وأخيرا وليس آخرا تلك الضوابط المشهورة التي عني بها أمثال « الجواليقي » في كتابه « المعرب من الكلام الأعجمي » ، والشهاب الخفاجي في كتابه « شفاء القليل » حين يشار في هذين الكتابين إلى ما يمكن أن يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة الأعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، الأصل ، ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الألفاظ الأعجمية .

(1) ذكرت في المعجم على أنها « دال » ومن المؤكد أنه تصحيف .

(2) شروح التلخيص ج 1 ص 94 ، 95 .

(3) لعل هنا نقصا في النص وتكملته « أو عكسه من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى » . وهذه التكملة لكن تنتم الصور الست للثلاثي .

- (2) لا تجتمع الصاد والجيم في الكلمات العربية ،
فمثل « صولجان » مما اقترضه العرب ، وكذلك
كلمة « الجص » .
- (3) لا تقع النون وبعدها راء في اللفظ العربي ، فمثل
« نرجس » كلمة أعجمية .
- (4) لا تكون الزاي بعد دال في كلمة عربية ، فمثل
« مهندز » كلمة أعجمية ، وهي الكلمة التي
تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المألوفة
الآن « مهندس » .
- (5) لا تجتمع الزاي أو الدال مع السين ، فكلمة
« ساذج » معربة عن الفارسية .
- (6) لا تقع الطاء مع الجيم في كلمة عربية ، ولذلك
عدت كلمة « الطاجن » أعجمية .
- (7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل
أو خماسية الاصل من حرف من حروف الذلاقة
وهي : اللام ، الراء ، النون ، الميم ، الفاء ، الباء ،
فيما عدا كلمة « عسجد » بمعنى الذهب .
- اما بعد : فازاء كل ما تقدم هنا من بصوص وردت
في كتب القدماء كنت الى عهد قريب اشعر بالدهشة
والحيرة ، واتمنى لو اتيحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء
والاستقراء عن طريق تلك الآلات الحاسبة الحديثة
التي اشتهرت باسم العقل الالكتروني أو «الكومبيوتر»
ثم حانت الفرصة في العام الماضي حين دعنتني
جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زمنها ، مباركة

في ثمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصري
والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موسى
وكنت اعلم أنه من امهر المتخصصين في استخدام
الكومبيوتر . وعقدنا معا عدة جلسات علمية شرحت
فيها فكرة الاحصاءات اللغوية واهميتها في البحث
اللغوي ، ثم كان أن اتفقنا على البدء بدراسة احصائية
لجذور اللغة كما جاءت في معجم الصحاح للجوهري .
ووضع استاذ الفيزياء ما يسمى في استخدام
الكومبيوتر بالبروجرام ، وشحن ذاكرة الكومبيوتر
بنصوص المعجم ، ثم استملى ذلك الجهاز العجيب
فأملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت في عشرات
من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد
الذي سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد .
وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية
في كتيبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجذور
مفردات اللغة العربية » ، ووزعتها على كل أعضاء
المجامع اللغوية في العالم العربي ، وعلى أقسام اللغات
والرياضيات في الكليات الجامعية .
وهكذا نرى أن اصحاب العلم الحديث قد قالوا
كلمتهم بصدد الاحصاء اللغوي ، وبقي علينا نحن
اللغويين أن نفيد من تلك الاحصاءات في بحوثنا ، ولا
اشك لحظة في أن اللغوي الحديث سيهتدي عن طريق
تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة واصيلة لكثير
من ظواهر لغتنا العربية ، وأعمل الآن جاهدا رجاء
الاهتداء الى بعض آثار الكومبيوتر في البحث اللغوي .
وبالله التوفيق .

سِمَات وَمَشَابَه عَرَبِيَّة فِي أدب الكاتب الإيطالي ؛

جوفاني فيرغا Giovanni Verga

لأستاذنا العزيز الدكتور
الهدى

الاقتصادية المادية من اثر واسع في الحياة العادية في
اوروبا ، حتى جعلت كل شيء يفسر تفسيراً مادياً
واقتصادياً وآلياً .

كان جوفاني فيرغا روائي الواقعية وخلاقها
المبدع ، بينما كان صديقه وزميله كابوانا ناقدها
الاكبر ، وناشر فلسفتها بما يمتاز به نقده من حيوية
الافكار والانطباعات ، الى جانب مشاركته في الخلق
والابداع بما ألفه من اقصيص وروايات ومسرحيات
منتزعة كلها - أو أغلبها - من واقع الحياة الصقلية .
ولعل أشهر أعماله الأدبية قصته مركز روكافيردينا -
(Marchese di Roccaverdina) . وبالرغم من
براعة كابوانا النقدية ، وأهمية آثاره الأدبية ، فإن
فيرغا يظل أهم منه كثيراً في زعامة المدرسة الواقعية ،
وأبعد أثراً .

وكان يمكن اعتبار اليساندرو مانتزوني خالقاً
للمدرسة الواقعية قبل كابوانا وفيرغا ، على الاخص
بروايته الشهيرة (الخطيبان - I promessi sposi)
لولا أن ما نتزوني كان حريصاً على الجوانب الخلقية ،
فيحكم على الأعمال والأشخاص في روايته
على أسس خلقية ، لا مادية واقتصادية
وعلمية ، بينما تترك المدرسة الواقعية
الحكم على الأعمال والأشخاص الى القاريء
نفسه ، لا الى المؤلف ، كما أن هذه المدرسة كانت
تحرص على عدم الكشف عن الدنئيات والمساويء
الإنسانية علناً أو التشهير بها أمام القراء ، بل كانت
تعطف على المحرومين من أبناء الشعب ، وتشيد

إذا كانت المدرسة الأدبية الواقعية تعزى في
فرنسا الى هونوريه دي بلزاك وأميل زولا ، ويضمون
اليها غي دي موباسان وغوستاف فلوبر ، فإنها في
إيطاليا تعزى الى لويجي كابوانا وجوفاني فيرغا ،
ويضمون اليها غراتسيا ديليدا .

وإذا كان بلزاك ، في فرنسا ، يعتبر نقطة البداية
في الحركة الواقعية ، وأميل زولا عامل تثبيتها
وأديبها الاكبر ، فإن الايطاليين يعتبرون كابوانا نقطة
البداية في المدرسة الواقعية ، أو الطبيعية
(Verismo - Naturalismo) وفيرغا عامل
تثبيتها وأديبها الاكبر ، على الاخص بروايتيه الشهيرتين
(أسرة مالا فوليا - I Malavoglia) و (المعلم
السيد جيزوالدو - Mastro Don Gesualdo)

وعلى الرغم من أن المدرسة الواقعية الإيطالية
جاءت بعد اختها الفرنسية ، وكانت متأثرة بها ، إلا
أنها تختلف عنها في ناحية مهمة هي أنها انصرفت
الى معالجة الواقع المحلي الصرف : الواقع الإيطالي لا
الإنساني العام ، كما نرى ذلك في أشخاص روايات
فيرغا التي كانت صقلية مائة بالمائة ، وأشخاص
روايات غراتسيا ديليدا التي كانت من واقع جزيرة
سردينيا وحدها ، ومن بيئاتها الفقيرة الخاملة .

لقد تأثرت هذه المدرسة - سواء في فرنسا أم
في إيطاليا - بالنهضة الصناعية والعلمية في اوروبا ،
ويظهر كارل ماركس وإنجلز ، وما تركت فلسفتهما

وكان لذلك طبيعيا ان يموت بعضهم بالسل والاسقام، وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيتي) بالسل وعمره ثمانية وعشرون عاما ، وقضى (كاميرانا) منتحرا ، ومات أشهرهم (براغا) صغير السن لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

عند ظهور هذه المدرسة السلولة - أو قلنقل « المسطولة » ! - كان فيرغا في حدود الثلاثين من عمره، وفي عز انتشارها كان قد وصل الى فلورنسا، ثم انتقل قبل وفاتها الى ميلانو - مهد هذه الحركة وقبرها - وفي هذه الفترة جاءت أعماله الادبية مزيجا مضطربا من اثر الواقعية الفرنسية ، والتمردية الفوضوية الميلانية - مدرسة ذوي الشعور الشعث - . وهذه الاعمال التي انتجها فيرغا هي : (خاطئة - Una Peccatrice) و (حكاية بلبل - Storia di una capinera) والنمر الملكي - (Tigre Reale) و (ايسروس - Eros) و (حواء - Eva) .

وعلى الرغم من ان فيرغا قد وضع هذه الروايات بعيدا عن الارض الصقلية ، وفي وسط المدن الشمالية الكبيرة الملائم بالنشاط والحياة ، الا انه كان يعيش بروحه في ارضه الصقلية ، ومنها ظل يستمد الهامه وشخصه وصوره . وعلى الرغم من النجاح الذي لقيه هذه الروايات ، فانها لم تبلغ السمات الفني الذي كان فيرغا يتوق الى تحقيقه . ولم يهتد الى حقيقته الفنية الا حين سلك سبيل الواقعية الادبية ، فهناك رسخت شهرة فيرغا بين عمالقة الادب الايطالي ، ولاسيما حين ظهرت رواياته الشهيرتان (I Malavoglia) و (Mastro Don Gesualdo) المستمدتان من واقع الحياة الصقلية الكادحة ، المدعنة للقدر الرهيب ، وحين أصبح شخصه ممن يدعوهم باسم المغلوبين - Vinti) لان الانذار هي التي تسيروهم بارادتها دون أن يكون لهم فيها رأي ، ولا في تبديلها يد .

ولا في تبديلها يد بدأت الفترة الجديدة في حياة فيرغا الادبية بقصة عنوانها Nedda ظهرت عام 1874 ، ثم تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعية الاخرى في كتبه التالية : (حياة الحقول - Vita dei campi) 1880 ، و (خبز أسود - Pane nero) 1882 ، و (اقصيص قروية - Novelle rustiche) 1883 و (في الطرقات - Per le vie) وغيرها . الا ان فيرغا بلغ الذروة في روايته (اسرة -

بمزاياهم الايجابية ، واستسلامهم الى الالم والبؤس، ودفاعهم عن الشرف ، وما الى ذلك . وهذه المزايا كلها نجدها مصورة اروع تصوير في آثار فيرغا الادبية المستمدة من الحياة الصقلية الشعبية الكادحة ، المستلزمة الى المصير المحتوم .

فمن هو جوفاني فيرغا هذا ؟

ولد فيرغا في مدينة كاتانيا ، في صقلية ، عام 1840 ، وتوفي في عام 1922 ، بينما ولد زميله كابوانا - وهو ايضا من كاتانيا - قبله بعام واحد ، اي عام 1839 ، وتوفي قبله بسبعة اعوام ، اي عام 1915 .

ولقد أحس فيرغا منذ حداثة بميل شديد الى الآداب ، وبحاجته الى بيئة تساعد على تغذية ميله هذا . وفي عام 1865 غادر صقلية الى فلورنسا حيث وجد البيئة التي يريد . فاقام فيها مدة ، ثم انتقل منها الى ميلانو ، وهناك بدأت حياته الادبية بدايتها الجدية . فاقام في ميلانو الى ان عاد منها عودته النهائية الى مسقط رأسه - كاتانيا - حيث توفي عام 1922 .

في الفترة التي بدأ فيها فيرغا حياته الادبية كانت الحركة الادبية الواقعية واسعة الانتشار في فرنسا واوروبا ، وكانت قد ظهرت كذلك حركة ادبية جديدة في مدينة ميلانو نفسها ، اطلق على اصحابها اسم (ذوي الشعور الشعث) وبالايطالية (Scapigliati) - وهي اشبه بحركة الخنافس، او الهيبين في يومنا هذا - فهي مدرسة تمردية ، قليلة الانصار ، قصيرة العمر جدا : اذ لم يزد عدد كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم : (Giuseppe Rovani) مؤسس هذه الحركة وزعيمها ، و (Iginio Tarchetti) و (Giovanni Camerana) و (Carlo Dossi) و (Emilio Praga) وهذا أشهرهم ، واخيرا (Arrigo Boito) . اما عمر هذه الحركة فلم يزد على عشر سنوات (من 1860 الى 1870) .

لقد اراد هؤلاء الروائيون والشعراء الشبان أن يتمردوا على مثالية المدرسة الرومنسية وحساسيتها المفرطة ، ولكنهم انغمسوا كل الانغماس في حياة فوضوية بوهيمية ، وفي الكفر بالله والانسان والوطن والفن ، وبكل المثل العليا في الحياة ، ومضوا ينشدون النسيان في تعاطي الخمر والافيون .

هذه الفقرة اخترتها من كتاب (تاريخ النقد الفيرغوي - (Storia della critica Verghiana) لصديقي الكاتب الايطالي (Giorgio Santangelo) الاستاذ فى كلية الآداب فى جامعة باليرمو . وكنت قد قرأت هذا الكتاب النفيس قبل ان اشرع فى دراسة آثار فيرغا ، لكي يساعدني على فهم هذه الآثار الادبية فهما صحيحا . والحقيقة أنه أفادني كثيرا بأن أطلعني على آراء العديد من النقاد الإيطاليين فى فيرغا وأدبه ، حتى لقد خيل الي انه لم يبق جانب من جوانب فيرغا الفنية الا أشبع درسا وتحليلا .

وحين عكفت على دراسة روايتي فيرغا الكبيرين (اسرة مالا فوليا - والمعلم السيد جيزوالدو) وجدت ان هناك نقطتين جديرتين بالتقاسم والتحليل رغم كل ما قاله النقاد فى اعمال فيرغا الادبية . وأنا فى هذه العجالة اقتصر على هاتين الروايتين وحدهما من بين انتاج فيرغا كله .

النقطة الاولى تتعلق بالحمية القدريية (Fatalismo) التى يراها النقاد فى آثاره ، والتى أراها انا بطولة ورجولة ، لا خنوعا لقدر محتوم لا يمكن قهره .

ويبدو لي ان هذه الحمية التى يراها نقاد فيرغا قد أصبحت لديهم ماركة مسجلة بالنسبة الى اعماله الادبية ، ولا سيما الواقعية منها ، فهو عندهم لا يعرف الا بها .

وحين تذكر هذه الحمية ينصرف ذهننا الى قطمان بشرية مذعنة لمصيرها المحتوم : تسير يعيون مغمضة ، ورؤوس منحنية خنوعا ، ولا تدري - او لعلا لا تماك ان تدري ، او تسال - ان كانت تساق الى المسلخ أم الى المرعى ، لان ارادتها مشلولة ، ومسيرها مخطوط منذ الازل فى لوح القدر من نقطة انطلاقها حتى النهاية .

ولكن هل كان كذلك حقا ابطال فيرغا ؟ (اكرر هنا أنني اتحدث عن «اسرة مالا فوليا ، وجيزوالدو» بنوع خاص لثلا أزيد الموضوع اتساعا ، وأطلق الجناحين اكثر مما يجب) .

فلنحاول ان نلقي نظرة سريعة على كل من هاتين الروايتين لكي نصل من ذلك الى حيث نضع اصابعنا فى موضع الجراح من اولئك (الابطال) الذين يأبى فيرغا الا ان يدعوهم باسم (المفلولين ، او المهزومين - (Vinti) :

مالافوليا - والمعلم السيد جيزوالدو) ، وقد ظهرت الاولى عام 1881 ، والثانية 1889 . ويمكن ان تضاف اليهما روايتان اخريان ، هما : (زوج ايلينا - (Il marito di Elena) عام 1882 ، و (من حصتك على حصتي - (Dal tuo al mio) عام 1906 .

فى هذه الروايات انصرف فيرغا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان فى عفوية احساسه واعماله ، والى الدنيا فى الاعيب الاقدار العجيبة وتحكمها بمصائر البشر . فهو شديد العطف على الضعفاء ، والمعتوهين ، والمفلولين على امرهم الذين يحنون رؤوسهم لشئلة القدر المستبد ، يتفهمهم بعطف عميق حتى فى اخطائهم .

وقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيا القصور الباذخة والحياة المترفة فى المدينة الصاخبة ليستروح عيبر ارضه انصقلية ، ويعيش مع شعبه ، ويتذوق طعم الخبز البتي اللذيذ . لقد افلحت الواقعية فى ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد منه مما كان يعيش فى اعماق نفسه من بيئته الصقلية الاولى .

صحيح ان معاصري فيرغا كانوا قد استقبلوا رواياته واعماله الادبية بشيء من البرود وفلة الاهتمام ، غير انه ما كادت تميل شمس الواقعية الى الغروب ، وتصبح شيئا من حصة التاريخ الادبي ، حتى أصبحت تلك الروايات والاقاصيص مشار الاعجاب الواسع لدى القراء والنقاد ، وأخذت مكانتها الرفيعة بين روائع الآثار الادبية الكلاسيكية .

— * —

« ان فيرغا اليوم واحد من أوسع الكتاب شهرة وذبوعا فى الادب الايطالي .. وعلى الرغم من تغير الظروف التاريخية لا يزال اكثر ما يكون حياة فى ضمير الاجيال الجديدة التى تعتبره الكاتب الذى مجد اعظم الاخلاق الانسانية نقاء ، والمجد الاكبر لقداسة الحياة ، ولنضال الرجولة اليومي للبقاء .. واغانيه تظل ضمن نطاق الانسانية ، الا انها تسمو على انسانيتها بتحمل الالم برجولة حقبة . هذه هي رسالة فيرغا الاجتماعية : فالاب نتونسي هو رمز للعظمة الانسانية السامية التى تعرف كيف تؤلف بين شريعة الحياة المتألمة وشريعة الله » .

1 - اسرة مالا فوليا : MALAVOGLIA I

فى هذه الرواية لدينا عدة أبطال ، غير ان الرئيسيين منهم ثلاثة ، هم : السيد نتوني - والدار ، وتدعى باسم « دار الزعرورة » Casa del nespolo والمركب ، ويدعى باسم « العناية » (Providenza) . وتتألف أسرة مالا فوليا من : الشيخ نتوني ، والابن باستياناتسو ، والكنة ماروتسا (Maruzza) وتدعى ايضا (La Longa) ، وكذلك من الاحفاد (نتوني - لوكا - مينا Mena - اليسى - ثم ليا) . انها أسرة من صيادي الاسماك يحاول افرادها ان يتعاونوا فيما بينهم على العيش من مهنة واحدة . وفى احدى السنين العجاف يحاول السيد نتوني ان يتغلب على الفقر والجوع بتجارة انترمس (Lupini) ولجل ذلك يستدين من احد المرابين (واسمه كروتشيفيسو) خمسمائة ليرة . غير ان عاصفة تهب على المركب فتغرقه مع حملة من الترمس ، ويفرق معها كذلك الابن باستياناتسو . اما المركب فينتشل ويعاد اصلاحه للعمل من جديد ، واما الدين فيظل دون تسديد رغم كل المحاولات والجهود التى يبذلها الشيخ نتوني وسائر الأسرة . واخيرا تضطر الأسرة الى التخلي عن الدار العزيزة - دار الزعرورة - ثم عن المركب - العناية - لتسديد الدين . وحين تتجرد الأسرة من الدار والمركب تأخذ المصائب فى التوارد عليها : فتموت الكنة بالكوليرا ، ويقضى الحفيد لوكا فى معركة بحرية ، والحفيد الآخر نتوني ، بعد ان يخدم فى الجندية ، يعود الى البطالة ، وينغمس فى اعمال التهريب ، وبالتالي يدخل السجن ليقتضى فيه خمس سنوات فى القيود لطعنه ضابط الحرس فى اثناء معركة ليلية بين حرس الجمارك والمهربين . وبعد ذلك تغادر الحفيدة ليا المنزل ولا يعود احد يراها . ويموت كذلك الشيخ فى احد المستشفيات بعد ان اثقلته السنون والمصائب معا . والحفيدة (مينا) لا تجد زوجا بسبب المصائب المتلاحقة التى تنصب على بيت مالا فوليا ، فتتصرف الى العناية باخيها الاصغر (اليسى) واسرته . واليسى هذا هو وحده الذى يتزوج جارة له تدعى (نونتسيانا - Nunziata) ويتمكن من استعادة الدار التى كان استردادها آخر أمنية للجد قبل احتضاره . وبعدئذ يخرج الحفيد نتوني من السجن ويمضي بعيدا الى حيث لا يستطيع احد ان يعرفه .

2 - المعلم السيد جيزوالدو - MASTRO DON GESUALDO

كان جيزوالدو بناء ، وابن قروي يملك فرنا للجبير (مشيدة) . ناضل نضالا عنيدا منذ طفولته ضد يؤس الفقراء وفاقتهم : « حمل الكثير من الحجارة على منكبيه .. وقضى العديد من الايام دون خبز » (ص 76) . لقد عمل اجيرا ، وبناء ، وعديدا من الحرف الاخرى ، ولكنه كان دائما مصمما على الانتصار على ظروفه الاليمة ، والتغلب على عناد الاقدار . وبفضل عمله المتواصل دون ملل او تعب استطاع ان يتغلب على الظروف العسيرة ، وان يقتن بفتاة تدعى (بيانكا تراو - Bianca Trau) كانت الاخيرة من أسرة نبيلة خفص الزمان جناحها . غير ان هذا الزواج ، الذى فرضته على الطرفين المصالح المادية وليس الحب المتبادل ، يصبح بداية لمصائب خطيرة ، ثم يفضي الى الدمار . والثمرة الوحيدة لهذا الزواج ، وهي الابنة ايزابيلا ، تعيش بعيدة عن ابيها الذى تخجل من اصله الوضيع ، ثم تصبح زوجة لاحد دوقات باليرمو . وتموت الزوجة (بيانكا) بالكوليرا ، ويصاب جيزوالدو نفسه بالسرطان ، فيقضى ايامه الاخيرة فى قصر زوج ابنته فى باليرمو ، ويموت بعد ذلك وحيدا يائسا بعد ان يرى ضياع الثروة التى جمعها بكده وعرقه المتواصلين جميعا ، والتى كانت اعز عليه من حياته . وتقول الرواية انه « هناك ، امام الثروة التى يملكها ، اقتنع بأنه انتهى حقا ، وان كل امل له قد ضاع .. انه يود لو يستطيع ان يدمر بضربة واحدة كل الثروة التى جمعها شيئا فشيئا . يود لو أمكن ان تذهب املاكه معه ، قانطة يائسة مثله ! » (ص 347)

فى البداية تستولي أخت جيزوالدو وزوجها على املاكه وثروته ، غير ان زوج ابنته لا يلبث ان يستولي على كل شيء رغم احتجاج الشيخ جيزوالدو المحترس الذى « كان بطنه منتفخا كالقربة ... والانياب الكلبية فى داخله تنهش كبده نهشا » (338)

— * —

فى هاتين الروايتين نلاحظ كيف جعل فيرغا الحتمية القدرية تسيطر من البداية الى النهاية ، أو هكذا أرادها ، لان فيرغا يرى « ان الناس - اخيارا كانوا ام اشرارا - يجثم عليهم كابوس محتوم صارم - كما يقول باسكواله لامانا فى الجزء الثالث

من كتابه (تاريخ الادب الايطالي) ص 112 - يجتث كل طموح لهم نحو الرخاء ونحو الطمأنينة ، ويعاقب بقسوة ظالمة كل ارادة لهم للخروج من قسرتهم ، والارتقاء فوق ظروفهم الاجتماعية .

ومع ذلك فان هناك ، الى جانب الاقدار والكابوس الصارم ، شيئا آخر هو « البطوثة » ، هو الصمود حتى النهاية في النضال الذي يرافق سائر احداث اسرة مالا فوليا والمعلم جيزووالدو . ان البطلين التاسعين لا يرضخان للمصائب ، ولا ينحنيان امام المصائب والعوائق الرهيبة التي يضعها القدر في طريقهما ، بل يسيران رافعي الرأس دون ان يعرفا اليأس والهزيمة .

ان الحتمية القدرية ليست حقيقة مطلقة في الحياة ، بمعنى ان الانسان يجب ان يحني رأسه مستلما لها دون نضال . وكذلك هي في روايتي فيرغا : في حياة اشخاصه وتصرفاتهم ومعتقداتهم . انها ليست حقيقة مطلقة لا يمكن التغلب عليها بقوة الارادة ورجولة النضال ، بمقدار ما هي عقيدة مهيمنة على تفكير المؤلف نفسه . ان فيرغا يلج كل الاحاح في ابرازها في رواياته . وعلى الرغم من انها ليست حقيقة لا علاج لها ، الا ان المؤلف يبحث عنها عامدا ، ويريدها دون علاج لابطاله الذين يدعوههم (المفلولين) لكي يحدد لهم قسمتهم تحديدا قسريا منذ الازل : اي ان « يعملوا ويتألوا » - كما يقول الناقد الايطالي ساينيو (Sapegno)

ان اشخاص فيرغا ليسوا من اختراع خياله . هذا صحيح ، ولكنهم مخاوفات آدمية ينتقيها هو من الواقع البائس انتقاء بلحمها ودمها ، ويعرضها على المسرح لكي تمثل ادوارها الحقيقية التي يلازمها اليأس والنحس . غير أننا في هذا الواقع الذي يعرضه لنا المؤلف نلمس لدى فيرغا ميلا طبيعيا - او هل نقول « حتميا » ، حسب اعتقاده بالحتمية ؟ - الى المأساة اكثر منه الى الملهة ، او الى بساطة الحياة وعاديتها . وقد يكون ذلك لان حياة جزيرة صقلية كانت حينئذ - كما صورها فيرغا ، وكما صورها من بعده جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا في روايته (الفهد) او (Il Gattopardo) كما هو عنوانها بالايطالية ، بكثير من الاغراق في التشاؤم - منفى مليئا بالتعاسة والجهل والفقر والظلم .

يقول مازوني (Mazzoni) : « ان المؤلف يعطينا اشخاصه كما يريدونهم هو ، ويجعلهم يتصرفون

كما نحب نحن ، حتى في اكثر حركات حياتهم سرية . انه يسمع اشد اصواتهم خفاء ، ويتجسس حتى على تنهداتهم في ليالي الارق » . . . وأنا أحب ان اضيف هاهنا ان فيرغا يستحضر اشخاصه ومعهم بيئاتهم الحقيقية . وعلى الرغم من انه كان يصير دائما على ان فنه لا صلة له بشخصه ، وينفي الذاتية عنه ، فان ما يضعه من كلام على افواه اشخاصه ينسجم كل الانسجام مع البيئة النفسية والروحية التي يحسها هو نفسه ويريد ابرازها ، اي مع عالمه الخاص . وطبيعي انه يقدم لنا الحقائق في لمسات من يدفنان بارع ، لا وقائع تاريخية مجردة من حياة الجزيرة فحسب . والمساكين الذين يناضلون لاجل الرغبة ولجل السلام في جزيرتهم هم وحدهم الاشخاص الذين يعتمد فيرغا اختيارهم ليفصل على قياسهم فكرته الخاصة في القدرية وفي المصير المحتوم وجبروته . غير اننا نراهم ، رغم الهزائم المريرة ، على استعداد دائم لمتابعة النضال بكل جدارة ، ومن غير هدنة . صحيح انهم قد ينتهون الى الخيبة والقنوط ، ولكنهم يسقطون سقوط الابطال ، لا يسقط الضعفاء والجبناء ، وفي بعض الاحيان قد يبلغ نضالهم - ولو متأخرا جدا - الى النصر ، والى استرداد المتاع الذي فقدوه ، كما راينا في (اسرة مالا فوليا) وفي بعض جوانب ذلك (المعلم السيد جيزووالدو) ايضا ، كما سأشرح ذلك في ما يلي :

في (اسرة مالا فوليا) يناضل الشيخ نتوني طويلا ، وتناضل معه أسرته كلها كذلك ، لكي يتوصلوا الى استرداد (دار الزعرورة) . غير ان السيد نتوني نفسه لا ينتصر ، لسوء حظه ، الا بعد موته : ففي اللحظة الاخيرة يبشره حفيده اليسى بانه استطاع ان يسترد الدار . كان السيد نتوني حينئذ على عتبة العالم الآخر الذي لا عودة منه ، غير انه احس بان الحياة لم تخدعه خداعا تاما ، وبأن العدالة ما تزال توجد على الارض .

واليكم ما تقوله الرواية :

« حين اخبروه بعد ذلك انهم استعادوا دار الزعرورة ، وارادوا ان يعيدوه معهم الى (تريزا - Trezza) من جديد - كان حينئذ في المستشفى طبعاً - اجاب بنعم ، ثم نعم ، بعينيه اللتين عادت الى الاشرار ، وكاد فمه ينفجر عن ضحكة عريضة : ضحكة اولئك الذين ما عادوا يعرفون الضحك ، او الذين يضحكون للمرة الاخيرة . ولكن الضحكة ظلت

ساعة واحدة مثل تلك الساعات التي كان يستمتع بها أخوه (سانتو) على حسابه في الحانة « (ص 78) .

وعلى الرغم من كل هذا البؤس والعناء فان دون جيزوالدو لم يكن قط رجلا متخاذلا : لم يستسلم الى مشيئة القدر ، بل كان يريد ، بأي ثمن ، ان « يخرج من قشرته ويرتقي فوق ظروفه الاجتماعية الاصلية » . وقد رأينا في ما تقدم كيف استطاع بفضل عمله الدائب وتصميمه الحازم ان يصل الى مكانة اجتماعية مرموقة يحترمها الآخرون ، وان يصبح مرهوبا حتى لدى الشخصيات البارزة الضخمة في بلده ، وان يقتنر بفتاة من أسرة أرستقراطية . حتى ابنته الوحيدة اقترنت بأحد دوقات باليرمو .

صحيح انه في النهاية كان لابد ان يقضي بالسرطان ، الا انه مات بطلا لا خاملا وضيعا . وعدا ذلك - وهذا مهم جدا - مات جيزوالدو واثقا من ان ابنته - ثمرة زواجه الوحيدة - لن تعرف البؤس والحرمان ، بل ستتمتع بثمرة تضحيتها وكفاحه .

ومن هم الذين كافحهم المعلم جيزوالدو ؟

لقد كافح الجميع ، وكافح كل شيء : كافح البؤس ، وضعة الاصل ، وقوة الحياة ، وكبار الشخصيات في البلد ، وتحكم والده المتعنت ، وحسد أخيه وجشعه ، وكافح كذلك حسد شقيقته وزوجها ، بل لقد كافح حتى (تاني - Tanni) الانتهازى ، وهو ليس سوى زوج لخادمتة (ديودانا - Diodata) . . . وكذلك كافح حقد الاخوين (تراو) شقيقي زوجته ، كما كافح غرور صهره الدوق ، ومساوي الكاهن (دون لوبي) وخبثه . وكافح الملايا ، وقوى الطبيعة التي تماكسه في صف خصومه الناقمين الحاسدين . وفي كل مرة كان جيزوالدو يخرج من هذا الكفاح منتصرا ، حتى اللحظة الاخيرة التي ادار فيها وجهه نحو الحائط - كما فعل والده من قبله - « وبردت اطرافه فجأة ، ثم سكنت حركته نهائيا » - كما يقول المؤلف (ص 367)

لقد مات السيد جيزوالدو والسيد نتوني مالا فوليا قانطين ، هذا صحيح ، ولكنهما ماتا بكرامة وانفة . كانا من الابطال الحقيقيين الذين يظلون متنبكين سلاحهم حتى النفس الاخير في كفاحهم ضد حتمية الاقدار . وهذه البطولة في الصراع

مفروسة في قلبه كالنصل . ذلك ما جرى لاسرة مالا فوليا حينما عادوا يوم الاثنين في عربة (العلم الفيو) ليعيدوا جدهم معهم الى المنزل فلم يجدوه « (ص 245)

اذن فقد انتصر السيد نتوني على حياة الفقراء المريرة بنضاله الذي لم يكن لنفسه فحسب ، ولا اينال النصر وحده : بل لتظل ثمرة عنايه لاحفاده من بعده . ان النصر يظل دائما نصرا ، ولا يقلل من أهميته موت المحاربين الشجعان : فالنصر الحقيقي لا يجيء من دون تضحية . في جميع الحروب هناك من يحارب ويسقط لاجل الآخرين ، وآخرون يفوزون بمكاسب تلك التضحية . فالمحارب انما يحارب لكي ينتصر وهو يعلم حق العلم بان الموت ينتظره في الحرب ، غير ان تضحيته لا تذهب عبثا الا اذا لم يستفد احد منها من بعده . والتضحية هنا ، ونضال السيد نتوني الطويل الشاق ، استفاد منهما آخر احفاده (اليسى) .

حتى المركب (العناية) انتصر على هياج الامواج والعواصف : كان حينما يمتليء بالماء حتى ليخشى عليه من الفرق ، وحينما يخرج من مصارعة العواصف محطما . غير انه في كل مرة كان يعاد اصلاحه ، فيعود سليما ومستعدا لصراع جديد مع عاصفة اخرى ، وأخيرا تخلى عنه اصحابه الى المرابي كروتشيفيسو تسديدا للدين وهو في حالة جيدة ، وظل يعمل حتى وفاة صاحبه الاول .

اما في رواية المعلم جيزوالدو فان جيزوالدو نفسه هو الذي انتصر . لقد رأينا انه كان قد ولد في اسرة بائسة . واليك ما تقوله الرواية في حياته النضالية :

« كان في حركة دائبة : يعمل دائما ولا يستريح قدماه ابدا ، من هنا الى هناك ، في البرد والحر والمطر ، ورأسه مثقل بالافكار ، وقلبه متضخم بعدم الاستقرار ، وعظامه محطمة من التعب ، لا ينام اكثر من ساعتين اذا تيسر ذلك وكيفما تيسر : في قرنة اسطبل ، او خلف سياج ، في العراء او على الحجارة ، ياكل قطعة خبز أسود حيثما كان : على ظهر البغل ، او في ظل زيتونة ، او على طرف حفرة ، في الملايا اوفى دوامة من البرغش لم يعرف الاعياد ولا عطلة الاحد ولا عسرف قط كيف يضحك ضحكة مفتبطة ... ولا وجد لديه

وسأضفي الآن في استعراض هذه الفئات واحدة
واحدة :

1 - المفردات والجمل :

في روايتي فيرغا الكبيرين مفردات لا شك في
أنها عربية الأصل لفظاً ومعنى . ومنها الالفاظ
التالية : وهي كلها من رواية « ما لافوليا » ما عدا
الاخيرة منها فهي من « المعام جيزوالدو » :

- | | |
|-----------------|--|
| 1) CATRAME | قطران |
| 2) CARRUBBO | خروب |
| 3) BABAU | ببيع |
| 4) SOMMACCHI | سماق |
| 5) ZAFFERANO | زعفران |
| 6) SATANASSO | شيطان |
| 7) SALAMALECCHI | سلامات ، او مجاملات
(من «السلام عليكم») |

والى جانب هذه المفردات استعمل فيرغا جملا
مركبة ليست ذات لفظ عربي او طبيعة عربية في
كتابتها ، الا أن لها مثيلات في التعبير العربي ،
مما يبدو معه الامر غريباً اذا لم تكن هذ التعابير
تحمل آثار الطابع العربي . واليكم بعض هذه
العبارات ، مع ما يقابلها بالعربية ، وأغلبها عامي ،
ولكنني مضطر الى تحويله الى تعبير فصيح ، مع
تقتي التامة من أن في البلدان العربية الاخرى ما
يقابله :

1 - يضع حجرا على الماضي
(جيزوالدو 238)

1) Mettere pietra sul passato

2 - من اخذ مالك خذ روحه
(جيزوالدو 321)

2) A chi ti vuol pigliar la roba levagli la vita

3 - يعبء هواء للصيف
(جيزوالدو 271)

3) Prendere il fresco per l'estate

4 - الفسيل القذر لا ينشر على السطوح
(جيزوالدو 275)

4) I panni sporchi si lavano in casa

5 - الامثال لم تكذب قط
(مالا فوليا 14)

5) Il motto degli antichi mai menti'

الانساني لا يجوز ، في اعتقادي ، ان نخضعها لفكرة
الاحتمية وتحكم الاقدار ، كما يشاء النقاد الإيطاليون
ان يعتبروها في روايات فيرغا . انها بطولة ، وليست
خضوعاً واستسلاماً للاقدار .

ونجى الآن الى النقطة الثانية في روايتي فيرغا
الكبيرين ، وهي (السمات والمشايب العربية) التي
جعلناها عنواناً لهذه المحاضرة برمتها .

اننا هاهنا نصل الى نقطة فيها شيء من الحرج
ومن اثاره الفضول معاً . وما اظن أحداً قد أثارها من
قبل ، او اهدى إليها .

في روايتي فيرغا الكبيرين وجدتني ازاء بعض
العناصر التي يبدو أنها متأثرة بالطابع العربي ،
مباشرة او غير مباشرة ، لان البيئات العربية
واللغة العربية ما يزال فيها الى اليوم ما يشبهها .

ومن المؤكد ان فيرغا لم يكن يعرف ان في
أعماله الادبية مثل هذه العناصر الاجنبية الواضحة .
ولعله لم يخطر بباله قط أن كاتباً عربياً سيجيء يوماً
من بلد بعيد في الشرق ليكشف عن سمات عربية
في أدبه .

ولكن التأثير العربي في صقلية امر غير منكور ،
على كل حال ، ولا هو بالشيء الذي يمكن كتمانها ،
فلقد حكم العرب الجزيرة قرنين من الزمن ، وكان
طبيعياً لذلك ان يتركوا آثاراً ملموسة في أهلها ،
ولاسيما اذا عرفنا أن تأثيرهم الاجتماعي والثقافي قد
استمر أكثر من قرنين بعد خروجهم من الجزيرة .

لقد خطر لي في البداية ان اجعل عنوان هذه
المحاضرة ، وبشكل خاص هذا القسم منها : (اثر
العرب في أدب فيرغا) ، غير أن عدم يقيني التام
من هذا التأثير مباشرة جعلني اكتفي بعبارة (سمات
ومشايب عربية) ، وهي اقرب الى المنطق ، وربما
كانت اقرب الى الصحة . وسأحاول في ما يلي ان
ابين المشابه اللغوية والروحية والواقعية بين البيئة
الفيروغوية والبيئات العربية .

ان السمات التي أعنيها يمكن تصنيفها في ثلاث
فئات :

1 - المفردات والجمل

2 - العادات والبيئات الشعبية

3 - الامثال والحكم

6 - رآه بعينيه اللتين سيأكلهما الدود
(مالا فوليا 16)

6) Li avevi visti con quegli occhi che dovevano mangiarseli i vermi

7 - فلان مثل الحيط المنخفض
(مالا فوليا 73)

7) lo sono come il muro basso

8 - واقع بين المطرقة والسندان
(مالا فوليا 85)

8) Stava fra l'incudine e il martello

9 - لا يسمح بأن تقف الذبابة على أنفه
(مالا فوليا 97)

9) Non si lasciava posare le mosche al naso

10 - المصائب تعلم الحكمة
(مالا فوليا 119)

10) Il giudizio viene colle disgrazie

— * —

وهناك كثير من مثل هذه العبارات الإيطالية التي تقابل عبارات عربية مثلها وتطابقها كل المطابقة. وليس قصدي استعراضها جميعا بل تقديم بعض النماذج فحسب لكي انطلق بعد ذلك الى الفئة الثانية، وهي :

2 - المشابه في العادات والبيئات الشعبية :

وهذه نقطة أخرى جديرة بالابراز والدرس ، وهي تتعلق بالعادات الشعبية التي رسمها فيرغا في روايته . ومن السهل أن تجد ما يماثلها تماما في الحياة الشعبية العربية . وأنا أكرر أنني أورد ما أعرفه في بندي ، يقينا مني بأن في البلدان العربية الأخرى ما يماثلها . وهاكم بعض تلك العادات :

1 - (مالا فوليا - ص 44) - يدور الحديث على موت الابن باستياناتسو - وعند ذكر العادات الشعبية يعرفنا المؤلف كيف أن الاصدقاء يحملون الى بيت الفقيد هدايا من المعائن والبيض ، ومن خيرات الله .

ان مثل هذه العادة ما يزال متبعا الى اليوم في القرى الأردنية ، مثلا - وليس من شك في أن هناك مثله في اقطار عربية أخرى - ففي القرى عندنا ليس الاصدقاء وحدهم هم الذين يحملون الى بيت الفقيد مختلف الهدايا ، بل تشترك القرية كلها في ذلك كمعنى من معاني المؤاساة والمشاركة القلبية في

المصاب . وهم يحملون الارز ، والشاي ، والخراف ، والدجاج ، والطحين . والقهوة ، وحتى الحطب لطهو الطعام والخبز وما الى ذلك من الحاجات البيتية . والقرويون يؤدون هذه المشاركة اللطيفة لمساعدة أسرة الميت وتعزيتها ، من جهة ، ثم لانه لا يجوز أن تتحمل أسرة الميت وحدها كل النفقات - وهي غير قليلة -

2 - (مالا فوليا - 80) في ما يتعلق ببواعث الشؤم تقول الكنيسة سانتوتسا : « ان تقود العم كروتشيفيسو تحمل معها الدواهي ! ففي هذه الليلة ايضا سمعت الدجاجة السوداء تصيح » .

وعندنا أيضا اذا صاحت دجاجة مثل صياح الديك - وليس من الضروري أن تكون سوداء فقط - اعتبر ذلك نذير شؤم ، ولا بد عندئذ من ذبحها فدى عن البيت الذي تصيح فيه .

3 - (مالا فوليا - 93) - كان الحفيد نتوني يريد الاقتران ببربارة رغم ارادة جده وأمه ، وكان الجد يؤنبه قائلا : « هل ستتزوجها ؟ وأنا من اكون ؟ وأمك ، اليس لها عندك شأن ؟ حين أراد ابوك أن يتخذ له زوجة استشارني في ذلك أولا » .

وفي رواية (المعلم جيزوالدو) كذلك حكاية مشابهة لهذه ، في الصفحة 105 ، حين يسأل خادم الكنيسة السيدة بيانكا تراو اذا كانت ستزوج السيد جيزوالدو ، فتجيبه بقولها : « اذا كان أخواي قد رفضا ذلك فأني رأي لي ؟ » ثم اضافت : « ان أخوي هما صاحب الامر ... وهما وحدهما اللذان يقرران » .

وعندنا ، في أكثر البلدان العربية ، ان لم يكن فيها جميعا - وعلى الاخص في القرى والبيئات البدوية ، يتم الزواج بمثل هذه الطريقة : ليس عن رغبة أو حب متبادل ، بل باختيار الوالدين ، أو الاخ الأكبر الذي تقضي التقاليد بأن يقوم مقام الوالد في حالة وفاة الوالد .

4 - (مالا فوليا 111) - ونأتي الآن الى حادثة تبشر بقال حسن ، وذلك عندما « تتظاهر ابنة العم حنة بسقوط قارورة الخمر من يدها ، وفيها نحو ربعها من النبيذ ، فتأخذ عندئذ في الهاتف : افرحوا ! افرحوا !.. ان اندلاق الخمر قال حسن ! »

عندنا يقال مثل هذا عن القهوة ، لا عن الخمر ، والاختلاف هنا بحكم البيئة والتقاليد فقط ، وذلك لان القهوة هي دليل الضيافة الحميمة الاعم استعمالا

والواقع ان فيرغا قد استطاع ان يعطينا كل ذلك ببراعة الفنان الاصيل .

وهنا أيضا نجد المجال واسعا للتبصر والملاحظة . ومن بين الامثال الصقلية التي أوردها فيرغا في روايته (أسرة مالا فوليا) اختار المجموعة التالية ، مع ما يقابلها من الامثال العربية العامية بشكل خاص ، (ولكنني مضطر الى ايراد هذه الامثال بغير أصلها العامي) :

- 1 - ما كان اوله شرطاً فأخره سلامة -
1) Quel che e' di patto non inganna
- 2 - عمر الشقي طويل -
2) Uomo povero ha i giorni lunghi
- 3 - نم بخير يا جاري لكي انام معك -
3) Augura bene al tuo vicino che qualcosa te ne viene
- 4 - بعيد عن العين بعيد عن الخاطر -
4) Lontano dagli occhi lontano dal cuore
- 5 - الصديق عند الضيق -
أو :
- عند الشدائد يعرف الاخوان
5) Carcere, malattie e necessita', si conosce l'amista'
- 6 - كل واحد يهيل النار على قرصه -
6) Ognuno tira l'acqua al suo mulino
- 7 - البيت الذي ليس له كبير ليس له مشير -
7) Ascolta i vecchi e non ti sbagli
- 8 - الرجل يمسك من لسانه -
8) L'uomo per la parola e il bue per le corna
- 9 - الدم لا يصير سما -
أو :
- الدم لا يصير ماء -
9) Il sangue non e' acqua
- 10 - من يلعب بالماء تبطل ثيابه -
10) Chi cade nell'acqua e' forza che si bagni
- 11 - الحب والبغض ليسا باليد -
11) Amare e disamare non sta a chi le vuol fare
- 12 - من كان لا خير فيه لقديمه لا خير فيه لجديده
12) Chi cambia la vecchia per la nuova peggio trova

لدى العرب ، وهي في ذلك كالخمر عند الايطاليين والغريين عامة .

5 - (جيزوالدو 273) غضب جيزوالدو غضبا شديدا حين بلغه ان ابنته ايزابيلا قد هربت من المدرسة الداخلية، واصابه ما يشبه الصدمة المفاجئة، فاضطروا الى استدعاء الحلاق ليسحب منه دما .

كعلاج بدائي في بعض حالات المرض يلجأ الكثيرون في بعض البلاد العربية - ان لم يكن في جميعها - الى من يسحب منهم دما - وهناك حلاقون - من يستخدم العلق لمص الدم - وهناك حلاقون - رايت بعضهم بنفسه في القدس قبل عدة اعوام - يعنون بتربية العلق في قوارير زجاجية كبيرة لهذا الغرض ، وهم يستخدمونه بالصاقه على ظهر المريض أو عنقه لامتصاص شيء من دمه . وهناك من يستخدمون الشفرة أو موسى الحلاقة ، يشطبون بهما ظهر المريض أو اذنيه . كما ان العادة الاكثر شيوعا هي استعمال كاسات الدم لراحة المريض ، ولاسيما اذا كان يشكو من ضيق الصدر أو النزلة الصدرية ، أو ما الى ذلك .

من هذه النماذج نرى اننا ازاء عادات متشابهة كل التشابه في البيئة الصقلية الفيرغوية وفي البلدان العربية . ولا يبدو لي شيء من الغرابة في ان تكون هناك سمات عربية في هذه العادات الصقلية ما دامت هي نفسها شائعة في الاقطار العربية حتى اليوم .

— * —

3 - الامثال والحكم :

في الامثال والحكم نجد دائما خلاصة حكمة لتجارب الشعوب عبر الاجيال ، كما نجد الصورة الاصلية للعقلية والروح والاخلاق التي اكتسبها شعب ما نتيجة تجارب وصلات طويلة مع الشعوب الاخرى، سواء اكانت هذه الشعوب صديقة أم عدوة ، قريبة أم بعيدة .

وفي (أسرة مالا فوليا) بنوع خاص اهتم فيرغا كثيرا ، وعامدا ، بالامثال الصقلية ، وراح يرددها بكثرة في كل فصل من فصول الرواية بمقدرته الفنية الفائقة التي نعرفها . ومن المؤكد اننا نستطيع ان نستخلص منها صورة المجتمع بكثير من الدقة ، سواء من الوجهة الخلقية أم الاجتماعية .

من البيئات الشعبية الصقلية المناضلة لاجل العيش ،
والمكافحة ببطولة جسارة في سبيل التفاف على حتمية
الاقدار القاسية .

وقبل ان أختتم هذه الدراسة العاجلة اود ان
اذكر ما قاله لويجي كابوانا ، رفيق فيرغا ومواطنه
وزميل مدرسته الادبية ، في هذه الواقعة
الفيرغوية الصميعة ، وهو : « ان فيرغا حينما تخطر
على باله وضع فكرة قروية في صورة فنية ، لا
يقتصر على جمع بعض المعلومات ، بل ينقل صورة
ارضهم . ليس كافيا لديه ان يكون اولئك الاشخاص
ايطاليين - الفلاح ايطالي كلمة تجريدية - انه
يذهب ابعد من ذلك كثيرا : يريد ان يكونوا صقليين
.. يريدهم ان يكونوا من مقاطعة محددة ، بل من
مدينة محددة ، بل من قطعة صغيرة من الارض
بحجم الكف ... عند ذاك فقط يقف » .

ان هذا التحديد ينطبق كل الانطباق على روايتي
فيرغا اللتين استعرضناهما في هذه العجالة : فلقد
كان ادب فيرغا منتزعا من صميم الارض البائسة
التي راي فيها المؤلف النور - وان لم يعيش فيها
كثيرا ، بل قضى الشطر الاكبر والاهم من عمره
في الشمال الايطالي الذي ينعم بالثراء والرخاء
والحيوية العاملة في النهار والليل .

لقد كان فيرغا بحق ابن بيئته ، وكذلك كان
ادبه الخالد ، النابع من نفس تشعر ببؤس الآخرين ،
وبضالهم القاسي في سبيل العيش .

وطبيعي انه ، وهذا ادبه ، لا بد من ان يعكس
فيه الروح الصقلية العامة ، بكل ما فيها من روااسب
وتأثيرات انطبعت في حياتها على مدى الاجيال .
ومن هذه التأثيرات ما لمسناه الان من المشابهة
والسمات العربية في البيئات التي وصفها فيرغا في
روايته الكبيرين : (اسرة مالا فوليا) و (المعلم
السيد جيزوالدو) .

13 - من اكل على ضرره نفع نفسه -
13) Chi ha bocca mangia, e chi non mangia
muore

14 - شيء خير من لا شيء -
او بالعامية : (ربة الجوز ولا عدمة) -
14) Meglio poco che nulla

15 - كل طير يحن الى عشه -
15) Ad ogni uccello il suo nido e' bello

16 - القناعة غنى -
16) Piu' ricco e' in terra chi meno desidera

17 - من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم -
او : من يدخل بلد العور يقلع عينه -
17) Chi va con zoppi all' anno zoppica

18 - مال الحرام لا يدوم -
18) Roba rubata non dura

19 - ليس للجائع آذان -
وبالعامية : (الجوعان مالوش اذان)
19) Ventre affamato non ragiona

20 - الملدوغ يخاف من جرة الحبل -
20) Le cose lunghe diventano serpi

— * —

والان بعد ان فرغت من استعراض هذه الامثلة
والنماذج العديدة ، والمشابه بين عادات وامثال
وتعابير متعددة من بيئة روايتي فيرغا الكبيرين
والبيئات العربية ، لست اريد ان اجيء بحكم نهائي
جازم في تأثير العرب في اعمال فيرغا الادبية ، بل
اترك هذا لكم انتم . اما انا فقد اقتصررت مهمتي على
ان القي ، بقدر الامكان ، نورا جديدا على بعض اعمال
فيرغا الادبية ، محاولا بذلك فتح طريق جديدة لمن
يشاء ان يتوسع في دراسة فيرغا وادبه الجميل المنتزع

لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني

زرياب المنوفي سنة 238 هـ.

للشيخ نافع مولى أمير المؤمنين علي

عضو المجمع العلمي العراقي

يأخذ احسن ما يسمع ، ويختار خير ما ينفع ،
فحصل على ثقافة جامعة فى الادب والعلم والفن ،
ولكنه كان يؤثر الفناء على غيره ، وله من صوته
الجميل خير مساعد .

لازم اسحاق الموصلي - استاذ الفنين فنى
عصره - ليأخذ عنه ما لم يجده عند غيره . واسحاق
الموصلي : من علماء عصره ، ومكانته من العلم والادب
والشعر ما يقول عنها ياقوت الحموي : « لو اردنا
استيعابه لطال الكتاب ، وخرجنا عن غرضنا من
الاختصار . ومن وقف على الاخبار ، وتبع الآثار
علم موقعه » .

كان يدخل على المأمون مع اهل العلم والادب
والرواة ، ثم كان يدخل مع الفقهاء وبده فى يد القضاة ،
حتى يجلس بين يدي المأمون - وكان المأمون يقول
عنه : « لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس ،
وشهر به من الفناء عندهم لوليت القضاة بحضرتي ،
فانه أولى به واحق واعف ، واصدق تدبينا من هؤلاء
القضاة » .

اخذ زرياب عن هذا العالم الاديب ، والفنان
البارع ، واقتبس من ادبه وفنه . وكان اسحاق يعنى
بهذا الفتى لما رآه عليه من الذكاء والفطنة وسرعة
الاخذ كما انه من موالى أمير المؤمنين ، فكان يحضره
مجالسه التى يعقدها فى داره ، والتى كانت مجمعا

ابو الحسن علي بن نافع مولى أمير المؤمنين الخليفة
المهدي بن المنصور العباسي ، كان اسود اللون ، حلو
السمائل ، جميل الصوت ، فصيح اللسان ، فلقبوه
« بزرياب » تشبيها له بطائر غرد ، حسن الصوت ،
يقال له « زرياب » . نشأ زرياب فى بغداد ، وهي اذ
ذاك : دار السلام ، وقبة الاسلام ، مقر الخلافة ،
ودار العلم والادب والحكمة ، ومجمع اهل الفنون
والصناعات ، حاضرة الدنيا وما سواها بادية ، وهو
ما حمل الامام الشافعي (رض) ان يقول لمن لم ير
بغداد : « ما رأيت الدنيا ولا الناس » .

وزرياب يتقلب فى قصور الخلافة ، وما فيها
من ترف ونعيم ، وخمائل باسقة ، وازهار عبقة ،
وجنات تجري من تحتها الانهار ، وملاعب تميز فيها
كواعب ، قد جمعن الظرف والادب ، والفن والجمال
والدلال .

كن فتنة الناظر ، وغرة العابر ، وخل المقيم ،
مما حمل الكتاب والشعراء ان يهيموا بوصفها ،
واتخذوا من حدائقها وملاعبها المسارح التى مثلت
فيها فصول « الف ليلة وليلة » .

فى هذا المحيط الزاهي نشأ الفتى زرياب ،
الذكي الفؤاد ، الدقيق النظر ، الصافي البصيرة ،
فكان يتقلب فى نعيمها ، ويتفأ ظلالها ، ويستمتع
الى كواعبها ، ويتصل بمن يرتادها من اهل الادب
والفن ، فيقتبس من علمهم ، وينهل من ادبهم :

حضر اسحاق الموصلي مجلس الرشيد ، وتشعب الحديث في الأدب والفن ، فطلب الرشيد من اسحاق مغنياً مجيداً للصنعة . لم يشتهر مكانه اليه .

واسحاق كان يتقرب الى الرشيد بكل ما يؤنسه ، ويطرفه بما عنده من اصوات وظرف وأدب ، واراد ان يتحف الرشيد بأحد تلاميذه - من موالي دار الخلافة - لما كان يعرف فيه من الذكاء والفطنة وسرعة التأقّي عنه . فقال اسحاق للرشيد يا مولاي: عندي تلميذ - وهو مولى لكم - اسود اللون . عذب الشمائل ، حلو التفريد ، سمعت له نزعاً حسنة، ونغمات رائعة ، مانتاطة (1) بالنفس ، اذا أنا وقفته على ما استغرب منها - وهو من اختراعي ، واستنباط فكري ، واحس أن يكون له شأن - فان أذن لي امير المؤمنين قدمته اليه . ولم يعلم اسحاق ان هذا الذي يتوسم فيه الذكاء والفطنة سيفني امير المؤمنين بما لم يحسنه اسحاق ، وسيبأفته بما وضع وأبدع .

امره الرشيد باحضاره - لعل حاجته تكون عنده ، وهكذا فان الساعة التي كان يترقبها زرياب قد آتته عفواً ، فقد امر الخليفة باحضاره اليه ليفني امام استاذه الذي أخذ عنه .

أخذ زرياب يعد عوده ، واحسن ربط أوتاره ، واختار الاصوات التي سيفني الخليفة بها ، ويبز استاذه ويفوقه .

حضر زرياب مع استاذه اسحاق يحمل العود الذي قد اعدده لنفسه ، وهو يختلف عن عود استاذه ، ومثل امام الرشيد ، واستاذه فخور بتلميذه الذي سيفني امير المؤمنين بما استنبطه هو ولقنه اياه .

كلم الرشيد زرياب ، فأجابه زرياب بأحسن منطق وأوجز خطاب ، مع فصاحة لسان وظرف وأدب .

سأله الرشيد عن معرفته بالفناء ، فقال : نعم احسن ما لا يحسنه الناس ، واكثر ما احسنه لا يحسنونه ، مما لا يحسن الا عندك ، ولا يدخر الا لك ، فان أذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك .

بهت استاذه اسحاق مما سمع ، ولم يكن يتوقع هذا ، فهل يجرؤ احد امام اسحاق الموصلي ان

لاهل الفنون والآداب ، وزرياب ينهل من كل ما يروق له ، وما يؤهله ان يخلف استاذه في مكانته .

بذل اسحاق عناية خاصة في تدريبه وتعليمه الاصوات التي يضعها ، والإيقاعات التي يبدعها . وكان الفتى النابه ينصرف الى ما يلقيه استاذه ، ويتأمل في اصواته ويدقق مواضع القوة فيها ، فكان في طبيعة الذين يأخذون عنه ، وهذا ما حمل استاذه على مضاعفة العناية به ، والانصراف الى تعليمه كل نادر وغريب ، حتى كان من طلابه الذين يفاخر في تعليمهم وتهذيبهم .

كان زرياب كلما تلقى صوتاً من استاذه اسحاق - او من غيره - تلتقف الصوت ورددته مع نفسه حتى يتقنه ، فاذا عاد الى داره واختلى بنفسه ، أجرى على الصوت ما يبدو له اذا ما غير في ترديده ، فلم يزل يبدل ويتقح ويهذب في الصوت ، حتى يبتكر صوتاً جديداً جميلاً قائماً بذاته لم يسبق اليه .

وهكذا كان دأبه في كل صوت يسمعه ، او ضربات يثقلها من شيخ المغنين اسحق الموصلي ، فانه يدخل عليهما من التعديل والابتكار ما يجعلهما من اجمل ما أبدعته قريحة هذا الفتى الناشيء .

اشتغل زرياب بهدوء وسكينة وام يطلع احداً على ما كان يقوم به ، حتى استاذه الذي تربى بين يديه ، وأخذ عنه ، فانه لم يكن يعلم ما عند زرياب من روائع الاصوات - وزرياب مستمر التردد الى استاذه ، يسترق من اصواته ، ويلتقط من ظرفه وأدبه ، ويواصل التهذيب والتحسين والابتكار ، حتى صار يطمع ان يخلف استاذه في فن مبتكر ، بل كان يطمع الى اكثر من هذا - وهو ان يهر استاذه بما لم يسمع مثله .

أخذ زرياب يترقب اليوم الذي يباغت فيه المجتمع بفن دقيق مبتكر ، يعجز استاذه - استاذ الفن والطرب في بغداد - عن الاتيان بمثاله ، مما حمّاه على حسده وتهديده بالقتل ان لم يرحل عن بغداد ، ويحافظ على منزله التي كان عليها في بلاط الرشيد .

(1) لاصقة

يقول ما قاله هذا التلميذ الناشيء ؟ وصار يترقب
سماع الصوت بدهش وعجب .

امر الرشيد باحضار عود استاذة اسحق ليفني
زرياب . فلما قدم اليه وقف عن تناوله وقال : يا
امير المؤمنين : لي عود نحته بيدي ، وارهفته باحكامي
ولا ارتضي غيره - وهو بالباب - فلياذن لي امير
المؤمنين في استدعائه ، فأمر الرشيد بادخاله اليه .

تأمله الرشيد ، وكان شبيها بالعود الذي دفعه
له - عود استاذة - وقال له الرشيد : ما منعك ان
تستعمل عود استاذك ؟ فقال زرياب : ان كان مولاي
يرغب في غناء استاذي ، غنيته بعوده ، وان كان
يرغب في غنائي فلا بد من عودي . فقال له الرشيد :
ما اراهما الا واحدا .

فقال زرياب : صدقت يا مولاي ، ولا يؤدي
النظر غير ذلك ، ولكن عودي - وان كان في قدر
جسم عوده ومن جنس خشبه - فهو يقع من وزنه
في الثلث او نحوه . واوتاري من حريز لم يفلز
بماء ساخن يكسبها انانة ورخاوة . وبمها ومثلثها
اتخذتهما من مصران شبل الاسد ، فلها في الترنم
والصفاء والجهارة والحدة اضعاف ما لغيرها من
مصران سائر الحيوان ، ولها من قوة الصبر على
تأثير وقع المضارب المتعاقبة بها ما ليس لغيرها .
فاستبرع الرشيد وصفه واذهل اسحق ما سمع .
ثم اندفع زرياب وغنى :

يا ايها الملك الميمون طائره
هارون راح اليك الناس وابتكروا

- 3 -

سقط في يد اسحق فقد سمع من احد تلاميذه
ما فيه من الروعة والاتقان والابتكار ، مما جعل امير
المؤمنين يعجب به غاية الاعجاب ، ويؤكد على
اسحق : انه لولا ما يعلمه عنه من الصدق لانزل
المقوبة به ، اذ لم يطلع على ما قد ابتكره هذا الفنان
المبدع - وهل يترك اسحق الموصلي زرياب معه في
بغداد يتبوا مكانته ؟ بل يسمو فوقه فيبعده عما هو
عليه ، وتكون له زعامة الفناء في دار السلام .

فلا بد من ان يصارحه بما يكتنه له صدره من
الحسد ، وان بقاءه لا يمكن ان يكون في بغداد ، والا
يؤدي به الى موته .

خلا اسحاق بزرياب وقال له : يا علي ، ان
الحسد اقدم الادواء وادوؤها ، والدنيا فتانة ،
والشركة في الصناعة عداوة ، ولا حيلة في حسمها ،
وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك ، وعلو
طبقتك . وقصدت منفعتك ، فاذا قد اوتيت نفسي
من مامننا بادنائك ، وعن قليل تسقط منزلتي ،
وترتقي انت فوقي ، وهذا ما لا اصاحبك عليه - ولو
انك ولدي - ولولا رعيي لذمة تربيتك ، لما قدمت
شيئا على ان اذهب نفسك ، يكون في ذلك ما كان ،
فتخير في اثنتين لا بد لك منهما : اما ان تذهب عني
في الارض العريضة ، لا اسمع لك خيرا ، بعد ان
تعطيني على ذلك الايمان الموثقة ، وانفض بذلك لما
اردت من مال وغيره ، واما ان تقيم على كرهى ورغمى
مستهدفا الي ، فخذ الآن حذرک مني ، فلست والله
ابقي عليك ، ولا ادع اغتيالک باذلا بذلك بدني ومالي ،
فاقض قضاءك .

خرج زرياب وهو يفكر بالامر ، فهو يعلم ان
استاذة لا يحجم عن قتله اذا اقام في بغداد ، ولا بد له
من الرحيل عنها في بلاد الله الواسعة - وعلى هذا
عاد الى استاذة وابدى له رغبته في الرحيل عن
بغداد ، والتوجه الى بلاد المغرب بعيدا عن اسحاق
وبغداد - هذا روع اسحاق وزال عنه ما كان في
قلبه من هم ، وساعد زرياب بما يحتاجه من مال .

وبعد ايام فرغ الرشيد من شغل كان منغمسا
فيه ، واشتاق الى سماع اصوات زرياب ، فأمر
اسحاق الموصلي باحضاره .

واسحاق من دهاة عصره ، قد ارضى الخليفة
ورجال دولته في تصرفه ورجاحة عقله ، فهل
يعجز عن اجابة الخليفة بما يضرفه عن زرياب ؟

قال اسحاق : ومن لي به يا امير المؤمنين ؟
ذاك غلام مجنون ، يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما
يزهى به من غنائه ، فما يرى في الدنيا من يعدله ،
وما هو الا ان ابطأت عليه جائزة امير المؤمنين ،
وترك استعادته ، فقدر التقصير به ، والتهوين
بصناعته ، فذهب مغاضبا ذاهبا على وجهه ،
مستخفيا عني ، وقد صنع الله تعالى في ذلك
لامير المؤمنين ، فان كان به لم يفشاه ويفرط خبطه ،
فيفزع من رآه .

سكن الرشيد الى ما قاله اسحاق ، وقال :
على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير .

هذا هفوة من زرياب ؟ او خاطر خطر له ؟ وربما كان
لامر في نفسه - وعلى كل فقد بدر منه ما أغضب
ابن الاغلب ، واوجب خروجه من تونس قاصدا بلاد
الاندلس .

- 5 -

وكان اهل الاندلس يتطلعون الى ما في الشرق
من حضارة زاهية ، وعلم وادب وفن ، وجدوا في
الاستفادة مما عند القوم ، فرحل الكثير من اهل
الاندلس الى بلاد الشرق ، واخذوا عن علمائه وادبائه ،
وتعلموا فنونه وصناعاته ، ورجعوا الى بلادهم
ينشرون ما حملوه معهم .

كما رغب الامراء الامويون بنوابغ اهل الشرق ،
وشوقهم بالرحلة الى بلادهم ، وبذلوا لهم الاموال
الوافرة ، وقدموا لهم كل مساعدة ، ليستفيدوا من
علمهم وفنهم . وكانوا يبذلون الاموال في الحصول
على ما يستجد في الشرق من كتب قيمة . فقد بذل
الامير الحكم لابي الفرج الاصفهاني الف دينار قيمة
نسخة من كتابه الاغاني قبل ان ينتشر في الشرق .

هذا الاقبال من اهل الاندلس حمل العلماء
وارباب الفنون ان يعموا شطرها ، ويرحلوا اليها ،
وينشروا علومهم ومعارفهم فيها . فرحل عدد منهم
الى الاندلس ، ونالوا من امرائها واهلها من الحفاوة
والاحترام والاموال الوافرة ، ما حملهم ان يستقروا
في هذا البلد الطيب ، واثروا آثارا حسنة في
التدريس والمحاضرة والتأليف .

كتب زرياب الى الامير الحكم بن هشام ، يعلمه
بمكانته في الفناء ، ويعرض عليه التوجه اليه .
فسر الحكم بهذا ، وكتب اليه مرحبا به ، وارسل
لاستقباله وتدبير سفره مفنيه منصور اليهودي .

ولما كان في الجزيرة الخضراء ، بلغه وفاة
الحكم ، فهم بالعودة الى بلاد العدو ، فثناه عن ذلك
رسول الحكم ، وبين له شفق عبد الرحمن بن الحكم
بالفناء والموسيقى . ورفع منصور اليهودي امر زرياب
الى عبد الرحمن يعلمه بمكانته ، وعبد الرحمن هذا من
اكثر الاسماء الاندلسيين شغفا بالاداب والفنون
والفناء . يحضر مجلسه العلماء والادباء وارباب
الفن - وخاصة المغنون والموسيقيون - وهو يجزل
لهم العطاء . سر عبد الرحمن بخبر زرياب ، وكتب
اليه يعلمه بتطلعه اليه ، والسرور بقدمه عليه ،

وهكذا تمكن اسحاق من صرف زرياب عن
بغداد ، وصرف الرشيد عن زرياب ، وصرف الهم
عن قلبه .

- 4 -

نسي امر زرياب في المشرق ، ولم تقف على ذكر
له بين الفنانين الذين نبغوا في العصر العباسي .
ومع ان ابا الفرج الاصفهاني ترجم في كتابه (الاغاني)
لاصحاب الاصوات الذين عانوا صناعة الفناء في
الشرق ، فانه لم يتطرق الى ذكر زرياب والاصوات
الجميلة التي وضعها - ذلك لانه اول نبوغه هدد
بالقتل ان لم يرحل عن بغداد - فرحل الى بلاد
واسعة ، ووجد اهلا غير اهله ، واقبالا لم يكن يتوقعه ،
فكان زعيم الفناء في الاندلس والمغرب - كل هذا
ولم يدون اهل بغداد ما ابدعه فتى اسحاق الموصلي
الذي خرج من بغداد خائفا يترقب .

توجه زرياب الى الشام ، ومنها الى مصر ،
ومنها ركب البحر قاصدا المغرب ، ولما وصل تونس
اتصل بزيادة الله بن الاغلب (201 - 208 هـ)
وحظي عنده ، فكان يحضر مجالسه ، ويشارك بما
يدور فيها من ادب وفن ، ويفنيه ، فاعجب به ابن
الاغلب وقربه اليه .

وفي احد الايام من سنة 206 هـ طلب ابن
الاغلب من زرياب ان يفنيه ، فغناه بأبيات لعنترة
الفوارس :

فان تك امي غرابية

من ابنا حمام بها عبتني

فاني لطيف ببيض الظبا

وسمر العوالي اذا جثنتي

ولولا فرارك يوم الوغا

لقدتك في الحرب او قدتني

ففضب ابن الاغلب من تعريضه هذا ، وامر
بصفع ففاه ، واخراجه من عنده ، وقال له : ان
وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة ايام ضربت
هتقك .

ولا نعلم سببا لتعريضه بالامير الاغلب ، وزرياب
من اذكياء عصره ، فطن دقيق الملاحظة ، فهل كان

ويمنيه ويرغبه . كما كتب الى عماله على البلاد التي سيمر بها زرياب ، ان يحسنوا اليه ، ويقدموا اليه كل ما يحتاجه ، ويوصلوه الى قرطبة .

وارسل الى احد اكابر مواليه ان يتلقاه ببغال والآلات حسنة . دخل زرياب قرطبة ليلا - صيانة لحرمة - وامر الامير ان ينزلوه في دار جميلة من احسن الدور ، وان يحمل اليها جميع ما يحتاج اليه ، وان يحملوا اليه الخلع .

وبعد ثلاثة ايام استدعاه ، ورحب به اجمل ترحيب ، ودعاه الى تناول الطعام معه ، مع اولاده الكبار ، وامر ان يفرض له ولاهله من الرواتب والخلع ما يقدر بالاف الدنانير سنويا ، واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع ما يقوم بأربعين الف دينار سنويا .

وزرياب قد اعد نفسه لمثل هذا اليوم الذي كان يترقبه ، فهو في كنف امير معجب به ، مشغوف الى سماعه ، فابدى في الاصوات التي كان يقنيه بها ، فما ان سمعه عبد الرحمان حتى استهواه ، واجبه حبا شديدا ، واطرح كل ما سواه من الغنين، وادناه من مجلسه ، وامر بفتح باب خاص لزرياب يستدعيه منه متى اراده . وزرياب قد جمع الى ما امتاز به من الغناء ، عدة مزاي رفيعة : كان شاعرا عارفا بفنون الادب، ونطف المعاشرة والظرافة، وعنده من آداب المجالسة ، وطيب المحادثة ، ومهارة الخدمة الملوكية ، مالم نجده عند غيره من اهل صناعته .

كيف لا يجمع زرياب هذه الصفات الجميلة ، وهو الذي تربى في بلاط العباسيين ، وتقلب في نعيمهم، وتنقل في جنائهم وخمائلم ، وحضر مجالسهم ، ولازم اعالي القوم في العلم والادب والفن - ربيب المهدي العباسي ، وتلميذ اسحاق الموصلي ، وخريج مدرسة بغداد دار العلم والحكمة والفن . هذه الخصال اثرت في اهل الاندلس ، حتى اتخذ ملوكهم وخواصهم قدوة حسنة فيما سنه لهم من قواعد وآداب ، واستحسنه من اطعمة وثياب ، وما ابتكره من عطور - وبقي اثر هذا فيهم الى آخر ايام اهل الاندلس منسوباً اليه .

وهكذا انتقادت الدنيا لزرياب ، فقد كان مرجع القوم في الغناء وفي التأثيرات الاجتماعية ، تسمع كلمته في البلاط الاموي ، وينقاد اليه سراة القوم ووجهائهم ، يبذلون له العطاء ويتوقعون رضاه ،

حتى قالوا : يؤثر على بلاط الامير عبد الرحمن اربعة اشخاص : فقيه : يحيى بن يحيى الليثي ، وموسيقي : ابو الحسن زرياب ، وامرأة : السلطانة طروب ، وخصي : نصر .

ومع انه كان مسموع الكلمة في البلاط الاموي، الا ان عقله منعه عن التدخل في شؤون سياسة البلد ، وتركها لغيره .

صرف نفسه الى فنه الذي كان سبب ظهوره ونبوغه ، لانه علم حق العلم ان خير طريق للنجاح في الحياة هو تجنب ما لا نصيب له فيه ، والانصراف الى فنه الرفيع الذي ينقاد اليه الامير ورجال سياسته ، على اختلاف ميولهم ورغباتهم - وعلى هذا فلا نرى له ذكرا في الحوادث السياسية ، التي كانت على عهده ، فهو مغني البلاط وكفى .

انصرف زرياب الى الغناء والابتكار فيه ، وشغل بهذا كل مواهبه وقابليته ، واطلع على ما في الاندلس من الحان ، اخذ بعضها عن سكان البلاد الاصليين، فكانت هذه عاملا جديدا في تطعيم الاصوات التي يبتكرها ، كان الغناء قد شغل كل وقته حتى اذا رقد في منامه ، فانه كان يواصل تفكيره في الاصوات المختلفة ، والاشعار التي تناسب كل لحن يقنيه ، فلم تنقطع سلسلة افكاره عن هذا الفن الجميل . فاذا آوى الى فراشه واهتدى الى لحن جديد ، او شعر جميل ، هب من نومه مسرعا ، فيدعو جارتيه غزلان وهنيدة ، فتأخذان عوديهما ، ويأخذ هو عوده، ويطارحهما ليلته ما اهتدى اليه من لحن ، ويكتب الشعر الذي نظمه ، حتى اذا اتقنته عاد الى فراشه .

وعلى هذا قال عنه معاصروه : ان الجن كانت تطارحه الالحن ليلا فيتعلمها . وما الجن الا شغفه بهذا الفن الرفيع الذي كان قد اخذ عليه كل وقته - حتى عند النوم فانه كان يحلم في ترديد الاصوات وترجييعها ، هذا هو الالهام الفني - جنون الفن - وهو ما قيل عن كثير من الشعراء والفنانين الموهوبين الذين يبدعون في شعرهم وفنهم . وكم ذكروا ان للشعراء شياطين يوحون اليهم زخرف القول ، فيأتون بما لم يأت به غيرهم . وما شياطينهم الا

انصرفهم الى الشعر وكثرة تفكيرهم فى محاسنه واوزانه ، وروائعه ، فيأتون بما لم يتها غيرهم .

- 6 -

كان لزياب معهد يقصده اصحاب الحناجر الرخمة، والاصوات الجميلة ، يتلقون عنه الالخان ، وما ابدعه من الاصوات والايقاعات .

ولم يكن زرياب يقبل احدا فى معهده ، الا بعد ان يقف على نبرات صوته ، وصلاحي حنجرتيه ، وقابليته الى تلقي الالخان والاصوات ، وعلى هذا فقد كان يختبر من يقصده للأخذ عنه - وقد حدثنا المقرئ عن كيفية اختباره لمن يقصده فقال :

« وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت - المراد تعليمه - من غير المطبوع ، امره ان يصيح بأعلى صوته : يا حجام . أو يصيح : آه . ويمد صوته ، فاذا سمع صوته بهما صافيا نديا قويا مؤديا لا يعثر به غنة ولا حبة ، ولا ضيق نفس ، عرف انه سوف ينجب ، وأشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده .

وهكذا بعد ان يختبر من يقصده ، ويتحقق صلاحه ، يسلمه الى الذين يأخذون عنه ، فيتعهدون تدريبه تدريبا اوليا ، حتى اذا وقف على مباديء هذا الفتى الجميل ، تعهده بنفسه مع الذين يأخذون عنه . فاذا حضر التلميذ عنده للأخذ عنه ، كان يرشده الى كيفية الجلوس ، وطريقة اخراج الصوت من الفم ، والطرق التى يحسن بها نبرات صوته ، بحيث يجعله يناسب اللحن والايقاع اذا ما غنى .

قال المقرئ فى هذا :

« وكان اذا تناول الالتقاء على تلميذ يعلمه، امره بالعود على الوسائل المدورة المعروفة بالمسورة ، وان يشد صوته جدا - اذا كان قوي الصوت - فان كان لينه ، امره ان يشد على بطنه عمامة ، فان ذلك مما يقوى الصوت ، ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج عن الفم . فان كان الص الاضراس ، لا يقدر

ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنانه عند النطق، راضه بان يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث اصابع يبيتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه ، وهو راي عالم بنبرات الاصوات ومخارجها ، وما يساعد على تهذيبها واظهارها بصورة جلية .

اخذ عن زرياب اولاده وكثير من اهل الاندلس رجالا ونساء، ونشروا فنه فى طول الاندلس وعرضها، فكانوا دعاء نهضة فنية ، طغت على الاندلس ، وتعدتها الى شمال افريقية ، وطبعتها بطابع الالخان التى ابدعها زرياب . بقيت هذه النهضة الى القرن الثامن للهجرة ، وهي تسير على القواعد التى وضعها زرياب والالخان التى ابتكرها وابدع فيها ، مما جعل ابن خلدون يقول عن تأثير غنائه :

فاورث بالاندلس من صناعة الفناء ، ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غزارتها الى بلاد العدة بافريقية والمغرب ، وانقسم على انصارها ، وبها الآن صباة على تراجع عمراتها وتناقض دولها .

ومن اخذ عنه وبرز فى الفناء اولاده العشرة (1) :

1 - عبيد الله كان خليفة والده ، واعلا اخوته فى الفناء .

2 - عبد الرحمن : وهذا يلى عبيد الله فى الفناء ، وكان يشوب علمه تيه وزهو وكثرة العجب بفتنائه ، وهذا مما سبب له مشاكل كثيرة فى مجالس الفناء التى كان يقيمها (2) ، ويذكر ابن خلدون ان عبد الرحمن هذا خلف والده فى هذه الصناعة ، ولربما عمر اكثر من عبيد الله ، فكان المرجع اليه فى الفناء .

3 - اما محمد بن زرياب فكان مؤنثا .

4 - واما القاسم بن زرياب : فكان احدهم غناء مع تجويده .

5 - واما احمد بن زرياب : فكان قد غلب عليه الشعر .

(1) كان لزياب اربعة اولاد يوم دخل الاندلس ، وهم : عبد الرحمن وجعفر ، وعبيد الله ويحيى . وولد له فى الاندلس اربعة بنين : محمد وقاسم واحمد وحسن ، وبنان : عليا وحمدونة .

(2) نفع الطيب : 4 : 125 .

6 - واما حمدونة بنت زرياب: فكانت متقدمة في
أهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، تزوجها الوزير
هشام بن عبد العزيز .

7 - اما عليّة بنت زرياب : فطال عمرها بعد
أختها حمدونة ، ولم يبق من أهل بيتها غيرها ،
فاقتصر الناس اليها ، وحملوا عنها ، فكانت مرجعا
للمعهد الزريابي ، يقصدها أهل الفن ، وبأخذون
عنها .

ومن جواربه :

1 - مصابيح : جارية الكاتب أبي حفص عمر
بن قلهيل ، وهي ممن أخذ عن زرياب ، وصارت غاية
في الاحسان والنبيل وطيب الصوت .

مر ابن عبد ربه (3) فسمع غناها ، واشتاق ان
يدخل اليها فأبى مولاها . فمال ابن عبد ربه الى
مسجد قريب من المكان ، وأخذ لوحا من صبي وكتب
هذه الابيات وارسلها الى مولاها :

يا من يضمن بصوت الطائر الفرد
ما كنت احسب هذا الضن من احد

لو ان اسماع أهل الارض قاطبة
أصفت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي مقلده
صوتا يجول مجال الروح في الجسد

لو كان زرياب حيا ثم أسمع
لذاب من حسد، أو مات من كمد

أما النبيل فاني لست أشربه
ولست آتيك الا كسرتي بيدي

فلما قراها مولاها ، خرج اليه حافيا ، وادخله
مجلسه ، وتمتع ابن عبد ربه من سماعها .

2 - متعة : جارية زرياب ، اهتمت في تأديبها
وتعليمها احسن اغانيه ، وثبت رائعة الجمال ،
وتصرف بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ،
تغنيه مرة ، وتسقيه أخرى ، وكان الامير معجبا بجمالها
وبصوتها ، فلما فطنت لاجابه بها ، أبدت له دلائل
الرغبة ، ولكنه أبى الا التستر ، فنظمت هذه الابيات
وغنته بها :

(3) صاحب « العقد الفريد » .

يا من يغطي هواء
من ذا يغطي النهار ؟

قد كنت املك قلبي
حتى علقت فطارا

يا ويلتاه اتراه
لي كان ، او مستعارا ؟

يا بابسي قرشي
خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب امرها ، اهداها الى الامير
عبد الرحمن ، وحظيت عنده .

3 - اما هنيذة وغزلان فقد تقدم الكلام عنهما .

ومما اجراه على العود في الاندلس :

1) كانت اعواد القوم ذات اربعة اوتار ، فاضاف
هو اليها وترا خامسا ، واتخذ الاوتار من حريير لم
يفزل بماء ساخن يكسبها انانة ورخاوة وقد تقدم
الكلام عنها .

2 - كانت الاعواد ثقيلة الوزن ، تعجد الضارب ،
وربما عاقته عن تأدية الضرب كما بهوى ، فجعل
زرياب عوده صغير الحجم ، خفيف الوزن ،
جميل الشكل ، دقيق الصنع ، يستهوي
النفس ، ويمثل جمال الالحان التي يضربها زرياب .

3) كانت مضارب العود من خشب ، ثقيلة على
الانامل ، تؤثر في الاوتار عند الضرب ، وربما
قطعتها او افسدتها في ايام معدودة . فعدل عنها
زرياب بأن اتخذ المضرب من قوادم النسر : خفيف على
الانامل ، رفيق بالاوتار ، لين في اليد ، مرن
الاستعمال ، يحدث اهتزازات في الاوتار ، ما لم
تحدثه المضارب الخشبية الصلبة .

ومما سنه في الفناء : ان كل من افتتح الفناء
يبدأ بالنشيد اول شذوه بأي نقر كان ، ويأتي اثره
بالبسيط ، يختم بالحركات والاهزاج تبعا لمراسيم
زرياب .

ذكر المؤرخون ان اسلم بن احمد بن
سعيد ألف كتابا في الاصوات التي وضعها

الاجتماعية فيها : الطعام والازياء وتصنيف الشعر
وابتكار عطور وادهان وغير ذلك .

فى الطعام وما يتبعه من لوازم :

1 - كان زرياب اول من اجتنى بقلة الهليون
المسماة بلسانهم بالاسفراج ، ولم يكونوا يعرفونها
قبله .

2 - وعلمهم زرياب طبخ النقايا ، وهو مصطنع
بماء الكزبرة الرطبة ، محلى بالسنبوسق والكباب ،
ويلي هذا عندهم لون الثقيلة المنسوبة اليه «زريابية» .

3 - كان الاندلسيون يتخذون الآنية الرفيعة
الثلثي ، ويحطونها بالذهب والقضة ، ويتنافسون فى
هذا ، فاتخذ زرياب آتيته من الزجاج الجميل ،
فقلده الاندلسيون فى هذا .

4 - فضل زرياب استعمال سفر الاديم على
الموائد الخشبية لتقديم الطعام ، لان الوضر يزول عن
الاديم باقل مسحة ، فأخذ الاندلسيون بهذا .

5 - كان زرياب يفضل فرش الانطاع الاديمية
الناعمة اللينة على ملاحف الكتان ، فانتشر هذا فى
الاندلس .

واما تأثيره على الازياء فى الاندلس : فانه رأى
ان يلبس كل صنف من الثياب فى زمانه الذى يليق
به . فيكون ابتداء الناس بلباس البياض . ثم يلبسون
الملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم
« بالعنصرة » الكائن فى ست بقين من شهر يونيو
(حزيران) ، الى اواخر شهر اكتوبر (تشرين الاول) .
وان يلبسوا بقية السنة الثياب الملونة .

ورأى ان يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر
والبرد المسمى عندهم « الربيع » من مصبغهم جباب
الخز واللحم والمحرق والدرايزع التى لا بطائن لها ،
لقربها من لطف ثياب البياض .

وكذا رأى ان يلبسوا فى آخر الصيف وعند
اول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما
شاكلها من خفائف الثياب الملونة ، ذوات الحشو
والبطائن الكثيفة ، وذلك عند قرص البرد فى
الغدوات ، الى ان يقوى البرد ، فينتقلون الى اثخن
منها من الملونات ، ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا
الى صنوف الفراء .

زرياب ، ومما يؤسف له ، اننا لم نعرف
على ذكر لهذا السفر النفيس ، الذى جمع
روائع الفن وما ابتكره زرياب من اصوات جميلة ، وما
نظمه من شعر يغنى به . فان هذا الكتاب كان يطلعنا
على الحان رائعة ، واصوات مبتكرة ، أبدعتها
قريحة زرياب - طمست مع افول شمس العرب فى
الاندلس ، ولم يبق منها ، الا صباية تذكرنا بما كان
من التأثير القوي فى الفناء الاندلسي الذى قرر
قواعده ، معلم الناس الفن والمروءة (زرياب) .

زرياب من نوادر عصره ، جمع - الى تفوقه فى
الفناء - علوما وفنونا وآدابا . ذكروا عنه انه كان
يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها ،
وهذا ما ساعده على حل كتاب الموسيقى لبطليموس ،
لان هذا العدد هو غاية ما ذكره بطليموس - واضع
هذه العلوم ومؤلفها - فى كتابه .

كان زرياب شاعرا ، ويمتاز شعره بالركة
والعدوبة ، كيف لا يكون شعره رائقا ، وقد صدر
عن شيخ المغنين صاحب الاصوات المبتكرة البديعة ،
والالحن التى لم يزل تأثيرها فى الشرق والغرب .
ومن شعره :

علقتها ربحانة هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله ايام لنا سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للمتيسم غير ان كانت قصيره

وقوله ايضا :

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقتني
حمام تداعت فى الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كل ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع

كان عالما بالنجوم واحكامها ، يعرف الاقاليم
السبعة وما فيها من عوارض طبيعية ، ومدن وعمران ،
وما فى هذه من سكان وخيرات ، ويعرف طبائع
وميل سكانها ، وما تشتهر به كل مدينة ، فاذا تكلم
بهذا تكلم عن علم ومعرفة .

لم يقتصر تأثير زرياب على اهل الاندلس فى
الفناء فقط ، بل كان له تأثير كبير على الحياة

حدث علوية المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا الى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أمية ويتتبع آثارهم ، فدخل صحنًا من صحنها ، فإذا هو مفروش بالرخام الأخضر كله ، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب اليها و... وأقبل المأمون علي فقال : غني ونشطني ، فكان الله عز وجل أنساني جميع ما أحفظه الا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو أمية لم
ينطق رجال أراهم نطقوا

فنظر الي مفضبا وقال : عليك لعنة الله وعلى بني أمية ، وبلك قلت لك سرني ام سؤني ، ألم يكن لك وقت تمدح فيه بني أمية الا هذا الوقت ؟

فتجلدت عليه ، وعلمت اني قد أخطأت ، فقلت: اتلومني على أن أذكر بني أمية ، هذا مولاكم زرياب عندهم يركب في مائتي غلام مملوك له ، ويعملك ثلاثمائة الف دينار وهبوها له ، سوى الضياع والخيل والرقيق وأنا عندكم أموت جوعا .

هذا هو زرياب الذي ترك بغداد مكرها ، وعاش في الاندلس مترفا مكرما ، وصار مضرب المثل في الشرق والغرب .

وأما تأثيره على تصفيف الشعر : دخل الاندلس وجميع من فيها - من رجل أو امرأة - يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين ، فلما رأوا تحديفه هو وولده ونساءه لشعورهم ، وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم ، وتدويرها الى آذانهم ، واسدالها الى أصداعهم - هوت اليه أنفسهم ، فاستحسنوه وقلدوه .

وابتكر ادهانا ومعاجين لطيفة وروائح عطرية تزيد من جمال البشرة وتكسبها رونقا وبهاء .

كان ماولك الاندلس والمترفون يستعملون ذرور اللورد وزهور الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد لطرد الصنار والروائح الكريهة ، فلا تسلم ثيابهم من ضرر . فدأهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها ، فجربوه وحمدوه على ذلك .

هذا تأثير زرياب على أهل الاندلس ، فقد كان باملا قويا في تهذيب أغانيهم وتنسيق ثيابهم ، وتهذيب طعامهم وآنيتهم وآدابهم الاجتماعية ، فهو قدوة القوم في كل ما يصدر عنه . وعلى هذا فان أهل الاندلس أحلوا زرياب بالمحل اللائق به، وبخدماته الجبيلة التي سنها لهم . فقد حظي فتى اسحاق الذي ترك بغداد مكرها من الفنى والترف والعزة ، ما جعله مضرب المثل في الاندلس ، ويتعدها الى شمال افريقية ، ويتجاوزها الى بلاد الشرق . ومن ذلك ما رواه الصابي في كتابه الهفوات النادرة قال : (ص : 385 - 386)

دليل جديد على عُرُوبة الأرقشام المستعملة في المغرب العربي

أبوفشارس

« تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » ،
(مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة
بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 هـ ويسمى
« اللعة الماردينية في شرح الياسمينية » (مخطوط
ببرلين والقاهرة واسطمبول) وله أرجوزة في اعمال
الجدور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ
محمد الفاسي مجلة « رسالة المغرب » سنة 1942
السنة الاولى عدد 1) وممن شرح الارجوزة سعيد
العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج
ص 106) .

وكتاب تلقيح الافكار هذا يعتبر اقدم وثيقة
تحدثت عن اعداد الفبار واكدت انها مغربية اي عربية
الاصل .

ونشر صفحتين مصورتين رقم 8 - 9 من هذا
الكتاب اولهما : « واعلم ان الرسوم ... »

يوجد في المكتبة العامة بالرباط مخطوط تحت
عنوان : « تلقيح الافكار في العمل برسم
الفبار » (رقم ك 222) من تأليف ابي محمد
عبد الله (او عبد الرحمن بن حجاج (1) المعروف
بابن الياسمين والذي ولد بفاس أواسط القرن
السادس وهو بربري من بني حجاج بقلمه فندلاوة ،
اخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد
قال ابن الأبار في التكملة : « وله أرجوزة في الجبر
قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587 »
(ص 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر
كما في « الذخيرة السنية » وقد وجد ذبيحا بمراكش
سنة 600 او أوائل 601 هـ ، وتوجد نسخ من أرجوزته
في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد
والاسكوريال والقاهرة ، ومن شراح الارجوزة حسب
بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 هـ
(وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي وهو

(1) وقيل اسمه عبد الله بن محمد بن حجاج (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 91) مخطوط والتكملة
ص 531 والجدوة ص 237 .

التي وضعت للعدد تسعة اشكال يتكث عليها جميع العدد
 وهي التي سما اشكال الغبار وهي هذه ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩
 وقد يكون ايضا هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ولذا لما
 عندنا على الوضع الاول ولو اضطلت مع نفسك على تبدلها
 او عكسها لجاز وجه العمل على حاله لا يتبدل وقد صنعنا
 قوم من جنسوا من الارض مثل الحديد والخاس من كل شي منها
 اعداد ليس ويضرب بها ما شاء من غير نفس ولا نحو وامسا
 اهل الهند فانهم يتحدون لوحا اسودا يمدون عليها العمام وينقون
 فيه ما شاءوا ولذلك سما حساب الغبار وعلى الحقيقة ليس
 الا المزداد والنحو واعلم ان هذه الحروف ليست بدالة على
 الاحاد وحدها بل هي دالة على العشرات والمئين والالاف
 وعلى سائر المراتب المذكورة فاما ان كانت الاحاد
 فهو دال على الاحاد وما كان منها في المرتبة الثانية التي هي منزلة
 العشرات فهو دال ايضا على العشرات قليلا وليس لها ان كانت
 واحد فهو عشرين وان كان اثنان فذلك عشرين ولذلك لا التعمين
 وكذلك ما كان في البيت الثالث التي هي منزلة المئين وبنيتها
 فهو ايضا دال على المئين ولذلك لا الا الا في العشرات والمئين
 وبكرارها وسائر المراتب فان مثل ذلك في صورة خمسة
 عشر بهذا الاشكال يقول احد فمحل خمسة ويقول عشرين فمحل
 في المرتبة الثانية منزلة العشرات علامه واحد دال على عشرين واحد
 على هذه الصورة عا ولو كانت عشرين لمجلت اثنين لان

لان العشرات في علمهم بمنزلة الاحاد والمئين لذلك وكذلك
 جميع مراتب الاعداد الى ما لا نهاية فان قيل لك كيف
 تترك العشر من فقد ذلك ان العشر من اثنين في بيت العشر
 لكن ان جعلت اثنين لم تعرف انها عشرات اذ ليس بعد اعداد
 في بيت الاحاد مما يدلنا على ان ما بعد عشرات يجعل من
 وقبلها صغرا فتكون الانسان في المنزل الثانيه بيت العشرات
 لان الصغر ليس بعدد وانما ذلك على ما بعده اذ كانت المنزله فارغه
 ولا يكون بعد مئة منازل وصوره المسميه في ران قبل لك
 كيف صور خمسه وستين ومائتين وعشرين على ما تقدم بين هكذا
 في ران في اثنائه وثلثه الاف ثلث هكذا في ران
 وصوره عشر هكذا في ران وصوره احدى عشر هكذا في ران
 بهذا على جميع ما ورد عليك من العدد الى ما لا نهاية فقد
 ذكر في هذه البشائر لانه بين لا تحصى في مثال ومن هذا ناتي على
 ما شاء الله ان شاء الله تعالى

الباب الاول

في العدد الصحيح وما يتعلق به وينقسم الى

خمسة فصول

الفصل الاول في الضرب اعلم ان ضرب الاعداد بعضها
 وبعض هو ان تضعف احد الجدين بقدر الثاني بعدد
 الاخر من الاحاد واذا كان معناه هذا فما ضرب في الواحد
 او ضرب الواحد فيه لا يتغير اعلم انك اذا ضرب عددا

الاستيعاب في لينغراد

للكائنات فيكتور بيلاييف (لينغراد)

تلقينا من الاستاذ فيكتور بيلاييف مدرس العربية في جامعة لينغراد المقال التالي يشرح فيه بطريقة عفوية مبسطة عمل الجامعة والمختصين في حقل اللغة العربية فصيحها وعاميتها .

الوسطى معتمدا على مؤلفات آداب اللغة العربية وبعض فروع العلوم الفيلولوجية مثل علم البلاغة والبديع والبيان وتاريخها . وبعد وفاته تأصل هذا البحث والتدريس في الاتحاد السوفياتي وتطور كثيرا ، ونشرت كتب ومقالات لعلماء عندنا في بلادنا وفي الخارج .

والآن يدرس في جامعتنا ويدرس اللهجات العربية الحديثة الاستاذ فيكتور بيلاييف . وهو الذي بحث اللهجات العربية في آسيا الوسطى بالقرب من مدينة بخارا وفي منطقة وادي قاشقادر في اوزبكستان . وهو يدرس بعض اللهجات ، مثل اللهجة السورية واللهجة المصرية ، نظريا نحويا . ويدرس نظاما نحويا للهجات العربية كلها . وقد نشر عن قريب قاموس اللهجة العربية البخارية (القاموس العربي - الروسي) ونشر بعض النصوص المسجلة من تلك اللهجة .

الاستاذ بيلاييف يبحث الآن بعض المؤلفات الأدبية القديمة ليستخرج منها كلمات وعبارات ولغات ومواد نحوية من طبيعة اللهجات بفرض انشاء نبذة نحوية لتلك الكتب ، مثل ألف ليلة وليلة أو رحلة

في لينغراد مركزان للبحث في ميدان الاستشراق وخاصة في ميدان الاستعراب ، هما معهد الاستشراق لأكاديمية العلوم ، والجامعة ، غرفة الاستعراب باسم المرحوم عضو الأكاديمية اغناطيوس كراتشكوفسكي يشتغل بالبحث عن مشكلات تاريخ الآداب العربية والتاريخ وتاريخ الثقافة العربية واللغة العربية اليمنية القديمة ولهجاتها المعاصرة . كل أعضاء هذه الغرفة من خريجي جامعتنا أعني القسم العربي للكلية الشرقية بهذه الجامعة . كان الاستاذ ا. كراتشكوفسكي رئيسا لتلك الغرفة وللقسم أو الكرسي العربي بالجامعة كذلك وكان يدير الأمور الاستعرابية في لينغراد ، بل في كل الاتحاد السوفياتي ، كما كان ذا نفوذ مسموع الكلمة وكان مشهورا لا في بلادنا وحدها بل في كل العالم بين العلماء والادباء في الشرق والغرب .

توفي الاستاذ عام 1951 رحمه الله . وكان أسس في بلادنا بعض فروع الاستعراب ، من البحث والتدريس ، التي لم تكن قبله في الأكاديمية ولا في الجامعة وهي البحث والدرس عن تاريخ الأدب العربي الحديث (في القرون 18 - 19 - 20) وعن اللهجات العربية الحديثة المعاصرة والقديمة ، في القرون

مكاربوس بطريك انطاكية لابنه بولص الحلبي الخ .
وتلك الكتب مشربة بالكلمات والعبارات العامية .

يبحث احد تلاميذنا في المعهد الشرقي يعقوب
غرونتفست عن الكتابات، المنقوشة باللغة السبئية
المكتوبة بالخط المسند والمنقولة الى الاتحاد
السوفياتي في السنة الماضية وهو الذي دافع عن

الاطروحة التي موضوعها « النظام النحوي » من لفظة
تلك الكتابات مقارنة باللهجة العربية الجنوبية المعاصرة
مثل السقطري والمهري والحضرمي الخ .

ويبحث تلميذنا الكساندر بابووكين قواعد
الافعال في اللهجات العربية الشرقية والمغربية . انما
هو في ابتداء بحثه ونحن نتمنى له التوفيق وننتظر من
زرعه حصيلة طيبة .

الامستشرقون في رومانيا

وحيثما يشير الكاتب الى النشاط الذي تضطلع به هيئة التدريس بهذه الجامعة يقول : « انها تقوم علاوة على النشاط التعليمي ، بنشاط واسع آخر في المجالين العلمي والثقافي يتجسم في اعداد الكتب اللازمة للتدريس ونشر ابحاث علمية في ميادين اللغة والادب العربي والعلاقات الثقافية الرومانية العربية ونشر تراجم اهم المؤلفات العربية الكلاسيكية والحديثة عن الادب العربي وغيرها كما يقوم اعضاء هيئة التدريس بنشر مقالات وتراجم عن الشعر العربي في المجلات الادبية الرومانية بصورة مستمرة حيث يعرفون بذلك القراء الرومانيين قيم الحضارة والادب العربي ، وحيث يشاركون في تعارف متبادل احسن وفي التقارب بين الامتين الصديقتين الرومانية والعربية »

ويضيف صاحب المقال قائلا : « كما ان هيئة التدريس تشترك كذلك في التعاون مع الاختصاصيين المستشرقين الآخرين برومانيا في نشاط جمعية المستشرقين التي أسست مؤخرا والتي تنظم دوريا ندوات علمية تقدم فيها بحوث قيمة في علم الاستشراق تنشر في مجلة الجمعية وفي مجلة الجامعة وفي مجلات علمية أخرى وفي مجلدات خاصة » .

ويذكر الكاتب انه « بينما كان يشتغل في هذا القسم أستاذ واحد فقط بعد افتتاحه في عام 1957 ، وصل عدد الاساتذة الذين يقومون بالتدريس في هذا القسم الى خمسة اساتذة ومن بينهم استاذة حصلت على درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة بوخارست

نشرت مجلة « الاعلام » العراقية الزاهرة ، في عددها السادس من السنة الثامنة 1972 ، مقالا حول « دراسة اللغة العربية في رومانيا » وانماها به الاستاذ نيقولا دوبريشان من بوخارست ، وقد اشار صاحب المقال الى انه قد مر حتى الآن خمس عشرة سنة منذ تأسيس قسم لالغة العربية والاداب العربي ضمن مجموعة اللغات الشرقية التي تدرس بجامعة بوخارست ، وقد كون هذا المعهد خلال هذه الفترة عددا كبيرا من الاختصاصيين الذين يعلمون اللغة العربية والذين يعملون في رومانيا على دعم التعاون والتطور المستمر للعلاقات الرومانية العربية في مختلف الميادين » ومن المميزات التي تنفرد بها هذه الجامعة في تدريسها اللغة العربية كونها « الى جانب اعداد الطلبة اعدادا نظريا عميقا يكمُن في دراسة قواعد اللغة العربية والادب العربي وتاريخ وحضارة العرب وعلم الاسلام وعلم اللهجات وغيرها من العلوم النظرية يتلقى الطلبة كذلك اثناء سنوات الدراسة اعدادا عمليا بمعنى التعرف على احدى اللهجات الدارجة واستخدامها عمليا » .

كما ان الاعداد المحصول عليه من جامعة بوخارست يتيم اكماله عند الضرورة، بفترات للتخصص في البلدان العربية والاشتراك في دراسات دورية قصيرة الاعد تنظمها بعض البلاد العربية من اجل المستعربين » .

الكتب والمخطوطات العربية أصبحت الآن رصيـدا
ثمينا من الكتب العربية التي تمتلكها مكتبة فـرع
اكاديمية العلوم الرومانية في مدينة « طلوج » .

ويشير صاحب المقال كذلك الى أن الإقبال يزداد
على تعلم اللغة العربية ببلاده نتيجة للتوسع المستمر
للعلاقات الرومانية العربية وزيادة الرغبة في التعرف
احسن فاحسن على حضارة الامة العربية ،
وتدرس اللغة العربية - عدا في الجامعة الشعبية
ببخارست ، تدرس كذلك في الجامعة الشعبية
بمدينة « تيميشوارا » كما تدرس في قسم اللغة
العربية بجامعة بخارست المشار اليه آنفا ويحضر
هذه الدروس هواة تتراوح اعمارهم بين 15 و 65
سنة « ، وينوه الا أنه ابتداء من سنة 1971 بدأ تدريس
اللغة العربية بصورة تجريبية لتلاميذ الابتدائية في
مدرسة لمدة عشر سنوات ذات التدريس بلغات اجنبية
ويتنبأ الكاتب في ذيل مقاله الى أنه سوف تحقق
انجازات ضخمة في ميدان الاستعرا ببلاده في
المستقبل القريب ، كما يشير الى أنه كتب هذه
المقالة بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على تأسيس
قسم اللغة العربية والادب العربي بجامعة بخارست .

عام 1971 ، بأطروحة تناولت بالبحث موضوعا في
علم اللغة له علاقة باللغة العربية ، كما يعد - في
الوقت الراهن ، أستاذان آخران للقسم أطروحتين
للدكتوراه كذلك أحدهما عن موضوع : طرق تكوين
المصطلحات السياسية والاجتماعية في اللغة العربية
المعاصرة ، والثاني عن رحالة عربي في البلدان
الرومانية في القرن السابع عشر .

وحينما يشير الى تاريخ اهتمام الرومانيين
بالاستشراق يقول : « وعلى الرغم من أن دراسة
نظامية اللغة العربية بدأت في رومانية بعد تأسيس
قسم اللغة العربية في نطاق جامعة بخارست ، كانت
توجد في رومانيا اهتمامات قديمة بعلم الاستعرا ب
وبالماضي الغني للعلاقات الرومانية العربية ، ونكتفي
بالإشارة هنا الى اسمي اثنين من المستشرقين
الرومانيين المشهورين : أحدهما واسمه ديميتري
كانتير ، عاش في بداية القرن الثامن عشر وهو علامة
عظيم تمت ترجمة مؤلف له في اللغة العربية في عام
1705 تحت عنوان « صلاح الحكيم وفسادة العالم
الديم » والآخر هو تيموتي تشيباريو وقد عاش في
منتصف القرن التاسع عشر وامتلك مجموعة غنية من

الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى*

عبد العزيز بن عبد الله

الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى ان كلمة الاهواز اسم عربي أطلق على هذا الاقليم في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الاطلس الصغير فيسروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى في عام 35 قبل الميلاد (في الكتاب الذي صنفه حول « حرب يوغورثا » ملك نوميديا من اسر امراء البربر والمولود عام 154 قبل الميلاد) ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اي اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكلس (Héracles) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت اشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطيقي فوصلوا

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة ايضا منذ اعرق (2) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الابرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبني تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه « وعربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهواز » والاهواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز واصله حوز لانه ليس في

(x) هذا نص محاضرة القاها الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله في ابي ظبي يوم رابع يناير 1973 .
(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمي الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام 1762 م (1176 هـ) بهذا الزعم الذي رده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع - كما يقول نيبور - لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين في القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابه «ملوك العرب» .

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنسون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط وأسسوا ليكس واوتيكا ومالقة وقادس (بالاندلس) وهيو (عناة وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب سترابون أساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميلاد الى درعة والساقية الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الافريقية وقد أصبحت اللغة البونيقية (Langue punique)

المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محلية لغة أشبه بعامية افريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها في مجلة «اللسان العربي» (التي أشرف بإدارتها ورياسة تحريرها وهي لسان «المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي») .

وخلاصة ما في هذا البحث انه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي أن هذه اللهجات ليست سوى امتداد أصيل للغة بني كنعان العربية التي استعملت قبل الاسلام في كل من الخليج العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من ألف عام ، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الغربيين بليون الافريقي (Léon l'Africain) أن الفينيقيين عنصر هام في سكان افريقيا الاقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق.م عندما أجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تنابعت الجاليات أيام نبي الله داود عليه السلام عام 1055 ق.م والواقع أن العرب كانوا يملأون - بالإضافة الى الشمال الافريقي - هضبات وبطاح جنوب افريقيا حيث كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبيز في مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رسوم مكتوبة استدلل بها على أن العرب استثمروا مناجم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم أسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج2 ص 43) أن الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وبلاد المغرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث الى شومر وبابل واشور ومصر وبعض هذه النظرية ما قيل من أبوة

الى جنوب المغرب حيث اتصلو بالجيتول (Gétules) (وهم اهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسية كورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173) وسوسة مدينة بالصين (صبح الاعشي ج 4 ص 483) اقتبسنا من كلمة سوسانة (Susiane) (أو أرض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الاهواز على أن الفرس قد اشتهروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلفتهم وقد أطلق هذا الاسم على اهل نوميديا وهي اقليم افريقي يقع بين منطقة قرطاج التي أسسها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام 814 ق.م. وبلاد موريطانيا وقد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكم الروماني وسنرى كيف أن هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ اعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي ، نعم كان للعرب الكنعانيين أي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين أسسوا مدينة تير (Tyr) (صور الحالية في لبنان) في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الاسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاج (واسمها محرف عن قرية حدادش أي القرية الحديثة لأنها أسست بعد كل من مدينة اوتيكا (Utique)

التونسية ومدينة ليكس (Lix) المغربية حوالي (110 ق.م) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكم الروماني عام 64 ق.م. وأشرف عليها وعلى قصر فرعون أي ويلي القديمة (Volubilis) بالمغرب الأقصى الامبراطور الروماني سبتيم سيفير (Septième sévère) بين سنتي 193 و 211 ق.م

ويرى بعض المؤرخين أن الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن في شواطئ الخليج قبل أن ينتقلوا الى الساحل السوري وأنهم سمو مدينة «صور» على شاطئ البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهم الاولى على شاطئ الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضيء على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وأن مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الأستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) في كتابه «الخليج الفارسي» (Le Golfe Persique) والأستاذ أمين الريحاني الذي أبرز بالإضافة الى ما ذكر

اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي فى سائر
اقطاره وخاصة فى حوض البحر الأبيض المتوسط
حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة
مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون فى تاريخه (ج 1 ص 99
طبعة بيروت) عن عروبة جبال الاطلس المغربى فأشار
الى ما اكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري
والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من أن صنهاجة
(سكان الاطلس الاوسط) ومسمودة (سكان الاطلس
الكبير) وكثامة (بشمال وشرقي المغرب الاقصى)
عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة - حسب
هذه الرواية - أعرق فى العروبة من ربيعة ومضر
لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري
وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي فى صبح
الاعشى (ج 1 ص 321) فلاحظ أن افريقش هذا هو
الذي نقل البربر من سواحل الشام - مركز الفينيقيين
ومهاجري الخليج العربى - الى المغرب ملاحظا أن أكثر
الاقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (فى
جمهرته) وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج 6 ص 96)
الذي زعم أنه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى
تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر أن ابن خلدون اغفل
الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر
القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء
السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو
الى النيجر الى مراكز تلك الطريق التي أكد الحسن
الوزاني فى وصف افريقيا (ج 1 ص 14 و 29) أنه
رافق عام 918 هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى
السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من
الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت
الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ
قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب
القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني
(هانز Hanz Helfritz) فى كتاب له حول
اليمن (تعريب خيرى حماد ص 134) التشابه الملحوظ
بين الالحان فى أغاني الجنوب العربى وبين الموسيقى
البربرية التي تمكن كارل ولهام لخمان (1793 م -
1851 م) من تسجيلها فأبرز وحدة الانشاد ، أضاف
الى ذلك وجود ابنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم فى
الجنوب العربى وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد
شرح هورن بوستل النمساوي (1877 - 1935 م)
انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى
آسيا الشرقية .

وسنرى كيف أن سجلماسة عاصمة الصحراء
كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل
التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس
بيدع أن يؤغل فى الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما
وأن هؤلاء كان دأبهم فى جميع الاعصار الفرار من
رطوبة السواحل والتوغل فى الرمال سواء كانت فى
النيجر أم فى السودان أم فى الثلث الخالي من جنوب
غرب آسيا وقد أسس العرب مراكز تجارية فى غمار
الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع الجلوبة
من اقصاى البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتماً فى
الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد
بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة
القبلية فى الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة
التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية فى تاريخها فالى
القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات
الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي
الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسليمان الصرافى
الذي كتب رحلته الى الخليج العربى والخليج الصينى
عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين
الشمالى أيام الخليفة الواثق بالله واليعقوبى صاحب
البلدان وابن خرداذبة صاحب المسالك والممالك
المتوفى عام 300 هـ أما فى أوائل القرن الرابع فهناك
الحسن المهلبى الذي رحل الى السودان عام 375 هـ
ومحمد التاريخى الاندلسى المتوفى عام 363 هـ وهو
صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وأبو دلف
الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري
صاحب « الاقاليم » و « الممالك » الذي لقى ابن
حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة
والمسعودى صاحب « مروج الذهب » و « معادن
الجوهر » الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه
ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع أن طريق الوطن
العربى الى الصين فتح منذ عام 31 هـ (651 م)
بتتابع سفارات بلغت فى ظرف 147 سنة ستا وثلاثين
بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد 3 -
1966) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب
والرحالون الاوربيون فى العصور الوسطى لتسمية
بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik)
(دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024) وكانت
الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب أوروبا
او من الشمال افريقي او من روسيا تؤدى الى ميناء
الأبله وميناء البصرة وقد أكد الرحالة بانيكار فى كتابه

في المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت أيضا بسجلماصة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص 70) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ) فلاحظ انه « رأى صكا فيه ذكر حق على رجل من أهل سجلماصة لرجل آخر من أهلها بأربعين الف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق (ولعله يعني البصرة) وكان التجار المسيحيون الواردون من الاندلس وتلمسان يعبرون بسجلماصة الذي أكد ياقوت الحموي في معجمه ان مصانع نسيجها بذت في جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خردادبة الجغرافي العربي في القرن الثالث الهجري ان التجار الصقالبة كانوا يعبرون في وجهتهم نحو لشرق عن طريق سوس الادنى أي طنجة ومنها الى افريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الادنى بالإضافة الى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القسول بأن هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكتانة ولعله ليس من العبث ان تحمل مدن مغربية واندلسية على طول الطريق الغربي أسماء مدن أخرى تتلاحق في الشق الشرقي لنفس الطريق فبالإضافة الى البصرة وسوس الاهواز وحمص (في كل من فاس الجديد والاندلس) توجد في قلب الاطلس مدينة القاهرة وفي قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد في الاندلس مدينة تدمير (Todmir)

Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 848

المتساوقة في اسمها مع تدمير السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من ابرز المراكز التجارية في هذه الشبكة وكانت أشهر المدن والموانئ في الخليج آنذاك ابولو جوس أي الأبله (Abolla) التي ينتمي اليها أبو عبد الله الأبله شيخ ابن خلدون وقد ظلت الأبله المخرج الرئيسي على الخليج من أجل التجارة الفارسية في النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خردادبة الانتباه الى المكانة الهامة التي احتلتها الأبله في التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا في البحر العربي (أي المتوسط) ويتجهون نحو انطاكية ومنها الى بغداد ثم الأبله فالسند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمي مرتبطة بالبصرة في النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون وإذا كانت مدينة البصرة

حول « آسيا والسيطرة الغربية » ان العرب سواء في الشرق أم في الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الافاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس في المغرب الأقصى (ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) اضاف الى ذلك ان تجارة الرقيق المجلوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع في تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسؤولين العرب بتأمين طرق المواصلات ان عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الاندلس والمغرب الى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية في الخليج العربي بنشاط غامر في هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت في شهرتها ميناء الأبله الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الاوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد الى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضة وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماصة مبلغا جعل الاندلسيين أنفسهم يتعاملون بالدينانير السجلماسية (البيان لابن عذارى ج 2 ص 344) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية في طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 في الانقاض الإسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الأموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واضطرخ وجند يسابور ودمشق وحمدان وافريقيا .

وإذا علمنا ان البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء في جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل في منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط أنظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث أسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة في طريق القوافل الى أن هدمها أبو الفتوح عام 368 هـ (البيان لابن عذارى ج 1 ص 330) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفتجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل اتصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته

الحديثة قد امتصت الأبله فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجري وهنا يمكن ان نتساءل عن الدور الذي قام به الخوارج لدعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام ، فالأزارقة قد ثاروا في الاهواز والبصرة حيث استباحوا دماء واعراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلفهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفريه في المغرب الى قلوب البربر الذين شقوا الطاعسة على الخليفة هشام واججوا نار الثورة عام 121 هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فأسست (عام 140 هـ) مدينة سجلماسة التي أصبحت حاضرة بني مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجري وهو التاريخ الذي تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجي وكذلك الشيعي في المغرب بانضمام جوهر الصقلي الذي نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة مؤنلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة في نفس الوقت الذي جعلوا من سجلماسة في قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة أساسية في سلسلة المراحل التي تأوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيل الصدفة ان تقلص الحركة التجارية بين الخليج والمغرب في القرن الرابع الهجري في نفس الوقت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ ان استوثقت روابط المغرب بالصحراء في القرن الخامس بدأت أسواق النخاسة تتفق في خفاء وكذلك كان الامر عندما شكل عنصر الزنج في الدور العباسي الثاني (ما بين 233 هـ و 468 هـ أي 847 م 1075 م) طبقة متميزة في المجتمع العربي وخاصة في شمال الخليج فمزروا حركة الرق والنخاسة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقيا (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربية حيث ما فتىء الأيوبيون ان يسيطروا في القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب أي البحر الابيض المتوسط يساندتهم في الشق الغربي الموحدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي اندري جوليان أعظم اسطول في البحر

المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وأنشأوا الموانئ والمنازل التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهدي بها السفن وعززوا المرافئ بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مرزوف في « المسند الصحيح الحسن » (هسبريس (Hesperis) ج 5 عام 1925) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين أسفي (في المحيط الاطلنطيقي) وجزائر بني مزغانة (عاصمة الجزائر الحالية) تتخبر فيما بينها باشغال النيران في أعلاها وفي كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنبير يبدو في المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقية والمغرب في المسالك ص 35 و 48) الى محارس سوسة والمنستير وفي هذا العصر استعاض عن الموالى الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقرن اسمهم بها حتى صار الاوريون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (Esclaves) (1) نقول استعاض عنهم بالزنوج الذين أصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي أي في تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقية فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلك عندما زج الفاطميون - اقتصاصا من بني زيري - بمائتي ألف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار في هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر في القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع في تعريب المغرب وشنقيط والواقع ان الباطنيين من القرامطة أو اليديين قد عاثوا فسادا في افريقية وجاس المفاكرون منهم في مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج في الادغال الكثيفة وفي هذا العصر حادت طريق البر في شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر

(1) صقلب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج 5 ص 372) ولعل قسما من الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس السلاف

العرب على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجج لاعتقادهم أن الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الاصنام ولذلك أجهز القرامطة على مسن سموهم بالكفار وعبداء الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بحراهم وخيولهم فاحتلوا معهم الحجر الأسود الى الاحساء حيث بقي ملقى الى عام 339 هـ / 900 م .

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين أشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري بدعوة من المنصور الموحي بطل معركة الأرك في الاندلس .

ومهما يكن فإن هذه الاحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادلات التجارية حيث ان الحشاشين من الاسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقي الخليج حتى خلال الحكم الايوبي الى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

واذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب الى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا متبشرين على طول مراحل القوافل شرقا ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فإن نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحاري الى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد (أي الزوج) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج إلا أن عنصرا جديدا ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لفزود الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام 1482 م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في افريقيا وهنا يبرز دور المغرب في انقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540 م دخل سليمان القانوني الى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الافريقي من البحر الأحمر

حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثماني غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية في الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا اليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب في الاندلس تقيلا وتهجيلا ولكن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفا ، ففي عام 986 هـ (1578 م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جنس البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين ألفا وقطع اسطولهم الرابضة في أصيلا والعرائش 847 وزحف الجيش البرتغالي الى وادي المخازن في متم جمادى الاولى من نفس السنة أي رابع غشت عام 1578 م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الاسلامي شرقا وغربا باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفانكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصا من الوجود العربي بالاندلس وتعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هغاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين اسبانيا والبرتغال عام 1494 غداة الكشف عن أمريكا ولكن أبى الله إلا أن يهزم هؤلاء الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر اسطوله فكانت هذه المعركة - كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس - المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع بين المسيحيين والاسلام انزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للأسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرنا كاملا عام 1622 م أي بعد معركة وادي المخازن بأربع وأربعين سنة ، كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام 1649 م الموافق 1059 هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والاسلام طوال أربعة قرون .

واذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث البحري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب في ذهابها وإيابها بين أوروبا والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فإن كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق الى القرن العاشر

بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الأمريكية أكدت في عددها الصادر في أبريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص 13) أن الوثائق التي عثر عليها تثبت أن أمريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا - حسب تعبيرهم - قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الإسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الأمريكي » وقد أيد هذه النظرية (1) الدكتور لين شينج بائج أستاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الأمريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطي أما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفى عام 749 هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (أي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على أمريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي - محاضرات مجمع دمشق ج 2 ص 233) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلّى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية ، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما أرادوا أن يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ إذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات المراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كاللندمارك (2) والسويد وبعض المرافئ الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا إلى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما بأسطوله من لصوصية البحر . وكان قرصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم إلى المحيط الاطلنطي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم إلى الاحتفاظ بجزء من أسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية إلا أن الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طول

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية إلى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شافة الفزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلمهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أججت أوروبا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنتقل في حلقات أخرى من هذه الحسرة بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي ، غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف أمريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولومبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه إلى رجل من أبناء رأس الخيمة على الشاطئ الغربي للخليج العربي ، وهذا الرجل هو ابن ماجد أحمد السعدي أسد البحر ابن أبي الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الأسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي ورأس الخيمة هي إحدى الامارات السبع التي ظلت إلى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد أقضت مضاجع أساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب أن اكتشاف أمريكا الذي نسبته الكثير من المؤرخين إلى العرب يرجع الفضل فيه بالذات إلى رجال الخليج قبل الميلاد أو إلى عالم من علماء الاندلس والمغرب ، فقد تأكد أن الفينيقيين المنتسبين أصلا إلى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول إفريقيا ووصلوا إلى البرازيل وأسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة إلى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقية أي لهجة إفريقيا الشمالية مما يدل - إذا صحت هذه الرواية - على أن القرطاجيين - وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب - هم الذين أسهموا مع المغاربة في اكتشاف أمريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف كما أورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroïsme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي أوعز إليه

(1) راجع الخليج العربي - قدرى قلمجي ص 56 .

(2) كانت اللندمارك تدفع سنويا للمغرب 51 000 ويكسدا لاي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

وقد احتفظ المغرب الأقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال ألف عام (الى عام 1912 م) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث أصبحت دول أوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالأمر الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير إعجاب العالم مما حدا الانجليز الى مفاتحة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك في الهند وفي عام 1600 م وجه المنصور الى ايلزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بعامورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الرأي مطالبا لتمويل المشروع بمائة ألف جنيسه استرليني وانشغل المغرب في لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدرة المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالإضافة الى ملح البارود والكبريت) وأصبح للدینار المغربي نفاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 3548 غرام وتهافت المضاربسون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعوضون بها عما خسروه من صفقات في الخليج (2) بل أصبح المغرب يدلي بدلوه في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض (ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار) واكتساح أوربا حيث وجه عملاء للدعاية

طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع في دعم هذا الاتجاه فانشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م (موافق 1007 و 1010 هـ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد براس الرجاء الصالح للتجار والغزو معا بينما عقدوا المغرب الأقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكدهل عام 1640 م (1050 هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فتىء أن استفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م (1063 هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع أن القراصنة المغاربة قلصوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم في الشرق في نفس الوقت الذي ادى حياد القراصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها في البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

- (1) كان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج 1 ص 203) وافريقية وخاصة في قابس وحلولا (المسالك للبكري - جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) وكانت معاصر السكر في المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي ازيد من ستمائة ألف اوقية ذهبية (وزن الاوقية 30 غرام تقريبا) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يعدله غيره شرقا وغربا (الادريسي) بالإضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا (وصف افريقيا للادريسي ص 50) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م في منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا في أوربا وذلك بالإضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .
- (2) كانت تنبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر اي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم امير في العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المتزاحمة الاجنبية .

غير ان منافسا جديدا ما لبث ان برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتسي الامس (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز في الخليج ، واستطاع نابليون ان يطأ تراب النيل فاتحا وان يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانتقاض عليه في مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القراصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين في المتوسط وفي عرض المحيط الاطلنطيقي الذي نقلوا اليه عملياتهم بعد ان اصبح طريقا جديدا الى الخليج ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانباً للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع في امارات الخليج بالنسبة للبولنديين والانجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية في الشرق واوروبا الشرقية اي القرن السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا ، غير ان الفرنسيين كانوا قد بذوا حتى الهولنديين في مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت في عام واحد (1698 م) لمرسى سلا اربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بستتين شركة تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحو من سبع وعشرين سفارة ، اولها عام 1576 م والاخيرة عام 1909 اي قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس في البحر الابيض المتوسط ، وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يربط فيها الا ان القراصنة الجزائريين اتخذوها عام 1564 م (971 هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق اخوانهم في الاندلس من نفسي وتنكيل

وتقتيل وقد تحالف قراصنة سلا (وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطة تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايريقي فحسب بل ايضا لانها اعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمانينة في البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة ، وكان معظم البوارج الحربية في اوائل العهد العلوي (اي في نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الاسطول الفرنسي او الهولندي او الانجليزي واهمها تسع عشرة سفينة انجليزية واربع فرنسية مما يدل على هيمنة اسطول القرصان الجهادي ، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين في عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعاً وأربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذلك ينعم في الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه في حرب القرم (1854 م - 1856 م) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا ، وكان المغرب يشعر بأن انغماره في هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بداوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مغنية عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجرؤ على الدخول في حلف موجه ضد تركيا المسلمة رغم كونها كانت حجرة عثرة في سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ ان سيطر العثمانيون عليهما في منتصف القرن الخامس عشر ، وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربي والمغرب الاقصى وهما شقان متناهيان للوطن العربي الممتد الى المحيط - بظاهرة هي اصالة معظم مصطلحاتهما الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك ان هذه الوصلة التي استوثقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي اشرنا اليها كوحدة الاصل الكنفاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالك في مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثة والقرآنية ، ولا شك أن لرواج المصطلحات المالكية في جميع المناحي الاجتماعية خاصة في ابي ظبي اثرا قويا في تكييف هذا التراث الوحدوي ، كما أن احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة اشرنا الى بعضها في معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج ونشر في مجلة اللسان العربي (عدد 5 -

1387 هـ / 1967 م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية ، وهاكم جملة منها : البيت (للباقي من طعام الامس) والبحرة أو البحيرة (للمستقع) والبراحة (للبراح) والبسباسة (للبساس) وبغى (ببغى) (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية (لاحدى دوائر الحكومة) ولم فمه (أي أغلقه) والتحسونة أو الحسانة (للحلاقة) والجنطة أو الشنطة (للحقيبة) والحارة (للمحلة والحي) وحب (بمعنى قبل) وحويل أو حولى (أي ما دار عليه الحول والخطر) (بمعنى الضيف الطارق) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والريعة (أو الريعة لصندوق ايداع اجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الاصابع) والصيني (أي اناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الاغظة تقول اطنانسي أي اغاظنسي) والعرضة (أي حفلة الزواج) والمزيمة (أي الدعوة الى مأدبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الاولاد الصفار) والغربي (أي الهواء يهب من جهة الغرب) والفكغ أو الفقاع (أي الكماة) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عن الاقتراب من الشيء القذر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشعوم (للباقة من الرياحيسن)

والمطهر (للمرحاض) والمكة أو المكب (لفظاء صحن الطعام) ، وهناك أسماء اعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الاخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كتيان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز امارة ابي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الشربة واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من امن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصيلة المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط لاطلنطقي ، وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزمها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت اثلا اصطناعيا بين اخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفارقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا متساوقة ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الاسلامي سنداً قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عسراه الوثقى مكائئد المستعمرين .

الوَيْلُ يُعَيِّرُ

إلى مجسلة «اللسان العربي»

يوسف الغريب
أستاذ اللغة العربية في جامعة كوردوبا
(أرختينا)

رب فكر يحول الخمر سحرا في ضمير العنقود عبر الليالي
والحجى ، والحياة ، والعقل والسكر الكبرى ودفق الخيال
كل شيء يدوم فى الأرض حتما فهو باق على مدى الاجيال
لا فناء ، فما العناصر الا خاللات ، لا فى طريق الزوال
مادة اثر مادة ، فبقضاء فحاول ، فصعدة باعتدال
جوهر الكون لم يكن غير سر غامض ، دائم ، غير بالسي
كنت يا صاح صورة من ضباب فتحولت حفنة من رمال
ثم فى الحقل نبتة من قصيل تعبست من كثرة التجوال
(حيوان مستحدث من جماد) لم يكن واعيا او مبال
ثم جئت ، وهكذا جئت ، كامل الشكل بقدرة المتعبال

صورة من هوى ، ونفحة من جلال الله ، وذرة من كمال
انت ، انت هنا ، ودیعة الله ، فكن حريصا عليها ووال

كل ما فى الحياة والكون جمعا هو فى الاصل من رفيع عال
كل هذا ، يا صاح ، اعطاه الله من جوده المفضال
بعد هذا وذاك ، قل لي لماذا لم تزل عامها اسير الضلال
اين منك البقاء والفناء والتجلي وروعة الاحوال
والوديعة التي ائتمنت عليها لم تزل فيك درة من غوالي
هي انت ، فكن امينا عليها لا تبعها ببذرة من مال

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

- ♦ وكالة متخصصة تعمل في نطاق الجامعة العربية وتهدف الى :
 - تمكين الوحدة الفكرية بين اجزاء الوطن العربي في التربية والثقافة والعلوم .
 - رفع المستوى الثقافي في الوطن العربي حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الايجابية فيها .
- ♦ ويتم تحقيق تلك الاهداف في البلاد العربية عن طريق :
 - تنسيق الجهود العربية في مجالات التربية والثقافة والعلوم .
 - النهوض بمستويات التعليم والثقافة والعلوم وتشجيع مجالات البحث فيها .
 - اقتراح المعاهدات وجمع المعلومات والحقائق والبيانات المتصلة بمجالات أنشطة المنظمة .
 - تبادل الخبرات والخبراء والمعلومات والتجارب
 - الحفاظ على المعرفة وتقديمها ونشرها وذلك بالمحافظة على التراث العربي وتشجيع التعاون بين الامة العربية والامم الاخرى بطريقة التعاون الدولي .
- ♦ بدأت المنظمة العربية نشاطها بانعقاد مؤتمرها الاول في 25 يونيو 1970 وتشترك في عضويتها: دولة اتحاد الامارات العربية ، المملكة الاردنية الهاشمية ، دولة البحرين ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية ، المملكة العربية السعودية .
- ♦ اجهزة المنظمة هي :
 - المؤتمر العام
 - المجلس التنفيذي
 - المدير العام
 - الادارة العامة وتضم : ادارة التربية ، ادارة الثقافة ، ادارة العلوم ، ادارة التوثيق والاعلام ، ادارة الشؤون المالية والادارية ، معهد احياء المخطوطات العربية .
 - الاجهزة وتضم : الجهاز الاقليمي العربي لحو الامية ، معهد الدراسات العربية العالية ،

المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي،
مكتب الوفد الدائم لدى اليونسكو .

— الشعب المحلية .

✽ عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية ،
اجتماعها الثاني بمقر الأمانة العامة بجامعة
الدول العربية بالقاهرة في الفترة من 30/4/5/1972
واشترك فيه وفود : من اتحاد الامارات
العربية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، المملكة
العربية السعودية ، الجمهورية العربية
السورية ، جمهورية العراق ، سلطنة عمان ،
فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ،
الجمهورية العربية الليبية . جمهورية مصر
العربية . الجمهورية العربية اليمنية ، كما
اشترك في هذا الاجتماع ايضا مندوبون عن الادارة
القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي
للتعليم ، واكاديمية البحث العلمي لجمهورية
مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي
خرجت بها اللجنة في هذا الاجتماع ، انشاء مركز
عربي للوسائل التعليمية في نطاق المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية
فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم
مشروع متكامل لانشائه .

✽ انعقد بالقاهرة في الفترة من 6 الى 11/5/1972
مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية
المعاصرة ، واشتركت فيه وفود من : جمهورية
السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ،
الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن
الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية ،
الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر
الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية ،
السورية ، فلسطين ، دولة الكويت ، الجمهورية
العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، كما
اشترك في هذا المؤتمر مندوبون عن بعض
الجامعات والجامع والمجالس العليا لرعاية
الفنون والآداب ، الجمعيات الأدبية ، بالإضافة
الى بعض المعنيين بموضوع المؤتمر بصفتهم
الشخصية ، وقد تأكد من خلال المناقشات التي دارت
أن الاهتمام موجه الى دراسة التنوع الطبيعي
الذي يجد سبيله الى الثقافة العربية ويعبر عن
حيويتها وتطلعاتها ، وليس الى التنوع المفتعل

الذي يناقض الوحدة او يخالفها ، كما رأى
المؤتمر أن يفرق بين هذين الاتجاهين ، وقد اتخذ
المؤتمر توصيات للنهوض بمجالات القصصة
والمسرح ، والسينما والشعر والاذاعة المرئية
والمسموعة ، كما تناولت ايضا مجالات الفصحى
والعامية ، والمنهج الاقليمي في تاريخ الادب
العربي وتوثيق الروابط بين المثقفين وتداول
الانتاج الثقافي .

✽ التحق بمعهد البحوث والدراسات العربية هذا
العام 202 طالب من عدة بلاد عربية واسوية .
وقد منح المعهد هذا العام عدة درجات علمية
على مستوى الماجستير وذلك في مجال
الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ،
والجغرافية ، والقانونية ، والشرعية ، والأدبية
والشعرية ، وايضا في مجال الدراسات
الفلسفية .

✽ عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية اجتماعها
الثاني بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية
بالقاهرة ، في الفترة من 30/4 الى 5/5/1972 ،
واشتركت فيه وفود من اتحاد الامارات العربية ،
المملكة الأردنية الهاشمية ، المملكة العربية
السعودية ، الجمهورية العربية السورية
جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ،
دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية
الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية
العربية اليمنية ، كما اشترك في هذا الاجتماع
ايضا مندوبون عن الادارة القانونية بجامعة
الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي
بمصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي
خرجت بها اللجنة في هذا الاجتماع : انشاء مركز
عربي للوسائل التعليمية في نطاق المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية
فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم
مشروع متكامل لانشائه .

✽ عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
حلقة دراسية عن الظروف البيئية وخطط التنمية
في البلاد العربية وذلك بالخطوط
بجمهورية السودان الديمقراطية في الفترة من
15 الى 12 فبراير / شباط 1972 . وقد نسقت

لمسح واقع المناهج الموجودة على أن تعقد حلقة لدراسة الموضوع في يناير 1973 ولمدة شهر في كلية من كليات العلوم بأحدى الدول العربية وذلك بهدف التوصل الى ما يؤدي الى تنفيذ المشروع في الصف الأول من المرحلة الثانوية ثم يخطط بعد ذلك لاعداد مجموعة من المعلمين والقادة حلقة تدريبية لمدة شهر قبل بدء العام الدراسي 1974/73 تمهيدا لتطبيق المشروع ، كما رؤى أن تعقد حلقة أخرى على مستوى الخبراء في يناير 1974 وثالثة في يناير 1975 لاستكمال المناهج المقررة في باقي صفوف المدرسة الثانوية .

عقدت بمدينة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية في الفترة من 8 - 13 يوليو / تموز 72 حلقة تطوير وتدریس الرياضيات الحديثة على مستوى المرحلة الاعدادية في العالم العربي . اشتركت فيها : المملكة الأردنية الهاشمية ، دولة البحرين ، الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، الجمهورية العراقية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العربية اليمنية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، وجمهورية مصر العربية ، وقد بحثت في هذه الحلقة أوضاع تدريس الرياضيات في العالم العربي وذلك من خلال تقارير المندوبين . كما درست عدة مشروعات لتطوير تدريس الرياضيات ، وشكلت لجان لدراسة وتطوير هذا النشاط بوضع خطة زمنية لهذا الغرض تنتهي في صيف عام 1976 ، وذلك لعقد حلقة دراسية لتقويم المنهج الذي تم تطبيقه ، وكتب الصفوف الثلاثة ومرشد المعلم ، وقد توصل المجتمعون في الحلقة الى عدد من التوصيات أهمها اعداد خطة شاملة لتدريس الرياضيات ، الشروع فورا في انشاء هيئة عربية لتطوير تدريس الرياضيات ، تطوير مناهج اعداد المعلمين بمستوياتها المختلفة وتطوير طرق تدريس هذه المناهج ، انشاء نواد للرياضيات وتوحيد المصطلحات المستعملة في الرياضيات في البلاد العربية .

هذه الحلقة اعمالها مع المؤتمر السوداني عن الانسان والبيئة الذي عقدته الجمعية السودانية لتقدم العلوم بالاشتراك مع المجلس القومي للبحوث ، اشترك في هذه الحلقة وفود من : المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، دولة الكويت ، فلسطين ، كما اشترك فيها مندوبون عن الهيئات الدولية والمنظمات الاقليمية العربية ، الأمم المتحدة ، اليونيسكو ، منظمة الأغذية والزراعة ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي واتحاد المهندسين العرب . ونوقشت خلال هذه الحلقة موضوعات متعددة تتمثل بانتاج المحاصيل ، الانتاج الحيواني ، المساهم الجوفية والثروة المعدنية ، تلوث الهواء ، تلوث البيئة الريفية وصحة البيئة . كما تم التوصل الى عدد من التوصيات تتصل بالنواحي التالية : الاهتمام باستغلال وتنمية مصادر الثروة الطبيعية ، الاهتمام بالانسان وتنمية الموارد البشرية ، علاقة تدعيم الأنشطة التي تبذلها الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ، مكافحة تلوث البيئة عن طريق انشاء مركز عربي لدراسة هذه الناحية والاهتمام بالاشتراك في المؤتمر الدولي للانسان والبيئة الذي تنظمه الامم المتحدة .

عقدت بالامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، في الفترة من 1 الى 7 مايو (ايار) 1972 ، حلقة تطوير تدريس العلوم البيولوجية على مستوى المرحلة الثانوية ، وحضرها مندوبون عن الدول العربية الآتية : المملكة الأردنية الهاشمية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية .

وقد نوقشت خلالها عدد من الموضوعات الهامة التي تتعلق بأوضاع تدريس البيولوجيا ومناهجها الحالية والمقترحة ، ورؤى أن تشكل لجنة لاستكمال الدراسات والبحوث اللازمة

* تامت المنظمة بالتعاون مع مركز التوثيق التربوي بالقاهرة بتنظيم دورة تدريبية لمبعوثين عن الدول العربية في مجال التوثيق التربوي ، وقد بدأت هذه الدورة في شهر أبريل 1972 ، وكانت مدتها ثلاثة أشهر تم فيها تدريب أفراد من العاملين في حقل التوثيق على عمليات الفهرسة والتصنيف واعداد المستخلصات والتعاريف والأخبار واعداد النشرات الاعلامية والاجابة على الاستفتاءات . وقد اشترك في هذه الدورة

على نفقة المنظمة أفراد من الجمهورية العربية الليبية ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية .

* تامت بعثة من معهد المخطوطات العربية بالسنر الى المملكة المغربية في شهر مايو 1972 لفهرسة وتصوير المخطوطات بها ، كما قام المعهد بطبع العدد الأول من المجلد الثامن عشر من المجلة التي يصدرها .

التاريخ اليمنية :

ورد في كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ان كلمة التاريخ يمنية عربية واكتاب لشمس الدين السنحاوي المتوفى عام 902 هـ وقد سبقه اليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام ووجد احمد كمال المصاري تاريخ المصرية يمنية الاصل .

— التاريخ بالايالي : الكتب عن السلطان تۇرخ بالايالي والتي من الادنى الاعلى تۇرخ بالايام (معالم الكتابة ص 51)

المكتب الدائم لتنسيق التعريب

رحلته وفكر المكتب الدائم في البلاد العربية

ب - انتداب أعضاء علميين للمؤتمر ممن مارسوا تدريس العلوم في الجامعة لخبرتهم بالمصطلحات ودقتها .

ج - تأسيس شعب وطنية للتعريب تهتم بجمع حصيلة ما يعرب وأرساله الى المكتب الدائم لتنسيقه .

د - تعيين مراسلين علميين يكونون حلقة اتصال بين الشعب الوطنية للتعريب والمكتب الدائم .

هـ - وضع قوائم بأسماء الهيئات العلمية والأفراد العلميين ليرسل المكتب اليهم مطبوعاته ومعالجه

و - انتداب خبير لمدة بضعة شهور يطلع فيها على أعمال المكتب وطريقته في التنسيق ، ليعمل بها في شعبته الوطنية .

ز - تبادل المطبوعات فيما بين المكتب الدائم والمكتبات التابعة للوزارات والجامعات في كل موطن .

وقد استقبل الوفد استقبالا حسنا جدا في جميع البلاد التي زارها ، وقوبل بالترحاب في الأوساط العلمية والصحفية والأذاعة والتلفاز ، وأقيمت له حفلات التكريم ، والمحاضرات ، والجلسات العلمية ، بحيث يمكن القول انه كان ناجحا في مهمته اتم نجاح .

بعد ما اتم المكتب الدائم سنته العاشرة ، وانجز اعمالا وغيرة : من معاجم غنية وتقنية ، ومعجمات معان ، ونشر مجلته « اللسان العربي » ، يحررها كبار رجال الفكر واللغة في داخل العالم العربي وخارجيه ، والحق بأمانة الجامعة العربية ، ثم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المتفرعة عن الجامعة ، تمام وفدده برحلة في البلاد العربية لعرض نتائج اعماله ، والاتفاق مع المسؤولين الثقافيين فيها على تنظيم مؤتمر التعريب . ومثل المكتب مديره العام السيد عبد العزيز بنعبد الله ، وكبير خبرائه الدكتور مدوح حقي ، في رحلة استمرت قرابة أربعين يوما ، جالا خلالها في تونس ، ومصر ، والسودان ، والسعودية ، والكويت ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والجزائر ، وعرج في طريق العودة على باريس للاتصال باليونسكو ، والاتفاق على تنسيق العمل بين المكتب وبين هذه المؤسسة الدولية . ولم يكن لديه من الوقت ما يكفي لزيارة البلاد العربية الاخرى ، فأرجأها الى حين آخر . وكان هدف الوفد الاتصال بوزراء التعليم العالي والتربية والثقافة ، والجامع العلمية ، والجامعات ، والاستاذة المختصين بالعلوم للاتفاق معهم على ما يلي :

١ - تنسيق الجهود الرامية الى انجاح مؤتمر التعريب الذي سيعقد في الجزائر اواخر عام 1973 .

الوزارات المعنية . وانتهى النقاش والعرض السي
الاتفاق على ما يلي :

1 - ان يؤجل عقد المؤتمر الى اواخر عام 1973
ليستطاع اعداده اعدادا لائقا ولضمان نجاحه .

ب - تتكفل كل دولة بمصاريف انتقال مندوبيها ذهابا
وايابا ، وتعرض الدولة المضيضة ضيافتها خلال
ايام المؤتمر .

ج - تشكيل لجنة لتحضير المؤتمر في الجزائر ،
وتشارك مع المكتب في اقتراح ما ينبغي لتسيير
امور المؤتمر بنجاح ، ثم تقديم تقرير في الموضوع
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

د - امكن دعوة خبراء للمؤتمر : من مستشرقين
ومعجبين عرب وغير عرب .

هـ - وتدرس في المؤتمر خاصة مشاريع المعاجم
السة المعروضة من قبل المكتب . وستعد
اللجنة التحضيرية بالجزائر دراسة حول امكن
تخصيص لجنة لتقييم اعمال مؤتمر التعريب
السابقة ونقدها .

و - وضع خطة عمل معجمية للمستقبل منسقة بين
جميع الدول العربية على ضوء تقرير يقدمه
المكتب الدائم بناء على تجربته في الموضوع .

ز - العمل بكل الطرق والاساليب المكنة لنشر
المصطلحات بعد توحيدها في جميع
البلاد العربية ، وممارسة استعمالها .

ح - عرض بعض المشاكل التي يعانيها المختصون
بتدريس اللغة العربية ، للاستشارة بآراء الخبراء
والمختصين ، كالطباعة ، والحرف ، والخط ،
وتسهيل الكتابة ، وتسهيل اللغة ، والتعليم
بالعربية في جميع المراحل .

وعاد الوفد لياشر تنظيمه الجديد على ضوء ما
افاده في رحلته الطويلة لخدمة اللغة ، وليضاعف
نشاطه واهمته لرفعها الى المستوى الحضاري
المرموق ، وتأييد الكسب السياسي الذي حصلت
عليه بمسمى الجامعة العربية في الاوساط الدولية
بكسب علمي يجعلها اداة طيبة في التعبير بدقة
ووضوح في مختلف مجالات العمل الدولية .

ولما كان بين هذه الجولة ومؤتمر التعريب اكثر
من عام ، فقد اتفق المكتب الدائم مع المعنيين بالامر
على ما يلي :

1 - ان تدور ابحاث المؤتمر حول ستة معاجم اعددها
المكتب مطبوعة طباعة نقية قبل قيامه بالرحلة ،
وهي :

(الكيمياء - الفيزياء - الحيوان - النبات -
الرياضيات - الجيولوجيا)

ب - يرسل المكتب المعاجم للمختصين نور حصوله
على الفوائم التي تعددها الوزارات المعنية
والجامعات في الوطن العربي من نسختين :
احدهما على هيئة كتاب ، والثانية على هيئة
اوراق يترك فيها الفراغ الكافي لملاحظاتهم .

ج - تبقى المعاجم لدى المختصين ستة اشهر على
الاكثر يصلحون ما فيها من خطأ ، ويضيفون
اليها ما نقص ، ويقترحون ما يشاؤون لتعديلها
او تقويمها .

د - ترجع الاوراق المعجمية بالملاحظات الى المكتب
ليعود فينسقها تنسيقا جديدا يسهل به على
اعضاء المؤتمر دراستها ومناقشتها في وقت
تصير .

ج - تركيز المناقشات ايام المؤتمر في موضوع
المصطلحات غير المتفق عليها ، مع العمل على
تحقيق الاتفاق حول المصطلح المشهور او
المرجع درءا لاستمرار الخلاف .

ز - تفريع اعضاء المؤتمر الى لجان تختص كل
واحدة منها ببحث مشروع معجم معين حسب
الاختصاص .

و - ترك تنظيم اعمال المؤتمر الداخلية الى الدولة
المضيضة (الجزائر) على ان يكون المقرر العام
للمؤتمر كبير خبراء المكتب الدائم ، ليستطيع
الاشراف على التنسيق بمعونة خبرائه بعد
المؤتمر .

واتصل الوفد بالمسؤولين في الجزائر ، فرأى
منهم كل الترحيب والجدية التامة ، وعقد جلستي عمل
في وزارة التربية حضرها مندوبون رسميون عن كل

اللغة العربية في المؤتمر الإفريقي التاسع

وجه المكتب الدائم بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمنظمة الإفريقية خطابا
الى رئيس المؤتمر وأعضائه ملوك ورؤساء الدول الإفريقية بثلاث لغات هذا فحواه :

اصحاب الجلالة والفخامة والمعالي رؤساء الوفود الإفريقية المشاركة

انه لمن دواعي السرور ويمن الطالع أن ينعقد جمعكم السعيد على ارض
المملكة المغربية باب افريقيا على نيا العلم وعالم المدنية وأن يلتئم شملكم العظيم
في احضان اخوة لكم يستشعرون المسؤوليات الجسام الملقاة على حشدكم
الميمون في سبيل غد لقارتنا الام صبوح وعزة لاسانها الإفريقي الطموح .

فاهلا بكم في هذا الجزء من وطنكم الكبير ومقاما طيبا سعيدا بين ظهرائينا
وشكرا لكم وتقديرا لكل مراميكم التي تستهدفون ودعاء الى الله أن يعين على تحقيق
الآمال التي تبتغون

يتشرف المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي — بالرباط احـد
اجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنبثقة عن جامعة الدول العربية أن
يقدم اطيب تحياته وازكى متمنياته بالسداد والتوفيق في خدمة قارتنا الفتية كما يشرفه
بان يبعث بعميق شكره وامتنانه أن قررتم اختيار اللغة العربية واحدة من اللغات
الرسمية التي تسير بها اعمال مؤتمركم الموفق وتصدر بها مقرراتكم السعيدة .

واذا كانت اللغة هي مفتاح العلوم واداتها الطيبة ، وكانت افريقيا الفتية التي
نهضت لتواكب ركب العلم حتى تلحق بمقدمته وجهدت لتزج ذلك الكابوس الرهيب
الذي ران على صدرها ربحا طويلا من الدهر حتى كاد يستنزف خيراتها ويمتص
رحيقها ، واذا كانت اللغة العربية هي لغة ما يقرب من نصف تعداد سكان افريقيا
وانها اصبحت في أغلب المحافل والهيئات الدولية اللغة الرسمية الخامسة وان
لدراستها نصيبها في كثير من جامعات العالم فضلا عن الجامعات الإفريقية حتى اضحى
لها قسمها الخاص وكرسيها المحدد بين قريناتها من لغات العالم الحية — فانه لحري
بنا نحن ابناء القارة الفتية أن نقحم ميدان العلم من اوسع ابوابه تصحبنا اللغة

الطبيعة الحية التي تتسع لتستوعب كل ما يتطلبه التقدم العلمي من مصطلحات ومسميات ومدلولات ، ولا تقصر فينحسر مدها عن احتواء كل ذلك لتكون لنا خير مطية نزاحم بها من يسировون في موكب العلم وننافس من يشايعون ركب التكنولوجيا الحديثة نجتاز الحواجز ونطوي مسافات الزمن ونستعوض عما فاتنا — بالرغم منا — فلا تفصلنا عن أولئك الذين ركبوا أجواز الفضاء ومشوا على سطح القمر وغزوا الكواكب وعوالم السماء — مسافة فلكية — أو حتى لا نكون وقد تشبنا بأهداب العلم ومشينا في موكبه في مكان الذيل من الجسد ، وحتى تعود للقارة السمراء وليست المظلمة — كما يحلو لمن نهبها ويعن لمن سلبوها أن يسموها — عزها ومجدها وتصبح وهي مجد الأحفاد ، كما كانت مهد عظمة الأسلاف والأجداد الذين بنوا المعجزات وأقاموا من عجائب الدنيا ما عجز عنه علم اليوم وما يفخرون به أن يدنوا منه أو يستكشفوا سريته ويذبحوا السر عن كنهه وطبيعته .

إن المكتب الدائم المنوط به تنسيق التعريب بين الدول العربية والوقوف على آخر المصطلحات العلمية والتعابير الفنية لتوحيدها والعمل على اذاعتها وشيوعها وإقرارها وتدريسها ليشرفه أيما تشريف ويسره السرور كله أن يضع بين أيديكم الكريمة بعضا من نتاجه المتواضع يتشكل من مجلته الدورية التي تصدر باسم « اللسان العربي » وهي تتضمن أبحاثا في اللغة لكبار كتاب العربية من أبنائها أو ممن عكفوا على دراستها من المستشرقين من قدامى الأساتذة في مختلف جامعات العالم الكبرى ، وأيضا من مجموعة من المعاجم باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية لبعض من العلوم الحديثة ، وكذا نبذة موجزة للتعريف بالمكتب وأهدافه وتاريخه ومنجزاته ، ومشاريعه ، آملا أن يكون قد استطاع القيام ببعض مما أنيط به ليسهم ولو بلبنة صغيرة تدعمها جهودكم الموقفة ودفعاتكم الحميدة ونشاطكم الدؤوب في سبيل خير أفريقيا والأفريقيين .

وفكم الله وسدد خطاكم وأعلا شأوا قارتنا بفضلكم وهداكم ...

اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها العام

تترجم - في جلاء - الآمال البعيدة التي تراود
انفسنا جميعا من أجل تأدية الدور الكبير المنوط بنا،
والنهوض بالعربية والسير بها قدما نحو مدارج
التقدم والرقى ، واحلائها محل زميلاتها من اللغات
الحية المعاصرة ، كما هي رغبة تنم عن مدى التقارب
القوي الموجود بين اللجنة وبين مختلف الهيئات
والمؤسسات في الاقطار العربية الشقيقة ، فهي لا
تألو جهدا في هذا الصدد ، ولا تدخر وسعا في
تحقيقه ، وقد استجاب رئيسها الفضال وزبير
التربية لرغبة المكتب الدائم في الحصول على خبير
للرياضيات وانتدبت احد اعضائها البارزين وهو
الاستاذ الدكتور أحمد سليم سميذان .

واذا كان لا بد لنا من كلمة قبل تقديم هذا
التلخيص للكتاب المذكور ، لا يسعنا الا ان نحبي في
هذه اللجنة روحها الوثابة وايمانها الخالص ، ورغبتها
الصادقة في مواصلة العمل البناء لدعم حركة التقدم
والازدهار في الوطن العربي .

وقد اصدرت هذه اللجنة بمناسبة مرور احدى
عشرة سنة على تأسيسها كتابا قيما تناولت فيه
تاريخها ومختلف نشاطاتها في مجالات الترجمة
والتعريب والنشر منذ تأسيسها سنة 1961 الى
اليوم .

يقع الكتاب في 79 صفحة من الحجم المتوسط،
اشرف على اعداده استاذ عيسى الناعوري سكرتير

منذ انعقد مؤتمر التعريب الاول في 21 ابريل
بالرباط بدعوة من المفور له جلالة - محمد الخامس -
رحمه الله ومنذ انبثاق المكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الوطن العربي عن هذا المؤتمر ، واللجنة
الأردنية للتعريب والترجمة والنشر تعمل جاهدة في
نطاق اختصاصاتها على توسيع رقعة نشاطاتها من
لجنة تعنى بشؤون التعريب الى لجنة نشيطة لم
ينحصر عملها في التعريب فحسب بل تعداه الى
الترجمة والنشر كذلك ، فالمتتبع لخطوات هذه
اللجنة يتبين بوضوح مقدار الجهد الذي تبذله في
مجالات التعريب والترجمة والنشر جميعا ، وذلك
بما انتجته من كتب قيمة ، واخرجته من مؤلفات
جليلة ، وترجمته من اعمال في مختلف العلوم
والفنون .

ولقد ظلت علاقة اللجنة بالمكتب الدائم لتنسيق
التعريب في الرباط علاقة عمل مشترك وتعاون متين
في مختلف فروع المعرفة والعلم ، وفي الملخص الذي
سنورده للكتاب القيم الذي اصدرته هذه اللجنة يجد
القارئ الكريم كثيرا من هذه الحقائق ، كما يلمس
مقدار التعاون الوطيد الذي - كان وما زال - قائما
بينها وبين مكتب التعريب في الرباط ، والادارة
الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرها من الهيئات
العلمية الاخرى . وهذا يدل على الرغبة الاكيدة في
العمل ، تلك الرغبة التي تمتلئ بها نفوس اخواننا
في هذه اللجنة ، الساهرين على منجزاتها ، والتي

وفي سنة 1964 اتسعت رقعة عمل اللجنة الاردنية للتعريب الى ميداني الترجمة والنشر ، حيث نشرت وترجمت عديدا من الكتب التي ارسلت منها نسخا كثيرة الى المكتب الدائم للتعريب بالرباط ، والادارة الثقافية والى مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية الاخرى .

ولما اجتمع اسبوع التعريب فى الرباط من 3 الى 9 يناير عام 1963 قررت اللجنة ايفاد أحد اعضائها وهو الدكتور عبد الكريم خليفة ليمثلها فى هذا الاجتماع، ولقد أشار الدكتور عبد الكريم خليفة فى تقريره المقدم الى اللجنة « ان الاردن هو القطر العربي الوحيد الذى بعث بمندوب خاص الى هذا المهرجان فى حين اكتفت البلدان العربية بتفويض سفرائها او ملحقها الثقافيين فى الشمال الافريقي لتمثيلها » .

وهكذا يسترسل الكتاب فى تسجيل تاريخ هذه اللجنة وبرصد ما قامت به من نشاطات شتى فى مختلف المجالات . مع ذكر علاقاتها بسائر الهيئات العربية وعلى رأسها الادارة الثقافية والجامع العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط .

وفي سنة 1963 كلفت لجنة خماسية من أعضاء اللجنة نفسها بوضع مشروع نظام شامل دعت (مشروع نظام اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر) ويشتمل هذا المشروع على اربعة وعشرين مادة موزعة على سبعة فصول ، هي :

- 1 - تعريفات عامة .
- 2 - تأليف اللجنة وشروط العضوية .
- 3 - أعمال اللجنة واهدافها .
- 4 - خطة العمل .
- 5 - شروط العمل
- 6 - الشؤون المالية .
- 7 - احكام عامة .

ثم أعيد النظر فى هذا المشروع ، ووضع مشروع نظام جديد حيث رفع الى رئاسة الوزراء بتاريخ 7 - 1 - 1967 ، فووفق عليه ونشر فى الجريدة الرسمية الاردنية بتاريخ 1 - 3 - 1967 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 . العدد رقم 1988 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 .

اللجنة ، ولقد قدم له معالي الاستاذ الدكتور اسحق الفرحان رئيس اللجنة ، ووزير التربية والتعليم ، بكلمة قيمة نوه فيها « بالجهود المتواصلة التى قامت بها اللجنة الاردنية للتعريب عن طريق المساهمة فى التعريب ، وفى الترجمة والنشر » ، كما اشار معاليه الى صلة اللجنة الوثيقة بالادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط ، الذى قال عنه سيادته : « .. يقوم هذا المكتب بأعمال كبيرة مشكورة فى حركة التعريب ذات الارتباط الوثيق بتراث الامة العربية وحضارتها الماجدة » كما أنه تمنى ان تكون المرحلة القادمة لتطور هذه اللجنة هي « تحويلها الى مجمع علمي لفوي اردني يعمل الى جانب الجامعات الاخرى القائمة فى اقطار العربية الشقيقة » وبناء على توصيات مؤتمر التعريب الاول الذى عقد فى الرباط من 3 الى 7 ابريل 1961 والذى جاء من بين توصياته انشاء (شعبة وطنية للتعريب) فى كل بلد عربي مهمتها تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فى بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيلة العلمية التى تنتهي اليها الجهود فى ذلك البلد » .

وبناء على القرار المقدم من طرف المرحوم قدرى طوقان (ممثل الاردن فى المؤتمر) الى وزير التربية والتعليم آنذاك انشئت هذه اللجنة باسم « اللجنة الاردنية للتعريب » غايتها « تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب ، وتكون حلقة اتصال بينها وبين المكتب الدائم فى الرباط فتسجل كل ما يترجم فى الاردن من الكتب وتوافي المكتب الدائم بذلك وتقوم بتنفيذ ما يمكن تنفيذه من مقررات مؤتمر التعريب » .

ولما تم تعيين الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (رئيسا) للمكتب الدائم قامت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بإبلاغ اللجنة وجميع الدول العربية الاعضاء فى الجامعة كما قام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله نفسه بإبلاغ اللجنة كذلك .

ومنذ اجتماع اللجنة الاولى فى صباح يوم السبت 3 / 6 / 61 وهي تواصل مجهوداتها فى شتى المجالات العلمية والتعريب . ووفقا لهذا الاجتماع قامت اللجنة بتزويد المكتب الدائم ، والادارة الثقافية بقائمة من الكتب المترجمة فى ضفتي الاردن حتى ذلك العام .

3 - لجنة الكتب العلمية ، (هدفها ترجمة الكتب العلمية والتقنية)

4 - لجنة الفكر العالمي (هدفها ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية) .

وختم الكتاب برسالة بعث بها معالي وزير التربية والتعليم ورئيس اللجنة الاستاذ اسحق الفرحان الى دولة رئيس الوزراء حول انشاء مجمع علمي لغوي أردني ، ونقش من هذه الرسالة الكريمة الفقرة التالية : « ولعل من المناسب ان اذكر لدولتكم ان الاردن كان اول بلد استجاب لتوصيات المؤتمر المذكور ، واسس شعبة وطنية ، هي « اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر » ولقد عقدت اللجنة خلال الايام الاحد عشر التي مرت منذ تأسيسها حتى الآن خمسة وخمسين اجتماعا ، ونشرت عددا من الكتب المترجمة والموضوعة ، وشاركت في دراسة مشاريع المعاجم التي وصلت اليها من المكتب الدائم للتعريب ، وظلت على اتصال مستمر بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية والمكتب الدائم للتعريب ، بحيث اصبحت لدى هاتين الجهتين هي المثل والقُدوة في نشاطها وجهودها الكبيرة في حقل التعريب والترجمة ، ونالت الثناء الواسع منهما في مراسلات عديدة وكذلك في مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها المكتب الدائم للتعريب في الرباط » .

وهكذا يتجلى لنا من خلال هذه المعجالة مدى الجهد الكبير الذي تبذله هذه اللجنة التي نتمنى لها مزيدا من التقدم والنجاح في مراحلها القادمة وهي تتحول من صورتها الحالية الى نواة لمجمع علمي لغوي يساهم في خدمة اللغة العربية وتراثها الخالد بجانب مجامعنا اللغوية الأخرى في الدول العربية الشقيقة.

وبعد هذه اللوحة التاريخية عن هذه اللجنة النشيطة يعدد الكتاب « خلاصة أعمال اللجنة منذ تأسيسها التي كانت أهدافها الرئيسية التي قامت من أجلها تتلخص فيما يلي :

(1) مساعدة أقطار الشمال الأفريقي العربية على تعريب اللغة لتفي بجميع الأغراض التي تستخدم في مختلف مرافق الحياة .

(2) العمل على ترجمة عدد من روائع الآثار الفكرية الحية .

(3) التعاون مع الدول العربية على وضع ألفاظ عربية للمصطلحات الأجنبية .

وفي حقل الترجمة والنشر اصدرت اللجنة العديد من الكتب العالمية والعربية قام بترجمتها ونشرها اساتذة أعضاء في اللجنة ، أما في ميدان التعريب فقد ساهمت مساهمة كبيرة في دراسة كثير من المعاجم التي وصلت اليها من المكتب الدائم في الرباط ومن لجنة التنسيق بين اللجان الوطنية لليونسكو ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرها .

ويشير الكتاب الى أن اللجنة ما زالت سائرة بعون الله الى الامام ، وتطويرا لدائرة عملها وتوسيعا لرقعة نشاطاتها ارتأت تقسيم لجنة التعريب الى اللجان الفرعية التالية :

1 - لجنة احياء التراث العربي الاسلامي (يعنى بتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها) .

2 - لجنة الفكر العربي (هدفها ترجمة الفكر العربي والتعريف به في اللغات الغربية)

نحو استراتيجيّة

جديدة للتربية في البلاد العربيّة

والاستعمار تحريرا للوطن وتمكينا للانسان العربي من الانطلاق بنفسه وبمجتمعه على طريق التقدم » .

ويمكن عرض الوثيقة في النقاط التالية :

1 - بدأت الوثيقة في تحليل ضاف للصراعات والتحديات التي تعيشها الامة العربية ، واولى ملامح هذه التحديات : **النمو السكاني** ، حيث بلغ المعدل المرتفع منه في الستينات من هذا القرن الى 3 ٪ سنويا ، وينتظر ان يتجاوز في السبعينات هذه النسبة ويقفز مجموع سكان البلاد العربية من 124 مليون نسمة سنة 1970 الى 172 مليون نسمة سنة 1980 . وهذا النمو يؤثر سلبا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويزيد من حدة مشكلاتها ، وغالبا ما يأتي على الجهود التربوية ويأكل جزءا كبيرا من عائدها » .

وعلى هذا الاساس بنوه الوثيقة بضرورة الاختل في الاعتبار بهذا الامر ، عند رسم سياسات التعليم واستراتيجيته وبنيته ومحتواه والتخطيط له .

وثاني هذه الملامح : **ظاهرة الهجرة من القرية الى المدينة** ، التي تنتج عنها مشكلات اجتماعية خطيرة .

ثالث هذه الملامح : **عدم اتزان توزيع السكان الجغرافي** ، بحيث يكتلون في مساحات دون اخرى .

انعقد بصنعاء (اليمن) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب من 23 - 30 ديسمبر سنة 1972 . وبهذه المناسبة اصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية وثيقة هامة اعدّها كل من الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، والدكتور محمد الهادي عفيفي ، والدكتور محمد سيف الدين فهمي ، والدكتور محمد احمد الفحام .

وقد رسم معدو الوثيقة في دراساتهم المختلفة « استراتيجية جديدة للتربية والتعليم في البلاد العربية » على ضوء التحديات والصراعات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر حتى يتمكن من العبور بقوة وسرعة الى التقدم المنشود وإلى اوضاع تعليمية بناءة تسعى الى تنمية الثروة البشرية كلها . وليس الى فئة محدودة منها بحيث تصبح قادة على مواجهة هذه التحديات التي تقف في سبيل تقدم الامة العربية » .

ومن التحديات التي سجلتها الوثيقة والتي تواجه أمتنا العربية ، تحدي النمو السكاني بما يصحبه من خلل ديمغرافي مع عدم توازن في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم الاحوال ، وهناك الصراع ضد التخلف طلبا لحياة عصرية متقدمة ، والصراع ضد التجزئة طلبا للوحدة ، والصراع ضد التناقض الثقافي والاجتماعي طلبا للوحدة الثقافية وتجدها ، ولتكامل المجتمع وانسجامه ، والصراع ضد الصهيونية

والملمح الرابع : تركيبهم المعمرى الذى ينعاز
نحو الاطفال .

ولهذه النسبة المرتفعة من الاطفال داخل سكان
البلاد العربية تأثيرات مهمة فى العرض والطلب على
التعليم ، مما يجعل العبء اثقل على التعليم وقد
نوهت الى هذه الظاهرة الخطيرة الامم المتحدة غير
مما مرة .

— الصراع ضد التخلف :

بينما يضاعف العالم المتقدم خطاه على الطريق
نحو الامام ما زالت الامة العربية تخوض معركتها ضد
التخلف بجميع اشكاله ، مما يجعل الهوة تتسع بين
هذه البلاد وبينها من البلاد النامية .

وتشير الوثيقة الى : « انه فى الوقت الذى تملك
فيه البلاد العربية موارد اقتصادية وامكانات مادية
مؤهلة وتراثا حضاريا عريضا ، فضلا عما يتوافر
حولها من اسباب المدنية الحديثة ، فان جمهرة ابنائها
لا يقومون بمستوياتهم الثقافية المنخفضة على استثمار
هذه الموارد والامكانات والتراث بما يدفعهم الى طريق
التقدم بالسرعة المرجوة » .

كما اشارت الوثيقة الى الوان اخرى من الصراعات
كالتناقضات الثقافية والاجتماعية ، فعلى الرغم من
مظاهر الوحدة وتوافر عناصر التجانس الثقافى
المتماثل الاجتماعى — على الرغم من ذلك — فان
الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية قد خلقت
منها تفاوتات وتباينات ارتفع بعضها الى حد التناقض
والصراع بالاضافة الى عوامل اخرى كالصراع بين
القديم والجديد ، والتناقض القائم بين ثقافة الريف
والحضر ، ومسألة توزيع الثروة الخ .

ومما يزيد من هذه الصراعات جميعا الهزيمة
المبررة التى يعيشها العرب فى الوقت الذى يتوفر
لديهم كافة الامكانيات لمحوها وتخطيها .

وتلخص الوثيقة الى القول الى ان هذه التناقضات
برمتها تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع
المجتمع وجزءا من ثقافته ، مؤكدة ضرورة حسم كل
الخلاقات ومواجهته كل الصعاب حتى تتحول كل تلك

الملاحم الى مجالات للتفاعل الصحى بين الافراد
وعاملا من عوامل التماسك الاجتماعى والتكامل
الثقافى .

— الصراع ضد التجزئة :

توضح الوثيقة كيف ان الاستعمار سعى دائما الى
تشيت شمل الوحدة العربية واثارة النعرات على
اختلافها ، فيما بينها ، واستغل الاستعمار هذا الانقسام
والتفكك لجعل فلسطين ارضا تقوم عليها دولة
اسرائيل المفتتبة .

كما اشارت الوثيقة الى ان « العقود الثلاثة الاخيرة
قد اكدت ان الوحدة ينبغي لها بجانب سعيها الى اتقان
لغتها والاعتزاز بتاريخها والاحتفاظ بتراثها والتمسك
بقيمها الاصلية ، ان تأخذ بالعلم والتكنولوجيا فى
صورتها التقدمية على اوسع نطاق ، كما اكدت ان
الصراع القائم حاليا بين الامة العربية والصهيونية
والاستعمار ليس مجرد صراع عسكري او سياسى
فحسب . وانما هو فى الحقيقة صراع حضارى
شامل ينبغي ان يلعب فيه التعليم دورا مركزيا .

وبعد دراسات وافية لواقع التعليم فى البلاد
العربية والاستراتيجيات الموجهة له ، انتقلت الوثيقة
الى رسم استراتيجية جديدة للتربية فى البلاد العربية »

ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية فى اربعة
عناصر متكاملة — حسبما جاء فى مقدمة الوثيقة
نفسها — وهى :

ا — التغير التقدمى الشامل فى التربية الذى
يقوم على تصحيح رؤية جديدة للتعليم كل التعليم ،
تلتقى الجهود التربوية على تحقيقها من اكثر من موقع
فى النظام التربوى ، وذلك كبديل لاستراتيجية
الاصلاح الجزئى الذى يبقى التقديم مع بعض التعديلات
او الاضافات فى جانب من جوانب التعليم او مستوى
من مستوياته .

ب — تعليم المجتمع كل المجتمع ، كباره مثل
صفاره ، بمؤسساته المدرسية وغير المدرسية ،
وذلك كبديل لاستراتيجية تعليم الصغار قبل الكبار
بل على حساب الاخيرين فى المدارس .

— تبني القيادات السياسية للاستراتيجية وتعبئتها الجهود لتنفيذها .

— البحث العلمي في عناصر الاستراتيجية المقترحة والقيام بتجارب طليعية قبل التوسع) تنفيذها .

— التخطيط الكفاء لتنفيذ الاستراتيجية الجديدة مع مواصلة البحث والمراجعة في مشكلات التنفيذ والتطور .

— تطوير الادارة التربوية وتكثيفها وتعبئتها بما يتلاءم مع طبيعة الاستراتيجية الجديدة ويوفر لها الكفاءات القيادية في التوجيه والتنفيذ .

— اعادة النظر في برامج اعداد المعلمين وتدريبهم في ضوء مفاهيم الاستراتيجية الجديدة ومطالبها ليكونوا اداة فعالة في تنفيذها .

— توعية المجاهير بالاستراتيجية الجديدة وفتح باب الحوار في عناصرها وخصائصها واهدافها ووسائل تنفيذها .

— اعادة النظر في توزيع المواد المالية المخصصة للتعليم في ضوء مطالب الاستراتيجية الجديدة والاستخدام الامثل لهذه الموارد ، مع فتح المجال للمبادرات الشعبية والدعم المادي من جانب الافراد والجماهير .

— الاستعانة بالخبرة العالمية والمساعدات الدولية وبخاصة من جانب منظمة اليونسكو ، في التحرك على الطريقة الجديدة بنجاح وكفاية .

ج - الاهتمام بجودة التعليم اسوة بكمسة ، او دون فصل بين الكم والكيف ، وذلك كبديل لاستراتيجية الكم مع اهمال الكيف على حسابه .

د - الاتجاه التربوي العربي الواحد الذي يبدأ بالالتقاء على ملامح رؤية تعليمية جديدة على المستوى القومي تحول بها نظم التعليم في البلاد العربية قولا وفعلًا ، الى نظم تربوية عربية حقيقية ، ويتحقق بتجسيدها في الواقع تعبئة التعليم في كل موقع عربي لتجديد الثقافة العربية وتحول المجتمع العربي الى مجتمع عصري .

كما انه بفضل هذا الاتجاه تجتمع للبلاد العربية على اعمال مشروعات تربوية مشتركة وتنسيق خططها التعليمية وجهودها العلمية ، واولا واخيرا تبذل جهود مشتركة لتمكين الفلسطينيين العرب من ان يكون لهم تعليمهم الذي يمكنهم من مواصلة النضال واسترداد حقوقهم وبناء فلسطين الجديدة .

وتصر الوثيقة على انها ليست في الواقع سوى مجرد فتح باب حوار طويل وعميق امام السادة وزراء التربية والتعليم العرب ، ومن ورائهم من مختصين وفنيين وخبراء ومعلمين .

وتشير في الاخير الى انه لا بد بعد الحوار ، والالتقاء على العناصر الاساسية للاستراتيجية الجديدة - بعد تنقيحها وربما تعديلها - لا بد لها من ضمانات لوضعها موضع التنفيذ وهذه هي الضمانات التي ساقتها الوثيقة تحقيقا لذلك :

بين المجلة وقرائها

ما زلت أيتها القارئ العزيز — في مطلع كل عدد جديد — تتأكد من الحقيقة التي أمنت بها منذ صدور أول عدد من مجلتك « اللسان العربي » فقد اتخذت من هذا اللسان أداة للتخاطب والتفاهم والتعلم الأولى التي لا ترضى بها بديلا بأي لسان أعجمي آخر ، بل اننا نلمس بوضوح أن إيمانك بحقيقتك هذه يزداد يوما بعد يوم حيث جعلت من هذا « اللسان » المنبر الحر الذي تعرض فيه كل ما يعن لك في أمور اللغة من قضايا ومشكلات ، وفي الوقت ذاته تبرز القدرة الهائلة التي تنطوي عليها لغتك الخالدة ، وتسخرها في خدمة « العلم » بمختلف فروعه وأنواعه ، حتى تسائر ركب التطور المعاصر الذي ما عرف التاريخ يوما تقدما يضاهيه ، وأنت بذلك إنما تبذل أوهام المفرضين المقلين من شأن هذه اللغة الجاهلين لها ، وتسهم في بناء صرحها التالذ الذي يزداد بك وبإيمانك متانة وصلابة وقوة . « واللسان » هي بدورها كانت حريصة كل الحرص على أن تعمل دائما على مضاعفة إيمانك بهذه الحقيقة وما زالت تبذل قصارى جهودها في تأكيد هذا الإيمان وترسيخه في النفوس بابرار جلال العربية وعظمتها والسير بها قدما نحو لغة حية معاصرة قادرة على احتواء كل جديد حديث في كل علم وفن .

وما زالت الصلة الوثقى التي بين المجلة وقرائها الأجزاء تزداد تقاربا ومتانة يدعمها السيل العارم من رسائلهم المختلفة الحافلة بأجمل المواطن وأصدقها .

ونحن إذ نشكر للقراء نبيل مشاعرهم ونؤكد للجميع هذه الرغبة فينا ، نشد على أيديهم بحرارة ونعدهم على أن نعمل دون هوادة أو توانٍ لبلوغ الغاية التي ننشدها جميعا بحول الله .

ولا ننسى أن نذكر مرة أخرى أن هذا الباب من القراء واليهام وهو ملتقى أفكارهم وممتدى آرائهم وهو ينتظر منهم دائما كل توجيه أو نقد أو تعليق أو أية وجهة نظر أخرى في كل ما يتعلق بنشاط المكتب عامة والمجلة خاصة .

« اهتكم على المجهودات الجبارة التي تبذلونها من أجل إحياء لغة الضاد ، وإحلالها مكانتها الرغيمة التي كانت تتبوأها في عصورها الذهبية السالفة » .

من المملكة المغربية :

* من مدينة طنجة بعث إلينا الاستاذ عبد السلام العوام بادسي برسالة رقيقة تقتطف منها هذه السطور:

من الجمهورية الجزائرية :

✳ من الجزائر العاصمة جاعتنا كلمة رقيقة مسن معالي وزير الاعلام والثقافة الاستاذ احمد طالب الابراهيمي الى السيد مدير المجلة يقول فيها: «يسرني أن أكتب لكم هذه الرسالة مجددا عهد الأخوة والتعاون بيننا ومثنيا على الجهود المجدية المشكورة التي تقومون بها في مجال التعريب»

✳ ومن مدينة وهران وصلتنا كلمة رقيقة من رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الدكتور عبد الملك مرتاضى جاء فيها: «اننا نبارك أعمالكم وجهودكم المتواصلة المثمرة في مجال التعريب، وإصدار المعاجم الحديثة التي تشمل مختلف مجالات الحياة».

✳ ونعود الى مدينة الجزائر لنلتقي مع رسالة أخرى من رئيس ركن التعريب بوزارة الدولة المكلفة بالنقل الاستاذ مصطفى كمال مغربي تقتطف منها ما يلي: «أشكركم الشكر الجزيل عن الجهود الجبارة التي تبذلونها من أجل تنسيق التعريب في الوطن العربي، وأطلب الله أن يمدكم بالنجاح الدائم ويوفقكم في كافة نشاطاتكم».

✳ ومن مدينة تلمسان تطالعنا رسالة الأخ عبد الجليل مرتاض قال فيها: «لقد أتيت لي أن أطلع على مجلدين من مجلدات «اللسان العربي» الفراء التي يصدرها مكتبكم الموقر، وأعجبت بما جاء فيها من مقالات ومحاضرات وبحوث قيمة تعد بحق ثمرات جهود مضيئة طويلة».

✳ ووصلنا من الجزائر خطاب رقيق من السيد ناجي يحيى، يزجي فيه الشكر للمجلة وهو مفتبظ جدا بالنهج الذي تتجه في دراستها اللغوية وتحقيقاتها المختلفة ويقدم لنا بعض الاقتراحات منها:

— يتمنى أن يبادر المكتب بالكتابة الى جميع المؤسسات العربية والهيئات والمجالس والمعاهد والحكومات حتى تفرض رقابة صارمة - وبصفة مستمرة - فيما يخص استعمال مختلف المصطلحات التي ينبغي أن تكون موحدة في جميع أقطار الوطن العربي.

— أن ينشر المصطلح العربي في صور الانتاج بحيث تمنع كتابة تعريفات المنتجات التي وجد لها اصطلاح، بأحرف عربية ومعنى أعجمي مثل «كولونيا» للدلالة على المطر أو الطيب، وكذا «كازينو» و«سكوت»

✳ من مدينة وزان كتب الينا الفارء الكريم السيد المكي الريسوني الكلمة التالية: يشرفني أن أنوه بالجهودات القيمة الجبارة المتجلية في انشطتكم المتنوعة وأخص منها مجلة «اللسان العربي» التي تشرف مكتبنا الدائم للتعريب وتدفع كل مواطن للاعتزاز به نظرا للخدمات الجليلة التي يعمل المكتب دائما على تحقيقها لمسايرة ركب التقدم والحضارة»

✳ من القصر الكبير وجه الينا السيد الطاهري محمد الكلمة التالية: «لقد سعدت بالاطلاع على مجلتكم الهادفة الى تحقيق واعلاء اللغة العربية والخروج بها من مشكلاتها الى طريق التقدم حتى تكون لغة حية قادرة على مجابهة العصر السذي يطرنا يوميا بكل جديد».

✳ ومن مدينة الدار البيضاء كتب الاستاذ عبدالرحمن القباچ كلمة رقيقة جاء فيه: «لقد أصبحت «اللسان العربي» بفضل مجهوداتكم ومساهماتكم مجلة واسعة الانتشار جديرة بالامتياز فطوبى لكم وهنيا».

✳ وهذه تحية السيد الحسين بن محمد السملالي من الدار البيضاء كذلك جاء فيها: «لقد كان سروري عظيما بمجلكم الفراء نظرا للجهود الجبارة والخدمات الجلى التي تبذلونها في اخراج هذه المجلة خدمة للتراث العربي العظيم وللغة».

✳ وإفانا الاستاذ السفير الدكتور عبد الهادي التازي برسالة جاء فيها: «لقد تلقيت رسالتكم حول اعتزام المكتب التعريف بأصدقاء المجلة وكتابها، وقد كان ذلك تفكيراً سديداً منكم لا يهدف فقط لربط الاواصر بين رجالات الفكر في المشرق والمغرب، ولكنه كذلك يعرف الجمهور بهؤلاء الجنود المخلصين الذين يقفون وراء هذا العمل الضخم الذي يقوم به المكتب، ولا اكتمكم حقيقة لمستها من خلال عملي خارج المغرب سفيرا لبلادي، كنت كثيراً ما ألقى مثل هذا السؤال: من هم الذين يعدون «اللسان العربي» في مثل هذا الاخراج ومثل هذه المادة؟ وكنت أقرأ على ملامح الاصدقاء معالم التقدير والاكبار لجهودكم الشريفة، تلك التقديرات التي أفتنم هذه الفرصة لأنقلها اليكم صادقة مؤملا لكم المزيد من النجاح والمزيد من التوفيق».

ولا يمنع ترجمة اسم المنتج الى لغة أخرى ، لكن فى هذه الحالة ينبغي كتابة الاسم بكيفية يظل فيها الاسم العربي هو البارز .

* وهذه تحية من السيد ابن عبد الله الاخضر من وهران بالجزائر الشقيقة كذلك جاء فيها : « اطلعت على المقال الذي نشرته صحيفة « الصباح التونسية » ، والذي نقلته عنها صحيفة « العلم الاسبوعية » ، والذي اثنى فيه صاحبه على الجهود المبذولة لتطوير اللغة وجعلها تسير مسيرة الركب الحضاري ، وذلك بما تبذلونه من مجهودات كبيرة فى هذا المضمار سعيا وراء دحض ادعاءات المفرضين على اللغة فسعدت بذلك كثيرا » .

من الجمهورية الليبية :

* من ليبيا بعث الينا الاستاذ سامي عطا حسين التحية الرقيقة التالية : « ليتنى أستطيع تصوير مدى اعجابي وتقديري للابحاث والدراسات الجيدة ، وللجهود العظيمة التي تبذلونها فى سبيل لغة القرآن »

* ومن طرابلس حمل الينا البريد الكلمة التالية من الدكتور علي عبد المنعم : « أرجو أن أكون على صلة بهذا الجهد العلمي المنظم الدقيق ، والذي يسهم فى التعريب الفكري بين المثقفين العرب ، والذي يعمل على احياء الثقافة والمدنية العربية كحضارة ذات ابعاد متعددة الجوانب ، بعيدة الاعماق تكون اصلا ثابتا للنهضة العربية المعاصرة » .

* ومن ليبيا ايضا وافانا الاستاذ محمد العيسوي الشتوي بعرض مبسط عن « تهذيب المقدمة اللغوية » للعلائلي .

ولقد اشار الاستاذ الشتوي الى المكانة التي يحتلها الاستاذ العلائلي فى ميدان اللغة والادب ، وعدد كثيرا من كتبه المتنوعة فى شتى المجالات وهي كتب معروفة لدى الباحثين والمتابعين .

يقول : انقسم الناس امام كتاب العلائلي الى مشفق ومؤيد ومستغرب - على حد تعبير الدكتور اسعد علي - .. فالاستاذ اسماعيل مظهر سكريتر المجمع المصري للثقافة العلمية أبدى اشفاقه على نفسه ، وعلى الكتاب ، وعلى مؤلفه ، اذ اعتبره الصيحة الاولى لقيام التوسع فى اللغة ، هذا الاشفاق من المسئول الرسمي عن الثقافة العلمية .. اما الذين ايدوا الكتاب ، ورحبوا به بدون خوف ولا احتراز فهم الاساتذة : الاب

انستاس الكرمللي ، ابراهيم مصطفى ، طه حسين ، وعلي الجارم ، وعبد الفني حسني ، وسلامة موسى ، ومارون عبود ، وميخائيل نعيمة ، وقد حفلت مجلات ذلك الوقت بأبحاث مطولة حول الكتاب القيم كالمقتطف ، والثقافة ، والشرع ، والاهرام ، والمصري ، والدستور ، والتربية الحديثة .. »

اما المستفربون لكتاب العلائلي فهم المحافظون من اللغويين الذين لا يرضون بالتغيير والتجديد والاجتهاد فى ميادين اللغة الرحبة .

وبقى هذا الكتاب على حاله وطبعته سنة 1938م الى ان جاء الدكتور اسعد علي فالف سنة 1968 كتابه حول تهذيب المقدمة اللغوية ، ونشرته « دار النعمان » وجاء كتاب التهذيب هذا فى أربعة ابواب وخاتمة .

الاول - التطور اللغوي ونشوء اللغة العربية .

الثاني - معقول العرب ومستقبل العربية .

الثالث داء العربية ودواؤها .

الرابع - المجمع والمعجم .

وقد نوه الاستاذ الشتوي فى الاخير بالمجهود الكبير الذي بذله الدكتور اسعد علي فى « تهذيبه » لمقدمة الاستاذ العلائلي وتمنى اعادة طبع هذا الأثر القيم ، حتى يتسنى لكافة الباحثين الاطلاع عليه والافادة منه .

من جمهورية مصر العربية :

* نفتتح هذه السلسلة برسالة من الأديب الأستاذ علي الجندي عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، جاء فيها : « لقد أتحتم لنا فرصة ذهبية للاستمتاع بهذا الكتاب الجليل والموسوعة الفذة التي تدل على العلم الغزير والفكر الثاقب والتشويق الدقيق ، والغيرة على لغة الكتاب العزيز ، فبارك الله جهودكم وافاض عليكم القوة والقدرة ووفقكم لخدمة اللسان العربي واثابكم الثواب الوافر »

* من القاهرة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الأديب الأستاذ وديع فلسطين يقول فيها : « ادعو لكم بمزيد من التوفيق فى مآتيكم العلمية وميادينكم الفكرية فانتم تنهضون برسالة للضاد مقدسة وتخلصون فى اداها اخلاصا عرفته العامة والخاصة ، وتبذلون من ثمين الوقت والجهد ما نلمس آثاره فى كل

بالمستوى العلمي الدقيق الذي يتمتع الدارس المتخصص ويرفع من مستوى لغتنا الغراء ويقرب بين جهود العلماء والدارسين في جميع انحاء العالم العربي وغير العربي .. وفقكم الله وأناد بجهودكم في رفعة شأن العربية أنتم وجميع من يسهرون بطريق مباشر أو غير مباشر في هذا العمل الجليل .

* وأما رسالة الأستاذ عبد اللطيف عبد الحليم المعيد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فقد جاء فيها : « لا يسعني الا أن أشيد بجهودكم الكبيرة التي تسدونها الى اللغة العربية لتعزيز صرحها الشامخ ، إذ أنه جهد توفّر له الاخلاص الصادق والتفكير القويم ، فلا يملك اي منصف الا أن يذكر بالاجلال والتقدير هؤلاء الذين يقفون بعزم راسخ وراء هذا العمل الكبير الذي يحتل مكانا كبيرا في عقول الدارسين ووجدانهم » .

* وكتب الينا الأستاذ وجدي رزق غالي من القاهرة أيضا رسالة رقيقة يزجي فيها الشكر للمجلة والعاملين بها ويخبرنا عن صدور معجم له بعنوان « المعجمات العربية » ، ببيوغرافية شاملة مشروحة تقديم الدكتور حسين نصار ويقول انه قام بحصر شامل الى درجة قصوى للمعاجم العربية المطبوعة في جميع أرجاء العالم منذ اول معجم طبع 1505 حتى آخر معجم صدر عام 1970 .

يقع في ثلاثة اقسام :

الاول : المعاجم العربية العامة الاحادية اللغة (عربي - عربي)

الثاني : المعاجم الثنائية والمتعددة اللغات (عربي - اجنبي ، اجنبي - عربي)

الثالث : المعاجم المتخصصة ورتب هذا الباب هجائيا على رؤوس الموضوعات الدالة على العلوم ومجالات المعرفة المتخصصة ،

ويخبرنا أن معجمه هذا سجل من أعمال المكتب الدائم « معجم الأصول العربية والاجنبية للعامة المغربية » ، والمعجم الصوفي ، والمعجم الفقهي المالكي ، وكلها من تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

من الجمهورية العربية السورية

* من دمشق وصلتنا رسالة رقيقة من السيد محافظ متحف الفن الحديث - المتحف الوطني - الأستاذ

مكان . « وفي رسالة أخرى منه كذلك يقول : « أعود الى الثناء على الجهد الذي يبذله مكتبكم الموقر في خدمة الضاد والترجمة والمصطلحات والمعاجم . وهي تبعات تنوء بها العصبية من أفاذا الرجال ، وما دمتم متفرغين للعلم والثقافة والفكر ، فخدمتكم هي الباقية في جماعتنا العربية ، وهي تجمع عليها مشارقنا ومغاربنا ولا تختلف ، فالزموا مكانكم في ميدان الثقافة والفكر ، وتابعوا نشاطكم بتجرد واخلاص ، واسهروا على خدمة الضاد الحصان في جامعتنا الكبرى وعروتنا الوثقى وشرقنا الأكبر » .

وهذه رسالة من الأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بالانابة يقول فيها : « ان معهد المخطوطات يتابع نشاطكم الكبير في خدمة اللغة العربية واثرائها » .

* وأما الأستاذ محمد ابراهيم عطية فيقول في رسالته « يسعدني أن أحيتكم وأشكركم على هذه الموسوعة العربية الفنية التي تصور مدى ما تقومون به من خدمات جلّى وجهود مضيئة من أجل رفع شأن الاسلام واللغة العربية ، حقا انها لموسوعة لما تتضمنه من دراسات وابحاث ومعاجم تهتم كل عربي وكل من يغار على العربية مهما كان تحصيله العلمي ، وانني لشديد الفخر والاعتزاز « باللسان العربي » وبأسرة تحريرها » .

* ومن القاهرة نفسها بعث الينا الأستاذ توفيق علي وهبة مدير الشؤون القانونية يفتتحها بقوله : « لقد سعدت أيما سعادة ، بالاطلاع على العدد الثامن من مجلتكم القيمة « اللسان العربي » التي تزخر بالموضوعات القيمة ذات المستوى الرفيع ، وفي الحقيقة لقد سدت هذه المجلة فراغا في المكتبة العربية فادعوا الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لخدمة العربية لغة القرآن الكريم » .

* ومن مصر العربية كذلك حمل الينا البريد الكلمة الرقيقة التالية وهي من الأستاذ المسرحي الكبير زكي طليمات : « ان مجلتكم تفيض بكل مفيد وطريف مما يزيد في ثراء لغتنا العربية المستحدثة ويعمل على توحيد لسانها وتقارب لهجاتها الاقليمية في زمن نحن أحوج ما نكون فيه الى الوحدة اللغوية » .

* وتلقينا من الأستاذ محمد صبحي عيسى من قسم الدراسات العربية - الجامعة الامريكية - رسالة يقول فيها : « لكم أسعدني أن تصدر مجلة كهذه

عن الجهود العظيمة التي يبذلها في سبيل نشر اللغة العربية وتوعية الجاهير العربية وتثقيفها باللغة الفصحى التي هي من أولى مقومات النهضة العربية ادعو الله ان يوفق خطاكم ويسددها لما فيه خير الامة ووعيتها .

✽ وهذه رسالة اخرى من الاستاذ وليد حسن السعيد الى السيد مدير عام المكتب تقتطف منها هذه السطور : « من خلال ما راينا وقرانا ، فقد تجلى لنا عظيم عملكم ، وكبير فضلكم في خدمة امتكم وابناء وطنكم ، وفي سبيل الحفاظ على لغتكم العربية انتم ورفاقكم الذين يعملون معكم في المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ولقد كانت محاضرتكم « ثورية التعريب » التي نشرت في الصفحة السابقة من الجزء الاول من المجلد التاسع ، تعبيراً صادقا عن عملكم الكبير ، وغايتكم النبيلة ، وجهدكم العظيم ، وفقكم الله وسدد خطاكم » .

✽ وهذه رسالة اخرى جاءتنا من حمص من الاستاذ يحيى عبارة يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم الفراء « اللسان العربي » فراقنتي ابحاثها الشيقة ومواضيعها القيمة ، وتحقيقاتها اللغوية الرصينة ، والتعليقات الرائعة على الكتب العربية المحققة ، خدمة للتراث العربي ، وصونا له من الضياع ، وكذلك متابعة مجلتكم لمشكلات التعريب والتصدي لوضع المصطلحات الفنية الملائمة مما جعل مجلتكم فريدة في ابوابها ، وفي طليعة المجلات العربية ذات الشأن » .

من الجمهورية اللبنانية

✽ ومن لبنان نبداً من صيدا للنتقي مع الاستاذ محمد العدناني في هذه التحية الرقيقة : « لقد تسلمت الدفعة الاولى من مجلتكم النفيسة ومطبوعاتكم ، فاذهلني ذلك الجهد الجبار الذي تبذلونه لخدمة الفصحى ، واقالته من عثرتها ، حفظكم الله ذخرا للضاد وبنيتها » .

✽ ومن مدينة طرابلس تطالعنا رسالة الاستاذ اكرم صوفي رئيس الدائرة الاقتصادية في لبنان المالي التي جاء فيها : « لقد تسنى لي ان اطلع على الجزئين الاولين لمجلة « اللسان العربي » فاكبرت الجهود المضنية التي اسفرت عن هذا الانتاج الضخم ، وتبدو اللغة العربية احوج ما تكون اليه في عصرنا الحاضر ، لاسيما واننا في عز مسيرتنا الجبارة للانتظام في صفوف الصدارة من موكب الامم الناهضة » .

حسن كمال جاء فيها : « يسعدني حقا ان اطلقى مطبوعاتكم القيمة التي كانت وما زالت كنزا ثميناً يغني المكتبة العربية التي كانت الى عهد قريب تفتقر الى مثل هذه المعاجم والمؤلفات الاخرى التي نفيد من ابحاثها كل الفائدة ، وننقل الكثير من معارفها الى طلابنا في الجامعة ، اذ فيها يجد القارئ العربي ضالته المنشودة وامنيته التي ظل ينتظرها عهداً طويلاً والتي بدأ يحققها بما اسدرتم من كتب هامة في السنوات التي خلت والتي ما زلتم عاكدين العزم على نشرها في المستقبل ، احبي اسرة هذا المكتب العاملة باخلاص وتقان وأتمنى لكم كل النجاح ما دام رائدكم الاعتزاز بلغة الضاد » .

✽ ومن دمشق كذلك جاءتنا الكلمة التالية الرقيقة من الدكتور عبد الرحمن الصابوني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق يقول فيها : « جزاكم الله كل خير وان « اللسان العربي » لعمل نفخر به مع الأجيال الصاعدة بتحقيق صمود لغتنا وتحديدها للزمن » .

✽ وهذه رسالة ثالثة من دمشق ايضا بعث بها الينا الاستاذ احمد بهجة قنصه رئيس نقابة الترجمة المحلفين تقتطف منها ما يلي : « اطلعت على بعض منشوراتكم ، ولاسيما ما يتعلق بمعاجم المفردات ويطلب لي ان اعرب لكم عن سروري البالغ بهذا الانجاز العلمي القيم ، الذي يغني لغتنا بما تفتقر اليه من تعابير علمية وتقنية وفنية » .

✽ ومن العاصمة السورية كذلك تطالعنا رسالة الاستاذ محمد سعيد مولوي الخبير في المخطوطات العربية تقتطف منها هذه الفقرة : « اطلعت بسرور فسرني فيها انها المجلة التي طال بحثنا عنها وتشوقنا عظيم ، وشغف كبير ، على مجلة « اللسان العربي » اليها ، لخدمة لغتنا العربية العظيمة . وتجديد حيويتها ونشاطها بما يؤهلها لحمل تبعات الحياة الجديدة ، والمخترعات الحديثة ، وتطلعات الفكر الجبار »

✽ ومن مدينة حلب جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذ المحامي فرنان باي يقول فيها : « ولا يسعني في هذه المناسبة الا ان اعرب لكم عن بالغ اعجابي وتقديري للجهود الضخمة التي تبذلونها في هذا الحقل ، راجيا الله ان يسدد خطاكم الى ما فيه رقي وازدهار امتنا العربية الماجدة » .

✽ ونعود الى مدينة دمشق للنتقي مع رسالة الاستاذ عبد الودود طليبات الذي « يحيي فيها المكتب

العامة التي لا يمكن لها أن تنمو وتتسع إلا بهذه الأعمال
المبنية على الفكر المبدع في مختلف ميادين الحياة
المعاصرة »

* ومن الخيام كتب الينا الأستاذ فايز عباس أبو
عباس يقول : « تحياتي وتقديري للمجهودات الضخمة
التي تبذلونها ، لأخراج أعداد « اللسان العربي » الذي
هو بحق من أروع ما أنتج من دراسات وموضوعات
لغوية وعلمية وأدبية وغيرها ، مما يجعل منه مصدرا
لا يستغنى عنه كل باحث ودارس ، ومرجعا يعود
اليه في كل حقل من حقول المعرفة الإنسانية »

* « سرور وغبطة وتقدير بالغ لمملككم الجليل ،
طلعت على مجلتكم الغراء « اللسان العربي » فوجدتها
بحق دواء ناجعا للسان العربي الخالد لذلك كاتبكم
شاكرًا ومقدرا لكم هذه الجهود الكريمة في سبيل
خدمة اللغة العربية ، ولما تقدمون من زاد لغوي حي
تتغذى به المكتبة العربية » . هذا بعض ما جاء في
كتاب الأستاذ سليم نجيب البيطار من المنية بلبان .

من المملكة الأردنية :

* من عمان حمل الينا البريد التحية الرقيقة التالية
من الدكتور عبد العزيز الدوري من الجامعة الأردنية:
« أود أن أعرب لكم عن بالغ تقديري لجهودكم القيمة
ولانتاجكم الثمر في خدمة العربية »

* من عمان جاءتنا رسالة من الأستاذ عيسى
الناعوري سكرتير اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب
والنشر يقول فيها : « أرجو أن تأذنوا لي بأبداء ملاحظة
عرضت لي وأنا أعود الى مطالعة أعداد مجلة « اللسان
العربي » النفيسة التي لا شك في أنها تؤدي رسالة
رفيعة جدا ، هي رسالة النهوض بلغة الضاد العزيزة ،
وأبراز مزاياها وخصائصها المهمة ، ليكون ذلك وسيلة
الى اعادتها الى عزها وزهوتها وغناها ، وبالتالي الى
اعادة العزة القومية الى أهل هذه اللغة المجيدة » .

ويشير الأستاذ عيسى الناعوري في رسالته
ملاحظة مهمة تتعلق بالترقيم فيقول : « ان العناية
بالترقيم في بعض الأبحاث التي تنشر في المجلة أما
أنها مفقودة تماما ، وأما أنها غير كافية ، وعلامات
الترقيم أصبحت من العوامل المهمة ، المساعدة على
صحة القراءة وجودتها » .

ويضيف قائلا : « أنا لا أجهل أن العرب القدماء
لم يعرفوا الترقيم ، وأن الكتب القديمة - إلا في بعض

* ومن بيروت وجه الينا الأستاذ قاسم منصور
مدير الثانوية العاملة التحية التالية : « ونحن إذ نبدي
اعجابنا بقيمة هذه الكتب وتقديرنا للمجهود الكبير
الذي بذلتموه في سبيل إعدادها ، نشكر لكم تلافكم
بارسال هذه المنشورات الينا » .

وهذه رسالة أخرى من طرابلس كذلك جاءتنا
من الدكتور عبد المجيد نعمي يقول فيها : « لقد جاءت
« اللسان العربي » لتسد فراغا كبيرا في مجال تنسيق
عمليات التعريب في عالمنا العربي وذلك ان المثقفين
والعالمين في مجالات الثقافة والفكر كانوا في حاجة
ماسة لما أخذتم على عاتقكم القيام به في مجال تسهيل
عمليات نقل الفكر الاوروبي الى اللغة العربية
وبصورة خاصة في مجال نقل التراث العربي الى
اللغات الاوروبية » .

* وهذه رسالة أخرى من بيروت بعث بها الينا
الأستاذ حسن شقير جاء فيها : « سنحت لي الفرصة
أن أطلع على « اللسان العربي » فأعجبت بما تضمنته
هذه المجلة من أبحاث واجتهادات قيمة في اللغة
العربية وارتباطاتها الفكرية والعلمية والثقافية بلغات
أخرى ، كاللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ، فوجدت
أنه بإمكانني الاعتماد الى حد بعيد على مجلتكم الغراء»

* ومن مدينة زحلة وجه الينا الأستاذ جورج ليلان
حيصه هذه التحية : « في هذه المرحلة الدقيقة من
تاريخ أمتنا ، وبينما تستيقظ معاني القومية في وجدان
شعبنا سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية
او الثقافية ، تستوقف المثقف العربي بعض مظاهر
هذه اليقظة في منظمته الثقافية الكريمة ، لأننا نجد
أنفسنا اليوم أحوج ما نكون الى جهودكم الخيرة في
سبيل إيجاد معجم لغوي وعلمي كاللسان العربي »
بغية احياء وبعث لغتنا العربية بحيث تهضم معطيات
الحضارة الجديدة وتناضل فيها » .

* ونعود الى بيروت لنلتقي مع رسالة الأستاذ
جوزف افرم البستاني رئيس دائرة المكتبة المركزية
التي جاء فيها : « انه لمن أسعد المناسبات هذه
التي تتيح لنا التعبير الوافي عن مدى اغتباطنا وفخرنا
بالبالغين بهداياكم الخطيرة في أهميتها والنفيسة في
قيمتها والناجمة عن مجهودات ذوي العلم والكنساء
المشحونة بالطاقات الأدبية والثقافية والفكرية
والعلمية ، والتي تعطى بالتالي ثمارها الطيبة لتتغذى
بها أجيال المستقبل من المثقفين من خلال مكتبائنا

ومع تقديرنا لملاحظة الاستاذ الناعوري ، نشكره ونتمنى أن يوافينا دوماً بملاحظاته القيمة واقتراحاته السديدة .

من المملكة العربية السعودية :

✽ من الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان الصالح رسالة رقيقة نقتطف منها ما يلي : « لقد وفق الله المغرب العربي المسلم الى تصحيح اللسان العربي بكفاح في تنقيح اللسان وتوحيته بالبلاغة والبيان ليعود لساننا كما كان ابان ازدهار اللغة العربية فيرجع الينا امثال الاصمعي والكسائي وسيبويه وغيرهم من اركان العربية الفصيحة وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب ليعد ثورة على الدخيل على اللغة يطهرها من كل ما شابها من لكنة أو عجمة ، انني لشغوف بكل ما يصدر عن هذا المكتب من جلائل الاعمال »

✽ ومن القصيم حمل الينا البريد النحية التالية من النادي الاهلي الثقافي جاء فيها : « لقد اطلعنا على مجلتكم « اللسان العربي » فوجدناها مليئة بالبحوث العلمية ولقد اطلعنا على التراجم في مختلف الفنون والعلوم وتعد هذه المجلة الرباط الذي يجمع بسين الشرق والغرب ، تتبلوا صادق تقديرنا لما تبذلونه من جهود في سبيل العلم واللغة »

✽ ومن مكة المكرمة جاءتنا هذه التحية من رابطة العالم الاسلامي ، الامانة العامة من الاستاذ محمد صالح القزار الامين العام نقتطف منها هذه البسطة : « ما زلنا نتابع نشاط المكتب ونثنى على أعماله وجهود رجاله المشكورة ، راجين لهم التوفيق في مهمتهم وتحقيق غايتهم »

✽ ومن جدة وجه الينا الاستاذ محمد ثاني هوساوي الكلمة الرقيقة التالية : « أهني نفسي وكل الذين يلتقون حول مائدة القرآن لينهلوا النبع الصافي للعمل الكبير الذي ساهم به المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في خدمة لغة القرآن ، انه لجهود عظيم يتلج صدر كل مسلم غيور ، فما أحوجنا الى كشف كنوز لغتنا وما أحوجنا للرد على كل المحاولات التي تستهدف طمس معالم لغتنا المشرقة ومكتبكم في هذا الصدد يضطلع بالدور الكبير الذي أنيط به منسذ تأسيسه ولقد تمثل هذا الجهد في مجلدات « اللسان العربي » وفي غيره من المطبوعات القيمة التي تصدر عن داركم الموقرة » .

طبعتها الحديثة - تخلو منه خلوا تاما . ولقد وجدت عناء كثيرا في مطالعة تلك الكتب ، فكنت أضطر الى قراءة الفقرة الواحدة مرارا ، لأعرف كيف اقراها قراءة صحيحة سليمة المعاني .

ولست أجهل كذلك أن علامات الترقيم حديثة العهد ، ولعلنا أخذناها في ما أخذنا - عن الفرب الحديث . ولكننا فعلنا حسنا جدا في ذلك . فقد أصبح الكاتب منا يعرف كيف يجزيء عبارته وفقا للمعنى ، وكيف يعطي المعاني حقها في الجمل عن القراءة » .

ثم يشير صاحب الرسالة الى انه لاحظ بشكل خاص أن جميع الأبحاث التي يكتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، رئيس تحرير المجلة ، خالية تماما من علامات الترقيم ، كما أن هناك أبحاثا أخرى تخلو جزئيا من هذه العلامات » .

ويضرب أمثلة على ذلك ، بمقال الدكتور محمد المبارك ، من جامعة دمشق حول « التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطويرها » المنشور في العدد السابع من المجلة ؛ وبمقال الدكتور شوكت الشطي ، كذلك ، حول « تبلور الفكر العربي في علم الطب » المنشور في العدد السادس .

ثم يضيف : « ان تقدم اللغة ، وتطويرها يتطلبان تيسير قراءتها ، وتسهيل الوصول الى تناول ما تقدمه من معان . وعلامات الترقيم تساعد على ذلك مساعدة كبيرة ، وتوفر على القارئ جهد الركض واللهات في قراءة لا يعرف أين يقف منها ، وأين يسير ، والى أين ينتهي » .

« اللسان العربي » : تشاطر الاستاذ عيسى الناعوري ما ذهب اليه من رأي ، لأن مسألة الترقيم أصبحت حقيقة من الضروريات في جميع الكتابات والتأليف لكونها تخفف على القارئ عناء المراجعة ، وتسهل عليه تفهم المعنى بسرعة ويسر .

ونحب أن نشير هنا الى انه اذا أهمل الترقيم في بعض المقالات والبحوث فليس معنى ذلك أن الكاتب توخى ذلك عن قصد ، وانما هو راجع في عديد من الاحيان الى عوامل شتى ، منها طريقة الكاتب في الكتابة أو التصنيف ، أو قد يكون أحيانا سبب سقوط أكثرها عند التصحيح - غير أننا سنولي هذا الامر مزيدا من العناية .

اسماء الاحياء والاعضاء باللغة اللاتينية ، واقسم أنني وزملائي نحفظ أسماء الأعضاء والاصطلاحات دون أن نعرف معانيها فنعرف أن الاسم كذا يعود الى العضو كذا ، ولكن ما معنى هذا في لغتنا .. لا ندري .. وتخلو المعاجم الانجليزية من هذه الاسماء ، لذا فقد كان لمجلتكم ومعاجمكم فضل علينا لا يعادله فضل لها فيها من الفائدة ما يربو على شعر الرأس. ولشد ما أعجبني في المجلة باب «نقل ولا تقل» الذي يحارب الدخيل ويحل محله اللفظ العربي الأصيل »

✽ ونعود الى بغداد لنلتقي برسالة الأستاذ محمد عبد الرزاق التي افتتحها بقوله : « لقد اطلعت مؤخرا على العدد الأخير من مجلتكم الفراء وانشرحت لها نفسي ، وشغف القلب وهفا لها لما تضمنته من مواضيع في اللغة العربية على قدر بالغ من الأهمية والقيمة »

✽ ومن بغداد نفسها حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من أمين مكتبة النشط الوطنية العراقية الأستاذ حسين محمد حسن تويج جاء فيها : « أن طوق الجميل الذي طوقتموني به ما زال ولم يزل في موضع الاعزاز والاكبار مني ما بقيت منذ أن بدأت مجلتكم الزاهرة « اللسان العربي » يحملها البريد الي من المغرب الاتصى تباعا ، فأكتب — عليها ما وسعني الوقت — انهل منها وأعب ، وما أن بدأت في تصفح المجلد الثامن من المجلة حتى وجدتها غنية بمحتواها منسقة في توبييها وعرضها للمواد ، وقد راقتني الجزء المخصص منها لمادتي البترول والجيولوجيا فلم أتمالك نفسي دون قراءته من الفه الى يائه فوجدته عظيم الفائدة لي ولاخواني العاملين معي في نفس المؤسسة مما حداني أن اطلب اليكم التفضل بارسال خمس نسخ من المجلد الثامن باجزائه الثلاثة لكثرة الطلب عليها وشدة الحاجة اليها وبهذا تضيفون منه الى ما سبق منكم من اباد بيضاء ومآثر تذكر ، وفي الختام لا يسعني الا أن اكبر فيكم هذه الروح الوثابة في نشر اسباب الثقافة وتعميمها وفقكم الله لما فيه خير امتنا ورفعة مكانتها بين الأمم »

✽ وننتقل الى الكاظمية لنلتقي مع تحية اخرى رقيقة من أمين مكتبة جمعية التوجيه الأستاذ الحاج حسين الشيباني حيث يزجي فيها الشكر للمكتب مقدرا الجهود المبذولة لتهيئة وطبع واخراج هذه المطبوعات بشكلها المفيد راجيا للمكتب التوفيق في كافة اعماله ومنجزاته .

✽ من جدة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الأستاذ علي حافظ جاء فيها : « اشكركم وأقدر مجهودكم العلمي اللغوي التعريبي » الذي تخدمون به لفسة القرآن والاسلام أجل الخدمات ، ولست أدري لو لم يكن هذا المكتب كيف كان حال لغتنا بالنسبة لأحداث العالم التي تتوالى وتتجدد كل ساعة . »

من الجمهورية العراقية :

✽ من بغداد وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الدكتور توفيق ابراهيم غنيم — كلية الطب البيطري ، جاء فيها : « من الأشياء التي تلج صدر المرء وتجعله سعيدا في غدوه ورواحه أن يرى لغته العربية وقد صارت في مصاف اللغات الحية ، لغات العلوم والفنون — لغة القرآن الكريم والحياة ، انني اتابع باهتمام كل ما تنشره مجلتكم الموقرة « اللسان العربي » واعاهدكم أن أعمل جهدي في نقل هذه الجهود الجبارة لأبنائي الطلبة وزملائي في العمل »

✽ من بغداد كذلك بعث الينا الأستاذ صبيح الغافقي برسالة مطولة تقتطف منها ما يلي : « لست في حاجة الى أن أعيد ما ذكرته لكم شخصيا في الرباط من أن مجلة « اللسان العربي » وملاحظتها المعجبية لا تمثل اتجاها خاصا في خدمة لغة القرآن ، ووحدة الفكر العربي ، والعمل من أجل نشر الثقافة الإسلامية الصائبة ، وانما يمثل هذا المجهود في رأيي جامعة عربية لوحدها ، وما أحوجنا في هذه المرحلة الى مثل هذا المجهود الضخم الذي ينشر وحده لواء المعرفة الصادقة للجماهير العربية »

ويقترح حضرة الأستاذ على المجلة أن تكرر جانبا من كل عدد من « اللسان العربي » لأحياء الفكر الاندلسي ومتابعة الجديد من أبحاثه وتسجيل الاكتشافات التي يصل اليها الأثاريون الاسبان »

✽ ومن مدينة البصرة وجه الينا الأستاذ عادل يعقوب يوسف من كلية العلوم جامعة البصرة — رسالة مطولة تقتطف منها ما يلي : « لن أزيد مقدار ذرة على المجلة فلو أثبتت وأطنبت في ثنائي فهي بلا مدافع مجلة العرب الأولى ، وليتني أملك مكتبة لا تضم الا أعداد هذا السفر القيم ، ولاغيت نفسي عن مشقة البحث والتنقيب في بطون الكتب ، نحن ندرس في الجامعة العلوم بلغة أجنبية هي لغة الدراسة الرسمية وفي الفرع الذي انتمى اليه — علوم الحياة — تدرس

✽ وهذه رسالة أخرى من بغداد بعثتها إلينا صاحبة مكتبة الصياد السيدة سلمى مجيد حميد العبيدي تقول فيها : « فقد تصفحنا مجلة « اللسان العربي » فوجدناها زاخرة بالبحوث والمواضيع التي لا يستغنى عنها أي مثقف عربي وقد زادها فخرا أن تصدر في المغرب الأقصى لتكون جسرا يعرف ويربط بين أبناء الوطن العربي شرقه وغربه » .

✽ ومن بغداد كذلك وجه إلينا الأستاذ مسلم حمزة مهدي الكلمة الرقيقة التالية : « لقد ملئت فرحا عندما سمعت بصدر مجلة « اللسان العربي » حيث عثرت على هذا الكنز العظيم في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ان لهذه المجلة الفضل الكبير في انتشار اللغة العربية خاصة في مناطق شمال افريقية وجنوب جزيرة العرب وغيرها من أصقاع عالمنا العربي »

✽ ومن سليمانبة بعث إلينا الأستاذ عبد الأمير الورد برسالة رقيقة يقول فيها: « أحبي مجلتكم المباركة « اللسان العربي » هذه المجلة الرائدة في لغة العرب في عصر أصبحت فيه أحوج ما تكون الى من يشد أزرها وهي تواجه هذا التيار الجارف من الكلمات التي تأتيها بها الحضارة المتطورة في العالم المحيط بها » .

✽ من الأستاذ الشيخ يونس السامرائي صاحب مجلة « صوت الاسلام » جاءتنا هذه التحية : « فقد تصفحت أعدادا من مجلة (اللسان العربي) فوجدتها خير لسان يترجم لنا لغة الضاد ولغة القرآن الكريم ولا شك ان استمرار إصدارها ووصولها الى القراء سوف يعمل على توحيد اللغة الفصحى بين أبناء الوطن العربي الواحد وبعدها سوف تكون خير بشير للعربية والاسلام » .

✽ وهذه رسالة من الأستاذ غالب عباس جاء فيها : « لقد شدني الشوق وملأني الفرح وراودتني البشرة لهذه الأمة المجيدة التي كتبت أعظم فخر للإنسانية ولا زالت تبني جديدا مشيدا على ماضي تليد وذلك بفضل رعاية ابنائها الذين لا يألون جهدا في سبيل تقدمها ورقيةا ومسائرتها لركب الحضارة الجديدة بأساليب شتى منها الاعتناء باللغة لسان الأمة وسلاحها على يد مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية الذي يبذل مساعي جبارة في هذا المضمار » .

✽ ومن بغداد حمل إلينا البريد الخطاب التالي من الأستاذ خضير مروت الجنابي : « لقد كان أعجابي كبيرا

بمجلتكم « اللسان العربي » وذلك لما تحتوي عليه من موضوعات علمية وأدبية ممتعة وما تتسم به من جدية نبيلة القصد ، عظيمة الفائدة ، ولقد قدرت حق التقدير الجهود الجبارة الفريدة التي يبذلها السادة أعضاء المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يحملون » .

✽ ونختتم جولتنا في العراق برسالة من السيد علوان كريم منى : « اطلعت على الموسوعة الكبيرة (اللسان العربي) وتفصحتها عن كتب فنالت أعجابي وإكباري لما تحتويه من بحوث قيمة بأقلام كتاب أجلاء رصدوا أنفسهم لخدمة اللغة العربية وتخليصها المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يعملون » .

من دولة الكويت

✽ ومن الكويت الشقيقة جاءتنا هذه التحية من الأستاذ أحمد عبد الغني باغي ، يقول فيها : « أشكر كل من شارك في تحرير « اللسان العربي » ، القراء ، مقدرا مجهودهم الكبير ، ومسامحهم المحمود ، نفعا الله به ، ونفع أمتنا ووقاها شر الدخيل من الكلمات ، والأفكار والأحكام التي أخذت تتفشى ، وتستشري وتفتك في جسم أمتنا وتراثها الأصيل ، وشريعتهما النقية البيضاء » .

✽ ومن الكويت كذلك وصلتنا الرسالة التالية من الأستاذ محمد حمد إبراهيم الفوزان جاء فيها : « كنت في زيارة الرباط في صيف 1970 وسمعت من صديق الطرفين السيد قاسم السداح الثناء الجم على جهودكم المباركة في مجال التعريب وكنت حريصا على التشرف بلقاءكم لولا ان إقامتي القصيرة في الرباط لم تمكني من ذلك ، وعلى كل فأننا في المشرق العربي نتابع جهودكم الخيرة بكل إعجاب وتقدير جزاكم الله أحسن الجزاء »

✽ ومن الكويت الشقيقة كذلك حمل إلينا البريد هذه التحية من السيد المدير العام لغرفة تجارة وصناعة الكويت الأستاذ هيثم الملوح جاء فيها : « أتاحت لنا إحدى الزيارات لمكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت فرصة الاطلاع على بعض المعاجم الصادرة عن مكتبكم الموقر ، وتأكد لنا أن هذه المعاجم تعتبر لبنة أساسية وقوية في مكتبتنا العربية ومرجعا هاما لكل باحث »

من جمهورية السودان :

✽ من الخرطوم وجه إلينا الأستاذ يحيى محمد إبراهيم عن مدير دار الوثائق المركزية رسالة نقطف

منها هذه السطور : « ننتهز هذه الفرصة لنعرب لكم عن عظيم سرورنا بهذا المجهود الكبير الذي تقومون به لخدمة الثقافة ودعم الروابط الثقافية في الوطن العربي »

من البحرين :

* من النامة وجه الينا السيد جاسم محمد جاسم الدرازي رسالة مطولة تقتطف منها ما يلي : « انني اشكركم من الاعماق على هذه الجهود العظيمة التي تبذلونها سعيا وراء نشر الثقافة وطلبا لرفع مستوى الفرد العربي العلمي وتغذيته بثتى فنون العلم والأدب واطلاعه على كل ما استجد واستحدث في عالم المصطلحات واللغة »

* وهذه تحية أخرى من البحرين كذلك وصلتنا من السيد عبد الاله حميد الصباح جاء فيها : « انني من المعجبين بمجلتكم الثمينة والمشوقة وان هي الا مرجع كبير يفيد كل متعطش للعلم وطالب له أرجو لكم التوفيق في كافة مشاريعكم لخدمة الأمة العربية بما تضطلعون به من اعباء » .

* من السيد سالم عبد الله سالم جاءتنا التحية التالية : « انني لا أستطيع التعبير من عظيم امتناني لما تسدونه لأبناء العروبة من اباد بيضاء ناصعة مساهمة منكم في خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن العظيم . ولست بمغال اذا قلت انني تعلمت الكثير من اسرار لغتنا الحبيبة من مجلتنا الفراء (اللسان العربي) أكثر مما تعلمته في دراستي الجامعية المختصة في هذا المجال ، وهذا راجع لما تحتويه مجلتكم من موضوعات حية معاصرة تجعلني مدينا لكم ومعددا لأفضالكم » .

من الجمهورية الاسلامية الموريتانية :

* من نواكشوط جاءتنا رسالة من وزارة التربية والثقافة من مفتشية التعليم الابتدائي بالوسط الشرقي تقول : « لقد تصفحنا المجلدين السابع والثامن من المجلة الدورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، ولا يسعنا الا أن نعبر لكم عن سرورنا وارتياحنا لهذا العمل الجليل الذي نعتبره — نحن هنا — فاتحة عهد جديد في حياتنا » .

* ومن نواكشوط كذلك بعث الينا السيد حمود بنعبد الودود برسالة جاء فيها : « اسبحوا لي أن أعرب لكم عن اعجابي وتقديري لما تقومون به من رعاية وتوجيه وتنسيق في سبيل رقي ونهضة اللغة العربية لتتسع مدارك الناطقين بالضاد عن طريق ما تصدرونه من قيم المنشورات الممثلة في مجلتكم الفراء « اللسان العربي » .

من باكستان :

* ومن السيد سفير المملكة المغربية بباكستان وماليزيا — اسلام آباد جاءتنا التحية التالية : « لا أستطيع أن أعبر لكم عن تقديري ، واعجابي للجهود المثمرة التي تبذلونها ويبدلها مكتب التعريب : وهي جهود تقدر هنا عند علماء هذه البلاد وتقوم السفارة بتوزيع منشوراتكم على ذوي الاختصاص والمعرفة » .

من تركيا

* من اسطنبول حمل الينا البريد خطابا رقيقا من السيد بكر قارليف من دار الحكمة والدعوة تقتطف منه هذه السطور : « نرجو الله عز وجل أن يوفقكم ويوفق العالم الاسلامي في نهضاته العلمية والثقافية والدينية ، نتمنى دائما أن نتوصل بأسفار مجلداتكم القيمة « اللسان العربي » .

من هولاندة :

* من هولاندة وجه الينا السيد محمد سليمان خطابا جاء فيه : « اننا نحاول ونعمل من أجل ادخال الكلمات المعربة الجديدة قصد تحسين لغتنا ونحن ننوه دائما في هذا الصدد بمكتبكم الجليل الذي يعمل باستمرار من أجل رفع اللغة العربية الى المكانة اللائقة بها وجعلها لغة كل الميادين العلمية المعاصرة ، ونزداد فخرا بمكتبكم عندما يطلع الاجانب على اعمالكم الجبارة فيدهشهم المستوى الذي وصلتم اليه » .

من السويد :

* من قسم الدراسات العربية بجامعة غوثنبورغ كتب الينا الاستاذ فاروق ابو شقرا يقول : « أثناء وجودي بمعهد الدراسات العربية في جامعة غوثنبورغ الملكية راجعت مكتبة هناك حيث لا تحتوي على كتب

بعد أن اطلعت على المعجم المذكور في مجلتكم
« اللسان العربي » كان سروري عظيما .

من يوغوسلافيا :

* من يوغوسلافيا وصلتنا من السيد نياز محمد
سكريج التحية التالية : « لا شك انكم تعلمون
بوجود عدد غير قليل من المسلمين في بلادنا لهم رغبة
في التثقيف بالثقافة العربية الاسلامية ونحن نعتبر
مجلتكم الغراء « اللسان العربي » احدى وسائل هذا
التثقيف نظرا للدور الذي تقوم به في صالح الأمة
العربية والاسلامية . »

من بريطانيا :

* من قسم المعاجم الانجليزية — العربية باكسفورد
بعث الينا السيد ن. س دونيك بالكلمة التالية :
« سرني أن أتسلم الأجزاء التي أرسلتها من
مجلتكم الغراء « اللسان العربي » وبعضها خاص
بالقواميس وقد أحسست بالجهود الكبيرة الذي تبذلونه
في سبيل التعريب ، تقبلوا تحية تقدير وأعجاب . »

* وفي رسالة أخرى للسيد دونيك يقول : أثارت
مجلتكم اهتمامنا منذ زمن بعيد ذلك لصلتها الوثيقة
بعملنا في وضع المصطلح العربي — الانكليزي ولما بهمن
مقالات وأبحاث لغوية قيمة ، لكم شكرنا وتقديرنا لما
تقومون به من جهود في خدمة اللغة العربية
وتطويرها . »

* ومن نفس القسم كتب الينا الأستاذ محمد
محمد حلمي هليل خطابا جاء فيه : « بمزيد من الغبطة
تسلمت أجزاء من مجلتكم الدورية « اللسان العربي »
التي يصح لنا أن نفتخر بها وسرني أن أطلع عليها
الزملاء المستشرقين هنا ، شكرا جزيلا لكل يد
ساهمت في هذا العمل الكبير وجهودكم في خدمة لغتنا
الحبيبة هذا وقد سارعت بدراسة الجزء الثالث من
المجلد الثامن فازدت ايمانا بهذا الجهد الذي بذل ..
وقد أعجبت جدا بباب « قل ولا تقل » ويا حبذا لو
ظهر ما جمعتوه في شكل كتيب ان امكن . »

والأجزاء التي أرسلتها ستبقى لنا هنا مادة
غنية للقاموس الذي نعمل حاليا فيه وسأوافيكم
بملاحظات بعد دراسة الأجزاء باذن الله .

— نشكر السيد محمد محمد حلمي هليل على
عواطفه النبيلة وأما بخصوص ملحوظته حول باب « قل

كثيرة تتعلق بالدراسات العربية والاسلامية لذلك
يدفعني الأمل بكم والتطلع الى مساعدتكم بتزويد
مكتبة المعهد بما يصدره مكتبكم بما يعطي انعكاسا
ايجابيا لثروة لغتنا الواسعة من آداب وقيم علمية
يستفيد منها الطالب والباحث والمستشرق وكل من
يهمه الاطلاع على حضارتنا . »

من اسبانيا :

* من كلية الفلسفة والآداب في بلنسية جاءت
رسالة من السيد المدير العام المكلف بقسم اللغة
العربية يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم
« اللسان العربي » فوجدتها على جانب كبير من
الاهمية في خدمتها للغة العربية المعاصرة »

من ايطاليا :

* من روما بعث الينا السيد عزرا هنري جورجي
عن مدير مكتب الاعلام والتوثيق بمعهد الأمم المتحدة
لأبحاث الدفاع الاجتماعي ، كلمة رقيقة جاء فيها :
« أتشرف بالكتابة اليكم شاكرا على ما زودتم به
مكتبنا من مطبوعاتكم القيمة التي هي ثمرة الجهود
المتواصلة في سبيل تنسيق التعريب في العالم العربي.
واود أن أنقل لكم اهتمام مركزنا في روما بما تصدرونه
من مطبوعات خاصة مجلة « اللسان العربي » . »

من فرنسا :

* من السيد مدير المكتبة العربية بجامعة ليون
(قسم الدراسات العربية) جاءت التحية التالية :
« لقد وصلتنا اعداد « اللسان العربي » الغراء واننا
لنشكركم لكون هذه المجلة سوف تعمل حتما على
تطوير معرفة الطلاب للغة العربية . »

من بولاندا :

* من مدينة كراكوف بعث الينا السيد طاهر شامي
الطالب « بمعهد التعدين » فرع البترول قسم الحفر
رسالة يقول فيها : « كان لي شرف عظيم بأن اطلعت
على ما تنشرونه في « اللسان العربي » وبالتحديد على
معجم البترول ، ان محتوياته كانت دائما بالنسبة لي
شيئا مجهولا ، قبل اطلاعي على هذا المعجم كنت
أجهل المقابلات العربية لعدد من المصطلحات ، ولكني

ولا تنقل « الذي يطلب منا جمعه ، ننهي اليه أننا كنا قد نشرنا كتيباً مستقلاً يحمل نفس العنوان في سلسلة حملتنا على الدخيل الاجنبي .

من الأرجنتين :

✽ من بينوس أيرس كتب اليها الرحالة الشاعر الاستاذ يوسف العيد رسالة مطولة جاء فيها : « ان مجلة (اللسان العربي) اليوم هي اللواء الذي يقتني اثره الأدباء العرب وسوف يبقى خالداً لتكلم عنه الأجيال الآتية بالاكبار والتعظيم ، ما أجمل هذا الاسم الذي يبخر الفم ، ويرتص الأعرصاب عزة بلفتنا : لغة القرآن الشريف ، وأؤكد أن المجلة ترى بعيني كل اديب عظيمة بغايتها وكبيرة ببحوثها اللغوية وتجديدها كلاماً خلقه التطور البشري ، وتعريبها لأسماء المخترعات الجديدة المستنبطة بأسماء أعجمية فهي الضالة المنشودة التي ينشدها كل اديب عربي ، هذه جهود جبارة وخدمات جليلة للغة الضاد .

وبعد هذه التحية يسوق صاحب الرسالة رأياً في الشعر الحديث ، ويعتبر على المجلة عدم نشرها للشعر الكلاسيكي ، ويحسن أن نورد كلمته في هذا الصدد ليطلع عليه القراء : « أرى أن المجلة تهتم بنشر النثر ولا غرو فهي أنشئت لهذه الغاية ولكنها لم تهتم بنشر الشعر الكلاسيكي ولو قليلاً ولا أقول الشعر الرمزي الذي أراه كرقعة قاتمة على ثوب أبيض ناصع خالص من الشوائب السمجة وأنتم ترون أن هذا الشعر الرمزي يبرز الى ميدان الخليل بن أحمد الفراهيدي على فرس ليكسب قصب السبق غيه ولكن هيهات هيهاتان ينتصر وأؤكد أن اتباع الشعر الحديث ينظمون أشعارهم وهم أنفسهم لا يفهمونها فكيف لنا أن نفهم نحن أصحاب الأوزان الشعرية والقوافي الرنانة ، هم يقولون : ان الشعر الحديث يؤثر في تكثيف التعاطف بين الجماهير والشعراء لان الشعر الكلاسيكي متحجر ، وأي عاطفة يشعر بها قارئ تصاندهم ما دام لا يفهمها وما هي الا كالصور الرمزية التي أخذ بعض الرسامين يرسمونها وأين منها صور رفائيل ودافنشي وجورجوني ومنتوريو الخالدة المتكلمة بدون لسان .

لا يحسبن هؤلاء الشعراء الرمزيون أننا نحن الشعراء بالكلاسيكية من المحافظين المتحجرين هذا وإن نعمتونا بهذه النعمت فكلامهم يحول عندنا ثري أشعارنا صوراً خلابة جميلة رنانة كعمود موزة .

ان مجلة « اللسان العربي » هي اليوم بمقدمة الصحف والمجلات العربية في العالم كله فإذا لم تتدارك تيار الشعر الرمزي بمقالات واضحة حرة صادقة فأية مجلة غيرها تنقف لتقول الكلمة الحق ، وكما أكبر في المجلة قولها : يسرنا أن نجعل من المجلة ميداناً للنقاش العلمي الحر ، فهذا القول يشجعني لإرسال مقالتي هذا لها . كما أطلب أن يكون في المجلة نصيب للشعر الكلاسيكي .

— وبما أننا جعلنا هذا الباب من القراء واليهام ، لذا فقد نشرنا رأي الشاعر يوسف العيد في الشعر الحديث ويظل باب النقاش مفتوحاً أمام القراء ، وأما بخصوص نشرنا للشعر الكلاسيكي فنحن لا نرى مانعاً من ذلك غير أن معظم اهتمامنا ينصرف الى نشر البحوث والموضوعات اللغوية التي هي محور المجلة .

من الهند :

✽ من دلهي الجديدة جئتنا رسالة مطولة من الأستاذ عبد الحليم الندوي رئيس القسم العربي بالجامعة المليية الاسلامية جامعة نجر نقتطف منها ما يلي : « اسمحوا لي أن أشكركم الشكر الجزيل كما أرجو إبلاغ امتناني بواسطتكم الى جامعة السدول العربية الموقرة ، لهذا الكرم والمنة التي تختصون بها طلاب العلم واللغة العربية وخاصة في بلد بعيد عن مهد العروبة — الديار الهندية — والتي ظلت تعمل جدياً بكل نشاط وإخلاص ، للنهوض بهذه اللغة الشريفة ونشر لوائها في هذه الديار ، ورغم تقلبات الزمن لا تزال توجد عندنا جامعات ومعاهد عربية كبرى تتحمل مسؤولية تثقيف الجيل الناشئ الاسلامي بالثقافة الدينية الاسلامية العربية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تقوم بتعليم الطلبة اللغة العربية وآدابها ، بحيث يتمكنون من إتقانها قراءة وكتابة وكلاماً . وإلى جانب هذه المعاهد والجامعات الدينية التي تضاهي بعضها جامعة القرويين ، والجامع الأزهر ، مثل دار العلوم ديوبند ودار العلوم لندوة العلماء ، توجد عندنا جامعات عصرية اسلامية أيضاً ، مثل الجامعة المليية الاسلامية بدلهي الجديدة والجامعة الاسلامية بمدينة عليجرا ، والجامعة العثمانية بمدينة حيدرآباد بجنوب الهند ، التي تتولى مهمة تدريس اللغة العربية الى جانب تدريس العلوم والمواد العصرية الأخرى »

الهند — والتي ننشرها تعميما للفائدة — تتننى أن يمهدها دائما بكل جديد فى الموضوع .

✽ ومن دلهى الجديدة كذلك وجه الينا الاستاذ سيد نثار على الامين العام لاتحاد عمال دار الادوية همدرد . الخطاب التالى : « يسرنى أن أعرفكم بدار المطالعة التى تجرى تحت اشراف — اتحاد عمال دار الادوية — همدرد — الشهيرة الذى يبلغ عـسدد اعضائها الى حوالى الف عضو واكثرهم ينتمون الى الاسلام وهم ميالون الى قراءة الجرائد والمجلات الخاصة بالآداب واللغة والعلوم ولما وفقنا لرؤية مجلتكم « اللسان العربى » الموقرة وجدناها مفيدة للغاية ومزودة بمعلومات وافية عن اللغة العربية الحبيبة ومختلف العلوم » .

✽ ومن ولاية كيرالا جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ محمد بن على محمد يقول فيها : « لقد وجدت فرصة طيبة لرؤية المجلد السابع من مجلتكم الغراء « اللسان العربى » حينما قضيت مدة شهر فى الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، ولم أضع هذه الفرصة الذهبية فطالعتها صفحة صفحة بلذة واعتزاز ، واننى موقن أن هذه المجلة الجليلة تعمل على انماء ما لدينا من العلم فى اللغة العربية والقرآن المجيد هنا فى الهند » .

ويضيف الاستاذ الندوي قائلا : « وقد اثمرت الجهود التى بذلتها الامة الاسلامية فى الهند بواسطة هذه المعاهد والجامعات ، أن الهند لم تزل توجد بها نخبة مختارة من المتعلمين باللغة العربية والملمين بها ، فأنجبت علماء وأدباء وشعراء ، كان لهم القدح المعلى فى دنيا الادب والفن ، تفيض بذكرهم اقلام كبار الادباء العرب والعلماء ، ولست مغاليا اذا قلت أن التعاون الذى نحظى به من جانبكم فى هذا الحقل يحفزنا الى المزيد من العمل الجدى المثمر ويشجعنا للمضى قدما نحو الامام فى هذا المضمار .

واننى اذ اشكركم على حسن صنيعكم بنا هذا ، اعبر عن تقديري للجهود الجبارة التى تبذلونها نحو انماء ثروة اللغة العربية بتعريب المصطلحات الاجنبية الحديثة ، والقيام بدراسات قيمة ثمينة حول مختلف الموضوعات والمواد المتعلقة بتطور اللغة العربية وازدهارها عبر تاريخها المديد الزاخر فجزاكم الله عن اللغة والعروبة خير الجزاء » .

« واللسان العربى » اذ تشكر الاستاذ الندوي عن هذه المعلومات القيمة التى وانانا بها عن النشاطات العلمية والجامعية التى يضطلع بها علماء الاسلام فى

كاليفورنيا :

لفظ محرف عن لفظتين اسبانيتين معناهما القرن الحامى ولا يبعد أن يكون ذلك عربيا : كالى = قالى فورنيا = القرن (الواسطة فى اخبار مالطة ص 94)

حول ثورة النعريب

للشيخ الفاضل عبد الرؤوف عجمي

(الموصل)

توصل مدير المجلة بالرسالة الآتية :

استاذنا الجليل عبد العزيز بن عبد الله المحترم

بعد تقديم الاحترام : قرأت بحكم القيم « ثورة التعريب » وهو من اجمل ما قرأته في هذا الباب ، لما فيه من حجج دامغة ، صفتهم بها دعاة التفرقة ، واذاًب الاستعمار ، الذين تناسوا انفسهم ، وباعوا ضمائرهم ، وصاروا يواكبون كل داع الى التفرقة والانقسام ، لقاء دربهات تلقى اليهم ، وخانوا امتهم - ان كانوا عربا - ولا اخال انهم يمتون الى العروبة بسبب . وبدا لي بعض الملاحظات خلال قرائتي هذا البحث الطريف ، ارجو ان تسمحوا لي بتقديمها اليكم ولكم مني مزيد الاحترام .

من غير ان يعلم سبب كتابته ، ومن بقرا هذا يستفيد عكس ما اراد ان يبينه الكاتب ، ولا يخفى ما يحصل بهذا من ارتباك وفهم سقيم وضياح حقوق فيصبح الطالب مطلوبا . وعلى هذا فمن لم يعرف قواعد اللغة العربية فانه لا يتمكن ان يكتب - بالحرف اللاتيني - لغيره ما يريد ان يقرره ، فيوقع القارئ في خطأ وارتهاك .

كما ان الكتابة بالحرف اللاتيني تكون اطول مما هي في الحرف العربي ، لان كل حركة يعبر عنها بحرف فيتضاعف عدد الحروف في الكلمة الواحدة - كما تبين لنا من الجملة السابقة - والامم تسعى في هذه الايام الى اختزال الكتابة ، حفظا للوقت ، ودفعاً لسأمة القارئ . والمأجورون يدعون الى تشويه ما في لغتنا من جمال الحروف ودقة واختصار .

اللغة العربية لغة اعراب ، فاللفظ الواحد تتغير حركته بالنسبة لموقعه من الكلام ، بخلاف اللغة التركية ، فهي لغة تكون الفاظها ساكنة الاخر مهما تبدل موقعها من الكلام ، فالتركي يكتب كما يلفظ ، ولا يلتبس ما يكتبه على من يقرأه .

واما اللغة العربية فانها ليست كذلك ، فاذا كتب بالحرف اللاتيني من كان جاهلا بقواعد اللغة العربية ، فانه يكتب كما يلفظ ، وقد يكون ما كتبه خطأ ، فيقرأ من كتب له خطأه من غير ان يشعر ، وعلى هذا فان الامر يلتبس على القارئ ، ولربما فهم عكس ما اراد ان يعبر عنه الكاتب .

فاذا اردنا - مثلاً - ان نبين « ضرب احمد محمدا » وكتب من لم يحسن قواعد اللغة العربية ضرب احمد محمد Daraba Ahmada Mohammado

وقد لاحظت بنفسى فى عدة اجتماعات مع علماء من الأتراك ، أن الأتراك الذين كانوا يكتبون فى الحرف العربى ، ثم حملوا على الكتابة بالحرف اللاتينى ، كانوا فى كتابة الملاحظات وجمع المعلومات يكتبون بالحرف العربى ، وسألت بعضهم عن سبب كتابتهم بالحرف العربى فى مثل هذه المناسبات ، فكان جوابهم : الاختصار ، وسألت بعض علمائهم عن سبب ترك الحرف العربى والعدول عنه بالحرف اللاتينى ، فكانوا يظهرن الأسف ويحجمون عن ذكر السبب .

ونحن نعلم أن الذى حمل مصطفى كمال على هذا التبدل : أنه أراد أن يقطع الصلة بينهم وبين الماضى يوم كانوا يتولون الخلافة ، ولهم زعامة العالم الإسلامى ، وحماة الحرمين الشريفين فأبعدهم عن حظيرة الإسلام وقطعهم عن ماضيهم ، وصبغهم بصبغة أوربية ، وكان له ما أراد ، إنما فعل هذا لأمر سياسى ، بأن ينشئ جيلا لا يعرف عن ماضيه شيئا إلا ما يسطره لسه الموجهون بالحرف اللاتينى ، بعيدا عما فى ترانته من علم وأدب وفن ، لأنها صارت بعيدة عن متناولهم . فإذا ما حدث أحدهم عما فى خزان كتيبهم - التى هى مكتوبة بالحرف العربى - من علم وفن ومعرفة ، فإنهم يظهرن استغرابا ودهشة وأسفا ، لعدم معرفتهم مآثر أجدادهم ، كأنما حدثتهم عن أمر كان مطمورا واستظهر بعد بحث عنه ، وهو كذلك عندهم .

على أن التراث التركى أكثره من العرب والفرس ، ولا يقاس بالتراث العربى الزاخر ، فى شتى العلوم والفنون والمعارف ، فهو تراث الإنسانى جمعا .

ودعاة هذه الحركة هم ماجورون ، يدسون السم فى الدسم ، وهم - كما تفضلتم - يدرسون ويخططون ويصممون ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وإنما هم يخطئون ويخطئون ، ويعلمون حق العلم أن عملهم باطل لا يجدي نفعا ، تجاه لغة لها حمايتها ، ولها ركنها القويم الذى « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم » .

وقد مر على اللغة العربية أدوار عصبية ، كانت أشد سوءا مما يدعو اليه هؤلاء الماجورون ، ولكنها صمدت أمام موجات التتر والمغول وغيرهم من الأمم الاجمعية ، ثم ما لبثت أن طغت على لغتهم ، وحملت القوم على تعلمها وتذوقها ، واخذوا يتفاخرون بما ينتجون فى لغة القرآن ، وهكذا خرجت ظافرة منتصرة على كل الفزاة ، وصهرت لغاتهم ومعتقداتهم ، وجعلتهم عربا فى اللغة مسلمين فى الدين يتلون كتاب الله فى

عباداتهم ، ويتحدثون فى لغته ويؤلفون بها مختلف الكتب ، ينظمون الشعر ويعانون الأدب ، فكانوا حمايتها وعلماءها وشعراءها .

هذه اللغة التى يفخر بالحفاظ عليها كل عالم يؤمن بوحدة الدين واللغة ، لا أن تكون شعوبا وقبائل ، تفرق بيننا رطانة العامية ، وتجعلنا لقما سائفة لكل طامع .

الم يعلم هؤلاء الدجالون المضللون : أن من أسباب نهضة العرب - قبيل الإسلام - هو القضاء على اللهجات العربية التى كانت فى قبائل العرب ، وأن لغة قريش كان لها الفضل فى ذلك ، بأسواق الأدب التى كانت تقام وتنشد الأشعار فيها بلغة قريش ، وفى الاجتماعات التى تكون فى مواسم الحج والتجارة ، فإن لغة قريش كانت أجمل اللغات العربية ، سادت وانتشرت بين القبائل فكانت لغة الجزيرة العربية : لغة الشعر والخطابة والمفاخرة والمنافرة ... الخ .

ثم نزل القرآن الكريم بها فكانت لغة الدين والعلم والأدب ، وكانت وحدة شاملة جمعت العرب ووجهتهم إلى ما فيه سعادة الدارين ، وانتشرت فى أقطار الشرق والغرب .

وعلى هذا فإن توحيد اللهجات العربية وذوبانها فى لغة قريش كان من أقوى أسباب النهضة العربية الإسلامية . بها أنزل القرآن الكريم ، وبها فصلت أحكامه ، وبها دونت العلوم والفنون والمعارف ، فكانت لغة الدين والعلم .

وإن عملاء الاستعمار ومن لف لفهم ، ينفخون فى ابواق قد أعدوا لهم غيرهم ، من أعداء العرب والإسلام ويأتون بأصوات منكرة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وهم يوهمون أنفسهم بأنهم يوقعون انغاما شجية تهز العرب ، وتفرقهم شذر مذر ، وهذا ما لا يكون ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، ولغة العربية أهل يعتزون بها ويحمونها ، ويركنون إلى كتاب الله العزيز الذى كان ولم يزل السند القوى لها فى كل العصور .

فاللغة العامية لا تصمد أمام اللغة الفصحى ، خاصة كاللغة العربية الأصلية التى قد تمهدها أهلها ، وحرصوا على تبسيطها ونشرها فى اختلاف المجالات ، وجعلوها لغة العلم والأدب فى المعاهد العلمية ، ولغة الصحافة والإذاعة ، فإنها على مر الأيام تقضى على الكثير من الاصطلاحات والكلمات الدخيلة التى تفلت فيها . وليس ببعيد أن نرى يوما ما اللهجات العامية

فى اختلاف البلاد العربية قد قربت من اللغة الفصحى،
وتقاربت مع بعضها .

إذا رجعنا الى ما كانت عليه لهجاتنا العامية
- قبل نصف قرن - وما كان فيها من رطانة والفاظ
دخيلة من اختلاف اللغات الاعجمية ، مما يمجها الذوق ،
فكنا نتكلم بها ولا تعلم معناها ، ثم ما هي عليه اليوم
لهجاتنا العامية من نبد تلك الالفاظ الدخيلة والتعابير
الاعجمية . ولو كلمنا احد اولادنا بما كنا نتكلم به قبل
نصف قرن لاشكل عليه فهم كثير من التعابير والالفاظ
التي كانت فى لغتنا العامية . وكان هذا التقارب بينها
وبين الفصحى بنشر اللغة وتعليمها فى المعاهد
المختلفة ، وتأثير الصحافة والاذاعة والتلفزيون وغير
ذلك مما يذاع باللغة الفصحى .

فاللغة العربية كانت ولم تزال من اجمل اللغات
واوسعها ، الم تكن لغة العلم والفلسفة والفن والادب
فى الشرق والغرب ؟؟ الم يدرس بها علوم الفلسفة
والطب والرياضيات فى جامعات اوربا ؟؟

فكيف تضيق اليوم عن التعبير بما عبرت عنه يوم
كانت لغة العلم والدين والسياسة فى اكثر اقطار
العالم .

فهل عجزت اللغة او قصرت فى ترجمة كتب
الامم التي تقدمتها من مختلف العلوم والفنون ؟ الم تكن
ادق تعبيراً عما فى غيرها من اللغات ؟ ولم يزل ما وضع
فيها من الفاظ واصطلاحات لمختلف العلوم والفنون
باقيا فى لغات الشرق والغرب ، يشهد بدقتها وسعتها
ومطاوعتها للتعبير فى اختلاف العلوم وشؤون الحياة .

هذا قليل من كثير عما كانت - ولم تزال - عليه
لغتنا « أم اللغات » من سعة وجمال ودقة وكمال
ومطاوعة فى مفرداتها وتعابيرها ، وجمال فى كتابتها ،
وهي صامدة امام كل عميل وداع الى الضلال .

قد احتضنت ابناءها العرب تحت راية القرآن ،
وهم فخر معتزون بهذه الامم الحنون التي كانت ولم تزال
من اهم اسباب جمع كلمة العرب وتوحيدهم والسير
بهم فى سبل الحق والعلم والهداية .

البحث (العلمي)

روي ابن الانباري (طبقات الادباء ص 127) ان المامون امر الفراء ان يؤلف
ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب وافرد له حجرة وصير
له الوراقين والمنفقين لامداده ووكل به الجوارى والخدم فصنف
كتاب المعاني ثم خرج فأملأه على الناس .

عَنْ التَّعْرِيبِ وَقَضَايَاهُ

لِفَدَايِشِ الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ سَعِيدَانَ وَمَنْدُوبِ الْمَكْتَبِ الدَّائِمِ
فِي الْمَكْتَبِ الدَّائِمِ لِنَتْسِيقِ التَّعْرِيبِ .

أَجْرَى الْحَدِيثُ : مُحَمَّدٌ بْنُ الْحَطَّايِ

الدكتور أحمد سعيدان عضو اللجنة الأردنية للترجمة والنشر والتعريب ،
وأستاذ الرياضيات بكلية العلوم بالجامعة الأردنية ، ومندوب المكتب الدائم للتعريب
في الأردن ، من الشخصيات المعروفة العاملة في الميدان العلمي العربي والتي
أعطت نتاجاً طيباً منذ تخرجه من إنجلترا (قسم الرياضيات) له عدة تأليف ، كما
حقق غير قليل من المخطوطات التي لها علاقة بميدان تخصصه الرياضيات ، ولقد
قضى نحو عشرين عاماً في السودان يدرس الرياضيات العليا ، وبمناسبة انتهاء مدة
إعارته للمكتب الدائم لتنسيق التعريب حيث كان يقوم بمراجعة عامة لمعجم
الرياضيات الذي كان قد أعده المكتب أجريت مع سيادته الحديث التالي :

3 - ترجمة مختارات من الكتب العلمية والتقنية
إلى العربية .

4 - ترجمة روائع الفكر العالمي إلى العربية .
وتبذل اللجنة محاولة جادة في سبيل التطور
بغية أن تصبح عن قريب مجعماً لغوياً علمياً يساهم مع
المجامع العربية الأخرى في خدمة اللغة والفكر .
— هل لي أن أسالكم عن رأيكم في نشاط المكتب
الدائم للتعريب ودوره في خدمة قضايا التعريب على
ضوء ما قمتم به طوال المدة التي قضيتها فيها ؟
« إن ضخامة الإنتاج القيم الذي صدر عن هذا
المكتب رغم إمكانياته المحدودة دليل على أن المكتب
يؤمن برسائله محددة وقد عقد العزم على تأديتها ، أما
عن قيمة المهمة التي يضطلع بها المكتب وهي تنسيق
التعريب في الوطن العربي فيكفي أن أشتهد بما حدث
في السنتين الأخيرتين في الرياضيات .

— السيد الدكتور سعيدان بصفتمكم عضواً في
اللجنة الأردنية للترجمة والنشر والتعريب ، هل لكم
أن تحدثونا عن هذه اللجنة وعن النشاطات المختلفة
التي تضطلع بها ؟

« تضم هذه اللجنة في الوقت الحاضر أربعة
عشر عضواً من الأردنيين ذوي الإنتاج الفكري المتصل
في حقول الآداب والعلوم والتقنيات وأهم ما تضطلع
به اللجنة في الوقت الحاضر .

1 - الحصول على نسخ من المخطوطات العربية
القيمة التي لم تنشر بعد محققة تحقيقاً علمياً ، والعمل
على نشرها .

2 - ترجمة ما كتب عن الفكر العربي في اللغات
الغربية وترجمة الجيد من الفكر العربي إلى بعض
اللغات الغربية .

الفعالة ذات الشأن في خدمة اللغة العربية والفكر العربي . »

— علمت من خلال الكتاب الذي أصدرته ليجتكم العاملة بمناسبة مرور احد عشر عاما على انشائها ، ان علاقتها بالمكتب علاقة جد وثيقة هل لكم ان تعطونا فكرة عامة عن هذا الترابط المتين ؟

« انبثقت فكرة انشاء اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب في الرباط ، مؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط سنة 1961 كان من توصياته انشاء شعبة وطنية للتعريب في كل بلد عربي تكون صلة بين هذا البلد وبين المكتب الدائم للتعريب ، على اثر ذلك اصدرت وزارة التربية والتعليم في الاردن قرارا بتأسيس اللجنة الاردنية ، وقد حافظت هذه اللجنة على اتصالها بالمكتب الدائم للتعريب منذ انشائها ، كما اوصى بذلك مؤتمر الرباط ، وان انتدائي من قبل لجنة التعريب الاردنية للعمل في المكتب ومراجعة معجم الرياضيات لثمرة من ثمار هذا الاتصال المبارك بين مكتبكم في الرباط ولجنتنا في عمان . »

— تعلمون انه في نهاية العام القادم سينعقد بالجزائر الشقيقة المؤتمر الثاني للتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن أهمية هذا المؤتمر وعن قضية التعريب عامة ؟

« في تقديري ان هذا المؤتمر سيكون هو موسم القطف بالنسبة الى جهودكم طوال هذه السنين ، فأنتم تجمعون ، تجمعون المصطلحات العلمية بالفرنسية والانجليزية ثم تنقبون عن المقابلات العربية التي تستعملها الاوساط المختلفة في الوطن العربي المترامي الاطراف ، فان لم تجدوا مقابلا اقترحتم من عندكم وحسب اجتهادكم وهذا كله ستضعونه امام مؤتمر الجزائر سنة 1973 املا في اجد امرين كل منهما خير : فاما ان توحد المصطلحات كلها او بعضها . وهذه خطوة في سبيل الوحدة الثقافية ذات شأن ، واما ان تتمسك اقطار بمصطلحاتها وهذا ايضا خير اذ انه ينطوي على وحدة الفهم . اذا كنا - انا وانت - نسمي هذه سيجارة فاننا نستطيع ان نتفاهم عند الحديث عنها ، وكذلك نستطيع ان نتفاهم اذا علمنا انك انت تسميها لفافة واسميها انا دخينة ! ان لم يخل مؤتمر الجزائر الا عن تحديد المصطلحات في الاقطار العربية المختلفة حتى دون توحيدها ، كان في ذلك خير كبير . »

لقد عمدت اليونيسكو الى تطوير الرياضيات في مرحلة الدراسة الثانوية في البلاد العربية ، فعملت على تكوين لجان محلية تتدارس الرياضيات الحديثة ووسائل احلالها محل الرياضيات التقليدية ، ثم أعدت كتابا في الرياضيات الحديثة بثلاثة اجزاء ليكون كتاب الرياضيات المدرس في المرحلة الثانوية في العالم العربي . وضع الكتاب بالانجليزية وعهد الى لجنة الرياضيات العراقية بترجمته الى العربية ، والرياضيات الحديثة في المرحلة الثانوية تضم زهاء ثلاثمائة مصطلح حديث وضعت لها اللجنة العراقية مقابلات عربية لم ترتج لها اللجان الاخرى فكان ان قامت كل لجنة بعرض مادة الكتاب بالطريقة التي وجدتها اكثر ملاءمة لظروفها ، وهكذا صار لكتاب اليونيسكو ترجمة عراقية واخرى كويتية وثالثة اردنية ورابعة مصرية ، هذا بالاضافة الى ان سوريا رأت ان تبدأ الرياضيات الحديثة قبل صدور كتاب اليونيسكو فوضعت كتبها الخاصة بها . وربما كانت هنالك ترجمات اخرى لكتاب اليونيسكو لا أعرفها ، وهذه الترجمات تتفق في كثير من المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة ولكنها تختلف في كثير منها ايضا ، فما سمينا نحن « المجموعة » سمي في مصر « فئة » وما سمته مصر والاردن « بالمجال » سمي في سوريا « المنطلق » ، بل ان الرموز الرياضية نفسها قد تباينت في هذه التراجم فمن ذا الذي يتصدى لعرض هذا كله عرضا منسقا منظما كي تبقى البلاد العربية قادرة على التفاهم ذات بينها في نطاق الرياضيات ؟

— هل لي ان اعرف من سيادتكم مدى صدى المكتب في المشرق العربي ؟

« لا شك ان الذي يتاح له ان يطلع على اي عدد من اعداد مجلتكم (اللسان العربي) الفذة ، يكبر هذا الجهد الذي تبذله في سبيل خدمة اللغة العربية ودراسة قضاياها المختلفة دراسة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعالات وعن تنميق العبارات ، ولكن لا اكنمك انني طوال عملي في السودان لم اسمع عن مكتبكم ، وقد بدأت اسمع عنه واقرا عنه عندما عدت الى الاردن والحققت باللجنة الاردنية للتعريب . وفي رأيي انه لا يعيبكم من قريب ولا من بعيد ان القلائل هم الذين يعرفون عنكم ، فأنتم تعملون في صمت ولكنكم صمت فعال ابلغ من الكلام ، واذا كانت القلة هي التي تعرفكم الآن فان هذه القلة ستكثر ، ثم انها هي القلة

اما الحديث عن قضية التعريب عامة فحديث طويل ذلك ان الناس اختلفوا حول هذه القضية بين مؤيد ومعارض ومستهتر بها مقلل لشأنها ، وفى تقديري ان الذي يحلل الموضوع الى عناصره الاولى لا يمكن ان يقف من التعريب موقف المعارض لسه او المستهتر به .

ان العلم ماضى فى سبيله سواء عربنا ام لم نعرب، وطلاب العلم فى مستوى الباحثين ماضون ايضا فى التعلم والبحث ، ولان العلم الآن يصنع فى البلاد المتقدمة فلا مناص لهؤلاء الطلاب من معرفة لغة هذه البلاد كي يتسنى لهم ما يتفنون من تعلم وبحث ، انني - شخصيا - من الداعين الى فتح كل النوافذ للفكر العالمي واتمنى لو علمنا ابناءنا اكثر من لغة اجنبية واحدة حتى يعمل الباحثون منهم فى المستقبل على ادخال جميع ضروب الفكر الجيد الى العالم العربي .

ولما كان الفكر الحاضر يصنع فى البلاد المتقدمة - كما اسلفنا - فان مصطلحات هذا الفكر ما وضع منه وما لم يوضع هي بالبداية بلغة غير العربية ، هذه المصطلحات لا مناص للجامعيين من ابنائنا من معرفتها . وحتى هذا الحد لا يرد فكر التعريب ، ولكن المرء يبدأ يستشعر الحاجة الى التعريب فى مستويين دون مستوى التخصص والبحث هما مستوى الحياة اليومية ومستوى الدراسة التي تسبق التخصص . ان بعض نتاج العلم ينزل الى الشارع ويغدو من لوازم الحياة اليومية كالاسبرو ومثلا والتلفزة ، ما دام الاسبرو قد عرف كدواء الصداع وما دام الناس يصابون بالصداع

فلا بد لهم من استعمال الاسبرو ومن ثم لا بد لهم من ذكره والتحدث عنه والاسبرو اسم لدواء وهو اسم لا يتغير بتغير اللغات فلا بد من ان يستعمل بالعربية كما يستعمل بفير العربية ، ولغة اسبرو لفظة حقيقة لا يمجهها ذوق العربي العادي . وليست بخفتها لفظية تلفزيون ومن ثم لا بد من تحويل طفيف فى هذه اللفظة يجعلها اقرب الى جرس العربية ما دامت فرضت نفسها على حياتنا اليومية ، وهذا ما جاء بكلمة تلفزة التي فيها من عريية الجرس ما يمكننا ان نشق منها يتلفز ومتلفز وربما غير ذلك من الاشتقاقات .

ان المصطلحات المستحدثة التي تفرضها الحضارة اليومية على رجل الشارع لابد من النظر فى اخضاعها للقياس العربي فان لم تتكفل هيئة بهذا الاخضاع قام بذلك رجل الشارع نفسه ، غير ان أي هيئة تتصدى لتعريب المصطلحات ينبغي ان تعلم ان القول الفصل للشارع فهو قد يستسيغ ما تقول وقد لا يستسيغ فيرفضه .

والمجال الثاني والاهم الذي يلزم فيه التعريب هو حقل التعليم الذي يسبق مرحلة التخصص ، هذا هو التعليم الذي يميز المجموعة المتعلمة عن الاميين وانصاف المتعلمين ، وحتى يؤتي هذا التعليم ثماره ينبغي ان يكون بلغة البيت والا صار المتعلم ذا ازدواجية غريبة يبدو متعلما فى المدرسة واميا فى الشارع ، وليس فى هذا مبالغة ولكنه امر لمستىه شخصا من خلال ممارستي الطويلة للتعليم ، ولكن الوقت لا يتسع للافاضة فيه » .

اللغة العربية الفصحى والعامية

(1)

للأستاذ فولكهارد فيندور

نشرت مجلة « رسالة المعلم » (العدد الثالث 1972 م) مقالا للاستاذ فولكهارد فيندور نشره فيما يلي :

تعتبر لغة الكتابة التي لا يتكلمون بها الا في ظروف معينة ، كالخطب الملقاة في المناسبات المختلفة والبرامج الاذاعية والتلفزيونية والمسرحيات المختلفة ذلك ، ويمكن القول ، ان اللغة الفصحى لم تدخل بعد جميع مجالات الحياة بتلك الصورة التي توغلت بها اللغة العامية الى كل أوجه حياة الانسان ، ومما ادى الى توسيع الشقة بين الفصحى والعامية ، ان احدا لم يبذل جهدا يذكر من اجل التقرب بينهما ، والدليل على ذلك التطور ، قيام دور السينما بعرض الافلام الناطقة باللغة العامية ، وتفضيل عدد من مؤلفي المسرحيات الكتابة باللغة العامية ، بدلا من اللغة الفصحى .. والامثلة كثيرة ومعروفة لدى الجميع .

وقد عظم شأن اللغة العامية ، الى درجة تدعو الى القلق ، اذ ان الكثيرين يحررون رسائلهم بالعامية وزحف العامية لم يتوقف في المدارس والجامعات ، بدليل ان معظم المعلمين والاساتذة يحدثون تلاميذهم وطلابهم باللغة الدارجة وليس بالفصحى كما هو المفروض .

ومن المعروف ان اللغة الالمانية الفصحى ، حديثة العهد .. فهي قد نشأت في القرن السادس عشر ، عندما قام مارتين لوتر ، بترجمة الانجيل الى احدى اللهجات الالمانية المنتشرة آنذاك .

اما اللغة العربية الفصحى ، فكانت موجودة منذ زمن اطول بكثير ، صحيح ان عرب الجاهلية لم تكن لهم

اللغة العربية كائن حي ، وهي تخضع لتغيرات شبيهة بالمراحل التي يمر بها الكائن الحي ، ومن هنا يتضح لنا ، ان الازدواجية بين لغة فصحى وبين لغة محلية ، ظاهرة تتصف بها كل لغات العالم .

وقد يبلغ البون ، بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة مبلغا عظيما ، كما هو الحال في اليابان واليونان مثلا ، وقد يكون الفرق بين الصورتين للغة الواحدة بسيطا ، مثل الفرق بين اللغة الروسية الفصحى واللغة الروسية العامية .. وقبل الدخول في تحليل موقف العربية من هذه المشكلة ، يجب الاخذ بعين الاعتبار ان الفارق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية ، اي اللهجات العربية المحلية اقل منه بين اللغة الالمانية الفصحى واللهجات الالمانية المتعددة على سبيل المثال ... وهناك من يرى المشكلة في الشكليات ويدعو الى التفريق بين « اللغة » و « اللهجة » ، باعتبار اللهجة اقرب الى اللغة الفصحى من « اللغة » العامية ، غير انني اعتقد ان البت في الامر لا يجدي كثيرا ولا يساعد على توضيح جوهر الموضوع ، فان اللغة الهولندية مثلا مجرد لهجة المانية في نظر بعض اللغويين ، في حين يصير اهل هولندا على وجود لغة هولندية مستقلة .

وأول ما نلاحظ على الوضع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لهجات عربية عديدة ، يستعملها الناس في التحدث دون اللغة الفصحى . فالأخيرة

(1) نشر هذا البحث القيم ضمن نشاط المكتب الدائم لانه يعبر عن نفس الفكرة التي أوضحناها في كتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « حول تفصيح العامية » .

لغة موحدة تماما ، وصحيح ايضا ان لغة قريش لسم تغلب على بقية اللهجات المتداولة في شبه جزيرة العرب الا بعد نزول القرآن الكريم واهتداء الناس الى الاسلام ولكن مما لا شك فيه ان القدامى كانوا يستعملون اللغة العربية الفصحى في نظم الاشعار والقاء الخطب . ويؤمن بعض العلماء بأن اللهجات العربية نشأت عن لغة عربية موحدة . كانت بمثابة اللغة الام ، وقد انقرضت هذه اللغة الاصلية وتفرعت الى لهجات . غير ان البعض الآخر يؤكد ان القبائل العربية لم تتكلم قط اللغة الفصحى طوال تاريخها العريق بل كانت تلجأ اليها لغراض محدودة . أي ان اللغة الفصحى كانت مصطنعة وليست وليدة حياة المجتمع العربي القديم . وما زال العلماء يختلفون حول هذه المسألة ، ولكنهم يجمعون على وجود اللهجات العربية ، الى جانب اللغة الفصحى منذ فجر التاريخ .

وقد نتجت الفتوحات العربية عن انضمام دول كثيرة الى الامبراطورية الاسلامية العربية ، كان سكانها يتكلمون اللغات الاجنبية المعروفة في المنطقة وهي الفارسية واليونانية والقبطية . ولم يلبث ان اصطبغت اللغة العربية التي ادخلها العرب الى الاقطار المفتوحة ، باللغات المذكورة (حسب المنطقة) وبذلك تبلورت اللهجات العربية المحلية كما نعرفها اليوم ، وان طرأت عليها بعض التغييرات بمرور الزمن . ولكن اللغة العربية الفصحى لم تمت ، بل صمدت في وجه التيار الجارف للهجات العربية المختلفة . وأظن ان السبب الرئيسي في بقائها ، انها لغة القرآن الكريم . وهذه الظاهرة الغريدة في نوعها ، لم تتكرر في التاريخ . . . وحتى اللغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية لاعظم دولة عرفها التاريخ القديم ، لم تتمكن من مقاومة اللهجات الرومانية التي حلت محلها شيئا فشيئا .

ان اللغة العربية الفصحى لم تمت - ولكن الضعف السياسي الذي كانت تعانيه الامة العربية لمدة قرون طويلة ، اسفر ايضا عن ضعف فكري ، الامر الذي انعكس في ركود تام في حياة اللغة العربية ، لا سيما اثناء الاحتلال العثماني . وفي حين نشطت الحركة العلمية في اوروبا وتركت آثارها في اللغات الاوربية الحديثة التي تطورت وتمشت مع التقدم العلمي ، بات العالم العربي معزولا عن كل حركة فكرية او علمية ، ونزل مستوى اللغة بصفة عامة . وبعد انهيار الدولة

العثمانية توالى على العالم العربي فترات مختلفة من الاحتلال الاجنبي . ومن الطبيعي ان الاستعمار الانجليزي والفرنسي والاطالقي لم يشجع قيام نهضة ثقافية ولغوية بالتالي ، بل بالعكس . . لقد حاول الاجانب صرف العرب عن ثقافتهم ولغتهم وأسسوا المدارس والمعاهد المكلفة بنشر لغتهم وثقافتهم . . اضاف الى ذلك ان العلوم الحديثة ومتطلبات الحياة العصرية ، هي التي سهلت سياسة الاستعمار واحلال اللغات الاجنبية محل اللغة العربية الفصحى في التعليم العالي والثانوي على الاقل . وقد وصل الامر الى ان بعض العائلات العربية ، ارسلت أبناءها الى المدارس الاجنبية ، حيث تعلموا اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة اجنبية !! . ولكن لا يمكن انكار حاجة اللغة العربية الى الاستحداث من حيث المصطلحات العلمية وسهولة التعبير ومرونته حتى تستطيع ان تؤدي وظيفتها كاملة بمراعاة ظروف العصر الذي نعيش فيه . . غير ان الامر بسيط والنقص المشار اليه ليس نقصا في طبيعة اللغة ، بل هو راجع الى القرون الماضية .

وقد يدعو الى الدهشة أن بعض الكتاب العرب يذهبون الى أن اللغة العربية الفصحى ، قد فرغت من مهمتها ولا يمكن الاعتماد عليها في مواجهة العصر الحديث . ومن جملة هؤلاء الأستاذ سعيد عقل ، مفكر لبنان المعاصر ، والشاعر اللبناني يوسف الخال ، وبعض الكتاب المسرحيين المصريين . فهم يقولون ان اللغة العامية أقرب الى الحياة من اللغة الفصحى . ومنهم من يكتب خليطا بين العامية والفصحى . . ومن الطريف ان محمود تيمور ، هو الآخر شعر بحيرة أمام هذه الازدواجية في اللغة ، وكتب مسرحية « المزيفين » مرة باللغة الفصحى ومرة أخرى باللغة العامية في انتظار رأي الجمهور .

ويطالب بعض الكتاب بضرورة « التحرر » من سيطرة اللغة الفصحى الميتة والتمسك بالعامية ، وبذل المجهود لتطويرها حتى تصبح قادرة على التعبير عن كل شيء . وهناك من ينادي بتصحيح اللغة الدارجة ورفعها الى مستوى الفصحى في حين يدعو بعض اللغويين مثل الدكتور انيس فريحة الى تبسيط اللغة العربية الفصحى ، كحذف علامات الاعراب وترك بعض الاساليب النحوية المعقدة . . ولن يكون مثل هذا التحريك المحاولة الاولى ، فان اللغة العربية استفادت فائدة جمة من جراء الترجمات وادخال المفردات والتركيبات اللغوية الجديدة أيام العباسيين ، وقد أصبحت اللغة العربية بعد ذلك ، لغة غنية جدا ،

عامة وتعليم اللغة خاصة ، أجنبية كانت أم اللغة الفصحى البعيدة عن الجماهير ، تؤدي إلى تعقيد المشكلة وربطها بموضوعات سياسية واجتماعية .

وللوصول إلى وضع لغوي طبيعي متمثل في سيطرة اللغة العربية الفصحى على اللغة العامية في شتى المجالات ، يجب رسم الخطط والالتزام بها .

واعتقد أن الخطوة الأولى ، هي رفع المستوى اللغوي في المدارس بمعنى أن المعلم يجبر على استعمال اللغة الفصحى فقط في حديثه مع التلاميذ . ثم لا بد من الاكثار من انتاج الافلام الناطقة باللغة الفصحى وتشجيع المؤلفين على كتابة المسرحيات بالفصحى ، وتأليف الاغاني بها أيضا .

ومما لا شك فيه ، أن مثل هذا التوجيه في تعليم اللغة ، قد يترتب عليه أن يعود الناس على الفصحى ويستعملوها في حديثهم اليومي ، لكي لا يعتبروها لغة غريبة ، وسيفقد المتكلمون بها الشعور بكونها بعيدة عنهم . وهذا طور منطقي حدث في معظم دول العالم ولا سيما في الدول الاوربية كالمانيا وإيطاليا .

ومن البديهي أن مصير اللهجات العربية ، لن يختلف عن مصير اللهجات الالمانية مثلا . . والتي فقدت أهميتها وتركت الميدان للغة الفصحى التي ينشأ عليها كل مواطن منذ أول يوم يدخل فيه المدرسة .

أما اللغة الفصحى ، فستكيف تدريجيا مع حياة المجتمع وتصبح مرآة صادقة لتطوره واتجاهاته وكلما انتشر استعمالها ودخلت مجالات جديدة ، اكتسبت تلك المرونة وذلك القرب من الحياة ، التي تتمتع بها جميع اللغات المتطورة . فاللغة العربية الفصحى كنز لأهلها وليس عليهم سوى استغلال هذا الكنز خير استغلال .

كانت تستوعب جميع المعاني والافكار ، بل وقد أصبحت لغة العلم الأولى بفضل ما أضفي عليها من ألوان التجديد والاثراء .

ويقول الاديب المصري الكبير طه حسين ، انه من انصار اللغة الفصحى ، لأنها قادرة على التعبير عن كل المعاني لو أحسن استعمالها . هذا بصرف النظر عن كون اللغة الفصحى ، من أهم الروابط التي تشد العرب بعضهم إلى بعض . ويقول المفكر الالمانسي المشهور « فيشته » : « أن اللغة أهم الروابط التي تجمع بين أفراد الأمة » . .

ولو عملنا على تعظيم شأن العامية في كل بلد عربي ، لأصبح التفاهم بين أبناء الأمة العربية أصعب فأصعب ، ولاتجهت الثقافة العربية اتجاهات مختلفة ، ولتهدد الكيان الثقافي والحضاري العربي كله بأخطار جسيمة على أية حال ، بيد أن المسؤولين انتبهوا إلى هذه الأخطار ، وإذا استمر التطور التعليمي والثقافي الحالي في البلدان العربية أو نشط إلى طفرات أبعد ، أمكن علاج ما اطلقوا عليه عدم مسايرة اللغة العربية الفصحى للعصر الحديث . . أن التطور السريع حقا ، ورفع المستوى اللغوي رهن برفع مستوى التعليم ، الأمر الذي يسهل التأكد منه بالمقارنة بين لغة المثقفين وبين لغة الفئات الأخرى من الشعوب التي لم تنل قسما كافيا من التعليم ، مع العلم أن النهوض باللغة لا يقتصر على استعمال مصطلحات جديدة فحسب ، بل يصل إلى العمق أي الاحساس اللغوي كليا .

وموضوع آخر لا بد من التعرض له في هذا الصدد : يعتبر اقتصار معرفة اللغة الفصحى على قلة من الناس من العوامل الاليمة التي تفصل بين طبقات الشعب ، ولذلك أرى أن تعميم اللغة الفصحى ، يجب أن يشمل جميع أبناء الشعب ، فإن الطبقة في التعليم

(عن صحيفة « بريد الشرق » التي تصدر في كولونبا بألمانيا الغربية - العدد 27 في تموز 1972)

معجم الطحانة والخبازة والفرانة

الدكتور سامي الدهان

نشرت مجلة « معجم اللغة العربية » بمشوق (ج 2 م 47 1392 / 1972 م) كلمة حول هذا المعجم ونحن نرحب بهذه الملاحظات التي نعتبرها استدراكا نتنتظره حول كل مشروع معجم صادر عن المكتب الدائم:

وفى هذا القاموس « الصناعات الشامية » ما يخص معجم الطحانة والخبازة والفرانة ، ومفرداتها ، كما عرفها أهل الشام ، يحسن أن تذكر هنا وتضاف الى ما عرفه أهل المغرب بالدار البيضاء مثلا ، الطحان ، والمعجان ، والمقرص ص 303 ، وخاصة الكلمة الأخيرة فقد ذكرها المعجم المغربي ص 362 ونقل تفسيرها عن المخصص لابن سيده فحسب ، ونسي تعريفات القدماء لعمل أقراص الخبز مدورة مثل الكرة ثم قوراء كالقمر ، كما قال ابن الرومي .

3- أن ينظر في بعض كتب الادب والتاريخ ، فقد طبعت (1) ديوان صريع الفواني مسلم بن الوليد ، وحقت شرحه ، وجاء فيه كلمة « الملة » شرحها « الطبيخي » المغربي قال : « هو الموضع الذي يطبخ فيه الخبز » وأخذ منه الخبز المملول أو المليل ، ولم يرد شيء من ذلك في - معجم مكتب التعريب - ، وكان أخرى بأن ينقل هذا اليه وأن يذكر .

ولقد جاء في هذا الشرح نفسه كلمة « الفرن » وسماها : « القوش » وفسرها بقوله : « القوش » جمع قوشة ، وهي الفرن أو التنور عند المغاربة ، وقد تلفظ بالكاف ، فيقال كوشه .

أعد المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي مشروع هذا المعجم بالتعاون مع أرباب الاختصاص في فنه وهو « مكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء » فأحسن صنعا ، وسد ثغرة واضحة .

ولنا ملاحظة ورجاء نرجو أن يأخذ بهما المكتب ، وهو الا يكتفي بما فعل من خير وفير ، وانما يرجع النظر حين صنع قاموسه نهائيا فيضيف اليه النقاط التالية :

1- أن يذكر كل المراجع التي اعتمد عليها في كلماته والفاظه ، وخاصة المعاجم الفرنسية العربية ، والعربية والفرنسية ، فقد رأينا أنه رجع كثيرا الى قاموس Belot ، والى « الفرائد الدرية » لأحد الآباء اليسوعيين ، من غير أن نرى أثرا لغيرهما من المعاجم .

2- أن ينظر في « قاموس الصناعات » لمؤلفيه محمد سعيد القاسمي وابنه جمال الدين القاسمي مع خليل العظم ، وقد صدر في جزأين عدد صفحاتهما 500 تقريرا ، على نفقة المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس سنة 1960 م وقدم له وحققه الاستاذ ظافر القاسمي .

(1) انظر شرح ديوان صريع الفواني مسلم بن الوليد ، ط. سامي الدهان ، وشرح الطبيخي ، دار المعارف بمصر 1957 ، ص 59 وحاشيتها .

ومثل هذا الديوان وشروحه في اللغة العربية مما يخص الطحانة والخبازة والفرانة ، عدد غير قليل ، يحسن الرجوع اليه ، وأن ينقل الى معجم مكتتب التعريب .

4 - أن يرجع السادة صانعو المعجم الى قاموس دوزي ، وقد ترجمت أكثره ، وجعلت عنوانه : « فوات معاجم العرب » ، وطبع سنة 1937 في جزاين . ووزعته على جزايات . ففيه ما ذكر من صناعات الطحانة والخبازة والفرانة ، الفاظ وكلمات نقلها عن كتب التاريخ والأدب ، وزاد على شروحها ، فرد اصول بعضها الى لغات قديمة افرنجية ، وأضاف فوائد يحسن الأخذ بها لاكمال معجم مكتب التعريب .

5 - أن يهتم صانعو المعجم بقاموس الصناعات الشامية وغيره فيما يخص تعريف الطحان بالشام

وغيرها (2) ، فقد ذكر هذا القاموس ص 390 : « الطحان : من يستاجر الطواحين لأجل طحن الحنطة وخلافها من الحبوب » ، وذكر كلمة « بوايكي » فقال : « اسم لبائع المقتاتات من قمح وذرة وشعير في مخزن كبير يسمى في اصطلاح أهل الشام « بانكة » ، والبانكة في اللغة اسم للناقة السمينة وكان هذا المحل سمي بذلك لبروك البوائك فيه ، فان هذه الحبوب لا تجلب الا عليها » .

ولعل هذا كله يجمع اصطلاحات أهل المشرق الى أهل المغرب ، ونطلق من الألفاظ العربية الموجودة عندنا ، على ترجمة ما عند الغرب في هذه الصناعات ، والله الموفق للسداد والكمال .

(2) في قاموس الصناعات الشامية ص : 121 : « خباز مشترك في عرف أهل الشام ، بينه وبين الفران » وتعريف العجان عنده يضيف الى قاموس صورة لحياة أهل الشام .

التخصص :

كان التوجيه المهني معروفا عند السلف : ذكر الاصفهاني ان يونس ابن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد لتعلم العروض فصعب عليه فنصحته بتعاطي النحو حتى أصبح اماما في النحو واللغة (محاضرات الادباء ص 25) وبدأ النجاري بتعلم الفقه على محمد ابن الحسن فنصحته بتعلم الحديث لانه اليق بطبعه (الزرنوجي : تعليم المتعلم ص 13) .

تعليق على موضوع : التطور اللغوي ونشوء اللغة

« ان تاريخ النشوء » وينتهي بـ « متصرفة
وغير متصرفة »

— قارن العنوان الذي يلي ما سبق : « دور المقطع
البسيط » عند نور الدين مع عنوان : « دور
المقطع البسيط » ص 46 — 48 عند العلايلي ،
وستجد أن كلا منهما يبدأ بـ : « ان لبحث
الانسان الفطري » وينتهي بـ « ثمانية وعشرون
حرفا »

— قارن ما جاء في الفقرة التي تلي « دور المقطع
البسيط » عند نور الدين مع « دور المقطعين »
ص 49 — 51 عند العلايلي .

— قارن ما جاء في الفقرة الاولى ص 30 عند نور
الدين بما جاء ص 52 بعنوان « دور المقاطع عند
العلايلي » .

— قارن ما جاء في الفقرة : « معاني الحروف
العربية » عند نور الدين بما جاء ص 71 في كتاب
العلايلي بعنوان : « المعاني التركيبية »

— قارن العنوان : « التطور في اللهجة » عند نور
الدين ص 132 بما جاء ص 76 في كتاب العلايلي
— قارن العنوان « الدورة اللغوية الطويلة » عند
نور الدين ص 133 بنفس العنوان ص 83 من
كتاب العلايلي

توصلنا من الأستاذ زهير علاف من الجزائر
برسالة تتعلق بأحد البحوث المنشورة في المجلد الثامن
من « اللسان العربي » الجزء الأول تحت عنوان :
« التطور اللغوي ونشوء العربية » للأستاذ محمد
يوسف نور الدين ص 127 ، ويقول : ان الدهشة قد
أصابته وهو يطالع هذا البحث اذ انه كان قد سبق له
أن اطلع على كتاب تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله
العلايلي بتقديم الدكتور أسعد علي ، فاذا به يكتشف ان
البحث الذي نشر في « اللسان » منقول بعناوينه وعباراته
ومفرداته من كتاب الأستاذ العلايلي ، اللهم الا بعض
المبارات التي حاول الكاتب أن يحورها مثل قوله
خلاصة القول بدلا من الخلاصة عند العلايلي ، ويشير
على القراء بأن يضموا الكتاب المذكور بجانب بحث
الأستاذ نور الدين ويعقدوا مقارنات بين البحثين
مشيرا الى عدد غير قليل من أرقام الصفحات التي
يؤكد فيها صدق دعواه ، وهذه بعض الأرقام التي
سأقتها في الرسالة :

— قارن ما بين عنوان « العربية واللغات الأخرى »
ص 128 عند نور الدين ، مع عنوان « العربية
واللغات » ص 41 — 43 عند العلايلي .

— قارن عنوان « ادوار اللغات ونشوء العربية »
ص 128 في (اللسان) عند نور الدين مع عنوان
« ادوار اللغات ونشوء العربية » عند العلايلي
ص 44 — 45 ، ستجد أن كلا منهما يبدأ بـ

- تارن العنوان : « الأسباب التي حفظت الاثریات عند نور الدين ص 134 بما جاء عند العلایلی ص 87 بعنوان : « مع الأسباب التي حفظت الاثریات » .
- تارن « التطور في اللغة » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106 عند العلایلی .
- تارن « تطور الاعلال » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106
- تارن « التنقيح في اللغة العربية وأهداف التنقيح » عند نور الدين ص 138 — 139 بـ « التنقيح الجديد » ص 119 — 123 عند العلایلی .
- تارن « دواء العربية وأدواؤها » عند نور الدين ص 139 — 142 بنفس العنوان عند العلایلی بين ص 193 — 241 .
- تارن : « اللغة العربية غاية لا وسيلة » عند نور الدين ص 142 بنفس العنوان عند العلایلی ص 242 وما بعدها .

الجمهوري (المجلس) :

ذكر المناوي في طبقاته نقلا عن الشيخ محمد بن عبد الكريم بن الكماد أنه قال تكلم علينا يوما الشيخ الصالح الولي أبو عثمان سعيد الصفروي رضي الله عنه في مجلسه الجمهوري فقال الخ ..

— وأشار ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (س 5 ق 2 ص 632) في ترجمة ابن خليل الشاعر الخطيب أنه كان « يرتجل الخطب البليغة بين يدي الملوك وفي المحافل (الجمهوريّة) تنبئها على المصالح وحضا على ما فيه سداد الاحوال » .

الجمهوري نبئ العنب (التهانوي) وذلك لان جمهور الناس يستعملونه وفي الجامع الجمهوري ما بقي نصفه من عصير العنب بعد طبخه .

عينه للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون

للأستاذ محمد قلببي

نشرت صحيفة « الصباح » بتونس المقال الآتي حول نشاط المكتب الدائم وهو مقال غمر مكتبنا بما لا يستحقه من تنويه :

من لا يلين الا بالنار الحامية .. كالحديد ! وقضية التعريب ، مثل كل القضايا الروحانية السامية ، تجف كالهيكل الجامد ، ان لم ينفخ فيها العربي من روحه .

كنت اومن كفيري من انصار هذه القضية بأن التعريب ضرورة ممكنة .. لكنني كنت اشك في وجود اناس قادرين على القيام بالعمل الشاق الطويل النفس الذي يشترطه انجاز مثل هذا المشروع الضخم ، اذ لا يكفي ان نريد .. ولا بد من ان نستطيع وكان وما يزال انصار « اللاتعريب » يتكئون على هذا الخلل الظاهري بين ارادتنا وقدرتنا ليطلقوا قهقهاتهم عالية .. قبيحة ! وكان ينقصنا البرهان لنطمس ضحكاتهم ونبطل تصوراتهم .

قلت كان ينقصنا « البرهان » لكن ليست تلك الحقيقة وانما اقتصر الحظ على اعطائه لاقية قليلة منتشرة في انحاء العالم العربي كله .

الدراسات والابحاث والمعاجم التي اصدرها الى حد الان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي - والتي اطلعت على عينة واحدة منها - تشكل برهانا قاطعا لا فقط على قدرة اللغة العربية على مسايرة العصر وانما ايضا على قدرة محبيها الاوفياء لها على الحاقها بركب اللغات المتقدمة الاخرى لا شيء يقف دون التعريب ان وقفت له الكفاءات وتضافرت في كل البلدان العربية لا المبادرات التقنية المعقدة ولا المعاني الجديدة المجردة .

يحتوي الجزء الثاني وحده - لان المجلد التاسع للمجلة صدر في جزئين - على قرابة 700 صفحة فهو يشمل معجما ضافيا حول اسماء الملابس عند العرب

لم اتخلص الى حد الان من التأثير البالغ الذي تركه في نفسي الاطلاع على المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » التي يعدها ويصدرها « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي » لم اتخلص من ذلك التأثير ولا اظن انني ساتخلص منه في يوم من الايام ... شد ما تأثرت !

اعرف كفيري من الناس ان الدول العربية احدثت مكتبا للاشراف على حركة التعريب بالعالم العربي ، وسمعت كفيري عن اخبار هذا المكتب وعن منشوراته ومعاجمه ودراساته ومشاريعه ، بل انني منذ بضعة اشهر اجريت « للصباح » حديثا مع السيد عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب اثناء زيارة قام بها الى تونس ، فقال لي الخير الكثير - بكل تواضع - عن اعمال مكتبه ، فصدقت ولكنني لم اتأثر .. حتى اطلعت ! لانني فقدت الثقة بصفة عامة بالتنويه الذاتي .. خاصة في بلداننا « العاطفية » .

ومنذ ايام حمل لي البريد طردا ثقيلا يزن حوالي كيلو غرامين او اكثر .. فوجئت به لانني لأول مرة ارى شكل عمل مكتب تنسيق التعريب ولونه وانفحاص مضمونه ، وبعد القاء النظرة الاولى لم اتمالك من القيام بجولة عبر مكاتب الزملاء بالجريدة لاطلعهم على « التحفة » التي نزلت علي من السماء وشاطروني تأثري واعجابي .

معلنة لدى الذين يؤمنون بضرورة « الموضوعية الباردة » في كل الامور والظروف ، ان انا ابدت حماسا قد يبدو لهم عاطفيا اكثر منه عقلانيا ، لكنني بعد الاعتدال لن اطفيء نار تحمسي وعاطفتي فمن الامور

ويوزعه من مطبوعات ولا سيما مجلة « اللسان العربي »
فبلغت هذه الطلبات حدا جعل المسؤولين عن المكتب
لا يستطيعون التلبية ولا رد الجواب نظرا للامكانيات
المادية المحدودة .

فمعدرة لمراسلينا وقرائنا الافاضل « .
وفى الجانب الداخلي من غلاف المجلة قرات :
« طبع من هذا العدد سبعة الاف نسخة وزعت مجانا
وتحت ذلك « البيع ممنوع » .

واتساءل ما هو وزن 7 الاف عربي - كلهم بدون
شك مؤمنون بقضية التعريب - اليس من الاكيد ان
يطلع جميع الناس على المراحل الشاسعة التي قطعتها
قضية التعريب على يد نخبة من العلماء العرب ... في
طريق التقدم .. العربي !

ليس الشر في الشر فقط .. وانما هو ايضا في
الامساك عن عمل الخير ، ومن الجرم ان نشجع بصمتنا
الضالين على مواصلة السير في طريق الضلال .
انا لم أفهم ولن أفهم عبارة « الامكانيات المحدودة »
الواردة في مذكرة المجلة ، الامكانيات تصبح غير
محدودة في نظري لما يتعلق الامر بقضية مضرة
كاملة تطمح للحضارة .

وان كانت امكانيات الدول العربية كلها لا تساعد
الا على طبع 7 الاف نسخة من مجلة « اللسان العربي »
فاني متيقن من ان امكانيات الافراد « المحدودة » -
امكانيات محبي العربية - ستصبح غير محدودة ان
سمح لهم المكتب الدائم بالمساهمة في عمله الجليل
بدفع ثمن يغطي تكاليفه عن كل مجلة يصدرها ، ربما
هذه الامكانيات متوقفة ايضا على قرار الدول الاعضاء
في الجامعة العربية ..

لكن ، ان رفضت هذا وذاك ، ان رفضت وضع
لا امكانيات الكافية تحت طلب المكتب ، ورفضت في
نفس الوقت السماح له ببيع منشوراته لتغطية
التكاليف لا للمتاجرة .. فهذا ربما يعني الشيء الكثير
.. الذي نمتنع عن فهمه .

كل هذه افتراضات وتساؤلات ونأمل ان نتصل
قريبا بتوضيح حول سبب هذا « التواضع » المدهش
من المكتب الدائم .

اختم هذا المقال بالتنويه بمجهودات المكتب
ومسؤوليه وكافة الخبراء المساهمين في اعماله ..
لكن يبدو لي ان اصدق شكر في هذا العصر الذي
كثرت فيه عبارات الشكر ونفذت هو الامساك عن
الشكر وترك العاملين يعملون !

واخرى حول الغابات والتفنية الحراجية واستخدام
منتجاتها وعلم الاحراج والقطط والحراثة والنقل
والهندسة الحراجية والاضرار لملحقة بالغابات
ووقايتها الخ ..

ويحتوي معجما ثانيا خاصا بالطيران المدني
(50 صفحة) ومعجم مصطلحات المؤتمرات ومعجم
المصطلحات السلوكية واللاسلكية ، ومعجم المصطلحات
الكهربائية الالكترونية والمصطلحات الاعلامية ومعجم
المعاني للعظام والدم ومعجم الحشرات .

كما يحتوي هذا الجزء الثاني على دراسات حول
المصطلحات العلمية وتطور اللغة ، ونظام التصنيف
العشري لأكسفورد ومقال حول تفصيل العامية في
الوطن العربي .

واما الجزء الاول من المجلد التاسع لمجلة
« اللسان العربي » فقد خصص لنشر دراسات
مختلفة عديدة حول اللغة العربية والتعريب ، واذكر
من بينها دراسات لغوية حول معركة العربية في
الجزائر ، والعوامل الطارئة على اللغة والاضداد في
اللغة ، والكاف التمثيلية ومعاجم الابنية في اللغة
العربية وتاريخ المعجم العسكري وتشمل الابحاث
المختلفة مقالات تتعلق بالاصالة والتجديد في اللغة
العربية ، واسماء الاعلام العربية واللغة العربية والبحوث
الاقتصادية ، وحروف عربية جديدة ، وخصص القسم
الثاني لنشر « المقولات العشر » للعلامة الشيخ محمد
الحسني البليدي وهو مخطوط نادر بخط المؤلف
نفسه ، ثم لالفاظ الحضارة لعام 1971 وعدة دراسات
اخرى .

هذه عينة واحدة من الاعمال الجبارة التي قام بها
المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي
واعتقد ، بل اجزم اطلاقا ، ان كل من يشك الى الآن
في امكانية التعريب في هذا العصر سيلقي عنه الشك
بعيدا - ان لم يكن متعصبا حتى للخطا - بعد مجرد
تصفح مجلة « اللسان العربي » واعتقد بل اجزم ان
مصلحة الغابات مثلا او مصالح الطيران المدني او بعض
اصناف الاطباء يمكنهم بعد دراسة المجلد التاسع فقط
دراسة جدية ان ينطقوا بكل ما في ادبهم من علم
ومعرفة بلغة امهم وايهم قبل اية لغة اجنبية .

لكن ! .. نعم هناك لكن ! وجدت داخل المجلة
ورقة صغيرة كتب عليها ما يلي :

« لقد تكاثرت الطلبات الواردة يوميا على المكتب
من الوطن العربي وغيره ، من اجل الحصول على ما يصدره

تعقيب على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي التراوي

قال : فارسلها الذي اشتراها وارسل معها
اربعين مثقالا »

ومن الكتاب المعاصرين الذين اوردوا هذه الحكاية
الاستاذ احمد أمين في كتابه « ظهر الاسلام » (ج 1
س 117 — 118) وقد اوردها على الوجه التالي :

« وهذا أبو علي القالي البغدادي ضاقت به
الحال قبل ان يرحل الى الاندلس حتى اضطر الى بيع
كتبه وهي أعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب
« الجهرة » وكان كلنا بها فاشتراها الشريف المرتضى
نوجد عليها بخط أبي علي :
انست بها عشرين عاما وبعثها الابيات

ولم يشر الاستاذ احمد أمين الى المصدر الذي
اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك في
المقدمة التي وضعها لكتاب « تكلمة اكمل الاكمال في
الانساب والاسماء والالقب » لابن الصابوني ، الذي
حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي
عام 1377 هـ — 1957 م فقال :

« وهذا الاستاذ العالم احمد أمين المصري يقول:
وهذا أبو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد في كتاب
ظهر الاسلام للاستاذ احمد أمين ويعقب على ذلك
بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل
« القالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وقر في ذهنه انه

اطلعت مؤخرا على الجزء الاول من المجلد الثامن
لمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته
« ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة اليه »
(ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة
الكويت ، وفي معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية
اللغوية ، اثار الكاتب الفاضل ، الى ان ابن دريد
مؤلف كتاب « الجهرة » كان من بين تلاميذه ،
وللتدليل على أهمية كتاب « الجهرة » أورد الحكاية
التالية اعتمادا على المزهري للسيوطي 1 — 95 :

« فأبو علي القالي كان يملك نسخة من الجهرة
بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلثمائة مثقال فأبى ،
فاشتدت به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالا وكتب
عليها :

انست بها عشرين عاما وبعثها
وقد طال شوقي بعدها وحنيني

وما كان ظني انني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديونني

ولكن بعجز وافتقار وصبيبة
صفار عليهم تستهل شؤونني

فقلت ولم املك سوابق عبسرة
مقالة شكوى الفؤاد حزين :

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضننين

انست بها عشرين عاما وبعثتها ... الأبيات

فقبل ان المرتضى رد الجهرة الى صاحبها
والله اعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (— 911 هـ) قد استند
في روايته التي اوردها في الزهر على الفيروزابادي
— 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكاية
مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس
على ظهر نسخة من كتاب العباب للصفاي ونقله عنه
تلميذه أبو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من
خطه » (انظر الزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياتوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين
ذكروا هذه القصة والأبيات (— 626 هـ) ومن بعده
كان ابن خلكان (— 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا
الحسن الفالي توفي سنة 488 بينما كانت وفاة أبي
علي الفالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت
وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الأخير كان معاصرا
لابي الحسن الفالي ، كما ان احدا من المؤرخين لسم
ينسب هذه الأبيات أو بعضها الى أبي علي الفالي
الذي ارتحل الى الاندلس وهو في الخامسة والعشرين
من عمره وقبل أن تسمه الحاجة أو العوز ، وهناك
لقي كل اكرام وحفاوة ، وقيل انه استدعي من قبل
الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد
الاصمعي لكتاب الامالي » .

ومن هنا نرجح ان تكون نسبة هذه الأبيات الى
أبي الحسن الفالي ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى
جواد ، ولكننا لا نوافقه على ان الاستاذ أحمد أمين
مسؤول عما في هذه القصة والأبيات من التصحيف ،
بل ان الذين حققوا كتاب « الزهر » للسيوطي وكذلك
الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف في
المسألة ، ولا يشاركهم السيوطي في هذا السهو لأن في
احد كتبه « بغية الوعاة » ج 1 ص 78 المطبوع سنة
1384 هـ) قد وردت هذه القصة بما فيها من أبيات
منسوبة الى أبي الحسن الفالي لا الى أبي علي الفالي ،
هذا وسبحان من لا يسهو ولا يجوز عليه الخطأ .

الفالي . اضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكاية
بقوله « قبل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل في ذلك
على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان
ساحب القصة والأبيات هو « الفالي » ما وهم ذلك
الوهم المستعظم على مثله ، المستغرب وجوده في
كتابه ، ولو درى انه أبو الحسن لا أبو علي لتريث
في الاتهام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والأبيات الواردة
فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي
اعتمد عليها أولئك الكتاب الافاضل الذين تطرقوا الى
هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند في قوله
الى ما اورده ياتوت في « معجم الادباء » وابن خلكان
في « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 —
83 من « معجم الادباء » ورد في ترجمة علي بن أحمد
ابن سلك الفالي « بالغاء » نسبة الى بلدة « فاله »
توله « وحدث أبو زكريا التبريزي قال : رايت نسخة
بكتاب الجهرة لابن دريد باعها أبو الحسن الفالي
بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي
وحملها الى تبريز ، فنسخت انا منها نسخة فوجدت
في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها :

انست بها عشرين حولا وبعثتها ... الأبيات

فأريت القاضي ابا بكر الرقعة والأبيات فتوجع
وتال لو رأيتها لرددتها اليه وكان الفالي قد مات ،
ويشير المؤلف الى ان البيت الأخير « وقد تخرج
الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله
في بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكاية
بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلا عن ابن خلكان
« وفيات الاعيان ج 1 ص 366 — طبعة بلاد المعجم »
فيقول :

« وحكى الخطيب أبو زكريا يحيى بن علسي
التبريزي اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك (الفالي)
الاديب كان له نسخة من كتاب « الجهرة » لابن دريد
في غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها
فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين
دينارا فتصفحها فوجدت أبياتا بخط بائعها أبي الحسن
المذكور ، والأبيات قوله :

تراجم الكتاب والباحثين

فكي يچاشة اللسان العربى

نقدم لقرائنا الاعزاء بعض تراجم كتابنا الكرام (1)، الذين واصلوا مع المجلة ، رحلة البحث والعمل الموصولين ، منذ صدور اول عدد منها عام 1964 ، فمنذ ذلك « واللسان العربي » تسخر صفحاتها لقلم كل كاتب جاد ، وباحث مجتهد ، ومعجمي مثابر ، تواقه — على الدوام — الى الاحسن والافضل بغية اطراد التطور ، ايمانا منها بالرسالة الخالدة التي انيطت بها الا وهي رفعة اللسان العربي واحلاله المكانة اللائقة به كلسان حي طبع عريق ، وهي — فى الواقع — رسالة جد خطيرة ما دامت تتعلق باللغة، واللغة هي روح كل امة وقوام كيانها ومحور تاريخها وتراثها — واصالتها . لهذا السبب ولغيره التفت حول المجلة صفوة ممتازة من الكتاب ينتمون الى بلاد مختلفة ، آمنوا جميعا برسالتها السامية هذه ، التي ما فتىء اهتمامهم بها يتضاعف ، وايمانهم بها يزيد .

وحيثما جمعت المجلة بين هؤلاء الكتاب فى مجلد واحد فانما كانت تهدف الى :

- رسم صورة موجزة وواضحة لحياتهم العلمية والفكرية ..
- التعريف بهم وبياناتهم ، ومدى اسهام كل منهم فى ميدان تخصصه .
- التقريب فيما بينهم ، وتوثيق عرى الاخاء والتعاون بينهم ، كاسرة واحدة يجمعها الاسم الخالد الا وهو : « اللسان العربي » .
- تيسير امر معرفة كل ما يتعلق بهم ، وبياناتهم على القراء والطلاب والباحثين ... الخ
- جمعهم على صعيد واحد ، كجبل اضطلع بمهمة شاقة الا وهي دراسة اللغة وكل ما يتعلق بها ، تعريفاً ، وتنقيهاً ، وبحثاً وتطويراً .
- اسهاما منا فى ايجاد بيلوغرافية عربية ، للكتاب العرب المعاصرين على اختلاف مجالاتهم واهتماماتهم العلمية .

(1) مرتبة حسب الحروف الهجائية .

الدكتور عبد العزيز السيد "إبراهيم"



- ولد الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد عام 1907 وفي عام 1927 حصل على باكالوريوس كلية المعلمين بمصر ، وكذا على دبلوم معهد التربية العالي .
- وفي عام 1942 حصل على درجة الماجستير في التربية ، وبعد عامين من هذا التاريخ نال درجة الدكتوراه في التربية كذلك .
- وتاريخ الدكتور عبد العزيز السيد تاريخ كفاح متواصل من أجل رفع مستوى الثقافة والفكر والعلوم في بلاده وخارجها ، وبمنظرة خاطفة على المناصب التي تقلدها منذ تخرجه عام 1927 الى الآن نستطيع ان نستجلي هذه الحقيقة بوضوح ، فقد عمل أول الامر استاذًا للرياضيات بالكلية الحربية ، ثم استاذًا كذلك لنفس المادة بكلية المعلمين جامعة عين شمس وفي سنة 1954 أصبح وكيلًا لكلية التربية ، ثم مديرا للتعليم الابتدائي بالقاهرة .
- ومن سنة 1955 الى 1958 كان مديرا لجامعة القاهرة — فرع الخرطوم
- ومن هذه الجامعة ، انتقل الى جامعة الاسكندرية ليصبح مديرا لها حتى عام 1961 .
- وهكذا ظل يتقلب في المناصب الهامة الى ان عين وزيرا للتعليم العالي عام 1961 حتى 1965 ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم من 1967 الى 1968 .
- والاستاذ عبد العزيز السيد عضو بارز في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو يضطلع بمعدة نشاطات علمية أخرى كإشرافه على رسائل
- يعمل حاليا مديرا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد وفق التوفيق الكبير — بفضل ما أوتيته من مقدرة عملية وإرادة وعزم وطيدين — وفق في إدارة هذا المرفق الحيوي الهام من مرافق الإشعاع العربي بجامعة الدول العربية .
- ويعد الدكتور عبد العزيز السيد من أبرز الشخصيات العربية المعاصرة الذين كان لهم نصيب وافر في نشر أسباب الثقافة والعلم وتكوين جيل بأكمله ممن تتلمذوا عليه أو تأثروا به الشيء الذي جعله يحتل المكانة اللائقة المرموقة في قلوب عارفيه ومعاصريه داخل بلاده وخارجها .
- للدكتور عبد العزيز السيد كثير من المؤلفات في مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم منها :
- اعداد المعلم في الوطن العربي
- في اصول التربية
- دور الجامعة في المستقبل ... الخ
- وغيرها من البحوث والدراسات القيمة الأخرى المنشورة في مختلف المجالات العلمية أو ضمن كتب مستقلة .



الأستاذ إبراهيم حركات

- ولد بالدار البيضاء عام 1929
- تلقى تعليمه الأول بالدار البيضاء نفسها .
- أحرز على إجازة الآداب والتاريخ من الرباط وعلى دبلوم العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط كذلك .
- دكتوراه في الآداب من إيكس آن بروفانص بفرنسا
- تقلب في عدة مناصب تعليمية حتى أصبح استاذاً بكلية الآداب بفاس .
- يجيد الفرنسية والإسبانية
- من مؤلفاته :
- أربعون مؤلفاً مدرسياً — ابتدائي وثانوي
- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين
- المغرب عبر التاريخ (ثلاثة مجلدات)
- مدخل إلى علم المترادفات العربية
- الحياة الاجتماعية بالمغرب في العصر المريني
- من المستشرقين الذين تأثر بهم دو فردان ، ولاوست ، وآدم ، وغيرهم ، كما تأثر بالأعلام من العرب — كابن خلدون وابن جني وابن تيمية .



الدكتور إبراهيم نسيم دسوقي أباطسة

- من مواليد القاهرة ، في 23 يناير 1935
- تلقى الدكتور إبراهيم دسوقي أباطسة تعليمه الأول بالمدارس المصرية حتى أحرز « البكالوريا » عام 1954 ، والليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة 1958 ، ودبلوم الدولة في العلوم الاقتصادية من جامعة «كان» بفرنسا عام 1961 ودكتوراه الدولة في العلوم الاقتصادية من جامعة باريس تحت إشراف العلامة « أندريه مارشال » عام 1969 .
- وهو يجيد الفرنسية والانجليزية
- ويعمل استاذاً للعلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس والمدرسة الإدارية بالرباط .
- من مؤلفاته باللغة العربية :
- 1 — « القانون العام الاقتصادي » 1970
- 2 — النقود — العلاقات الدولية ، الدخل القومي
- كما أنه متأثر بالدكتور محمد حسين هيكل باشا في ميدان الأدب والفلسفة ، وبالدكتور عبد الرزاق أحمد السنهوري باشا في القانون والسياسة ، وبالدكتور سعيد النجار في ميدان الاقتصاد .

من مؤلفاته باللغة الفرنسية :

- 1 - الصناعة الثقيلة في مصر - 1961
 - 2 - العلاقة المتبادلة بين القطاع العام والقطاع الخاص في الدول النامية - 1969
- كما أن له العديد من المقالات والبحوث العلمية الأخرى المنشورة في مختلف المجلات العربية .

3 - تاريخ الفكر السياسي (الجزء الأول) 1971

4 - التنمية الاقتصادية بين الأصالة والتقليد 1972

5 - معجم المصطلحات الاقتصادية (تحت الطبع) وهو معجم يتناول ترجمة جميع المصطلحات الاقتصادية والمصطلحات ذات الصلة بالعلوم الاقتصادية من الفرنسية والانجليزية الى العربية ، بتكليف من المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .



الدكتور إبراهيم هاشم السيد

— من مواليد مدينة العمارة (العراق) سنة 1923
— أتم دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في بلاده العراق ، ثم أحرز على دكتوراه الدولة من كلية السوربون بباريس في اللغات السامية 1956 .

— يجيد اللغات السامية القديمة كالآرامية والعبرية والحبشية كما يجيد من اللغات الحديثة الفرنسية والانجليزية .

— عين مدرسا في كلية الآداب ببغداد سنة 1956 ثم أستاذا مساعدا عام 1960 ثم أستاذا سنة 1965

من مؤلفاته :

— دراسات في اللغة
— الاعلام
— لغة الشعر بين جيلين

— التطور اللغوي التاريخي

— انسفاش ماري الكرمل وآراؤه اللغوية

من تحقيقاته :

— نزهة الالباء في طبقات الأدباء لابن الانباري

— رسائل في اللغة

— المتشابه للشمالي

— الامكنة والمياه والجبال للزمخشري

الى جانب العديد من الدراسات القيمة المنشورة في مختلف المجلات العلمية العربية .



الأستاذ إبراهيم هاشم مصري الدرويش

— هو نجل الموسيقار السوري المعروف علي مصري الدرويش

— درس الموسيقى بأشراف والده .

— لحن حوالي خمسين أغنية مدرسية ونشيد جمعت فيما بعد في كتاب بعنوان (أغاني الطفولة)

— تابع دراسته الموسيقية العليا بالقاهرة

— عمل مدرسا للموسيقى العربية في حلب

- ثم اختير ليكون مفتشا اختصاصيا للتربية الموسيقية في المنطقة الشمالية والشرقية من سورية وهو يشغلها حتى الآن .
- عضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم بدمشق .
- كتب العديد من المقالات الفنية في مختلف الصحف والمجلات والقى الكثير من المحاضرات المتعلقة بأمور الموسيقى والمسرح منها :
- التربية الموسيقية كوسيلة في التعليم العام .
- حلب ومكانتها في الموسيقى
- من تاريخ الموسيقى
- الموسيقى والمسرح المدرسي في سورية وثائقاً وتاريخياً ... الخ .
- تأثر بموسيقى وأعمال مؤلفي التراث العربي القديم ، كالموشحات والنوبات الأندلسية الأصلية والمأخوذ معظمها من تونس والمغرب والجزائر، كما تأثر بأعمال مؤلفي الموسيقى الغربية الحديثة من الكلاسيكيين والرومانسيين ...



الدكتور الفاييس محمد كرو

- ولد بمدينة قنصة (تونس) 1 — 7 — 1924
- تلقى تعليمه الابتدائي بها ، والثانوي في الزيتونة بتونس ، ثم في معهد حر بالقاهرة .
- وأحرز على الليسانس في الآداب العربية من «دار المعلمين العالية ببغداد بعد ذلك » .
- كتب للاذاعة والصحف والمجلات العربية مئات المقالات والأحاديث عن كنفاح المغرب العربي
- انتخب عضوا مراسلا لجمع اللغة العربية بالقاهرة (يناير 1970)
- أسس سلسلة كتب شهرية ، صدر منها 31 كتابا ومجلة « الثقافة » « وأعلام المغرب العربي » « ومكتبة الشبابي » و « وثائق قومية »
- من مؤلفاته :
- « ماي شهر الدماء والدموع في المغرب العربي »
- الشبابي حياته وشعره (أول كتاب مستقل صدر عن الشبابي)
- كنفاح الشبابي أو الشعب والوطنية في شعره
- « حصاد القلم »
- « كنفاح وحب »
- « نداء للعمل »
- « العرب وابن خلدون »
- « صوت الجزائر »
- « الطاهر الحداد »
- « حديث رمضان »
- « شخصيات أدبية من المشرق والمغرب »
- إلى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى التي نشرت في مجلات عربية مختلفة



الدكتور إبراهيم الحجاج المسفروني

— ولد بعين غزال (منطقة حيفا) فلسطين ، في 2 - 12 - 1920 .

— أنهى تعليمه الثانوي في القدس

— حاصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة في الآداب

— عمل مدرسا في جامعة الخرطوم ، ثم في الجامعة الأمريكية ببيروت وما يزال بها حتى اليوم .

— أشرف على إصدار سلسلة من الكتب تتصل بالحياة العلمية والأدبية في الأندلس باسم (المكتبة الأندلسية)

— يجيد اللغة الإنجليزية

— قاربت كتبه الخمسين كتابا ما بين مؤلف ومحقق و مترجم منها :

— « الحسن البصري »

— « عبد الوهاب البياتي »

— « فن الشعر »

— « فن السيرة »

— « العرب في صقلية »

— تاريخ الأدب الأندلسي جزءان

— بدر شاكر السياب

— تاريخ النقد الأدبي عند العرب

ومن كتبه المحققة :

— خريدة القصد للعباد الإصفيهاني جزءان بالاشتراك مع الاستاذين شوقي ضيف والرحوم أحمد أمين

— رسائل ابن حزم الأندلسي

— فصل المقال في شرح كتاب الأمثال بالاشتراك مع الدكتور عبد المجيد عابدين .

— ديوان ابن حمديس الصقلي .. الخ

ومن كتبه المترجمة :

— كتاب الشعر لأرسطو

— النقد الأدبي ومدارسه الحديثة

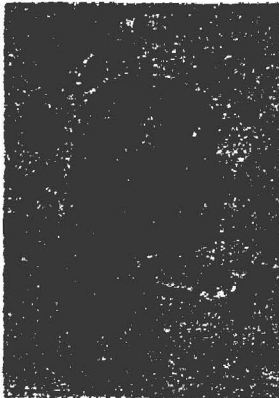
— أرنست همنغواي

— فلسفة الحضارة أو مقال في الإنسان

— يقظة العرب

— ت. س. اليوت .. الخ

كما أن له عدیدا من البحوث والمقالات المنشورة في مصادر مختلفة كلها تبحث في مختلف جوانب الفكر والحضارة والأدب .



الدكتور إسماعيل الحجاج المسفروني

— من مواليد مدينة فاس عام 1913

— حصل على شهادة العالمية سنة 1942 من جامعة القرويين

— اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة

— وبعد اجتياز مباراة علمية أجرتها إدارة جامع القرويين ، عين مدرسا بها .

- شارك في الحركة الوطنية ابان ظهورها ، حيث سجن من طرف السلطات الاستعمارية عدة مرات .
- وعين — بعد ذلك — مراقبا عاما ، ونائب مدير جامعة القرويين في شؤون البرامج العامة والاختبارات .
- ثم تولى اثر عودة المغفور له — محمد الخامس طيب الله ثراه — من منفاه ، رئاسة قسم التعليم العالي الاسلامي التابع لوزارة التربية الوطنية حيث قام فيه باعمال جليلة رفعت من مستواه ووسعت من اختصاصاته .
- يشغل — حاليا — منصب نائب عميد كلية الشريعة بجامع القرويين
- استدعي من طرف المجلس الاعلى بالقاهرة . في اول مؤتمر عقده مجلس البحوث الاسلامية عام 1964 ممثلا لبلاده بجانب الامين العام لرابطة علماء المغرب الاستاذ العلامة عبد الله كنون .
- له عدة مقالات ضافية في مختلف مجالات المعرفة، كما ان له قصائد شتى في مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية وغيرها .



الأستاذ أحمد الأخضر غزال

- ولد بمدينة فاس في 17 اكتوبر عام 1917
- اتم دراسته الابتدائية والثانوية بالمغرب ، والجامعية بالسوربون بباريس وبها أحرز على درجة الدكتوراه في التبريز في اللغة العربية وآدابها
- يجيد البربرية والفرنسية واللاتينية واليونانية
- متأثر بعلماء العربية القدامى وعلماء اللسانيات المعاصرين .
- يعمل حاليا مديرا لمعهد الدراسات والأبحاث المغربي للتعريب بالرباط .
- له عدة مقالات حول مشاكل الطباعة العربية ، والتعريب والمصطلحات ، ومناقشات لغوية وترجمات لدروس جامعية علمية مختلفة في العديد من المجالات العربية والفرنسية
- وعمله في تطوير الحرف الطباعي العربي أصبح معترفا به في المغرب العربي وبعض البلاد العربية الأخرى .



للفساذ أحمد عبد الرحيم الساج

- ولد عام 1937 م بصعيد مصر .
- التحق بالأزهر وحصل فيه على الاجازة العالية ، من كلية اصول الدين ، قسم عقيدة وفلسفة .
- ثم حصل بعد ذلك على دبلوم معهد التربية العالي من كلية التربية ، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة الأزهر .

- يجيد الانجليزية والأوردية
- متأثر بدراسته الأزهرية . أما تأثيره في غيره فقد كان كبيرا على أسرته وقبيلته خصوصا في تخفيف حدة الأخذ بالثأر .
- **من مؤلفاته :**
- العربية لغة وضوح وفكر
- فلسفة البراجماتزم
- دراسات حول اللغة العربية
- من وحي الاسلام
- كما يواظب على نشر العديد من البحوث والمقالات في كثير من مجلات العالم الاسلامي في مختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية وغيرها .



الدكتور أحمد محمد الجوفي

- حاصل على دكتوراه في الادب العربي من جامعة القاهرة
- يشغل استاذ كرسي الادب العربي ورئيس قسم الدراسات الادبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .
- كما يشغل رئيس لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة .
- عضو لجنة الخبراء
- عضو المجمع اللغوي بالقاهرة .
- **من مؤلفاته :**

- 4 — ادب السياسة في العصر الأموي
- 5 — أبو حيان التوحيدي
- 6 — المرأة في الشعر الجاهلي
- 7 — اغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي
- 8 — الحياة العربية في الشعر الجاهلي
- 9 — كما أن له كتابا عن الطبري ، الجاحظ ، الزمخشري اشتمت جميعها بعمق الدراسة وسعة النظر .

1 — وطنية شوقي

2 — الاسلام في شعر شوقي

3 — النسب في شعر شوقي



الأستاذ ادريس الخطابي

- هو نجل الزعيم المرحوم محمد عبد الكريم الخطابي
- من مواليد جزيرة الريونيون (حيث كان والده منفيا مع أسرته) في 1926 .
- اتم تعليمه الاول في الريونيون نفسها ، غير أنه تعلم مبادئ القراءة والكتابة على يدي والده ، كما هو الشأن مع بقية اخوانه ، اذ كانت المدرسة الوحيدة بالجزيرة فرنسية .

- وفي القاهرة واصل دراسته العليا على أيدي شيخو جامعة الازهر الشريف .

العرب ، أما من الاجانب فقد تأثر بليسنج الألماني .

— ترجم عدة كتب عن تاريخ المغرب .

— كما انه مترجم كتاب : « مستقبل العالم بالأرقام » لمؤلفه فلهم فوكس ، وهو كتاب علمي يبحث في الناحية الاقتصادية والاجتماعية والديمقراطية في العالم .

— من مترجماته كذلك ، كتاب عن « آثار الاحتلال الفرنسي للمغرب » وكتاب آخر عن الفرنسية تحت عنوان : « في علم الاجتماع الحديث » .

بالاضافة الى العديد من المقالات المترجمة الأخرى والمنشورة في مجلات مختلفة .

— ثم سافر الى ألمانيا ليتابع تعليمه هناك حيث التحق بقسم تاريخ الأدب الألماني ، بجامعة ميونيخ

— يجيد الفرنسية والألمانية والانجليزية

— عمل مدرسا للغة الفرنسية في القاهرة

— كما كان بمثابة السكرتير الصحفي الخاص لوالده حيث كان يترجم له كل ما يرد عليه من مقالات ومراسلات أو يحررها له للصحفيين الأجانب الذين يقدون عليه .

— لقد تأثر الأستاذ ادريس بوالده تأثرا شديدا ، كشخصية فذة بصفة عامة ، كما أنه كان لمعيد الأدب العربي الدكتور طه حسين أثر فيه من



الأستاذ إدريس الكناني

— ولد بدمشق اواخر سنة 1922 .

— تلقى تعليمه الاول بدمشق نفسها ، والثانوي بالقرويين بفاس .

— وفي سنة 1942 نال منها شهادة الدراسات العليا « العالمية »

— سافر بعد استقلال المغرب الى باريس ليلتحق بمدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة لوزان ، ثم بجامعة لانال بكبك بكندا حيث حصل من هذه الأخيرة على بكالوريوس في العلوم الاجتماعية .

— يقوم بتدريس مادة تخصصه بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط

— عمل مديرا للتعليم الاسلامي والحر .

— كما حصل بعد ذلك على شهادتي الدراسات العليا لعلم الاجتماع ، في علم الاجرام ، والدراسات الاسلامية والانثربولوجيا الثقافية .

من مؤلفاته :

1 — المغرب المسلم ضد اللادينية

2 — انحراف الأحداث في المغرب

3 — الامثال المغربية — دراسة اجتماعية لغوية

4 — دراسات عن المجتمع المغربي

5 — تطور الفكر الاجتماعي عند المرأة المغربية المتعلمة الخ ...



الدكتور أنور بكير

- ولد في 13 نيسان (أبريل) سنة 1914 في مدينة يبرود (سورية)
- تلقى مبادئ العلم في مدرستها الابتدائية
- هاجر الى البرازيل برفقة والده سنة 1925 ، ثم انتقل الى الأرجنتين جاعلا منها مفتربه الدائم
- يجيد اللغات العربية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية
- تولى رئاسة تحرير « الجريدة السورية اللبنانية » في بوينس آيرس عشرة أعوام
- أصدر مجلة « المناهل » الشهرية في بوينس آيرس كذلك
- أصدر في دمشق مجلة « الفنون »
- هو أول اديب اهدته اول حكومة وطنية سورية وسام الاستحقاق السوري سنة 1937 .

ومن قصصه :

- على ضفاف بردى
- لصوص الشرف
- في سبيل الحرية
- من مناهل الحياة
- في مهب الريح
- دولة المجانين .. الخ .

من مؤلفاته :

الى جانب العديد من البحوث والدراسات والمقالات القيمة في مختلف الجوانب الفكرية والانسانية التي تحفل بها عشرات المجلات والصحف العربية كما انه كتب باللغة الاسبانية بحوثا مماثلة عرف فيها بالفكر العربي .

- الأسلاك الشائكة — شعر
- العبرات الملتهبة — شعر
- على مذبج الوطنية — شعر
- ادب المفترين — دراسات ادبية



الدكتور أنور بكير

- ولد بدمشق 1914/11/24
- حاصل على ليسانس في الحقوق من باريس ، وعلى معادلة في القوانين المصرية ، ثم الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة
- يجيد : الفرنسية والانجليزية
- عضو في جمعية الاقتصاد السياسي
- عضو في جمعية القانون الدولي
- رئيس لجنة صياغة وثائق الاتحاد البريدي العالمي منذ 1952
- امين عام المعهد العالي العربي للبريد
- امين عام الاتحاد البريدي العربي .

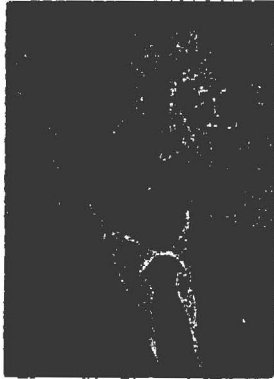
من مؤلفاته :

- مراقبة الصرف
- تنسيق طرق المواصلات
- أنظمة بريدية مقارنة
- الاتحاد البريدي العربي



الأستاذ أنور الجندري

- من مواليد ديروط بالوجه القبلي بمصر عام 1335هـ
- نشأ في احضان المخطوطات والتراث وحلقات الذكر ومجالس القرآن الكريم
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
- مؤلف الموسوعة الإسلامية العربية التي بلغت مجلداتها حتى الآن (21 مجلدا)
- وبالرغم من اتجاهه الى التعليم المدني فقد ظل متصلا بالأدب والفكر الإسلامي حتى بعد حصوله على دبلوم الدراسات التجارية العالية .
- له عدد آخر من الاجازات في الصحافة واللغة الانجليزية وأعمال المصارف .
- عمل (بينك مصر) ولكنه لم يلبث أن تركه متجها الى الصحافة والأدب .
- « تراجم وافية لاعلام العرب والمسلمين في العصر الحديث » شملت هذه الدراسات اعلاما من كل انحاء العالم العربي .
- « صورة العصر وملامح المجتمع » ومن أعماله الفكرية :
- موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر (19 مجلدا)
- الموسوعة الإسلامية العربية (21 مجلدا)
- تراجم الاعلام المعاصرين .
- « تاريخ الأدب العربي كوحدة متكاملة » (من المغرب الى العراق)



المهندس أنيس شباط

- من مواليد دمشق 1912
- تلقى تعليمه الأول في دمشق والعالي ببيروت
- حاصل على دبلوم مهندس مدني من كلية الهندسة العليا في بيروت
- يجيد العربية والفرنسية والانكليزية
- كان لغوستاف لوبون الأثر الكبير عليه في دراساته عن مدنيتها العرب
- شغل منصب رئيس اللجنة الدائمة للمواصلات لدى جامعة الدول العربية ، وهو يعمل الآن أستاذا في كلية الهندسة العليا في بيروت ، كما تقلب في عدة وظائف حكومية في وزارتي الأشغال والمواصلات
- وهو عضو المجلس الأعلى للعلوم في سورية منذ تأسيسه عام 1959 حتى عام 1963 .
- كما أنه عضو الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم منذ عام 1969
- حامل ثمانية أوسمة من رتبة كوماندوز من مختلف البلاد العربية .
- من مؤلفاته :
- « من رسالة الطرق الى القاموس التقني للطرق » نشره المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط عام 1971 .



الدكتور جعفر الخليلي

— ولد في النجف عام 1322 هـ (1904 م) في بيت علم وأدب ودين وطب .

— انتهى الى المدرسة العلوية

— ساهم بفكره وروحه في الحركات الوطنية ضد الاحتلال الانجليزي .

— امتحن التعليم عشرة اعوام

— أصدر عدة صحف منها :

— جريدة : « الفجر الصادق »

— جريدة : « الراعي »

— جريدة « الهاتف »

— من مؤلفاته القصصية :

— « الضائع »

— « في قري الجن »

— « من فوق الرابية »

— « اعترافات »

ومن مؤلفاته الاخرى :

— يوميات (جزآن)

— كنت معهم في السجن

— القصة العراقية قديما وحديثا

— هكذا عرفتهم (جزآن)

— أسهم في تأليف « موسوعة العتبات المقدسة » مع عدد من أساتذة جامعة بغداد ، وصدر منها حتى الآن 12 دراسة

— وقد نال الأب توماس هامل درجة الدكتوراه من جامعة مشيغن عن الخليلي وأعماله .



الدكتور جعفر الكشائي

— ولد بفاس 29 — 12 — 1931

— تعلم في مدارسها الابتدائية ، ثم التحق بالقرويين ثم بغداد فالقاهرة

— يعمل استاذاً للأدب العربي بجامعة محمد الخامس بالرباط

— حاصل على دكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من السوربون

— من مؤلفاته :

— « طنو ورسوب »

— « الم وأمل »

— « الأشواط »

— « ايليا أبو ماضي »

— مواقف (الادب العربي — جزآن)

— تحقيق كتاب حلية المحاضرة في صناعة الشعر لأبي علي الحاتمي

— شخصية الحاتمي ونظريته النقدية

— الى جانب العديد من المقالات والبحوث الأخرى المنشورة في مختلف المجلات العربية



للأستاذ نواف حنا عيسى

- من مواليد محافظة طرطوس بسوريا عام 1921م
- يحمل اهلية التعليم ، والاداب .
- يتقن العربية والانجليزية ولملم بالاسبانية .

— متأثر بشعراء العصر العباسي ، وبالبحتري خاصة ، وبأفكار المعري ، وفلسفة ابن سينا والفارابي .

— ان المذهب الابداعي الذي تجلى في شعره ترك اثرا ظاهرا في الكثيرين من تلامذته وزملائه الشعراء الشباب ، اثار الى خصائص هذا التأثير بشكل موسع الناقد حبيب بهلول في كتابه: « حامد حسن والاتجاهات الادبية الجديدة في شعره »

— اصدر مع زميله المرحوم وجيه محي الدين مجلة « النهضة »

— عمل مدرسا للغة العربية وآدابها

— في عام 1958 عين عضوا في لجنة الشعر في المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون والاداب واعيد انتخابه مرارا ولم يزل بها حتى الان .

من مؤلفاته — الشعر :

— ديوان ثورة العاطفة 4 اجزاء

— عبق

— الاصيل

من قصصه :

— امرأة مأكرة

— في سبيل الرغبة

— امام بعلبك ..

من مسرحياته :

— الخنساء

— الهوى السحيق (مسرحية شعرية) .. الخ .

الى جانب العديد من البحوث الادبية والتاريخية والنقدية الاخرى .



الدكتور حسين محمد نصير

— ولد بمدينة اسيوط بصعيد مصر في 25 اكتوبر 1925

— اتم تعليمه الاول في اسيوط

— ثم من جامعة القاهرة حصل على الليسانس في الاداب العربية ثم الماجستير فالدكتوراه .

— يجيد الانجليزية والفرنسية والالمانية ، واللاتينية والفارسية والتركية

— عمل في الاذاعة العربية بالقاهرة ثم انخرط في سلك التدريس حيث يشغل الآن منصب استاذ كرسي الادب المصري في المعهد الاسلامي .

- من مؤلفاته :
 - معجم آيات القرآن
 - المختار من كتاب الكامل للمبرد
 - الثمر الشعبي العربي
 - الطبيعة والشاعر العربي
 - الثورات المصرية في العهد الاسلامي
- من تحقيقاته :
 - ديوان سراقية البارقي
 - رحلة ابن جبير
 - ديوان عبيد بن ابرص
 - ديوان جميل بثينة
- المحكم لابن سيده
 - المغازي الاولى ومؤلفوها لهوروفنتس
- من مترجماته :
 - المغازي الاولى ومؤلفوها لهوروفنتس
 - الموسيقى والغناء في الف ليلة وليلة لفارمر
 - تاريخ الموسيقى العربية لفارمر
 - مصادر الموسيقى العربية لفارمر
 - ابن الرومي لجست .
- بالإضافة الى العديد من المقالات التي تبحث في مختلف جوانب الفكر واللغة والادب والمنشورة في كثير من المجلات العربية .



الأستاذ خليل الهندي

- من مواليد صيدا لبنان عام 1906 م
 - ونحيا تلقى تعليمه الاول
 - عضو اتحاد الكتاب العرب — فرع حلب
 - يجيد الفرنسية
 - متأثر بكتاب « نهج البلاغة » الذي استظهره، ويشعر فحول العرب ، وبمدرسة العقاد وميخائيل نعيمة في النقد ، ومن ادباء الغرب وفلاسفته نيتشه ، وشكسبير ، وغوركي ، ودوستويفسكي وغي دي موباسان ..
 - درس الادب العربي في المدارس الثانوية (بسوريا) كل حياته العلمية تقريبا
- من مؤلفاته :
 - حقل القصة :
 - صفحة من حياة باريس
- ارم ذات العماد
 - الحب الاول
 - دمة صلاح الدين
 - تجديد رسالة الففران لابي العلاء
 - في المسرحية :
 - سارق النار
 - هاروت وماروت
 - زهرة البركان ... الخ
- الى جانب كثير من الدراسات المختلفة التي تبحث في مختلف جوانب الفكر العربي والانساني

الدكتور رشاد درغوث



- من مواليد صيدا (لبنان) عام 1917
- درس التربية في دار المعلمين العليا في بيروت ونال اجازتها ، ثم اجازة الحقوق ، وتخصص في الآداب والعلوم الانسانية ، وحصل على الدكتوراه بهذا الفرع
- مارس التدريس والعمل الدبلوماسي
- يجيد الفرنسية والانجليزية
- كان للقرآن الكريم ، وللانجيل اثر كبير في تكوين ذوقه الأدبي ، وكذلك شعر المتنبي وأحمد شوقي « وغي دي موباسان »
- نال عدة اوسمة من جهات مختلفة
- من مؤلفاته :
- خطبة الشيخ (رواية)
- الحاج بحبح (مجموعة قصص)
- حمامة الوادي (مجموعة قصص)
- على درب الحياة (مجموعة قصص)
- صراع (مسرحية)
- البيروني (مسرحية)
- « شعري » (مجموعة قصائد)
- تيسير اللغة العربية — بحث لغوي .. الخ .
- الى جانب عدد ضخم من الكتب المدرسية له :



الدكتور رفيع الزهراني

- ولد بمدينة (مادبا) من أعمال الاردن
- تلقى تعليمه الاول في مسقط رأسه ثم حصل على دبلوم الصحافة من القاهرة
- يجيد الانجليزية والفرنسية والتركية
- متأثر بابن خلدون وبالإمام علي بن أبي طالب ، والمتنبي وأبي العلاء والأب أنستاس ماري الكرملسي
- من المناصب التي شغلها :
- المدير العام لشركات العزيزي
- ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في الاردن
- عضو مراسل لمركز الأبحاث التكنولوجية في باريس
- عضو رابطة الادب الحديث — بالقاهرة
- لكما أنه عضو في عدة لجان أو مجالس أخرى
- المنهل في تاريخ الأدب العربي (3 أجزاء)
- الزنابق « مختارات من الشعر والنثر » (7 أجزاء)
- الخلاصة التاريخية ، تاريخ العرب والمسلمين (جزآن)
- ازاهير الصحراء (مجموعة قصص)
- شاعر الانسانية (دراسة للشاعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي)
- تطور حقوق الانسان ... الخ
- الى جانب العديد من المؤلفات المخطوطة الأخرى والبحوث المختلفة المنشورة في المجلات العربية .



الدكتور سامي عيسا وهنا

من مؤلفاته :

- 1 - Issues University Education.
 - 2 - Al Afghani.
 - 3 - Arab Socialism.
 - 4 - European influence on modern Egyptian Literature.
 - 5 - The Mawoval in Egyptian Folklore.
- وغيرها من الكتب والبحوث القيمة التي تتناول مختلف ميادين الفكر واللغة والأدب .

— ولد في 3 أكتوبر 1929 .

— حاصل على الماجستير في الانسانيات من جامعة كولومبيا — نيويورك

— وعلى الدكتوراه في فلسفة دراسات الشرق الأوسط — جامعة يوتا

— يجيد الانجليزية والفرنسية والىطالية

— عمل مدرسا للغة العربية في جامعة يوتا

— وهو أول من اضاف الى برامج اللغة العربية عدة دراسات خاصة بالمغرب العربي

الأستاذ سامي الكيالي

— « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره »

— « الراحلون »

— « أنواء وأضواء »

— « المرأة هذا اللغز الأبدى »

— « مع طه حسين » (الجزء الاول والثاني)

— « ولي الدين يكن »

— « الادب المعاصر في سورية »

— « النفس الإنسانية في ادب الجاحظ »

— « من خيوط الحياة »

وغيرها من الكتب الأخرى التي قاربت الثلاثين كتابا ، الى جانب مئات من المقالات والأحاديث نشرت في المجلات والصحف العربية

توفي — رحمه الله — مساء الخميس 1972/2/17

— ولد الأستاذ سامي الكيالي في مدينة حلب عام 1898 م .

— تقلد عدة مناصب فكان مديرا لدار الكتب الوطنية، ومديرا للمركز الثقافي العربي بحلب ، كما كان

— عضوا في اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية ، وعضوا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية في مصر وسورية ، وعضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة .

— أصدر مجلة « الحديث » عام 1927 وبقيت حتى عام 1960 ، ولقد كانت هذه المجلة « مرآة للحياة الفكرية المتجددة خلال هذه الفترة »

من مؤلفاته :

— «نظرات في التاريخ والنقد والأدب» ، وهو باكورة إنتاجه

— « شهر في أوربا » انطباعات ذاتية عن رحلة الى الغرب



الأستاذ سعيد الديوه جي

— ولد بالموصل سنة 1912 ، وبها اكمل دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بدار المعلمين العليا ببغداد

— عمل مدرسا ثم مفتشا لمعارف الموصل ثم نقل الى متحف الموصل حيث عين مديرا وبقي به حتى احيل على التقاعد عام 1968

— وفي سنة 1965 انتخب عضوا للمجمع العلمي العراقي

من مؤلفاته :

— الفتوى في الاسلام

— الامير خالد بن يزيد

— بيت الحكمة

— اشعار الترتيص عند العرب
— ملحمة الموصل للشيخ فتح الله القادري
— دور العلاج والرعاية في الاسلام .. الخ

بالاضافة الى عشرات البحوث والمقالات المنشورة في كبريات المجلات العربية او التي اذيعت من اذاعات مختلفة .



الأستاذة سيمى الحفار الكزبري

— ولدت في دمشق في 1 مايو 1923 ، والدها السيد لطفي الحفار كان من أوائل الوطنيين المناضلين في سورية ورأس الحكومة مرارا

— زوجها السفير الدكتور نادر الكزبري

— تلقت تعليمها الثانوي في معهد راهبسات الفرنسيكان .

— تجيد : الفرنسية والاسبانية والانجليزية

— متأثرة بالكتاب والشعراء امثال : الجاحظ ، المنفلوطي ، طه حسين ، فرلين ، بودلير ، ستيفان سفايچ ، أندريه مورو ، غارسيا لوركا

من مؤلفاتها :

— يوميات هالة

— حرمان (قصص قصيرة)

— زوايا (قصص قصيرة)

— الوردة المنفردة (شعر بالفرنسية)

— غينان من اشبيلية (رواية)

— عبير الامل (شعر بالفرنسية)

بالاضافة الى كثير من المقالات والقصص والاحاديث المنشورة في مختلف المجلات العربية او المذاعة من اذاعات عربية مختلفة .



من مؤلفاته :

- المتنبّي
- الجاحظ
- العناصر النفسية في سياسة العرب
- بين البحر والمحراء
- أبو الفرج الأصبهاني
- أنا والشعر
- أنا والنثر ... الخ
- إلى جانب العديد من المقالات المنشورة في مختلف المجلات والصحف العربية . وهو من شعراء سوريا الكبار .

الدكتور توفيق شكري

- من مواليد دمشق في 14 شعبان سنة 1314 هجرية
- تلقى تعليمه الأول في مدرسة فرنسية بدمشق
- وفي عام 1913 حصل على الشهادة الثانوية ولم يحصل بعدها على غيرها من الشهادات لكن عبقريته رفعت فوق أصحاب الشهادات
- تأثر بآين المفتح والجاحظ من الكتاب وبالمتنبّي من الشعراء
- عين رئيساً لديوان المعارف ثم عميداً لكلية الآداب في الجامعة السورية ، وقد أحيل على التقاعد فاختار العزلة في مدينة بلودان من مصطافات دمشق
- وقد انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1926 ، وعضواً مراسلاً في كل من مجمع القاهرة ومجمع بغداد



الدكتور طه حسين

- من مواليد عزبة الكيلو في 14 نوفمبر 1889 ، ونشأ بمدينة مغاغة من أعمال محافظة المنيا بصعيد مصر
- في سنة 1902 التحق بالأزهر ثم انتقل إلى الجامعة الأهلية سنة 1908 ومنها حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي وكانت أول درجة دكتوراه تمنحها هذه الجامعة سنة 1914
- سافر بعد ذلك إلى فرنسا في بعثة على نفقة الجامعة المصرية ، ومن السوريين حصل على درجة الليسانس في الآداب سنة 1917 ، ثم الدكتوراه في يناير سنة 1918 وكانت عن فلسفة ابن خلدون .
- فضلا عما حصل عليه من دكتوراه فخرية من جامعات ليون ، مونبلييه ، روما ، باليرمو ، أثينا ، مدريد ، غرناطة ، أكسفورد .
- يجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية
- متأثر بقدماء العرب من الأدباء والعلماء وخاصة الجاحظ وأبي العلاء .

جديد تتلمذ على يديه لا في مصر وحدها بل في

أطراف العالم العربي كله .
— لذا فقد عد طه حسين ظاهرة فريدة من نوعها في
الأدب العربي المعاصر في دراساته النقدية
والتاريخية على وجه الخصوص .

— له عشرات المؤلفات في مجالات الفكر والحضارة
والتاريخ والأدب واللغة والرواية .. الخ ، وقد
ترجمت معظمها الى عشرات اللغات الأجنبية .

— ولسنا بحاجة في هذا التعريف السريع أن نعدد
مؤلفات طه حسين لأن ذلك سيكون ضربا من
اللغو والعبث فهي أشهر من أن تعرف على
اختلاف موضوعاتها واتجاهاتها .

— أما تأثيره في غيره فهو موضوع يحتاج الى
دراسات طويلة وأبحاث واسعة لأن أثر طه
حسين لم يكن محصورا في فرد أو أفراد بل
شمل عصرا بأكمله وهناك المئات من تلاميذ
تلامذته يشهدون له بهذا الفضل والتأثير ، ومنذ
كتب بحثه المشهور عن « الأدب الجاهلي »
اتخذت الدراسات العربية النقدية المعاصرة مجرى
جديدا سرى فيها نهج طه حسين الذي يقوم
على الشك والتحقيق وعدم قبول كل ما رواه
الرواة القدامى .

— يعد طه حسين مدرسة قائمة بنفسها في هذا
الصدد وقد كان له كثير من الفضل في خلق جيل



الشيخ طه حسين

— ولد بطرابلس الشام عام 1921 م

— تلقى تعليمه الأول في بيروت في المدارس العربية
ثم في مدرسة « اللايك » الفرنسية .

— تدرج في عدة وظائف حكومية وهو الآن المستشار
لسفارة تشاد ببيروت
— نال عدة أوسمة من مختلف الجهات

— وبعد حصوله على « الثانوية الشرعية » انتقل
الى مصر حيث التحق بكلية أصول الدين بالأزهر
الشريف وتخرج منها كما أحرز على ليسانس في
الحقوق من جامعة القاهرة كذلك .

من مؤلفاته :

— المجاهد العربي الكبير محمد علي الطاهر

— الإسلام والمسلمون في تشاد

— عبد الرحمن الأوزاعي

— جمهورية تشاد

— بيروت بقلم الرحالين الأجانب ... الخ

الى جانب العديد من المقالات والبحوث المنشورة
في كثير من الصحف والمجلات العربية في مختلف
المجالات الفكرية والإسلامية والحضارية

— كان له اسهام في مقاومة المحتلين فسخن وعذب
وجرح مرارا .

— وكما ساهم في الحقل السياسي والوطني كانت
له خدمات جلّى في خدمة الإسلام والمسلمين عن
طريق الكتابة والتأليف .

— شارك في عدة أحزاب سياسية للمناضلة ضد
المستعمرين سرا وجهرا ، كما أسس كثيرا من
الجمعيات



الدكتور عتاس الجرجري

- ولد بالرباط في 15 فبراير 1937
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المغرب
- ثم رحل الى مصر فأتى دراسته الجامعية بكلية آداب القاهرة حيث أحرز على الدكتوراه في الادب العربي عام 1969
- يجيد الفرنسية
- عمل في السلك الدبلوماسي ثم اختير استاذا للتعليم العالي
- متخصص في الادب العربي والمغربي منه خاصة.
- له اهتمام خاص بالدراسات المغربية الشعبية منها .
- من مؤلفاته :
- الزجل المغربي (القصيدة)
- من وحي التراث
- الحرية والادب
- الثقافة في معركة التغيير



الأستاذ عبد الحق فاضل

- من مواليد بغداد من أسرة موصلية عام 1915
- تلقى تعليمه الاول في الموصل ، ثم الثانوي والحقوق في بغداد .
- عمل محاميا بالموصل ، حيث كان يصدر مجلة « المجلة » وهي ادبية ثقافية عامة .
- وفي عام 1940 دخل الخدمة الخارجية ، ثم أصبح عام 1959 وكيلا لوزارة الخارجية ، ثم في عام 1960 سفيرا لبلاده في الصين ، ثم تفرغ للدرس والكتابة منذ عام 1963 .
- يجيد : الانكليزية ، والفارسية ، ولغات أخرى .
- وضعه الأستاذ الناقد عبد الاله احمد في كتابه عن القصة العراقية — في قمة اكمال نضج القصة العراقية قبل الستينات .
- من مؤلفاته :
- ♦ مجننان — طبعان 1958/1939 .
- ♦ مزاح وما اشبه (مجموعة قصصية) (1940)
- ♦ حائرون (مجموعة قصصية) (1958)
- ♦ (ترجم المستشرق الاسباني كوميذ بعض قصص المجموعة الى اللغة الاسبانية)
- ♦ طواغيت (مجموعة قصصية) (1958)
- ♦ ثورة الخيام (طبعان 1952 و 1968)
- ♦ (وهو دراسة عن الخيام ورباعياته ، ثم ترجمة شعرية امينة للرابعيات ولقد ترجمت الرباعيات عن هذا الكتاب مباشرة طبقا لتصنيفها فيه الى الاسبانية وطبعتم في

في كتاب مع خلاصة من الدراسة من قبل
جامعة قرطبة بالأرجنتين)

♦ 4 نساء و 3 ضفادع (مسرحية) (1969)
نقل المؤلف في هذه المسرحية انسان اليوم
الى القرن الثلاثين ، وجعله يلتفت خلفه
ليرى نفسه من مسافة ألف سنة بعد
تجريده من المؤثرات التي تزعزع صحة حكمه
على الاشياء المحيطة به والمشتبكة بمصالحه
وعقده ، وهي مسرحية رائدة في فنها .

♦ مغامرات لغوية ، وهو كتاب فريد من بابهِ
انتهى نيه الى ثلاث نظريات أساسية أولها:
ان العربية هي أم اللغات الآريسة ، لا
الحامية والسامية فقط .

وثانيها : وضع ما اسماء بعلم «الترسيس»
اللفوي الذي يرجع بالكلمة الى رسها الأول
منذ نطق بها أول انسان ، وبذلك أهن اثبات
علم « نشوء اللغة » وارسائه على قواعد
علمية .

ثالثها : اكتشاف حقائق تاريخية مجهولة
سبقت عهود التدوين ، وقد نشر نماذج من
هذه الدراسات في أعداد من مجلة « اللسان
العربي » تحت العنوان العام : (تاريخهم
من لغتهم)

♦ هو الذي رأى — (ملحم قلميش) (1972)
وهي ملحمة بابلية كتبت منذ 4000 عام

♦ يوليوس قيصر



الدكتور عبد الحليم منتصر

— من مواليد مركز فاريسكور بمصر

— تخرج في الجامعات المصرية ودرس في جامعة
لندن بإنجلترا وجامعة جنيف بسويسرا حيث
أحرز بالتوالي على البكالوريوس الماجستير
والدكتوراه في العلوم

— يجيد الانجليزية

— وهو عضو الاكاديمية المصرية للعلوم

— عضو مجمع اللغة العربية

— رئيس تحرير مجلة رسالة العلم

— وهو الأمين العام للاتحاد العلمي العربي

— والأمين العام للاتحاد العلمي المصري .

— كما هو عضو في كثير من الهيئات والجمعيات
العربية والدولية ورئيس لجنة الثقافة العلمية
بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا

— له عشرات البحوث العلمية المتكررة في علم البيئة
النباتية

— له عشرات من الكتب العلمية تأليفا وترجمة أو
مراجعة

— شارك في مراجعة الكثير من المعاجم العلمية
كالمعجم العسكري والمعجم العلمي العربي
الموحد وغيرها .

— حاصل على جائزة التأليف العلمي من وزارة
المعارف المصرية .

— من مؤلفاته :

— حياة النبات

— تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه

— أسس علم النبات

— الدراسة والجنس

— موجز نباتات مصر .. الخ

— الى جانب العديد من البحوث العلمية القيمة
المنشورة في المجلات المتخصصة .



الدكتور عبد الرحمن مرغبشا

— من مواليد طرابلس لبنان 1927

— تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بطرابلس

— ثم انتقل الى القاهرة والتحق بجامعة (مؤاد الأول) وتخرج من قسم الفلسفة ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي ، أما الدكتوراه فقد احرز عليها من جامعة باريس في الفلسفة

— يجيد الفرنسية ، والانجليزية ، واللاتينية .

— متأثر بآنشتين وبرتراند رسل بين المؤلفين ، وبالدكتور زكي نجيب محمود والدكتور عبد الواحد وافي ولوي ماسنيون وجاستون بشلار من اساتذته في القاهرة وباريس

من مؤلفاته :

— نظرية النسبية

— قبل أن يتفلسف الانسان .

— المسألة الفلسفية

— من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية

— وهو مترجم كتاب (الانسان) لجان روستان.. الخ بالاضافة الى كثير من البحوث والمقالات القيمة المنشورة في مختلف المجلات العربية .



الدكتور عبد السلام العجالي

— من مواليد الرقة في شمالي سورية ، عام 1918 والرقّة كانت مصطفى هارون الرشيد

— تلقى تعليمه الابتدائي بالرقّة ، والثانوي بحلب ، وتخرج طبيا من جامعة دمشق عام 1945 .

— يجيد الفرنسية والانجليزية

— عمله الرسمي طبيب وهوايته الأدب وقد غلبت

هوايته على عمله حتى ظنوه منصرفا الى الأدب

انصرافا كليا — كان عضوا في المجلس النيابي

السوري ووزيرا للثقافة والخارجية والاعلام

— متأثر بالأدب العربي القديم والتراث الشعبي

وتأثر بالعقلية العلمية اثناء مراحل دراسته . وهو

من اوائل القصاصين الممتازين في سورية

— اريت مؤلفاته على الخمسة عشر كتابا منها :

— الليالي والنجوم (شعر)

— بنت الساحرة
— قناديل اشبيلية
— الخيل والنساء
— الحب والنفس .. الخ

مجموعات قصصية

— باسمه بين الدموع
— رصيف العذراء السوداء

روايات

الى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى المنشورة في الصحف والمجلات العربية أو ضمن كتب مستقلة .

الدكتور توفيق عبد العزيز بنعبد الله



- من مواليد مدينة الرباط 1923
- والده العلامة الجليل السيد عبد الواحد بنعبد الله ، من علماء الرباط المعروفين ، ونشأ الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في ظل أسرة كريمة المنبت ، علمية ، دينية ، محافظة ، عرف كل أفرادها بالاستقامة والخلق الكريم .
- أحرز البكالوريا عام 1943 ، وشهادتي الليسانس في الآداب والحقوق عام 1946 ، ودرس العلوم الإسلامية على ثلة من كبار العلماء بالعاصمة (الرباط)
- تولى الإدارة العامة للمحافظة العقارية ومصالح الهندسة عام 1957 ، ثم إدارة التعليم العالي والبحث العلمي من 1958 إلى 1961 ثم مديرا للمعهد الوطني للتعريب
- يعمل حاليا مديرا عاما للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو يشغل هذا المنصب منذ 1962 . وهو أستاذ الحضارة والفن بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس) وأستاذ العلوم الإسلامية في دار الحديث الحسنية بالرباط (التابعة لجامعة القرويين)
- يعد الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله من أبرز رجالات المغرب العلمية ، ويعد نشاطه الفكري في شتى مجالات المعرفة والعلم أسهاما كبيرا في النهضة الثقافية المعاصرة .
- وهو يتمتع بسمعة علمية مرموقة في المشرق العربي ، والعالم الإسلامي ، عن طريق تأليفه العديدة أو عمله كمدير عام لمكتب التعريب ورئيس تحرير لمجلة : « اللسان العربي » المعروفة .
- ولقد زار كثيرا من الدول العربية والأجنبية بدعوة منها لالقاء العديد من المحاضرات بجامعاتها ومؤسساتها العلمية في مختلف الميادين الفكرية والنقوية والحضارية الخ .. كما مثل بلاده في عدة مناسبات دولية .
- يجيد اللغة الفرنسية وله بها بعض التأليف .
- يميل للأدب العلمي ، وهو مغمرم بالتاريخ والحضارات واللغات .
- له مصنفات عديدة باللغتين العربية والفرنسية أهمها :
 - ♦ الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب
 - ♦ مظاهر الحضارة المغربية (جزآن)
 - ♦ معطيات الحضارة المغربية (جزآن)
 - ♦ الفن المغربي في مختلف العصور (باللغتين العربية والفرنسية)
 - ♦ التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية)
 - ♦ الطب والأطباء في المغرب
 - ♦ أضواء على الإسلام (بالفرنسية)
 - ♦ تاريخ المغرب (دراسة مقارنة للنصوص العربية والأجنبية)
 - ♦ جغرافية المغرب (ثلاث طبعات)
 - ♦ الإسلام في تطور (بالفرنسية)
 - ♦ نحو تفصيح العامة
 - ♦ تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث (أصدره معهد الدراسات العربية بالقاهرة وهو مجموعة محاضرات ألقيت بهذا المعهد
 - ♦ كما أن له مجموعة قصص تاريخية على نسق جرجي زيدان ، تعالج تاريخ المغرب ستصدر قريبا عن إحدى دور النشر ببيروت ... الخ
 - ♦ بالإضافة إلى العديد من المعاجم في مختلف الحقول العلمية التي يصدرها عن طريق المكتب وخاصة منها معاجم المعاني وغيرها التي كانت دائما محط عناية واهتمام من طرف العلماء والمتخصصين في البلاد العربية وخارجها .



الأستاذ عبد القادر زامة

- ولد بفاس سنة 1924
- يعمل أستاذا بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس)
- له اهتمام بالبحوث العلمية في اللغة والأدب والحضارة
- أبحاثه منشورة في كثير من المجلات العربية منها:
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مجلة اللسان العربي — الرباط
- مجلة معهد المخطوطات العربية — القاهرة
- مجلة البحث العلمي — الرباط
- مجلة الثقافة المغربية وغيرها من المجلات العربية الأخرى



الدكتور عبد الكريم كريمة

- ولد بالرباط عام 1934 وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي
- كما درس في دمشق ومن جامعتها نال الليسانس في التاريخ
- وفي نفس الاختصاص حصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط
- ومن جامعة عين شمس أحرز على درجة الدكتوراه في الآداب
- عمل مدرسا غداة افتتاح جامعة محمد الخامس بالرباط ولا زال فيها حتى اليوم
- من مؤلفاته :
- نشأة الدولة السعيدية بالمغرب
- عهد المولى أحمد المنصور الذهبي
- تحقيق ودراسة مخطوط (مناهل الصفا) لعبد العزيز الفشتالي ، الى جانب عدة بحوث ودراسات أخرى تتناول تاريخ المغرب .



الدكتور عبد الحادي السائدي

— ولد بمدينة فاس 25 — 6 — 1921

— عضو بالمجمع العلمي ببغداد

— كاتب عام لمركز التنسيق بين اللجان الوطنية والإقليمية العربية لليونسكو

— كان سفيرا للمملكة المغربية في العراق وليبيا

— بعد أن حصل على الشهادة العليا من جامعة القرويين بفاس ، أحرز على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس ثم على الدكتوراه من جامعة الاسكندرية .

— أسهم منذ صغره في الحركة الوطنية من أجل الاستقلال

من مؤلفاته :

— آداب لامية العرب

— الضرب على الآلة . الكتابة بالاشتراك مع أندري بونو

— جامعة القرويين (المختصر) باللغات الثلاث

— تاريخ العلاقات الامريكية المغربية (بالانجليزية) .. الخ .

— من مترجماته :

— حقائق عن الشمال الافريقي للجنرال دولاتور

— ساعات من القرن الرابع عشر في فاس للدكتور برايس

له تحت الطبع كثير من الكتب ، وتزخر مختلف المجلات والصحف العربية بالعديد من بحوثه ومقالاته في شتى مجالات الفكر والادب والتاريخ



الدكتور ساف حفيظ بهنسي

— من مواليد دمشق عام 1928

— درس الحقوق في دمشق والفنون في باريس ، وحصل على درجة الدكتوراه من السوربون في تاريخ الفن والآثار

— يعمل مديرا للفنون وأستاذا جامعي

— يجيد الفرنسية والانجليزية

— من اوائل من كتب في النقد الفني وفي التاريخ الفني في سورية

من مؤلفاته :

— الفنون التشكيلية في سورية

— الفن عبر التاريخ

— اتجاهات الفنون الحديثة

— تاريخ الفن في العالم

— اثر العرب في الفن الحديث

— معجم مصطلحات الفنون .. الخ

بالاضافة الى العديد من البحوث والمقالات المنشورة في مختلف الصحف والمجلات العربية منذ عام 1950 .

الدكتور عماد الجارم



- ولد برشيد (مصر) في 18 - 9 - 1919
- تخرج من جامعة الاسكندرية حيث نال بكالوريوس الطب والجراحة سنة 1944 .
- ثم حصل على دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن سنة 1950 .
- حاز على دكتوراه الطب في الامراض العصبية من جامعة الاسكندرية سنة 1951 .
- يجيد اللغة العربية والانجليزية
- يعمل رئيسا لقسم الامراض العصبية والنفسية كلية الطب جامعة الاسكندرية
- تأثر في اديه وشعره بعمه شاعر العروبة الاستاذ علي الجارم (بك)
- من منشئي قسم الامراض العصبية والنفسية بكل من كليتي الطب بالاسكندرية وطنطا والتدريس والعلاج وعمل الابحاث بهما .
- وهو رئيس الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية
- من مؤلفاته العلمية :
- الامراض العصبية الواضحة (باللغة الانجليزية) (طبع مرتين)
- من مؤلفاته الادبية :
- ديوان شعر يزيد على الالف بيت (تحت الطبع)

الدكتور مأمون الكزبري



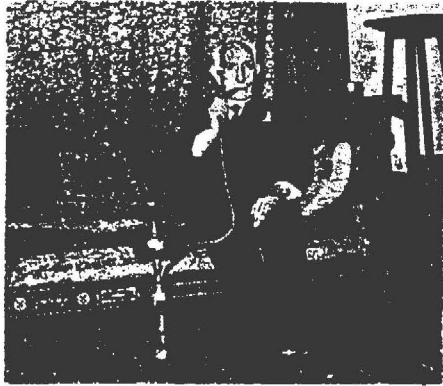
- من مواليد دمشق (سورية) 1914
- تلقى تعليمه الاول بمدرسة الاخوة المريميين في دمشق ثم التحق بمعهد الحقوق الفرنسي ببيروت وبعد حصوله على الاجازة في الحقوق احرز على دبلوم الدراسات العليا ثم الدكتوراه .
- يجيد الفرنسية و شيئا من الانكليزية
- متأثر بالاستاذ السنهوري في مصر وجوسران بفرنسا
- راس الوزارة السورية مرارا وكان وزيرا للعدل والتربية كذلك ونائبا عن رئيس الجمهورية مرتين
- كان نقيبا للمحاميين بدمشق عام 1960
- شارك في عدة مؤتمرات حقوقية دولية
- وتعاطى المحاماة الى جانب التدريس
- يعمل اليوم استاذًا بكلية الحقوق (جامعة محمد الخامس الرباط)
- من مؤلفاته :
- السورية في التشريع السوري واللبناني
- المدخل العام للدراسات الحقوقية
- التشريع العقاري السوري
- التشريع العقاري في المغرب .. الخ .

- التحق بعد ذلك بالتعليم الحر ، حيث كان له اسهام كبير فى نشر اللغة العربية والمبادئ الوطنية ، على الرغم مما عاناه هو وزملاؤه من مصاعب وعراقيل من طرف السلطات الاستعمارية
- شارك فى حركة الكفاح الوطني حيث سجن واضطهد مرارا ، لذا عد من الوطنيين الاوائل الذين كان لهم دور كبير فى مقاومة المستعمر وبث روح المقاومة والكفاح فى نفوس المواطنين .
- قام بدور هام فى العمل على انشاء « بكالوريا عربية » بالملكة المغربية .
- شارك فى تأسيس عصبة مكافحة الامية وتراسها فى سنواتها الاولى .
- كما اسهم فى انشاء جريدة « منار المغرب » التي اصبح رئيسا لتحريرها .
- تقلد عدة مناصب ادارية فكان مفتشيا عاما لوزارة التربية الوطنية ، ومشرفا اداريا على جامعة القرويين ، ونائبا عن وزير التربية الوطنية فى الاشراف على عدة اقاليم بالمغرب .
- مارس كثيرا من النشاطات الفكرية والاجتماعية والتربوية بالقاء سلسلة من المحاضرات بجامعة محمد الخامس ، أو التيسام بتمثيل وزارة التربية فى كثير من المؤتمرات والندوات الدولية .
- يعمل حاليا مديرا مساعدا للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم .
- من مؤلفاته :
- المشاركة فى وضع عدة كتب مدرسية مختلفة .
- رواية باللغة العربية - اجتماعية وطنية تحت عنوان « كنزرة » .
- وهو الآن عاكف على العمل فى المجال اللغوي وفى الترجمة .



الدكتور محمد بن زيات

- من مواليد مدينة وجدة - شرق المملكة المغربية عام 1914 .
- تخرج من ثانوية مولاي يوسف بالرباط - قسم المعلمين .
- حاصل على ليسانس فى الادب العربي ، ودبلوم معهد الدراسات العليا بالرباط .
- يجيد الفرنسية مع المام بالاسبانية واللاتينية ولهجة « تمازغت » البربرية .
- مارس التعليم الابتدائي والثانوي منذ تخرجه الى نهاية سنة 1944 .
- أقصى من عمله فى التعليم بعد حوادث سنة 1944 التي تمخضت عن المطالبة باستقلال المغرب .



الأستاذ محمد جميل بيهوم

— ولد في بيروت سنة 1887

— تلقى علومه الأولى بالمدرسة العثمانية ، ومدرسة أوليفيا الافريقية

— أحرز على درجة الدكتوراه من جامعة باريس .

— عرف بجولاته وأسفاره المتعددة

— دعا الى انشاء كلية اسلامية وهو من دعاة تحرير المرأة

— عرف بمواقفه الحرة من الانتداب الفرنسي

— رأس المجمع العلمي اللبناني، كما هو رئيس جمعية اخوان الثقافة ، وعضو المجمع العلمي العراقي، وعضو الأكاديمية للتاريخ العالمي في باريس ، وعضو المجمع الامريكي للعلوم السياسية والاجتماعية ، وهو عضو في جمعيات أخرى عربية واجنبية .

من مؤلفاته :

— المرأة في التاريخ والشرائع

— فلسطين أندلس الشرق

— الحلقة المفقودة في تاريخ العرب

— العروبة والشعوبيات الحديثة

— فلسفة تاريخ محمد

— كما ألف باللغتين الفرنسية والانجليزية

— وقد ترجمت كثير من كتبه الى لغات اجنبية

— وهو ذو نشاط حافل في مختلف الحقول العلمية والسياسية والأدبية وغيرها .



الأستاذ محمد خلف الله أحمد

— ولد الاستاذ محمد خلف الله أحمد في 15 يونيه 1904 في سوهاج من أعمال مصر وفيها قضى المراحل

الأولى من تعليمه .

— أتم دراسته العالية في الآداب والعلوم العربية والاسلامية في « دار العلوم » 1928 .

— ثم ابتعث الى جامعة لندن لدراسة العلوم الفلسفية وفيها أحرز على درجة : B.A. Hons ودرجة الماجستير في الآداب M.A. بامتياز

— درس بعد عودته في دار العلوم ثم نقل مدرسا

للادب والنقد في كلية الآداب بجامعة عين شمس. وفيها

وضع اصول المنهج النفسي في دراسة الادب ونقده

— تدرج في مناصب التدريس حتى أصبح وكيلًا

لجامعة عين شمس ، وفي يناير 1965 انتخبه زملاؤه

مديرا لمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة

الدول العربية

بعض النقاد اول معالجة علمية في اللغة العربية
لموضوع الاتجاه النفسي في النقد .

في تاريخ الأدب : كتاب « معالم النطور الحديث في
اللغة العربية وآدابها » يتضمن هذا الكتاب
دراسة تقوم على خطة جديدة في التاريخ الأدبي.

في الدراسات الادبية : كتاب « دراسات في الأدب
الاسلامي » عني فيه المؤلف بدراسة بعض
الشخصيات الاسلامية الادبية دراسة تحليل
ومقارنة على منهج فني نفسي .

كتاب « حفني ناصف كاتباً وباحثاً »

في التحقيق والنشر : كتاب « ثلاث رسائل في اعجاز
القرآن ، للرمانى والخطابى والجرجاني » .

في الترجمة : « كيف يعمل العقل »

في التصنيف : كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة
المعاصرة » .

وغيرها من البحوث والدراسات التي تبحث في
مختلف جوانب الفكر العربي والانساني .

— له أكثر من عشرة كتب مطبوعة ، وأكثر من
اربعين بحثاً منشوراً في مختلف المجالات العلمية .

— اشرف على عشرات الرسائل العلمية او شارك
في مناقشتها في الجامعات العربية وفي بعض البلاد
الاسلامية .

— تقلب في عدة مناصب مهمة استاذاً وعميداً ووكيلاً
للجامعة ، وعضواً في المجلس الاعلى لرعاية الفنون
والاداب والعلوم الاجتماعية .

— وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،
وعضو مؤازر بالمجمع العلمي العراقي ببغداد ، وعضو
مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، وهو عضو كذلك في
عدة هيئات أخرى ولا يزال مديراً لمعهد البحوث
والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ويقوم الى
جانب ادارة المعهد برياسة قسم اللغة والأدب فيه .

من مؤلفاته :

في النقد : كتاب : « من الوجهة النفسية في دراسة
الأدب والنقد » وهو كتاب رائد في ميدانه يعده



الدكتور محمد طه النمر

— من مواليد 23 أبريل 1913

— اتم دراساته الاقتصادية والمالية بجامعة القاهرة
(البكالوريوس سنة 1935 ودراسات الماجستير
سنة 1945) .

— عمل لمدة عشرين عاماً في الوظائف الحكومية
بوزارات العدل والتجارة والصناعة والحربية ،
كما اوكلت اليه ادارة بعض المؤسسات العامة
الثقافية والاقتصادية العامة .

— تطوع للخدمة بالقوات المسلحة حتى وصل فيها
الى رتبة الرائد واشترك في الحرب العالمية
الثانية وفي حرب فلسطين سنة 1948 وفي حرب
الاعتداء الثلاثي سنة 1956 وحصل على كثير
من الاوسمة واناواط الجدارة .

— اختير سنة 1954 وكيلاً مساعداً لوزارة التربية
والتعليم بجمهورية مصر العربية ثم رقي وكيلاً

دائماً لنفس الوزارة سنة 1958 وحتى سنة
1965 .

— كان عضواً مؤسساً للمعاهد القومية للتربية
والتعليم منذ سنة 1956 وهي أكبر مؤسسة
تعليمية خاصة في جمهورية مصر في مجال تعليم
اللغات الأجنبية (الانجليزية والفرنسية) واصبح
سنة 1961 رئيساً لمجلس ادارة هذه المؤسسة
حتى سنة 1965 .

— شارك رئيساً وعضواً في كثير من الانشطة
العلمية والثقافية لمجلس جامعة القاهرة والمجلس
الاعلى للتعبئة والاحصاء ومؤسسة الابنية

هذه الادارة الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

— في يوليو سنة 1972 عين رئيسا للجهاز العربي لمحو الامية .

— له انتاجه العلمي في مجالات الادارة التعليمية والتخطيط والاحصاءات التربية .

المدرسية والجمعية الدولية للتعليم التجاري ..الخ

— شارك رئيسا وعضوا في كثير من المؤتمرات العربية والدولية التربوية والثقافية .

— وافق مجلس جامعة الدول العربية في مارس 1966 — بناء على ترشيح جمهورية مصر — على تعيينه مديرا للادارة الثقافية حتى ضمت



الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص

— من مواليد « برج البرلس بتاريخ 6- 7 — 1921 بمصر

— تقلب في سلك التعليم من معيد الى مدرس الى استاذ فرئيس قسم

— كان السكرتير العام المساعد للمجلس الاعلى والمشرى على وحدة بحوث البيئة بالمركز القومي للبحث ثم اصبح مسؤولا عن برنامج العلوم التطبيقية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اعتبارا من يناير 1970 .

— شارك في عدة مؤتمرات دولية في مختلف بلاد العالم .

— نشر بحوثا علمية عن حياة النبات في الصحاري المصرية والسودانية

— وضع بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم منتصر كتابا باللغة العربية عن « صحاري مصر »

— ترجم وشارك في ترجمة عدة كتب الى اللغة العربية عن حياة النبتات

— وله مقدمة في علم تشريح النبات

— وقاموس كومبتون للمصطلحات العلمية

— والنجيليات

— علم الشكل النباتي

— غزت مؤلفاته في مجال تخصصه غزارة جعلته

— موضع احترام العلماء ومنها نحو ثلاثين موضوعا باللغة الانجليزية .



الأستاذ محمد محمد الخطابي

— من مواليد مدينة تطوان (1947)

— تلقى تعليمه الجامعي بالقاهرة .

— احرز البكالوريا عام 1964 ، ثم الليسانس في الآداب من جامعة عين شمس بالقاهرة 1969 .

— كان ذا نشاط اجتماعي ملحوظ بين طلاب جامعته

— واسهم في اصدار جريدة « الطلاب » حيث كان مشرفا على القسم الادبي بها . ومحسرا في مجلة « عين شمس » كذلك .

— نال عدة جوائز تقديرية — على المستوى الجامعي

— منها : جائزة القصة القصيرة في قصة عن فلسطين تحت عنوان « نداء الضمير » وأخرى في

- يعمل حاليا رئيس شعبة بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي منذ تخرجه عام 1969
- ♦ له : « كلمات وإشارات ... » مجموعة مقالات ودراسات عامة ، نشر معظمها في جريدة « العلم » المغربية — تحت الطبع —
- ♦ « رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه ، 1962 — 1972 »
- ♦ بالاضافة الى كثير من المقالات والمترجمات المنشورة في بعض الصحف والمجلات .



- البحث الموجز : بحث عن فلسطين كذلك ، وثالثة — في القراءة الحرة — عن بحث عن أخطار الصهيونية .
- عضو في اتحاد كتاب المغرب
- شارك في مؤتمر « ندوة فلسطين العالمية » بالقاهرة عام 1965 كمترجم عن اللغة الإسبانية .
- يجيد الإسبانية ويلم بالفرنسية ، ثم الإيطالية .
- صاحب البرامج الإذاعية : في رحاب اللغة ، اللغة والحضارة ، اشعار متقاطعة ، حكايات من حياتهم ، عظماء من افريقيا .

الأستاذ محمود تيمور

- ولد بالقاهرة سنة 1894 م في بيت علم وادب ودين
- تعلم بالمدارس المصرية ثم التحق بمدرسة الزراعة العليا
- ثم تفرغ بعد ذلك للادب
- حصل على كثير من الجوائز منها تتويج المجمع اللغوي لانتاجه عام 1947 .
- حاصل على جائزة الدولة للآداب
- وجائزة واصف غالي ببافيس
- كما منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الاولى ووسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى كذلك
- عضو في مجمع اللغة العربية، وفي المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، والمجمع اللغوي العراقي والمجمع اللغوي المجري . قال عنه المستشرق المجري جرمانوس : « يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرد الى مصاف الفلاسفة الابداء ومعلمي الثقافات ، بما يقدم من أمثلة انسانية ترمي الى أهداف رفيعة »
- وقال عنه طه حسين :
- « وانك لتوفى حثك اذا قيل انك اديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها »
- وقد غزر انتاجه حتى زاد على الخمسين مؤلفا بما بين أنصيص ومسرحيات وروايات قصصية، ومقالات أدبية ، وأبحاث لغوية ، وصور وخواطر ورحلات ترجم الكثير منها الى العديد من اللغات الأجنبية الحية : كالفرنسية والالمانية، والانجليزية ، والروسية والإيطالية ، واليوغسلافية ... الخ .
- كما كتبت عنه كثير من الدراسات النقدية والأدبية في مختلف البلاد العربية
- وقد لقب بشيخ القصة العربية أو عميدها لأنه أول من طرق هذا الفن في مصر كما يشهد له طه حسين بذلك في الكلمة التي استقبله فيها بالمجمع قال : « .. وسبقت أنت الى شيء لا أعرف أن أحدا شاركك فيه في الشرق العربي كله الى الآن » .
- وكما كان لطه حسين آثاره الواسعة على جيله كان لمحمود تيمور آثاره هو الآخر على كتاب القصة في مصر وباتى البلاد العربية



اللواء الركن

محمود

شيت خطاب

من مؤلفاته :

- من مواليد الموصل في شمال العراق عام 1919
- تلقى تعليمه الابتدائي والاعدادي في نفس المدينة
- ثم تخرج من الكلية العسكرية في بغداد ، ومنها
- سافر الى انجلترا وتخرج من كلية الضباط العظام
- وكان ترتيبه الأول على مائة ضابط من مختلف
- الأمم والجنسيات
- يجيد الانجليزية وقليل من الفرنسية
- عضو في المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة
- العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق
- ومجمع البحوث الاسلامية في الأزهر وعضو
- المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي
- متأثر بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)
- القضايا الادارية في الميدان
- التدريب الفردي ليلا
- القضايا الادارية في الحروب الجبلية
- قادة فتح العراق والجزيرة
- الرسول القائد
- قادة فتح بلاد فارس
- قادة فتح الشام ومصر
- قادة فتح المغرب العربي (جزآن) .. الخ
- ولقد قاربت كتبه السبعين كتابا معظمها في التاريخ
- الاسلامي ويعرف بقادته او يتناول الأمور العسكرية
- وكلها ذات قيمة وشان .



الدكتور ممدوح حقي

- من مواليد دمشق 1915
- تلقى تعليمه لأول في سوريا
- واصل دراساته العليا في دمشق ثم في مصر
- ثم في باريس .
- أحرز البكالوريا والليسانس في دمشق ثم
- الدكتوراه في مصر وباريس .
- يجيد الفرنسية والإنجليزية ، وبعض اللغات
- الشرقية .
- تدرج في مناصب سامية دبلوماسية وعلمية
- وإدارية .
- متأثر بالأدب القديم أسلوبا ، وبالفكر الحديث
- عنميا أما آثاره في غيره فيظهر في الأقبال
- الكبير على مؤلفاته على اختلاف موضوعاتها ،
- حتى تكررت طبعات بعضها ست عشرة مرة .
- يعمل حاليا كبيرا للخبراء بالمكتب الدائم لتنسيق
- التعريب في الوطن العربي .
- جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، فكان
- خير نموذج للمثقف الحقيقي الذي يمثل عصره
- أحسن تمثيل .
- وهو بالإضافة إلى أدبه وعلمه الفيزيبرين شاعر
- مبدع ولقد أوجز المرحوم أحمد أمين وصفه
- فقال : « علم الدكتور حقي أدب ، وأدبه شعر ،
- وشعره موسيقى » .
- أربت مصنفاته على الستين بين مؤلف ومترجم
- ومحقق منها :
- العروض الواضح (14 طبعة)
- الكشف (قرظه بادل باول ومكتب الكشف
- الدولي طبع ست مرات)
- الفرزدق (طبع ثلاث مرات)
- الأبيوردي - شاعر الحزب العربي في القرن
- الخامس (3 طبعات)
- حجة الوداع - تحقيق مخطوط نادر لابن
- حزم الاندلسي : جزآن (3 طبعات)
- الأغاني للأصفهاني - تحقيق وتعليق وتقديم .
- المثل المقارن في الأدب العربي والانجليزي
- (تحت الطبع)
- عشر قعم في الأدب العربي
- الفريزة الجنسية .
- الصيد والطرود عند العرب ، تحقيق مخطوط
- نادر .
- المقولات العشر ، تحقيق مخطوط نادر مع
- التقديم .
- ومن مترجماته :
- ريكلة : ديوان امير شعراء المانيا المعاصرين .
- العنصرية والاعراق - مترجم عن الفرنسية .
- الزنج في امريكا - مترجم عن الانجليزية .
- مرتفعات وذرنغ - مترجم عن الانجليزية .
- الأفق المفقود - مترجم عن الانجليزية .
- الواحة السحرية - مترجم عن الانجليزية .
- ولقد توج الدكتور حقي مؤلفاته بمعجم القانون
- والتجارة الذي قضى في جمعه وتأليفه زهاء عشرين
- عاما فجاء من أنفس ما ألف في هذا الفن .
- يعد الدكتور حقي امتدادا للرميل الاول من
- ادبائنا الكبار الذين ساهموا في ارساء دعائم النهضة
- الادبية المعاصرة ، بثقافته الواسعة وقدرته على
- الترجمة بين شتى اللغات .
- ويمتاز - الى جانب علمه الفيزير - بتواضعه
- الجم الذي يسمو به فوق كل وصف .



الدكتور ناصر الدين السيد

- يشغل حاليا منصب مدير عام مساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو مراسل لمجمع اللغة العربية بدمشق
- رأس الجامعة الأردنية مدة ويعد من مؤسسيها الاوائل كما كان عميدا لكلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية
- اشترك في لجان فحص نتائج بعض أعضاء هيئة التدريس بجامعة بغداد ، وفي لجان فحص رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها في كل من جامعتي بغداد والقاهرة .
- له اثنا عشر كتابا مطبوعا بين تأليف وتحقيق وتحرير وترجمة بعضها طبع سبع مرات .
- **من مؤلفاته :**
 - مصادر الشعر الجاهلي وتيمتها التاريخية
 - القيان والغناء في الشعر الجاهلي
 - الشعر الحديث في فلسطين والأردن
 - خليل بيدس ، رائد القصة الحديثة في فلسطين
 - الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن
 - محمد روجي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين
- **من تحقيقاته :**
 - جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (بالاشتراك مع د. احسان عباس)
 - تاريخ نجد — تأليف حسين بن غنام
- ديوان قيس بن الخليم
- ديوان شعر الحادرة
- وهو مترجم كتاب : « يقظة العرب لجورج انطونيوس بالاشتراك مع د. احسان عباس
- **من بحوثه المطبوعة كذلك :**
 - قصص الكيلاني للأطفال
 - تفسير الطبري
 - العثمانية للجاحظ
 - البطولة كما يصورها الادب الجاهلي
 - فلسفة الاستعمار
 - معاجم ومعجمات
 - التراث والمجتمع الجديد
 - نواد وندية ..
 - الثورة العربية الكبرى
 - في وداع الشهيد .. الخ
 - وغيرها من البحوث اللغوية والنقدية القيسية الاخرى نشرت في مجلات متخصصة أو ضمن كتب .

قصص في اللغة

عبدالحق فاضل

جيم

نعم ، هذا الانسان التاريخي الغريب ، أبو الأريين والهاميين والساميين - كما تبدى لنا في احاديث سابقة - من اين جاء باسمه « العربي » هذا ؟

لقى المستشرقون على انفسهم هذا السؤال ، وبحثوا عن الجواب ، كما بحثوا عن أجوبة الكثير من الاسئلة الاخرى عن الشرق وتاريخه . ولا بد انهم هرعوا الى المعجم اول شيء بحثا عن التسمية ، فلما لم يجدوا بفتيتهم فيه عادوا الى البحث في ظلمات التاريخ فكان لهم الفضل في اكتشاف حقيقتين :

الاولى انهم استعرضوا اللغات السامية فوجدوا ان مادة (عرب) تعني فيها جميعا : الجذب او ما يشبهه . لكنهم استنتجوا ان هذا الانسان الأنف ذكره قد سمي بذلك لانه يعيش في الارض الرملية المجذبة المعروفة . ولما كانت كلمة عربو arabo السريانية تعني الصحراء فقد لاح للنظر عند بعض اللغويين ان اسم العربي انما جاء من السريانية نفسها ، وان هذا اخصر طريق لحل المشكلة . . واوضح واؤكد .

والحقيقة الثانية التي توصل اليها الباحثون هي ان اقدم وثيقة مكتوبة ورد فيها اسم (العربي) هي مسلة شلمنصر الثالث ضمن اخبار حربه في موقعه القرقر ، في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد -

سين : اكثر المستشرقون ومعهم الباحثون العرب من الادلاء بأراء لهم في تعريف الانسان العربي ، فما هو اصوب تلك التعريفات او اقربها الى الصواب يا ترى ؟

جيم : هذا خارج عن موضوع حديثنا ، يا ترى ؟ .

سين : هل موضوع حديثنا اذن منشؤ الانسان العربي الاقدم ، اي الارض التي نبت فيها اول مرة ثم جاء منها الى هذه الارض الفيحة المسماة « الجزيرة العربية » ؟

جيم : من باب الاختصار ندعوها لفرضنا اللغوي « المعربة » . اما منشؤ الآدمي العربي فلا نريد الخوض فيه لانه امر مجهول يصعب الوصول فيه الى نتيجة مقنعة ثانيا ، ولان موضوعنا لغوي لا بشرائي - زنة رمضاني - (- انثروبولوجي) اولا .

سين : ما دام موضوعنا لغويا فهل المقصود اين نشأت لغة هذا البشر العربي ، في « المعربة » ام في غيرها ؟

جيم : ولا هذا . وقد اوضحنا في حديث آخر سابق ان هذه المعربة هي منشؤ هذه اللغة .

سين : اذن ؟

جيم : تسمية العربي .

سين : آه . ما أصل هذه التسمية حقا ؟

فهل هذه أقدم من صيغ (العربي) التي لا يرجع
أقدمها إلى أبعد من منتصف القرن التاسع ق م ؟

جيم : لا .

وسنعود إلى جلاء هذه النقطة الغامضة المميزة ،
ولنصرف الآن إلى منشأ تسمية العربي أولا .

إن المعجم على قصوره ، ما يزال مقتصدرا على
أفادتنا في البحث عن هذه المادة اللغوية الخطيرة
الشأن (عرب) .

فماذا نجد ؟

هنا العجب العجيب حقا . إن معاني الكلمة
ليست كثيرة فقط لكنها غريبة كذلك ومتباينة وبعضها
متضاد . وأول ما نذكر منها :

هذا (العربي) ، ثم :

الافصح ، و :

رد القبيح

الافحاش في الكلام

الأكل

فساد المعدة

التبدي ، أي ضد التحضر

كثرة الماء

صفاء الماء

الاستهجان

الشراء

ركض الفرس

النشاط

القسوة

النهر الشديد الجري

السفن الرواكد

هذا عدا اسمي (عربة) و (عرب) .

وسوف نفسير للقارئ الكريم كيف نشأت هذه
المعاني كلها مع معان أخرى غيرها كثيرة . لكننا نؤثر
قبل ذلك أن نعرض كيف نشأت مادة (ع ر ب) نفسها،
وما معناها الأول .

وبالضبط عام 853 ق م . ومنذ ورد اسم العربي في
المصادر المسمارية المختلفة في صيغ كثيرة متاربة ،
منها :

عربي arabi

عربي arubi

عربي aribi

عربي arbi

عربي urbi

ووردت الصفة منها : عربيا arabaia

وعرباiau (1) arabaiau

وهذا كشف مهم حقا ، ومشكور للنباشرين في
آثار الأقدمين . لكنه لا يجيبنا على سؤالنا : من أين جاء
هذا الاسم « العربي » على اختلاف صيغه قديما
وحديثا .

أما اللغويون العرب فقديما قالوا إن (عربة) -
زنة قسبة - وهي مكة - « أقامت قریش فيها فنسب
إليها العرب ، وهي باحة العرب » . ويبدو أن هذا من
كلام العدنانية . كذلك قالوا إن « يعرب بن قحطان أبو
اليمن ، قيل أنه أول من تكلم بالعربية » . ويبدو أن
هذا من كلام القحطانية ، ولعلمهم إنما قالوه يفاخرون
العدنانية بعريبتهم التي كانت منذ القدم مقدسة .

لكن أحدا من الطرفين لم يتساءل من أين جاء
اسم عربة أو يعرب ، لأن مثل هذا السؤال كان يومئذ
يشبه القول لماذا تسقط تفاحة نيوتن . إنها تسقط
والسلام . حتى المتأخرون من شرقيين ومشرقيين
لم يتساءلوا من أين جاءت تسمية (عربو) السريانية
بمعنى الصحراء ، دعم من الصيغ الأخرى التي وردت
في المصادر الأثرية .

أخبرني الدكتور أحمد سوسة حين كنت في بغداد
آخر مرة أنه ذكر في كتابه « العرب واليهود في التاريخ »
أن (العربي) كان يسمى في التاريخ القديم : الأبري
أيضا ، والعبيرو ، والخبيرو ، والهبيري ، وأن بعض
هذه الصيغ قد ظهر في وثائق مسمارية أو هيروغليفية
ترجع إلى أكثر من خمسة آلاف سنة !

(1) طه باقر - « علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب » - مجلة « سومر » - الجزء : 2 - المجلد : 5 -
1949 . وقد أورد هذه الصيغ بالحروف اللاتينية ، أما نطقها العربي فإضافة من عندنا . ويلاحظ
أنها وردت في المصادر المسمارية بالهمزة ولو أنهم كانوا ينطقونها بالعين على الأغلب ، لعدم وجود
حرف العين في كتابتهم المسمارية ، فكانوا يعاضون منها بالهمزة كما نفعل نحن عند كتابة أسمائنا
بالحروف اللاتينية .

« رفعت لي نار من بعيد » أي لاحت ، وكانما المقصود عرفت نارا من بعيد . ذلك بأن أجويد العرب كانوا يوقدون النار على (المرتفعات) ليهتدي بها سراً الليل المحتاجون إلى المأوى والقرى . وهنا يمتزج معنى المعرفة بمعنى الارتفاع . ومن ثم قيل : أشهر من نار على علم ، أي على جبل . ونظن أن جبل (عرفات) إنما جاءت تسميته من هنا .

وللمعرفة عند العربي - ولا سيما الاعرابي البدوي - خطرها الكبير ، لأنه في بدايه يتوجس الشر من كل مكان ، من عدو مباغت يدهمه ليقتله طمعا في ناقته وزاده وثوبه ، أو سبع يبرز له من وراء تلعة أو كتيب أو جني يتخطفه . حتى الجماعات ، أي العشائر ، المقيمة في مكان كانت في حذر دائم من غارة مباغتة .

ان قولك (نكرت) الشيء ، إنما يعني جهلته ، و (نكرت) الرجل : لم تعرفه . . ومثل ذلك (انكرته) . لكن حشدهم وتوقعهم الشر من كل ما لا يعرفون جعلهم يرشقون بالمعاني المكروهة كل ما ينكرونه ، ومن ذلك ما زلنا نستعمل (الاستنكار) بمعنى الاستهجان والاستكراه . وصار قولهم (انكر) الشيء يعني بالإضافة إلى جهله : جحده وعابه ونهى عنه ، وصار (النكر) - زنة الكفر - يعني الامر الشديد القبيح ، و (النكير) : الشديد الصعب ، و (المنكر) يعني به اليوم المستقبح المستهجن ، وعلى التعبير المعجمي : ما ليس فيه رضي الله من قول أو فعل ، وجمعه (المنكرات) بل بلغ بهم الامر ان قالوا (ناكراه) منكراه : قاتله وحاربته !

هذا نوره عن (الانكار) أي عدم المعرفة ، غير خارجين عن صلب موضوعنا كالذي يبدو للنظر غير المستاني ، كيما نتمتع في مفهومه المخالف - حسب التعبير الحقوقي - أي في الكلمة المناقضة للنكر وهي (العرف) . فمن شدة ارتياح العربي في المفاوز إلى من وما كان يعرف أفرغ على المعرفة الكثير من معاني الخير والاستبشار . فالعرف بالإضافة إلى ما تقدم من معانيه صار ضد النكر أي الجود والاحسان ، و (المعروف) : ضد المنكر ، أي : المشهور ، والاحسان ، والخير ، بل الرزق أيضا . ثم جاءهم الاسلام « يامر بالمعروف وينهى عن المنكر » . وربما كانت لهذه المادة اللغوية معان خيرية أخرى لا يعيها المعجم . وصار (العرف) - كالصرف - يعني الرائحة لأنها كانت عندهم من أهم وسائل التعرف على الامور

تكرر لدينا القول في احاديث سابقة - وفي هذا العدد ايضا من اللسان العربي ، في مقال آخر - ان صوت (فرورر) الذي يعبر عن رفرقة جناحي الطائر الهارب قد صوره العربي الأقدم بقوله (فر) ومنه يفر فرارا . وقد نشأت منه صيغ ذات معان ، منها معنى الخوف في (فرق يفرق) - من باب فرح - لأن فرار الطائر باعثه الخوف . ومنها معنى الابتعاد في (فارق فراقا ومفارقة) لأن هذا هو الغرض من الفرار ، ومنها معنى (التفريق) في (فرقت بين الشياطين) : فصلت .

وبالإضافة إلى (فرق) نذكر من بنات (فر) : فرج ، فرخ ، فرد ، فرز - فرس ، فرع . . .

والذي بهما هنا هو (فرع) . فقد قالوا (فرعت) بينهم : فرقت . ومنها (الفرع) من كل شيء : اعلاه (المتفرع) من أصله كفرع الشجرة . ولما كانت الاغصان تعلو الجذع صار للفرع معنى العلو أيضا . ثم صار للكلمة معنى الكثرة منذ قالوا (تفرعت) الاغصان : كثرت . ومن معنى العلو قالوا (الفارع) : المرتفع ، و (فارعة) الجبل : اعلاه . أما (الفرع) من المرأة فشرها ، ومن القوم : شريفهم . . .

فلا عجب إذن أن نجد مقلوب الرفع أي (ر ع ف) يعني العلو أيضا في (الراعف) : انف الجبل ، وعلى المجاز : طرف أرتبة الأنف من الانسان . ثم صار (الرعاف) - بالضم - يعني الدم السائل من الأنف . والمغاربة هم فيما أعلم العرب الوحيدون الذين يقولون في لفتهم الدارجة (يرعف) بمعناها الفصيحة أي : يسيل الدم من أنفه .

وانقلبت الكلمة قلبه أخرى فنشأت (ع ر ف) بمعنى العلو والارتفاع مثل الراعف ، وبمعنى الشعر مثل فرع المرأة ، ثم بمعنى العلم ضد الجهل . . .

أما العلو وهو أصل معاني الكلمة فيظهر في قولهم (اعرووف) البحر : ارتفعت أمواجه ، وربما كان القصد أنها صارت تشبه عرف الديك . و (العرف) بالضم : ما ارتفع من رمل أو مكان أو نحو ذلك . و (أعراف) السحاب والرياح : أعاليها وأوائلها .

ومن معنى العلو صار (العرف) - بالضم - يعني كذلك اللحمة في أعلى رأس الديك ، ثم الشعر في محذب رقبة الفرس .

ومن معنى العلو صارت (المعرفة) تعني العلم بالشيء . وما أكثر ما تقرأ في أخبار العرب قول قائلهم

والإماكن قبل التورط فيها . ومن شدة تفاؤلهم بالمعرفة وجههم لها صار هذا (العرب) أكثر ما يطنق على الروائع الطبية ، فقالوا : ما أطيب عرفه . والارض (المعروفة) ليست ضد المجهولة فقط ، بل هي الطبية العرف .

من كل هذا يمكننا ان نتصور ما اجمل عند المسافرين في البداية ان يرى شخصا يعرفه او موما يعرفهم . وما اوقع في نفوسهم القول (تعارفوا) : عرف بعضهم بعضا . وما اخرج عند العربي وابعدت للريبة في نفسه ان يجابه من لا يعرف . لكن من لا تعرف يمكنك التعرف اليه اذا عرفت لغته ففهمته وافهمك ان لا بأس على ايكما من صاحبه .

فمن لفظة (عرف) بابدال قائمها باء نشأت كلمة : عرب (عرب عربيا) فخاطبك الغريب في الغلاة : «كلم بالعربية» اي «كان عربيا فصيحاً» على تعبير المعجم في كليهما . فعندها تنفخ الصدء . لا يعادل سرورك هنا الا امتعاضك وتوجسك اذا كان صاحبك اعجبيا لا تعهم عنه ولا يفهم عنك .

ومن ذلك قيل (اعرب) عن حاجته : ابلان ، و (اعرب) عن حاجته : افصح .

والرجل (العربان) - كاليقظان : الفصيح . ومثله (العربي) اللسان .

اليوم قد تلاقي شخصا لا تعرفه في مقهى او قطار او حتى في دار صديق لك ، فتحدثه ويحدثك وتخوضان في شتى شؤون الدنيا . في الكارثة التي يسمونها ازمة الشرق الاوسط او في اهوان فيتنام او في شؤون الحب او الميني او الماكسي الذي يكشف لك من بين شقوقه ما يحمر له حتى الميكرو - حسدا - تم تفرقان ثم تلتقيان كرة أخرى بعد ذلك . دون ان يعرفك احدهما ان يسأل عن حرفة الآخر او حتى عن اسمه . هذا كان في حكم المستحيلات عند العربي القديم . فاول شيء يخطر له عند مجابهتك هو اخطر شيء لديه : ان (يعرفك) ! من انت ؟ ومن انت ؟ اما « ومن انت » فأخطر كثيرا من « من انت » . فالويل لكل منكما من صاحبه اذا تبين انكما من قبيلتين متعاديتين ، بينهما نار او ثارات . لان كل فرد من القبيلة مسؤول عن اخذ الثار ، وكل فرد من القبيلة الاخرى مادة تصلح للاخذ بالثار منها ، اي قتله . وكل ما تقرا من قديم اخبار لقاء العربي بالعربي ينبئك ان اول كلمة تقفز الى لسانه هي : ممن الرجل ؟ او : ممن

انت يا اخا العرب ؟ . . و « يا اخا العرب » هذه بقية فيما يظهر من عهد المرحلة الاولى من التعارف وهي ان مخاطبه عربي يفهم عنه ، لا اعجمي .

ان كلمة (ع ر ب) من الالفاظ اللغوية الخصبة الولود قد نشأ منها ومن تفرعاتها الكثير من المعاني المتشعبة الاخذ بعضها برقاب بعض ، والبعيدة عن المعنى الاصلي احيانا ، ما يفرض علينا ان نؤثّل كل واحدة منها ليعرف القارئ الكريم تحدرها التطوري وعلاقتها بالكلمة الام . لكننا لو فعلنا ذلك في كل لفظة ستصادفنا في حديثنا هذا لاطلنا كثيرا واملنا ربما كثيرا ايضا ، فلهذا ندرج هنا مسردا تقريبا ، أشبه بالخريطة التائيلية : يوضح شيئا من تسلسلها اللفظي بوجه عام ، قبل الخوض في تفرعاتها المعنوية .

(افرع) « 1 » : عرف (- عرفج - عرفط) - عرب .
(افرع) « 2 » : عرف - رفع - عفر - عفریت - عفریس - عفرین - عور .

(عرب) « 1 » : عبر - ابر - هبر - خبر .
(عرب) « 2 » : عرم - علم (- عيلم) - علا ، علو (- علب) - علن - عرن - عرنس .

(عرم) : مرد (مرندس - عر - عاد - عاب ، عيب) - عد - عدو - عذب .

(عبر) « 1 » : ارب (- ذرب) - ارم . . ابر - بشار .

(عبر) « 2 » : غبر - عفر (- قفر) - عمر - معر .
(اربع) « 1 » : ربأ - رب - ربا ، ربو - ربل .
(اربع) « 2 » : ربع - ربغ (- بقر - رغب) - ربم .
(اربع) « 3 » : برا - برع (- برعم) - بر - برج - برح (- رجب) - برز - برس - برش (- ربش) - برص - برض - برق (- برقش) - برك (- بركة) - ركب (- ركة) .

(اربع) « 4 » : ربث (- لبث) - ربج - ربد - ربذ - ربص - ربض - ربط - ربق - ربك - كرب - كريس (- كرفس) - كريل - غريل .

(ربق) : بقر - رقة ، رقب ، - قرب ، قربان ، قرابة .

(ربك) : لبك ، التبك - كبل - كلاب ، زنة رمان (- كلب) .

وليعفنا القاريء ، أو بالاحرى اننا سنعفى القاريء من بيان تسلسل تطورات المعاني فى كل من المبانسي دفعا للسامة التي نجهد فى دفعها عنه مع المحافظة جهد الطاقة على ما يجمع الطرافة والمتعة الى جوهر الموضوع - ولنكتف الآن بالجدول التائيلى الذي مر بنا . ثم نأتي الى :

المعرفة :

التي هي ائل مادة (عرب) لفظا ومعنى . فقولك اعرفت الشيء : يعني علمته . و (المعارف) : العلوم ، و (المعروف) : المعلوم أو المشهور ، و (العراف) : المنجم الذي يتنبأ بطوابع الناس . ومن مقلوبها (عفر) صيغ (العفريت) و (العفرين) : النافذ فى الامر مع دهاء من الانس والجن ! و (عفر) نطقوها (عور) فنشأت صيغة (اعور) الشيء : ظهر .

ومن (عرب) قيل (برع براعة وبروعا) : فاق علما أو فضيلة أو جمالا ؛ والعلم مقصودنا هنا ، فهو (بارع) و (بريع) .

ومن العبر والتعبير قالوا (اعتبس المرء بالشيء : اتعظ ، أي اكتسب (العبرة) : العظة ، والنظر فى الاحوال ، والمعجب .

وعندما نطق بعضهم (عبر) بالخاء صار قولهم (خبرت) الشيء علمته بحقيقته وكنهه ، أو علمته عن تجربة . و (الخبير) : العالم بالخبر ، أو بالامر كما تقدم .

ومن (عرب) أو غيرها ظهرت صيغة (علم) التي اشهر معانيها المعرفة كما هو معلوم .

ومن هذا ومما سبق ذكره تحت عنوان « الافصاح » تتضح علاقة الاعراب والتعبير والاخبار والعلم والعلن بعضها ببعض .

الامتحان والتجربة :

وعندما انقلبت (عرب) فصارت (ربع) زالت بعض معانيها كالعادة ، لكن الغريب ان معنى (الرفع) - وهو ائل (عرف) التي هي ائل (عرب) - ما زال باقيا فيها حيث قيل (رابعوا) الحمل : ادخلوا (المريعة) - كالمثدنة - أي المرفعة ، تحته ليرفعوه على الدابة . ومن ثم صيغ بلفظنا الحديثة (الرباع) - كالجبار :

(التبك) : التبس - لبس - سلب) - التمس - لمس - مس - مسح - مسخ .

(التمس) : استلم - تسلم - سلم - تسليما - سلم سلامة - سلام ، سلم .

هذه ليست كل الالفاظ التي انجبتها كلمة (عرب) وانما هي الالفاظ التي اقتصرنا عليها فيما سيأتي من بقية هذا الحديث .

وانه من الصعب بل من المتعذر ترتيب معاني هذه الالفاظ حسب تسلسل نشوئها النطقي أو الذهني لاختلاطها وتعرج اتجاهاتها على غير نظام أو قياس ثم لتعود المعاني فى اللفظة الواحدة وتعود الالفاظ للمعنى الواحد أو المعاني المتقاربة . فلنوردها اذن على هذا الترتيب الشبيه بعدم الترتيب . ولناخذ أولا :

الافصاح :

الذي هو اصل معنى مادة (عرب) والذي كان السبب فى تسمية جدنا البدوي (العربي) أو (العربي) ! فقد قالوا (أعربت) الشيء : أبنته وأظهرته . و (أعربت) عن حاجتك ، أو بحجتك : أفصحت . (العربان) - زنة الرحمان - و (العرباني) - زنة البحراني - يعينان الفصيح اللسان ، كما تقدم .

ومن (عرب) نشأت صيغة (عبر) عبرا ، بالتخفيف . و (عبر) تعبيرا : بمعنى (عرب) تعريبا و (أعرب) اعرابا .

ولنتبع هذا التسلسل اللفظي : عرب - عرم - علم - علن . معنى الافصاح يخفي فى (عرم) ثم يعود فيظهر بدلا من معنى المعرفة فى (علم) . اما كيف حصل هذا فيمكن ملاحظته فى مادة (خبر) التي نشأت من (عبر) ، فقد حصلت المعرفة فى قولهم (أخبر) اخبارا و (خبر) تخبرا - نتيجة لتلقي (الخبر) ، ومن ذلك صار (الخبير) يعني العليم العارف . وقولك (أعلمته) يعني أخبرته وأعربت له الامر ، أو عن الامر . ثم يخفي معنى المعرفة فى (علن) ويظهر بدلا منه معنى الاعراب والتعبير حيث قالوا (عالتته) الامر : جاهرته به وأظهرته له . واكتسب (العلن) معنى تطوريا جديدا وهو (العلائية) : ضد الخفاء .

وهاؤم تسلسلا لفظيا آخر : عرب - ربع (خصب) - برع - برا (خلق) - بر (صحراء - براح . نقولهما باختصار ان معنى الاعراب يخفي من حلقات هذه السلسلة حتى يظهر أخيرا معنى العلائية فى (البراح) : البين الصراح .

رافع الاقال فى عالم الرياضة اى الرفاع . ثم صار فعل (ريع يربع) يعنى : رفع الحجر بيده امتحانا لقوته .

ثم يظهر معنى الامتحان مرة اخرى فى (الاختبار) فمن قولهم (استخبرته) و (تخبرته) : سألته الخبر . و (خبرت) الامر : علمته بحقيقته وكنهه ، او علمته عن تجربة - صار قولك (اختبرت) الشيء : بعنسى تجربته وامتحنته .

و (اعتبرته) : اخبرته او احصيته .

و (عبر) الدراهم تعبيرا : وزنها ليعرف ثم وما عي ، وكذلك (تعبير) المتاع .

و (العابر) : الناظر فى الشيء .

رد القبيح :

من قولهم (عرب) الرجل تعبيرا عن صاحبه : احتج له وتكلم عنه - ظهر قولهم (عرب) تعبيرا على الرجل قوله : رده عليه وقبحه ، ومثلها (عرب) عليه فعله ، وصار من معاني (التعريب) : تقبيح قول القائل والرد عليه .

فحش الكلام :

ثم صار قولهم (اعرب) الرجل يعنسى كذلك : تكلم بالفحش وبالقبيح ، اى ضد معناه الاول . ولعل ذلك متأت من أن رد القبيح يكون بمثله عادة . وصارت (العرابية) - كالعمامة - تعنى الفحش وقبح الكلام ، و (العرب) - زنة الشرس : الرجل (اللرب) - من نفس الوزن - وهو الفاحش او الفصيح ، (واللرب) - زنة الطرب : بذاءة اللسان .

ومن التفرعات لفظا ومعنى نصل الى قولهم (البك) المرأة الباكاء : افحش فى كلامه .

التعيير :

وهنا ظهر معنى التعيير والعار من قولهم (عربت) عليه فعله تعبيرا : قبحته . والظاهر ان هذه الصيغة قد رخت فصارت (عر) القوم : لظخم بشر ، و (العارور) و (العارورة) : الذي يعر القوم . وصار (العر) - زنة الشر - يعنى الشر و (العاب) اى

(العيب) وهما من هذه الطائفة اللغوية .

ومن معنى التلطيح صار (العر) يعنى الجرب او الأجرب لانهم يلطخونه بالقطران ، ومنه ظهرت صيغة (العار) و (التعيير) تقبيح الفعل ونسبة صاحبه الى العار . و (العورة) : كل ممكن للستر وكل ما يستحيا منه . ومن هنا أتت صيغة (العري) التجرد من الكساء - وإما :

المغيبة :

فنشأت من معنى (الابرة) وهذه من حفر (البئر) . قالوا (أبر) فلانا : اغتابه ، استعاره من (أبرته) العقرب : لسعته ، اى ضربته بأبرتها .

و (الابرة) التي يقول المعجم انها محددة الذنب مثقوبة الرأس - ولعل الأصح انها محددة الذنب مثقوبة الرأس وهي تسمى فى الخياطة باتجاه ذنبها - تعنى النميعة أيضا ، ومثلها (المثيرة) .

الشر :

(عالنه) العداوة : جاهره بها .

و (علاه) : غلبه وقهره . و (علاه) بالسيف : ضربه .

و (برق) الرجل برقا و (أبرق) ابراقا : توعده .

و (العفارة) - كالعصارة : الخبث والسكر .

و (عفرسه) : صرعه وغلبه .

و (المفريت) : الخبيث المنكر .. بالإضافة الى معناه السابق .

و (رابل) الرجل مرابلة : خبث وترصد للشر ، و (قرابل) : اغار على الناس وفعل فعل الاسد اى (الرئبال) . اما (الرييل) فاللص يفزو القوم وحده .

و (التبريج) و (البرج) - كالصرخ - و (البرحاء) - كالبرداء : الشر والشدة والأذى . و (برح) به تبريحا : آذاه اذى شديدا وأتبعه واجهده .

و (عريد) : ساء خلقه .

و (العرعر) - كالهدهد : السوء الخلق .

و من ذلك (عرمت) فلانا : أصبته بأذى ، و (العرام) - كالهمام : الشراسة .

واشد من كل ذلك : عبره) تعبيرا : أهلكه .

هذا بالإضافة الى ما تقدم ذكره من الشرور من
فحش كلام وعار وتعمير وغيبة ونميمة .

الريبع :

انه مفتاح الكثير من المعاني التي سنلتقي بها ،
وغيرها من التفرعات التي سنصرف النظر عنها .

فمن العربي صيغ (العرب) - زنة القريب :
نمرء . قالوا : ما بالدار عريب ، أي أحد . ومثله
المعرب : - زنة المحسن .

ومن امثال هذا المعنى صار (الربيع) - زنة
الطبع - منذ القدم يعني الناس أو الجماعة منهم .
وانتقل المعنى الى مكان اقامتهم فاطلق (الربيع) على
الدار ، ثم خولها ، وعلى المحلة اي المكان الذي يحلون
فيه الرحال والاحمال عن ابلهم ودوابهم للتزول ، وعلى
المنزلة اي المكان الذي ينزلون فيه . وجمع الربيع :
ارباع (كالرجال) والاربع (كالارؤس) والارباع والربوع .
وقد صرنا نستعمل (الربوع) بمعنى الأرجاء والاصقاع .

ولما كانوا انما ينزلون ويضربون بيوتهم في مواطن
الكلاء ، وهذا يكون ايام الربيع على الاغلب ، صار (الربيع)
- وهو في الاصل موضع نزول (الربيع) الجماعة -
يعني فضل الخصب اي المطر والماء والنبات . .
فقالوا (ارتبع) في المكان : اقام فيه زمن الربيع . ثم
(ربع) بالمكان : اقام فيه (في زمن الربيع او غيره من
فصول السنة) .

ويقول المعجم (تربيع) الجمل و (ارتبع) : اكل
الربيع اي الكلاء ، وسمي . وبقي من ذلك في الدارجة
العراقية قولهم عن الحيوان والانسان انه قد (ربيع)
- بالتشديد - بمعنى هذه التعابير كذلك ما بداخل
الماشية من نشاط في الربيع فتتقافز مرحا وفوران
دم - ولا سيما الجداء . ويلوح لنا انهم قصدوا الجري
ايضا كما لا يزال يقال بالدارجة الموصلية عن الحيوان
انه (يربيع) - زنة يركع - بمعنى يجري . فالظاهر
انها صيغة اصيلة المعنى بقدر ما هي أثيلة البنى ،
وعلى هذا تكون (الاربع) قد اطلقت أولا على القوائم
التي تجري بها البهيمة ثم على العدد الذي يلي الثلاثة . .
مثل (الخمس) التي نحسب أثلا (الخمس) من
الافافر الخمسة التي يخمش بها الانسان ، وربما
الصبي ، وجه صاحبه عند المراك ، هذا علما بان

الخمسة تنطق بالسريانية (خمس) . وهكذا صارت
« ذوات الأربع » : كل ما يمشي على أربع أرجل .
ومن هنا سمي (الربوع) لانه (يربع) . والحقيقة انه
لا يربع بل يشي لانه يقفز على رجليه الخلفيتين
ويجلس عليهما . وشذوذه هذا عن بني جلداته من ذوات
الأربع جعلهم يسمونه (الربوع) ربما من باب التهكم .

النبات :

من المعاني الربيعية في دنيا النبات نذكر قولهم
(ربيع) القوم : اخصبوا ، (ربيع) القوم - بالغين
المنقوطة : اخصبوا ، و (ربيع) : مخصب . بل
انهم اطلقوا (الربيع) نفسه على ما ينبت فيه من الكلاء
ثم على ما تعتلفه الدواب من الخضرة . والمغاربة
يسمون الحشيش والاعشاب الخضراء (الربيع) بنفس
المعنى العربي القديم . و (المرباع) - زنة المسار :
المكان الذي ينبت نباته في اول الربيع .

ومنها (المرباب) و (المربة) - زنة المحبة :
الارض الكثيرة النبات .

و (ربل) المكان تربلا : انبت (الربل) - كالطبل :
شجر يتفطر آخر الصيف من طراوة الليل دون مطر ،
و (الربل) - كالامل : نبات شديد الخضرة .

ثم (الرسم) - بفتحين ايضا : الكلاء المتصل .
ثم (المعمر) - كالمذهب : المنزل الكثير الماء
والكلاء .

ثم (عرد) النبات تعريدا : خرج كله واشتد .
و (اربشي) الشجر : اوراق وتفطر ، او خرج ثمره
ومنها (تبرضت) الارض : خرج نباتها ، ومن باب
التضاد (البرضة) : الارض لا نبات فيها .

ثم نذكر (العروة) - كالغرفة : الشجر الملفف .
وضده من نفس المادة (العريان) - كالشعبان : رمل
تقي ، او عقد لا شجر عليه .

اما (برع) فقد فقدت معناها النباتي الذي يظهر
في وليدتها (برعم) وذريتها : (البرعم) و (البرعوم)
و (البرعمة) و (البرعومة) : زهر النبات قبل ان
تتفتح ، وكم ثمر الشجر .

ونذكر (العبيراء) - كالسويداء : نبات .
و (العبير) - كالغزير : الزعفران .

و (العرفج) - كالشعوب : نبات سهلي (على قول المعجم) . ومن الاضداد (العرافج) - بضم العين : رمال لا طريق فيها .

و (العرفط) - كالقنفذ : شجر من العضاء .

و (الفرعر) - كالبربر : شجر يشبه السرو .

و (العرين) - كالقرين : جماعة الشجر أو الشوك .

و (الهوير) : السوسن وزنا ومعنى ، أو الأحمر منه . والكلمة كالكثير غيرها مشتركة المعنى فهي تعني الفهد والقرد أيضا .

و (الاربيجان) - بكسر الهمزة والباء : نبات لا يقول القاموس ما هو . نبات ما .

ثم (الرباس) - كالميزان : نبات يشبه السلق لكن طعمه مز ، أي حامض الى حلاوة .

واخيرا نذكر (العربي) - الصيغة التي تطلق على ابن المعربة - فهي تعني كذلك الشعر الابيض سنبله . وناهيك به نموذجا من اعتباريات التطور اللغوي وتداخله ومفارقاته .

الماء :

جاء معنى الماء من الربيع أيضا منذ قالوا (ربيع) القوم - بصيغة المجهول : أصابهم مطر الربيع ، وكذلك الأرض فهي (مربوعة) .

وقد مر بنا أن من معاني مادة (عرب) : الماء الصافي ، فذلك حيث قالوا (العرب) - كالشجر - و (العرب) كالحرص : الماء الصافي . و (عربت) البئر - بكسر راء عربت كثر ماؤها .

و (اتبرت) البئر : حفرتها . و (بار) : حفر .

و (بقرت) الأرض : سقيتها ، و (أبقرت) السماء : امطرت .

و (أرغت) القرية : ملأها حتى فاض الماء منها .

و (العرنيس) - كالشمقمق : السيل الكثير .

واتسع معنى الماء فقالوا (عرب) النهر - كفرح غمر فهو (عارب) و (عاربة) . وصار (عبر) الوادي يفتح العين أو كسرهما : شاطئه ، ومن هنا جاء معنى (العبور) حيث قالوا (عبرت) النهر أو الوادي :

فطعته ، و (المعبر) - كالمنظر : الشط المهيأ للعبور ، ومنه مجازا : (عابر) السبيل .

ومن معنى الماء قالوا (عبرت) العين : دمت ، أي سال ماؤها ، و (العبرة) : الدمعة ، بوزنها .

و (العد) - كالضد : الماء الجاري لا ينقطع .

أما (اعتلم) الماء فتمني : سال ، ومنها (الصيلم) الذي أصل معناه : البئر الكثيرة الماء - يعني كذلك : البحر على جلالة قدره .

ومن (عرب) النهر (العارب) أي الغامر الآنف الذكر صار فعل (عروم) على اختلاف طرائق نطقه ، يعني : اشتد وخرج عن الحد ، وكان شرسا ، و (العرمة) - كالنبقة : سد يعترض الوادي . ومن ذلك سمي « سيل العروم » الذي اكتسح سد مأرب . واسم (مأرب) الذي يقول المعجم انه موضع باليمن ، يبدو انه من معنى الماء طأ أيضا منذ سمو السد على اسمه .

وقد تسرب الماء الى مادة (خبر) ، فمن ذلك (الخبراء) - زنة الخضراء - بلغة الموصل تطلق على ما يشبه البحيرة الصغيرة من الفدران المتخلفة من مياه الأمطار تبقى في البرية أيام الربيع وتجف في الصيف . وهو أصل معناها فيما يظهر ولو أن الذي بقي في المعجم عنها هو أنها : القاع ينبت شجر (الخبر) - زنة الصيد ، والمزادة العظيمة . ونحن نرى كيف تجتمع في هذه الكلمة معاني الماء والنبات والطعام . وأوضح من الخبراء دلالة على ذلك هو هذا (الخبر) الذي يعني شجر السدر والأراك وما حولهما من العشب ، والناقة الغزيرة اللبن ، والزرع ، ومنع الماء في الجبل ، والمزادة العظيمة مرة ثانية .

ومن الماء : (الخابور) . فبالإضافة الى انه نبت أو شجر هو اسم نهر « شرقي دجلة الموصل » و « بين رأس العين والفرات » ، ويظهر من هذا أنهما (خابوران) اثنان .

ويبدو أن اسم (خيبر) الحصن التاريخي المعروف بالحجاز إنما سمي بهذا من معنى الماء أو نبع البئر الذي لا بد أن يكون الحصن قد بني عليه ، فلا حصن ولا قرية ولا مدينة من غير ماء . وما أكثر الأماكن المسماة بأسماء المياه في الحجاز وغيره من أنحاء المعربة . منها من نفس المادة (الخيرة) كالنبقة : ماء لبني ثعلبة .

ومن الاسماء المائية : (الريانية) - بكسر الراء
وشد الباء والياء : ماء لبني كلب بن يربوع .

و (عرفجاء) - بفتح العين والفاء : موضع او ماء
لبني عقيل ، وربما كان الأصح : موضع (و) ماء لبني
عقيل وعندها يكون الموضع قد سمي باسم الماء .
وواضح ان (عرفجاء) من ألفاظ هذه الطائفة فأثلهما
(عرف) و (عرب) .

و (عربان) - كالخفقان : بلدة بالخابور ، ولعلها
بذا سميت لوقوعها على نهر الخابور ، ومادة اسمها
(عرب) غنية بالماء كما رأينا أكثر من مرتين .

و (العربية) - بثلاث فتحات : ناحية قرب المدينة،
وأكثر ظننا ان اسمها مائي أيضا .

كذلك (عربية) - مكة - يبدو لنا ان اسمها مائي
هو الآخر . وهذا يتساق مع حكاية اقامة اسماعيل
وايه هاجر في ذلك الوادي المنقطع غير ذي الزرع ،
الذي بنيت فيه مكة على بئر زمزم القليلة الماء
الاجاجته . وصارت (العربية) - بالتعريف - تطلق
على النهر الشديد الجريان أيضا ، اما بلغة جيل آخر
وأما بعد ذلك الحين من الدهر .

ومن معاني الماء قولهم (عذب) الرجل - كضرب :
ترك الأكل من شدة العطش ، ومن هذا فيما يظهر نشأ
(العذاب) ، اما (عذب) الماء - بكسر الذال - فيعني
علاه الطحلب . واما الماء (العذب) أي الطيب السائغ
فمن قولهم (عذب) الشراب - بالضم هذه المرة :
كان طيبا مستساغا . ومن هذا نشأ قولهم (عذا) المكان
عذوا : طاب ، او كان بعيدا عن الماء والوخم .

الكثرة :

جاءت من عدة أشياء رباعية .
منها أولا كثرة الماء . ومن ذلك (عريست) البئر
- كفرحت : كثر ماؤها ، و (عرب) الرجل : أكثر من
شرب الماء الصافي ، و (عرب) النهر : غمر .

و (العسد) الذي قلنا انه يعني الماء الجاري لا
ينقطع ، يعني كذلك الكثرة من كل شيء .

ثانيا كثرة النبات . منها (المرباب) - كالمحراب -
و (المربة) - كالمحبة : الأرض الكثيرة النبات .
والأثل هو (المرباع) : المكان الذي ينبت نباته أول
الربيع . ثم (ربا) المال : زاد ونما ، ثم (الرياح) ومنه
قالوا (رابحه) على سلته : أعطاه ربها .

ثالثا كثرة النفوس ، وهذه منشؤها الربيع بمائه
ونباته ، حيث صار (المعمر) - كالمعمل : المنزل
الكثير الماء والكأ ، ومن ثم قيل (أبر) القوم :
بتشديد الراء : كثروا . وقوم (عيسر) : كثير .
و (العبر) - كالشكر : الكثير من كل شيء ، وقد
غلب على الجماعة من الناس .

ورابعها : كثرة عجيبة أثلها اللفظي (العصور)
والمعنوي (تعبير) الكباش ، أي ترك صوفه عليه سنة،
أي انه يعبر سنة عن جز صوفه فيكثر . ومن ثم قيل
(أعبرت) الشاة : وفرت صوفها . ثم صاروا يطلقون
(العصور) - كالصبور - على الجذعة من الفم ولو لم
يعبروا صوفها . وصار (المعبر) - كالمنظر - يعني
الموفور الريش او الشعر . والجمل (المعبر) -
كالمظفر : الكثير الوبر .

ثم (ربغ) الشيء - بضم الباء وبالفين المنطوقة :
كثر ، و (الأربغ) : الكثير المتسع .

ثم (استربح) الرمل - بالعين المهملة : تراكم .
(العرمم) : الجيش الكثير ، ولعل هذا من سيل
العرم .

وما الى ذلك ...

فساد المعنى :

حين جاء معنى كثرة الاكل من معاني الربيع التي
نجد منها قولهم (ارتبغ) الجمل و (تربغ) : أكل
الربيع وسمن - جاء بعده قولهم (عسرب) - كفرح -
الطعام : أكله . مما يدل على أن صيغة (عرب)
استعملت بمعنى الربيع قبل (ربغ) ، أي أنهم قبل أن
يقولوا (ربغ) بالمكان : أقام ، قالوا أولا (عرب)
بالمكان ، لكن هذا المعنى زال من هذه اللفظة .

ولا ندري كم من الالفاظ اختفى منها معنى الاكل
قبل أن يعود الى الظهور في فعل (رف) - بالتشديد :
أكل كثيرا ، و (برج) - كفرح : اتسع أمره في الاكل
والشرب ونحوهما .

وقالوا (اعرن) : دام على اكل (العرن) - زنة
البلد - وهو اللحم المطبوخ . و (عرفست) - بثلاث
فتحات - الأبل الشجر : نالت منه . وحين اكتسبت
الكلمة معنى الاكل قيل على المجاز (عرم) الصبي أمه :
رضعها .

ومن قولهم (أرم) - بالفتح - ما على المائدة :
أكله ولم يدع منه شيئا - صارت (الأرم) - بضم
فتح مشدد : الأضراس ، أي أدوات الأكل .
و (البرقشة) : الإقبال على الأكل ، و (برقش) في
الأكل : إقبال عليه أو خلطه ، والأصل الخلط لأن
البرقشة تعني أصلا : التزيين .

و (الرغييب) : الواسع الجوف من الإنسان
وغيره ، أي الكثير الأكل .

ومن معاني الأكل قالوا (خبرت) الطعام تخيرا :
دسمته تدسيما . و (الخبسر) - كالصبر : المزادة
العظيمة ، وهي ما يوضع فيه الزاد ، و (الخبرة) -
كالحمرة : طعام المسافر ، والثريدة الضخمة ،
وقصته فيها لحم وخبز ، والنصيب من لحم أو سمك ،
وما تشتريه لاهلك من طعام ولحم .. الخ ..

ومن كثرة هذا الأكل من لحم وسمك وغيرهما
تجمعت التخممة طبعا أي فساد المعدة ، ف قيل
(عرّب) - كفرح - الرجل : فسدت معدته .
و (أوبست) و (ذربت) كلاهما كفرحت - المعدة :
فسدت أيضا ، أو صلحت من باب التضاد . وألقى
(عربونسه) - بفتحيتين : ذا بطنه .

الأمراض :

فساد المعدة اتسعت إبعاده فنشأت منه ومن
مصادر أخرى أنواع مختلفة من العلل ، منها قولهم
(ذرب) الجرح : فسد واتسع ، قياسا على « ذربت
المعدة » . وقياسا على « عربت المعدة » قيل (عرب)
الجرح : تورم وتقيح . و (عرم) لشيء فهو (عارم)
و (غرم) : فسد .

و (الروبعة) - زنة الزوبعة : داء يأخذ الفصيل
و (الربو) : انتفاخ الجوف ، أصلا ، ثم صار
يعني كذلك مرض عسر التنفس .

و (العر) - زنة الشر : الجرب

و (العرد) - كالمر - و (العدة) - كالمدة :
بشر يخرج في الوجه .

و (العرن) - كالدرن - و (العران) - كالمران -
و (العرنة) - كالفرقة : داء يأخذ في رجل الدابة
يذهب بالشعر ، أو هو تشقق أيديها وأرجلها .

و (تربل) تربلا : كثر لحمه ، و (الربيل) :
السمين . وما كان هذا يعد مرضا عندهم لكنه أصبح
في عصرنا مرضا ووسواسا عند الجنس الذي بعضه
لطيف حقا . على أن القدامى قالوا (تربل) جسمه
بمعنى انتفخ ، أيضا .

التبدي :

(البر) : خلاف البحر ، أي الأرض اليابسة ،
وأثله (برا) : خلق . و (البرية) - بشدتين : الصحراء ،
ومن هنا قالوا خرج الرجل (برا) : إلى البر والصحراء .
وجلس (برا) : خارج الدار . وما زالت دارجات
عربية تستعمل (برا) - بدون تنوين - بنفس المعنى .

و (ابتسر) الرجل - بتشديد الراء : انفرد عن
أصحابه . ثم صار (البرانسي) : الخارجي ، خلاف
الجواني : الداخلي .

كذلك (أقفر) الرجل : تفرد عن أهله ، أو صار
إلى (القفر) أي الخلاء المقفر .

ثم صار (العراء) - كالرجاء - ومثله (البراز)
و (البراح) : الأرض الفضاء ، ومن هذا الأخير :
(الرحب) - بالضم : بمعناه ، أما بالفتح فيعني الفسيح .

وشمل هذا المعنى : (العربي) : ساكن البر .
وقد تخصصت صيغة (الأعرابي) بسكان البادية خاصة ،
وجمعها (الأعراب) . ولهذا قال العرب أنفسهم
(تعرب) الرجل : بمعنى أقام في البادية وصار
(أعرابيا) .

الجلب :

صحيح أنهم قالوا (أرم) ما على المائدة : أكله ولم
يترك منه شيئا ، لكن هذا المعنى خلق قبل أن تعرف
الموائد ، منذ قالوا (أرم) الأرض : لم يترك فيها أصلا
ولا فرعا ، و (أرمّت) الشيء : ذهبت (بأرومته) أي
استأصلته . ومثل هذه الأرض نصيبها الأقفار والجذب
بطبيعة الحال .

وأصل المعنى من كثرة الأكل في الربيع ، الذي
تقدم ذكره .

و (أقفر) المكان : خلا من الناس والماء والكلأ ،
أي من الماء والكلأ ومن ثم الناس . ومنه (أقفر) الرجل :

اخواننا السوريين ما زالوا يقولون لك اذا طرقت الباب وسألت عن صاحب الدار مثلاً انه قد (ظهر) بمعنى غادر البيت .

الخلق :

(برا) الشيء : خلقه من العدم . وهذا من البر (الذي يعج وخاصة في الربيع بأنواع المخلوقات من حيوان ونبات ، فهذا كانت (البرية) وهي البرية) - زنة السجية : الخلق ، أي المخلوقات . ومن أخواتها (البرية) - بتشديد الراء والياء : البر والصحراء . و (الباري) : الخالق .

و (برأ) أثله (برع) التي يظهر أنها كانت تعني برز النبات وارتفع ، بدليل أنهم منها اشتقوا (برعم) و (تبرعم) ، و (البرعم) .. ثم صار فعل (برع) يعني : فاق علماً أو فضيلة أو جمالاً . ومثلها (أبر) عليه - بتشديد الراء : غلبه وفاقه .

ومن هذا أيضاً (برض) النبات : خرج (بارضه) أي أول ما يطلع منه .

العلو :

اصل معنى المعرفة كما سلف هو (الارتفاع) قد تسلسل هكذا : فرع - رفع (- رافع) - عرف .

ولنبداً بالفرع . قالوا (فرعت) القوم فرعاً : علوتهم بالشرف ، و (فرعت) في الجبل تفريعاً : صعدت . ومن باب التضاد صار (التفريع) يعني الانحدار أيضاً .

ثم ظهرت صيغة رفع ومنها (الرفيع) : العالي ، و (الارتفاع) و (الرفعة) ...

ثم (الراعسف) : انف الجبل ، أو طرف ارنبة الأنف .. إلى آخر ما تقدم ذكره .

هذا في الفرع والرفع والرفع . أما مشتقات (عرب) فقد جاءها معنى العلو من الربيع فيما يبدو ، ومن نمو النبات وارتفاعه خاصة . ومن ذلك صار (الربا) يعني الزيادة والنماء ، بدليل صياغة (الربوة) منه . والأثل (وبأ) - بالهمزة : عللاً وارتفع ، و (المراء) : المرقاة ، ومن ثم : المرقبة - لأن مكان المراقبة ينبغي أن يكون (وائيسا) أي مرتفعاً .

صار إلى القفراي الخلاء الذي لا ماء فيه ولا كلاً ولا ناس ، وهي أيضاً صفة (البراج) و (البراز) اللذين تقدم ذكرهما . وعلى المجاز والاستعارة قيل (أفقر) الرجل : لم يبق عنده آدم ، وصار (القفار) يعني الخبز الذي لا آدم معه .

ومن معنى الجذب أيضاً قولهم (أمعرت) الأرض : قل نباتها ، و (أمعر) القوم : أجذبوا .

و (البرضة) - كالغرفة : أرض لا نبات فيها . و (البرقة) - كالغرفة أيضاً أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطن . ومنها على ما يظهر (برقة) في ليبيا ، التي يوردها صاحب القاموس بالتعريف (البرقة) .

و (البلوق) و (البلوقة) - زنة البلوط والبلوط : المفازة ، والبقعة لا تنبت البتة .

ومنها (البلقع) و (البلقعة) : الأرض المقفرة . ثم (العلب) - كالدرب - و (العلب) - كالبر - و (العلب) - كالشرس : المكان الفليظ لا ينبت .

وطبيعي أن هذه ليست كل الألفاظ التي أطلقوها بمعنى الجذب ، فالأثل هو (الربيع) وهو من (الربيع) وهذا من (العرب) كما هو معلوم . ووجود معنى الجذب في مادة (عرب) في اللغات السامية جميعها دليل آخر على أن هذه الكلمة نفسها - أي العرب - قد أطلقت أولاً على معنى الربيع فالأكل فالاستئصال . وأقرب الصيغ الأنفة إلى (العرب) هي الأخيرة - أي العلب - مما قد يؤيد ذلك . بل أن (عرب) نفسها - من باب ضرب - تعني الأكل .

وقد أطلقت (عربو) في السريانية - الأرمية - على الصحراء لأنها موطن العربي ، ولم تطلق على العربي لأن موطنه الصحراء كما ظنوا . والظاهر أن العرب الأوائل ، من أهل الحضرة ، هم الذين أطلقوا (عربو) على الصحراء والجذب ثم ظهرت في السريانية وغيرها . ومن ذلك قولهم (تعرب) الرجل - العربي : أقام في البادية وصار أعرباً . وإطلاق (العربي) في الكثير من الدارجات العربية على البدوي قد يؤيد ذلك . ولا سيما أن ابن خلدون أيضاً قد استعمل الكلمة بهذا المعنى . شبيهة بذلك تسمية (البيداء) و (البادية) من (البدوي) الذي جاء استمه من فعل (بدا يبدو) أي ظهر ، بمعنى خرج إلى البادية . ولسنا نتمحل إذ ندعي أن معنى الخروج قد تأتي من معنى الظهور ، فإن

الماشية لتعرف بها . وتعني (علمته) كذلك : شققت شفته العليا فهو (أعلم) ، لأن هذا أيضا علامة .

و (أعلمست) الفرس : علقت عليها صوفا ملونا في الحرب .

ومن هذا المعنى صارت (العبيبة) : الصوفية الحمراء .

و (العلب) - كالقلب : أثر السوط وغيره .

و (الأعرم) و (العرماء) : الحية الرقشاء . ومنها (الأرملة) فيما يظهر : العلم أي الرأية . و (الأرم) - بفتح الهزرة أو كسرهما : حجارة تنصب في المفازة يهتدي بها .

ومن العلو صارت (العلاوة) على الراس والعنق ، تعني : العصرف .

وكما نشأت صيغة (علا) من (علم) بمعنى العلو ، صارت تعني السلامة كذلك في (على يعلي) - بتشديد اللام ، فأصبح قولك (عليست) الكتاب تعليبة ، و (علوتته) يعني (عنونته) ! .. بمعنى جعلت له (علوانا) أي (عنوانا) . وكنا قد ارتأينا في كتابنا « مغامرات لغوية » - فصل « أربطة البهائم في لغتنا الثقافية » - أن (العنوان) من (العنان) لكننا نرى الآن عكس ذلك أي أن العنان من العنوان .. في قولك (عننت) اللجام : جعلت له عنانا ، و (عننت) الكتاب : جعلت له عنوانا . هذا التصحيح وأمثاله نوردته خلاصا للحقيقة وتوكيدا لما طفقنا نردده من كثرة ما في مثل هذه الأبحاث اللغوية من متشابهات ومزالق .

الـلـوـن :

من مادة برع قالوا : البرق (البريع) : اللامع . و (برقت) الشيء تبريقا : زينت . و (برقت) المرأة برقا و (برقت) تبريقا و (أبرقت) : تزينت .

ومن هنا جاء (التبرج) : اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للأجانب ، وصارت الكلمة تعني حديثا : المبالغة في الزينة .

و (برق) الشيء برقا : لمع وتلألأ . ومنه (برق البرق) : لمع . ومن البرق في ظلام الليل على ما يبدو صار (الأبرق) : ما اجتمع فيه سواد وبياض ، ومنه نشأ (الأبلق) الذي نشيح عنه الآن لكيلا يضيع من يدنا خيط السياق لنعود اليه بعد حين .

و (الرابية) و (الربوة) : ما ارتفع من الأرض .

و (المرتبن) : المرتفع وزنا ومعنى .

ومثل ربا : (علا) يعلو علوا واعتلاء : ارتفع . و (علوت) المكان : صعدته .

كذلك (عرد) الشيء - بالفتح : طلع وارتفع .

ثم (عروى) - زنة لجوى : هضبة .

و (الفردة) - زنة العروة : هضبة في أصلها ماء .

وبعد الربوة والهضبة يصل الارتفاع الى الجبال . برعت (الجبل : علوته . و (العلم) - زنة القلم : الجبل الطويل ، ومجازا : سيد القوم .

و (العرناس) - كالعرفان : انف الجبل . وللكمة علاقة بـ (العرنين) : الأنف ، أو ما صلب منه ، ومجازا : السيد الشريف .

و (معبر) - زنة مظفر : جبل بالدهناء .

و (برع) - زنة مضر : جبل بتهامة .

و كنت قرأت عن جبل اسمه (العرو) - ربما زنة العرو - قام من أجل امتلاكه نزاع مسلح بين السعودية واليمن في العشرينيات من هذا القرن المشؤوم ، ثم تنازلت عنه السعودية لليمن صلحا . ولم نجد الاسم في الفاموس . ويبدو كأن (الوعر) و (الوعورة) قد نبعا منه فتلك المنطقة مشهورة بوعورتها فعلا ، وما عبنا اطلقوا على الأرض الجبلية الواقعة بين الحجاز واليمن اسم (العسير) .

ثم يعن العلو في التحليق حتى يبلغ السماء . حيث يقولون (عرد) النجم - بالتشديد : طلع وارتفع . ثم بالغ المعنى في الصعود حتى ادرك اقصاه فتناول السماء السابعة نفسها منذ سموها (عروباء) !

الـمـلـامـة :

جاء معناها من العلم بالشيء ، حيث صار (العلم) - كالقلم - يعني الجبل والرأية ، و (علمت) على الشيء تعليما : جعلت عليه (علامة) أو (أعلومة) فهو (معلم) - زنة مهذب . ومن ثم سمي الضبع الذكر (عيلما) و (عيلاما) لأنه مخطط ، استعارة من تخطيط الثوب ، فقولك (أعلمست) الثوب ، يعني جعلت له (علما) من طراز أو غيره . كذلك (علمته) - كضربته : وسمته ، والوسم في الأصل علامة تكوى على جلد

الإصالة والجودة :

الخيـل (العـراب) - زنة الشهاب : هي السالمة الهجـة ، وما زالت الخيل العربية مشهورة بإصالتها وجودتها . وقياسا عليها قيل (الأبل العـراب) . والخيـل (العـراب) تنطق أيضا : الأعـراب (كالأرؤس) ، و (المـعربة) كالمـطربة) . ومن ذلك قالوا (أعـرب) الفرس : سهل فـعرف عـتقه وسلامته من الهجـة . و (أعـربت) أنت الفرس العربي : ميزته من الهجين إذا سهل ، ومن ثم (أعـربت) الفرس أيا كان : أجـريته ، ويظهر أن معنى الجري هنا إنما نشأ من اختبار عروبة الفرس في جـرية .

ولعل معنى الإصالة والجودة قد تأتي من خيلهم ، ثم تسرب إلى الصيغ الأخرى .

وقالوا فلان (عـبر) لكل عمل - زنة بشر : صالح له وخير به . وهذا المعنى قد جاء على الأغلب من (العـبور) ، فان (العـبر) - كالكفر : السحاب التي تسير شديدا ، ثم (العـبار) - كالجبار : القوي على السير ، ثم (العـبر) - بفتح العين أو كسرهما أو ضمهما : الصالح لكل عمل .

ولعلهم قد قصدوا الحمية والنخوة والحفاظ . . يوم قالوا (تعـرب) الرجل : تخلق بأخلاق العرب وتشبه بهم .

النشاط :

(العلامـي) - بالضم : الخفيف الذكي .

و (بوز) الفرس تبريزا : سبق الخيل ، ومجازا (بـرز) الرجل فاق أصحابه .

و (عرب) الرجل - كفرح : نشط ، و (العرب) - كالطرب - و (العرب) كالفرح : النشاط .

القـسوة :

(استـرب) البعير للسير : قوي عليه ، ولعل هذا من (الربـع) أي الحمل لأن قوة البعير في السير إنما تعرف حين يكون عليه حمـله ، وخصوصا أن (الربـعة) - كالمثدنة - هي المرفعة ، أداة الرفع . وبعد هذا قيل (استـرب) الرجل الشيء : أطاقه .

و (الأبرص) : المصاب بـ (البرص) - كالقفص : المرض الذي يحدث في الجسم كله فشرا أبيض . . و (الأبرش) : الذي في جلده نقط من غير لونه .

و (الأربش) : المختلف اللون . وأرض (برشاء) : كثيرة العشب مختلف ألوانه .

و (الربـل) - بفتحـين : نبات شديد الخضرة ، كما تقدم .

و (أوبـسد) اللون - بتشديد الدال : تغير . و (ربـدت) الشاة تربيدا : بدا في ضرعها لمع سود وبياض ، كأنما الأثل (برق) .

ومن (برق) جاء قولهم (برقشـت) الشيء : زينته . ومنه (أبو برقش) و (البرقش) - زنة الحصرم : طائران ملونان .

وقد مر بنا أن (عـر) يعني : لطح . وربما منه نجم (الأعرم) : المتلون والأبرش ، و (العرماء) : الحية الرقشاء ، و (العرم) - كالقلم - و (العرمـة) - كالتهمة : سواد مختلط ببياض ، أو هو تنقيط بينهما . . أي كذلك مثل الأبرق الذي نشأ منه (الأبلق) الذي جاء دوره في الحديث ، ومعناه نفس معنى الأبرق .

فهذا الأبلق فضلته اللغات الأوربية إلى لونيـه المختلطين فجعلتهما مستقلين ، مثلما تفصل الماء بقطب كهربائي إلى عنصره الأوكسجين والهيدروجين . فبعض هذه اللغات أطلقت على الأسود كالانكليزية : (Black) ، وبعضها أطلقت على الأبيض كالإسبانية : (Blanco) والإيطالية (Bianco) والفرنسية (Blanc) .

وإن كانت الكلمة تعطي معنيين متعاكسين في اللغات الأوربية فقد كانت كذلك منذ القدم في العربية . وما زالت تعني الأبيض البشرة أي الأشقر بالدرجـة المغربية وهم ينطقونها كالانكليزية (Black) بتسكين أولها : (بلق) ، أو بالأحرى أن الانكليزية تنطقها كالمغربية التي تمثل إحدى اللهجات العربية القومى . . على حين أن الكلمة تعني الأسود بالفصحى في صيغة أخرى هي (الأربك) وهي متطورة من (الأبرق) بقلب وإبدال . وشبهه بذلك إلى حد ما أن (الأبرش) الذي قلنا أنه يعني من كان في جلده نقط من غير لونه ، يطلقونه في شمالي العراق على من كان أشقر شعرا وبشرة ، لأن النقط ، أي النمش ، إنما تكون في البشرة الشقراء على الأعم .

وربما من هذا الأصل تفرع (العبر) - بالفتح أو الكسر أو الضم : القوي الشديد ، وجمال (عيسر) أسفار : قوة على السير ، والجمال (العيار) - كالمطار : القوي على السير ، وكانهم قالوا : رباع .

و (العريد) - بكسرتين : الشديد من كل شيء .

أما (العلب) - بفتح أو ضم أو كسر - أي الصلب الشديد كذلك ، فيعني أيضا : المكان الفليظ الذي لا ينبت كما تقدم ، وهو أصل المعنى فيما يبدو . وحينئذ صار نعت الرجل بـ (العلب) يعني الفليظ الجافى .

و (العرد) - كالفرد : الصلب الشديد كذلك .

ومنه (العرداد) - كالرئبال : الشجاع الصلب .

و (العردمان) - بضم العين والذال : الشديد الجافى .

وشبيه بذلك (العرندد) - بضم العين والراء

والذال ، أو فتحها جميعا : الصلب .

و (العرمرم) : الشديد .

الربط :

بعد قولهم (رباع يربع) بمعنى أقام ، ثم بمعنى توقف وانتظر ، قالوا (رب) بالمكان و (ربد) و (لبد) : أقام .

ومن الأقامة والانتظار نشأت معاني الربط وغيرها من معان جانبية كثيرة سنكتفي منها بالقليل المهم .

(تربث يتربث تربثا) تمكث وتبطأ ، ومن ثم قيل (ربثه) عن كذا : منعه وحجبه . ومنها نشأت (لبث) و (تلبث) .

و (تربص) : انتظر وتوقف .

ومن (ربد) بمعنى أقام صيغ (المربد) - كالمنبر :

محبس الأبل وما شاكلها ، ثم أطلق على سوق للدواب بالبصرة صارت منتدى يلتقي فيه الأدباء والشعراء ، وهي غنية عن التعريف .

و (ربضت) الدواب : بركت ، و (أربض)

الدواب : آواها في (المربيض) أي الزريبة . وعندها ظهرت صيغة (بروك) ثم (الروكة) التي يبرك عليها ، ثم (الروكوب) ، ثم (البركة) - بفتحيتين ، على نسق النعمة من النعم - بفتحيتين - إلى الأبل ، وتطلق على البقر والغنم كذلك .

وشبيه بالمربيض (المربط) موضع (ربط) الدواب . وقالوا (ربطت) الأمر : واضبت عليه ، و (رابط) الجيش : لازم تخوم العدو ، و (ربطه) : أوثقه وشده .

ثم قيل (ربقتة) : ربطته في (الربق) - زنة الربيع : حبل فيه عرى ، و (الربقة) - بفتح أو كسر : العروة في الحبل .

ثم يختلف معنى الربط في (ربك) وتبقى نتيجته فتقولك (ربكته) يعني القيته في وحل ، أي صار يتخبط في سيره كالمربوط ، وهذا يذكرنا بالوصف البسارع الذي أنجبته قريحة صريع الفواني يوم شبه مشية السكران بمشي « المقيد في الوحل » . وكما ولدوا معنى المشكلة في (الورطة) التي أصل معناها الوحل - ولدوا معنى التخطب في (الارتباك) الذي أصل معناه : السقوط في الوحل . ومنه (ارتبك) الصيد في الحبال : اضطرب ، ثم (ارتبك) الأمر : اختلط .

ويظهر معنى الوحل والتخطب فيه في صيغ أخرى مع الربط أو بدونه ، مثل (كربسته) : أخذته وربطته ، و (كريس) الرجل : « مشى مشية المقيد » . . . وكانا بصريع الفواني يود تكملة هذا التعبير المجمل بإضافة « في الوحل » إليه .

ثم (كرفس) : مشى مشية المقيد أيضا ، و (كرفست) البعير : قيده .

و (كربل = يكربل) : مشى في الطين أو خاض في الماء . و (كربلت) الشيء بالشيء : خلطته ، و (كربلت) الحنطة : غربلتها ، ولا حاجة بنا إلى لفت النظر هنا إلى أن (الغريلة) أثلها هذه (الكريلة) .

ومن (ربك) نشأت صيغة (كبل كبلا) التي يظهر فيها معنى القيد والحبس . و (الكبل) - بفتح أو كسر : القيد ، أو أعظم ما يكون من القيود ! ومما يدل على تولد (كبل) من (ربك) هو أن (الكابول) يعني حباله الصيد التي لمحناها لمحا في (الارتباك) .

ويظهر (الكبل) بنفس لفظه أي (Cable) في الفرنسية والانكليزية وغيرهما من بعض اللغات الأوروبية ، بمعنى الحبل أولا ثم السلك المعدني ، ثم صار يعني البرقية منذ كانت البرقيات ترسل عبر الأسلاك . وفي العراق يسمونه (القابل) تعريفا وجمعه (القابلوات) . ولو سموه (الكبل) وجمعه (الكبول) لجمعوا بين العروة والتعريب .

الحبل ذا العري من قولهم (ربقتها) : ربطتها في الربق . وتسميته الحيوان من قيده قد جرى على ولدها العجل ايضا ، فالذي نظنه ان ائله (العقل) اي العقال الذي كان يعقل به ربما لمنعه من الرضاع او توطئه لعملية ذبحه ، وما زال العجل وامه وابوه يعقلون حين يعقرون . ومن البقرة ظهر معنى (البقر) - زنة السطر : بمعنى الشق والبجع ، و (القربان) لأنها كانت تنحسر للالهة . ومن هنا اتانا معنى (القريب) و (التقرب) الى الالهة ، ثم معنى (القرب) ضد البعد ، ومنه الشيء (القريب) : ضد البعيد ، ثم الشخص (القريب) : ضد الغريب ، ومن ثم صلة (القريب) و (القرابة) .

يظهر اسم البقرة مرخما في اللاتينية اي بالحرفين الاولين فقط (بقة - Vacca) التي نراها في الفرنسية بصورة (Vache)

وتجيء مقلوبة في الفارسية بصورة (كاب - Gab) وقد كانت قديما وما زالت تنطق (كساو - Gav) ايضا . وهي الصيغة الشائعة في الفارسية الحديثة ، وهي شبيهة جدا بالانكليزية (كساو - Caw) ومنها الصيغة التي فاقتها شهرة تعني الـ **كاوبوي** - Cowboy راعي البقر . واذا لم نشأ التشبث بها ففي وسعنا بدلا من وضعها بين قوسين في كتاباتنا ان نعربها تعريبا دقيقا بصيغة (البقار) - على غرار الغنام والجمال والحمار - وكلها بالتشديد .

وقبل الانتقال الى السوائم البرية نذكر (الكلب) الذي يرافق الماشية بصفة راع مساعد ، واسمه من (الكلاب) - زنة الرمان - اي الخطاف وهذا من (الكل) السابق ذكره في موضوع الربط .

واما من سائمة البرية فنذكر :

(الرئم) : الظبي الابيض .

و (الربرب) : القطيع من بقر الوحش .

و (الأعفر) : نوع من الظباء ضعيف الجري ، اختلفوا في صفة لونه ، اي انه اطلق على أنواع مختلفة الالوان منه . واصل المعنى على كل حال من لـ (العفر) اي التراب ، بدليل ان :

(اليعفور) : ظبي بلون التراب .

ثم نذكر سيد الحيوانات - بعدنا - وهو قريينا المجنون ، القرد ، ولنقل انه من حيوان الشجر . وهو :

ثم نشأ (اللبك) فقالوا (لبك) - بالكسر - و (تلبك) و (التبك) الامر : اختلط وتلبس . اي أن معنى الحبل والربط قد اختفى هنا أيضا وبقيت نتيجته ، عودا على (ربك) ، ما يدل على ان (اللبك) من (الربك) لا من (الكبل) . ولعل (الكرب) أيضا من هذا (الربك) .

ولا بد ان القاريء الكريم قد لاحظ ان فعل (تلبس) هذا اي اختلط ، قد نشأ من (تلبك) ، ومثله (التبس) من (التبك) . ثم : لبس ، وسلب . ومن لبس نشأت : لمس ، التمس ، تلمس . مس ، مسح ، وربما مسخ أيضا . ثم من اللمس نشأت : استلم (بمعنى لمس ، مثل استلام ركن الكعبة) . ومن استلم نشأت : تسلم ، وسلم (بالتشديد) . ثم سلم (بكسر اللام) : ثم السلام والسلم . وكلها باستثناء السلام والسلم - واقعية موجودة في العالم .

الحيوانات :

ما اكثر الحيوانات التي انبثقت اسمائها من تفرعات هذه الطائفة من الصيغ ، منها السائم والراحف والسبع ، ومنها حيوان الماء والهواء ، والحشرات .

فاما الماشية فنذكر منها :

(الأرب) - زنة الشكر : صفار البهم ساعة تولد .

(الربي) : بضم الراء وفتح الباء مشددة : الشاة الحديثة التناج .

و (اليعمور) : الجدي الصغير .

و (الرياح) - كالسعال - و (الرياح) - كالتفاح : الجدي ، والفصيل ، أي ولد الناقة أو البقرة فصل عن أمه .

و (الرؤوم) وكذلك (الرائم) و (الرائمة) : الناقة العاطفة على ولدها .

و (القفر) - بالفتح : الثور اذا فطم وعزل عن أمه ليحرث .

ثم نذكر (البعير) وهو الجمل اطل الله بقاءه .

و (الربض) - بالكسر - من البقر : جماعتها حيث تربض . بذلك سميت من الربوض أي البروك .

ثم (البقرة) وقد جاءت تسميتها فيما يخيل لنا من (الربق) وهو القيد الذي صار في المعجم يعني

(**الهباء**) - بالتشديد : القرد الكثير الشعر ،
ويسمى كذلك (**الهويسر**) - زنة الكوكب ، وهذا من
أسماء الفهد أيضا .

و (**الرياح**) - كالحمال - و (**الرياح**) - كالتفاح :
القرد الذكر . وهما نفس الصيغتين اللتين تقدم انهما
تعيينان الجدي والفصيل . وهذا من أمثلة اختلاط
تسميات الحيوان بسبب اختلاف القبائل ، وأحيانا
بسبب اللجوء الى المجاز والاستعارة في التعبير ،
افتنانا .

و (**اليربوع**) الذي سلف ذكره لا سائس ولا
زاحف : نوع من الفار قفاز طويل الرجلين ينتصب
عليهما حين يجلس كأنه يحب نفسه الكنفر . وفي
دارجات الشرق الاوسط يسمونه (**الجربوع**) .

ومن الحشرات نذكر :

(**الهبور**) - زنة السفود : الذر الصغير ، اي
صغار النمل .

و (**العميرة**) - كالخميرة : خلايا النمل مجموعة .
و (**البرقان**) - كالبركان : الجراد المتلون ،
واحدته (**البرقانة**) .

ثم (**العراة**) : الجراة ، وتسمى (**العراة**)
أيضا .

ولا نعلم هل الصيغة الاخيرة اثلها (**الجراة**) من
معنى (جرد) الارض من نباتها أم اثلها (**العراة**) من
(**العر**) أي جرب البعير الذي يذهب بوبره . والارض
(**الجرباء**) هي : المحلة ، مثل الجرداء .

و (**الريبة**) - بالضم : « شيء من الحشرات »
لا ندري ولا صاحب القاموس يدري ما عسى ان يكون .

ومن الزواحف نذكر :

(**سام أبرص**) الدوبية المعروفة بـ (**ابي برص**)
وهو اسمها بالدارجة العراقية أيضا . ثم الحية ، وقد
استأثرت بغير قليل من صيغ هذه الطائفة ، فهي :

(**الرقشاء**) : الحية المبرقشة ، من برقش وبرق ،
بمعنى زين .

و (**العرماء**) : الحية الرقشاء ولعل أصل المعنى
من (**العرامة**) : الشراسة والأذى . ثم بعد ان أطلقت
الكلمة على الحية الرقشاء صارت (**العرمة**) تعني
السواد مختلطا ببياض ، أو التنقيط بينهما .

و (**أم الريين**) : الأفعى .

و (**العريذ**) - بكر العين والفاء ، وبخفيف
الذال أو تشديدها : الذكر من الافاعي .

واخيرا (**العامرة**) و (**العامر**) : الحية . وجميعها
(**العوامر**) ، وتسمى (**عوامر البيوت**) . وواضح ان
التسمية قد اطلقت أولا على الحيات البيئية .

وننتقل الى السباع . وليكن أولها الضبع فهي :
(**أم عامر**) ولعلها بهذا سميت لانها مخططة كبعض
الحيات (**العوامر**) .

وهي (**العرفاء**) - زنة البلقاء : بهذا سميت لكثرة
شعر رقبتهما .

اما (**العيلم**) و (**العيلام**) فهو الضبع الذكر .
وربما جاء الاسم من العلامات أي الخطوط في جسمه
اما (**العيلم**) الضفدع فمن معنى الماء .

ثم نذكر (**العوير**) : جرو الفهد .

ثم (**الهوير**) : الفهد ، وهو الاسم الذي قدم انه
مشارك بينه وبين القرد الذكر .

ثم يأتي الأسد ، وحصته من أسماء هذه الزمرة
اللغوية كبيرة جدا بالقياس الى سواه ، فهنا أيضا له
حصة الأسد .

فهو (**الريبال**) و (**الربال**) لكن هذا الاسم
الاخير يشاركه فيه الذئب .

وهو (**المتربسد**) من معنى اللابث المتربص .
فلذلك سمي أيضا :

(**الرابض**) و (**الرباض**) : لانه يربض لفريسته
متخفيا حتى تقترب فينقض عليها .

وهو (**أبو لبد**) - زنة مضر - وهذه التسمية
جاءته من (**لبدته**) كما هو واضح .

و (**الملبد**) - زنة المحسن . وهذه التسمية
وان كانت من نفس مادة اسمه السابق ، قد أتته من
(**اللبود**) أي المكوث واللبث ، أي الربوض الذي سبق
الالماع اليه .

و (**العرندس**) - كالسفرجل : الأسد العظيم .
وتطلق الكلمة كذلك على السيل الكثير ، وهو أصل
المعنى ، ما يدل على ان الأسد سمي بهذا لانه يتحدر
على فريسته كالسيل العارم . (وشبيه بذلك اسمه
الآخر « **الحيدرة** » من معنى الحذر) .

ومن معاني الربيع قيل (رب) الدهن ربا : طيبه وأجاده .

ومن التعبير صار (العبير) : اخلاطا من الطيب ، وقد تطلق على الزعفران خاصة .

و (الغمارة) - كالشرارة : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك قائلا « عمرك الله » ، ومن هنا جاء معنى الرائحة فصار (العمار) - كالنهار : الذي يعني التحية وهي اصل معناه - يعني كذلك الريحان الذي يزينون به مجلس الشراب . . و (العمار) - كالطيّار : الطيب الرائحة ، ومجازا : الطيب الثناء .

ومن هذا القبيل من مادة (عر) ، صار (العرار) - بالفتح : يطلق على نوع من البهار طيب الرائحة ، وعلى النرجس البري .

حسن الحال :

انبجس المعنى من الربيع كذلك نباتا وحيوانا وماء .

فمن ذلك قولهم (ربيع يربح) يعيشه - من باب فتح يفتح : رضي . و (الرباع) - كالرجاء - و (الرباعة) - كالمناعة - و (الرباعة) - كالرياضة : حسن الحال، ومجازا : الرياضة .

و (ربح) - بفتحين - العيش : اتسع وطاب ، و (ربغوا) في النعيم : اقاموا فيه .

و (رفغ) العيش : كان واسعا هنيئا ، و (ترفغ) : عاش في (الرفافة) والرغد .

ثم ظهرت صيغة (رفه) - بفتحين - الرجل : لان عيشه وطاب ، فكان ذا (رفناه) و (رفاهة) و (رفاهية) ، فعيشه (رافه) و (رفاه) و (رفاهة) .

و (رفاه) ترفئة وترفيئا : هناة بقوله « بالرفاء والبئين » ، ومنها بنفس المعنى (رفاه) - بألف لينة .

اما قولهم (ربيع) - من باب فرح - الرجل : كان فاجرا ماجنا ، فهو (ربيع) - بفتح فكسر - فهذا من نتائج الرفاهة والرفاعة والبطر .

الاصحاح :

يدو وكأنه قد نشأ من معنى العطف والرافة منذ قالوا (وامت) الناقة ولدها : عطف عليه فهي (رؤوم) ،

وهو كذلك (العفري) - بكسر العين والراء - و (العفريس) و (العفروس) و (العفروسي) - كالسفرجل . وهذه الاسماء من لون العفر أي التراب . وشتان بين هذا السبع وفريسته (اليعفور) المسكين المسمى من لون العفر كذلك .

ومن الطير نذكر :

(الرال) - بالفتح : ولد النعامة ، وجمعه رئال ورنلان . الخ . وهذا طائر ارضي لا هوائي .

و (العرناس) - كالرئبال : طائر كالحمامة لا تشعر به حتى يطير كأنما من تحت قدميك .

و (العلام) - كالغلام - و (العلام) - كالربان : الصقر والباشق . . وربما سميا بذين الاسمين لما في ريشهما من علامات .

و (الابليق) طائر أبلق اللون ، ويسمى في ديار الشام (أبو بليق) .

و (البرقش) - بكسر الباء والقاف : طائر صغير لطيف الصوت ملون الريش . ومن نفس المادة يأتي :

(أبو براقش) طائر صغير أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود ! . . فلهذا السبب الوجه يشبهون به الانسان المتلون .

من المائيات نذكر :

(العيلم) الضفدع ، الحيوان البرمائي الشهير ، ربح اسمه هذا من معنى الماء كما قلنا قبل ، منذ كان العيلم يعني البئر الكثيرة الماء والبحر ايضا .

ثم (الاربيان) - بكسر الهمزة والباء ، يقول بعضهم انه سمك ويقول بعضهم انه سرطان البحر . وفي جنوب العراق يطلقون (الروبيان) على ما يسمى برغوث البحر . ومن الطريف ان السمك يدعى بالروسية (ريبا - Riba)

الرائحة :

(العرف) - زنة الصرف : الرائحة مطلقا وكثير استعماله في الطيبة ، والارض (المعروفة) : الطيبة الرائحة . واصل المعنى فيما يبدو من (المعرفة) لان الشيء قد تعرفه من رائحته قبل ان تراه . . كالذي تقدم بيانه .

ومن معنى الفساد : (استعلب) اللحم و (غلب) : تغيرت رائحته .

ثم نشأت صيغ (الرؤوف) و (الرافة) .. من معنى (راف) به : رحمه اشد الرحمة .

و (ارامت) الجرح : عاجلته حتى برا ، (ارامت) القدح : اصلحته ، و (رُم) الجرح : انضم للبرء . وهنا نشأت (لَام) لَاما ، و (لَاءم) ملائمة .. ثم (التام) التئاما ، ثم (التحم) و (لحم) . وقالوا كذلك (لَام) الشيء : أحبه والفسه ، و (رَاب) الشيء : جمعه وشده برفق ، و (رَاب) الصدع : اصلحه .

اما (أبرأت) الزرع أبرأ ، بمعنى اصلحته وألقته فليست من هذا الباب ، لان المعنى هنا من (الأبار) - كالمطار : الذي يأبر النخل ، والمقصود الشخص الذي يشق طلعها باداة كالمنجل وهي (المثير) لتلقيحها ، ثم انتقل المعنى الى تلقيح الزرع عامة واصلاحه .

ثم (رف) الثوب : رفاه بآخر ليتوسع من اسفله ، ومن ثم قالوا (وفات) الثوب : لامت خرقة وخاطه : و (رفأت) بينهم : اصلحت . ومراجعة موضوع « حسن الحال » يتضح كيف اجتمع المعنيان في مادة (رفا) .

المبايعة

(الرياح) - زنة الصلاح : الابل تجلب للبيع . وربما من هذا تولد (الريح) وهو الكسب في التجارة بيما وشراء ، كالذي سبق ان المعنا اليه . ومن هذا او من (رب) بمعنى النماء والارتفاع نشأ (الربا) بمعنى الزيادة ، وهو الربح يأخذه الدائن من المدين عن الدين .

ومن مستلزمات البيع دفع (العربون) وهو جزء من الثمن او الاجرة يدفع سلفا ضمانا لاتمام الصفقة . وينطق (العربون) بفتحتين ، و (العربون) بالضم ، و (العريان) بالضم كذلك . وقد نطقوا العين همزة في جميعها كذلك ، اي (الأربون) بشكليه و (الأربون) .. وهذا يدل على ان العرب كانوا يبدلون العين همزة احيانا ولو قليلة كما كانوا يبدلون الهمزة عينا احيانا كثيرة . وقالوا (أعربه) اعرابا ، و (عربه) تعريبا ، و (عرينه) : أعطاه العربون .

وقالوا (أربت) المُقد : احكمته ، وهذا المعنى من دفع (الأربون) الذي انما يراد به احكام البيع ، ومن ثم صارت (الأوبة) : العقدة وزنا ومعنى ، لان المبايعين كانا يعقدان طرفي توبييها ببعضهما البعض علامة تعهد

كل منهما بانفاذ (التعاقد) . فصار (التاريب) يعني الاحكام والتحديد والتوفير والتكميل من ثم .

ومن مظاهر التجارة قيل (تريبص) بسلعته : استبقاها لوقت الغلاء . و (عري) بصيغة الجھول - الى الشيء : باعه ثم استوحش اليه !

العريبة

صارت تطلق على المركبة التي تجرها الدواب . واصل التسمية فيما يظهر اطلاقهم (العريبة) - زنة الشجرة - على النهر الشديد الجريان . ومن نهر دجلة المشهور بشدة جريه ولا سيما زمن الفيضان اطلقت (العريات) على سفن كانت في العهد العباسي رواكد في بغداد ، من باب المفارقات والمتناقضات . ولعل اسم العريبة قد اطلق اخيرا على المركبة المذكورة تشبيها بتلك السفن .

والمصريون يسمون السيارة في دارجتهم (عريبة) .

العمــــران

(الربيع) - كالطبع - يعني بالدارجة العراقية : الاصحاب والاصدقاء . وفي الموصل يستعملون المفرد ايضا بصيغة (الربيع) حيث تقول ، تعني حيث يقول قائلهم « فلان ربيعي » : صديقي ، و « نحنا رباع » . ونحسب هذا المعنى عريقا في العريبة قد تخلف في الدارجة العراقية ، وربما في دارجات اخرى .

وكالذي تقدم بنا عند الكلام على (الربيع) كان (العريب) - زنة الربيع - و (المعرب) - زنة المحين - يعنيان : المرء .. كما ان (الربيع) يعني الناس ، او الجماعة منهم .

و (العرو) - زنة النضو : الجماعة من الناس ايضا ، وظاهر ان اثلها (العرب) من (العرف) اي المعارف من الناس بالمعنى العراقي ، الذي سنعود اليه بشيء من التفصيل قليل .

ولما كان من داب الجماعات العربية ان تنزل في الاماكن المخصصة حيث يجدون بفيثهم هذه في فصل الربيع على الاغلب ، صار قولهم ان القوم (ارتبعوا) بالمكان : اقاموا فيه زمن الربيع ، ثم صار قولهم (وربعوا) - بفتحتين - بالمكان : اقاموا اطلاقا ، في اي فصل من فصول الحول .

(**المرباع**) : المكان الذي ينبت نباته في أول الربيع . (**المرباب**) و (**المربة**) - كالمحبة : الأرض الكثيرة النبات . ولا بد أنهم قد قالوا (**ربيت**) النبات بمعنى أنميته وتمهدته قبل أن يسعوا الشاة تربى في البيت للنبها (**ربيبة**) وقبل أن يقولوا (**رب**) الرجل الصبي ربا ، و (**ريبه**) تربيها ، بمعنى تعهده حتى أدرك . ثم قيل (**رباه**) تربيته ، بمعنى غذاه وجعلته يربو - أول الامر - ثم يعني : هذبه أيضا ، وعلى عهدنا صارت : غذاه بالعلم كذلك .

العربي الانسان

اننا حتى الانسان ندور في فلك (العربي) الكلمة . وما أوردنا في هذا المضمار الا قليلا من كثير . . فان الالفاظ والمعاني التي لا تكاد تحصى ، المتفرعة من (العربي) من التعدد والتشابه والتعقيد بحيث يملؤنا تتبعها متعة وغبطة ، على حين اننا نخشى أن تكون قد اخذت تملأ القاريء سامة وضجرا على فرض انه لم يسأم ويضجر منذ زمن لعله غير قريب .

فلنعد الى (العربي) الانسان نختم به هذا الحديث .

ويبدو للنظر ان (العربي) ليست الكلمة الأتلة في تسمية ابن المعربة بل سبقتها الصيغة الفائبة (**العرفي**) من معنى (**التعارف**) . وما زال العراقيون يعنون بكلمة (**العرف**) - بكسر العين : (**المعارف**) أي الاشخاص المتعارفين فيما بينهم ، او الشخص أو الاشخاص المعروفين لدى المتكلم . . على غرار (**الربيع**) بلقتهم : الاصدقاء كالذي ذكرنا قبل . ولعل مما يؤيد أن (العربي) قد اطلقت عليه الصيغة الفائبة قبل الصيغة العينية ، ان الاولى تظهر بعض تفرعاتها في مولدات الربيع الذي ائله العربي . . مثل النبات في (**العرفط**) بالضم : شجر من العضاء ، والماء في (**العرفجاء**) بالفتح : ماء لبني عقيل . .

— * —

وقد آن لنا الآن أن نكر بالتذكر الى ما تقدم بيانه من أن (العربي) قد ورد بصيغ (**الابري**) و (**الخبيرو**) و (**المبيرو**) و (**الهيبري**) - التي يرجع بعضها الى أكثر من خمسة آلاف سنة - كما حكى لنا الدكتور أحمد سوسة . وكتابه القيم ليس في متناول يدي

ومن هذا الباب (**استعذيت**) المكان : استطبتة ، من أثل (**استعذبتة**) .

ثم نذكر فعل (**رب**) بالمكان و (**أرب**) - زنة صر وأصر : أقام كذلك ، أي مثل (**رب**) بالمكان .

و (**الرباب**) : الصحاب وزنا ومعنى ، مثل (**الرباع**) بالموصلية وهي أثلها كما هو جلبي بيسن . و (**الربابة**) بالفتح : الجماعة ، و (**الربابة**) بالكسر : الملكة ، ومثلها (**المربة**) - زنة المحبة .

و (**المرب**) - زنة المصب : مكان الإقامة او الاجتماع ، وأثله (**المربيع**) .

و (**الريان**) - كالرمان : الجماعة كذلك وصار يطلق على رئيس ملاحي السفينة ، أي جماعة النوتية .

ومن (**الرب**) بالمكان نذكر (**التريج**) فهو الإقامة أيضا .

ومن (**الريض**) بالمكان واللبث ظهر فعل (**لبد**) لبودا بالمكان : أقام ، ومثله مقلوبة (**بلد**) بلودا بالمكان : أقام فيه أو اتخذه (**بلدا**) أي مقاما ، ومن هنا نشأت (**البلدة**) : المدينة ، و (**البلد**) الذي صار يعني المدينة أو القطر .

من كل هذا وامثاله الكثيرة المتفاعلة نبعت معاني الجماعة والإقامة والمدينة ثم المدينة . . والملكة والقطر .

بالإضافة الى ما تقدم من دواعي الإقامة الربيعية نجد للماء أهميته في كثير من الأحوال . من ذلك (**عربة**) - بثلاث فتحات - وهي مكة التي سبق القول عن تسميتها وتسمية الكثير غيرها من المواقع والمدن والقرى ، ضمن كلامنا على موضوع الماء .

ومن (**عربة**) أو نحوها ظهرت صيغة (**عمرت**) بالمكان : أقمت ، وزنا ومعنى . و (**الممر**) - زنة العمل : المنزل الكثير الماء والكلا ، ومن ثم قالوا (**عمرت**) الدار : بنيتها ، و (**عمرت**) المنزل : سكنته ، فهو (**معمور**) .

و (**العمران**) بالضم : البنيان ، ثم صار يعني تشييد الدور والمدن ، وقد استعمل ابن خلدون الكلمة بمعنى المجتمع وعلم الاجتماع .

و (**التربية**) من أهم ظواهر (**العمري**) بالمعنى الخلدوني ومستلزماته .

الآن لا عرف ما الذي استنتجه هو من هذه الحقيقة المثيرة . لكنها تبتعت في خاطري شيان :

أولهما أن ورود هذه الصيغ في وثائق بهذا القدم لا يدل على أنها أقدم وجودا من صيغ « العربي » التي ورد أقدم المعروف منها في وثيقة لا ترجع إلى أقدم من منتصف القرن التاسع ق م ، لأنه من المحتمل أن يكون اسم العربي قد ورد في صيغ أقدم من هذه وتلك لم يعثر عليها المنقبون .

وثانيهما أن العبرانيين إذا كانوا هم أبناء يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم كما يقولون فإن تاريخ ظهور ابراهيم لا يرجع إلى أكثر من عام 1700 أو 1800 ق م . ولم يبلغ أحد من المؤرخين فيما نعلم في الرجوع بهذا التاريخ إلى أبعد من 2000 ق م ، أي أربعة آلاف سنة من يومنا . فهذا يعني قطعاً أن الهبري والعبري ... ليسوا هم العبرانيين الذين يطلق عليهم هذا الاسم اليوم ، وإنما كانوا قوما آخرين أقدم منهم بألف سنة على الأقل . فمن هم يا ترى ؟ ولا بد أن يكون للدكتور أحمد سوسة قد ذكر ذلك أو ما يشبهه ، ولعله قد تساءل عن عسى أن يكون أولئك المجهلون الذين تعددت أسماؤهم قبل أن يخلق العبرانيون وأبو العبرانيين .

وشيء ثالث نذكره ولا نحسب أن الدكتور سوسة قد تطرق إليه لأنه لغوي بحت ، وهو أن التائيل اللغوي هو الحكم الفاصل بين صيغة « العربي » والصيغ المنافسة لها . فهذا التائيل ، خلال المشاكل اللغوية ، سيذهلنا أن يبرهن لنا على أن هذه الصيغ كلها ترجع إلى أصل واحد هو « العربي » نفسه أولاً ، أي أن الخيرو ، والعبرو ، والهبري ، والإبري . لم يكونوا إلا العرب أنفسهم ثانياً ، وأن اسم (العربي) يرجع من ثم إلى تاريخ أقدم من هذه الصيغ التي تولدت منه بقرون كثيرة لعلها عشرات ... ثالثاً .

فاذا كانوا قد أطلقوا (العربي) من معنى المعرفة والإعراب على أنفسهم فلا غرابة أن يكونوا أطلقوا كذلك (العبري) و (الخبري) بعد أن اشتق العبر والخبر من (العرب) .

ومن العبري شأت العبري صيغة (الإبري) منذ أبدلوا عينها همزة كما فعلوا بالعربون يوم نطقوه (أربون) وبفعل ريع يربع فجعلوه رباً يرباً ...

ومن الإبري ثبتت صيغة (الهبري) بإبدال همزتها هاء كما فعلوا في الألفاظ كثيرة مثل (أيا) صارت على لسانهم (هيا) و (أراق) غدت (هراق) .

لكن صيغتي (الإبري) و (الهبري) قد ضيعتا معناهما التعبيري في المعجم وأن كانت قادتاها اللغويتان ما تزالان موجودتين في معان أخرى .

وربما كانت هناك صيغ أخرى قد اندثرت ومعها (العرفي) قبل أن تحظى بالتدوين في الوثائق الهيروغليفية والمسمارية وغيرهما ، أو تناولها التدوين لكنها لما تكتشف ، وقد تكتشف في المستقبل وقد لا تكتشف أبداً ، والمنطقي أن تكون كل تلك الصيغ قد أطلقت على العرب عامة أول الأمر فشاعت لدى الأمم المجاورة ، ثم أخذت بالتخصص ، فربما صار يطلق بعضها لدى أحد الإقطار المجاورة على بعض القبائل دون بعض .

الأرميــــــــــــــــون :

وقد ساعد الإعاجم على توليد بعض الصيغ بتحريفها عن أصلها : فمن الجائز أن (الأرمي) قد صاغها الإعاجم من (العربي) لعجزهم عن نطق صوت العين . كما يجوز وهو ما نرجحه أن العرب أنفسهم نطقوا العربي (أربي) كما نطقوا العبري (أبري) ... والعربون (أربون) .

وأما صيغة (الآرامي) الشائعة الآن فلم ترد في أي من المصادر المسمارية التي سجلت اثنتي عشرة صيغة مختلفة ليس فيها واحدة بفتحة ممدودة ، على الهمزة . (وقد تطرقنا إلى ذلك بتفصيل أوفى في كتابنا « مغامرات لغوية ») . فعلى هذا تكون صيغة (الآرامي) هذه حديثة فيما يبدو ، ونحسبها من صيغ مدونتي التوراة التي تطورت فيها بعض الألفاظ مثل استير (من عشتار) ، ومردخاي (من مردوخ) وحاخام (من حكيم) ، وشالوم (من سلام) ...

وأقدم ذكرى للأرميين ورد في نحو القرن الخامس عشر (ق م) بوصفهم عشائر بدوية تجوب الفلاة على تخوم الهلال الخصيب وتغير على المدن والقرى للنهب، كما كانت تفعل القبائل البدوية أبداً ، وكما صارت تفعل من بعدهم بكر وتغلب ، وكما ظلت تفعل إلى عهد قريب عشائر شمر وعنزة .

ولعل الأرميين لم يكونوا عندئذ قد انسلخوا نهائياً عن عروبتهم فلم يصبحوا بعداً قامة براسها .

واختلاف لغة الأرميين عن اللسان العربي المعروف لدينا لا يزيد عن اختلاف الكنعانية عنه . بل أن اللغات الثمودية واللحيانية والصفوية التي تمثل أقدم صور

وهكذا اختصت (العبري) - ومثلها (العبراني) -
بأولئك القوم ولم تعد تطلق على غيرهم من العرب .

ولعل قدامى المصريين كانوا يطلقون (إبري)
(وإبري) .. على «العرب» الذين كانوا منذ أقدم
يقيمون شرقي مصر ، على سواحل البحر الأحمر وعلى
أرض سيناء ولعلهم أطلقوا من ثم نفس الاسم على
العبرانيين المقيمين في مصر في أرض «جاسان»
لأن لغتهم أجنبية عن اللغة المصرية ، كلفة العرب .
واليوم يسمى بالدارجة المصرية كل عربي ، غير
مصري (شامي) سواء أكان من بر الشام أو من جبال
الأطلس . فلعل هذا كان شأنهم يوم سمووا اليهود
عبريين ، على اعتبار أنهم عرب .

العربي :

وبعد أن اختص (الأرمي) بالبداة المذكورين
(العبري) باليهود ، و (العربي) بساكن المعربة ..
بقيت الصيغ الأخرى ولم تجد اقواما يختص كل واحد
منها بأحدهم فاندثرت مع الزمان .

حتى مادة (عرب) التي بقيت وحدها تطلق على
هذا المعربي تجئنا في صور شتى مع أنها مادة لغوية
واحدة . وهذه الصيغ هي : **العرب** (كالأدب) ،
(و **العرب** (كالعذر) و **انعرب** (بضمين) ،
العربان (كالقربان) ، و **الأعراب** (كالأصحاب) ،
و **الأعاريب** .. والمفرد القياسي منها : **العربي** (كالأدبي) ،
و **العربي** (بضم فسكون) ، و **انعرباني** (كالسلطاني) ،
و **الأعرابي** ، ثم **اليعربي** .. والمصدر المعجمي :
العروبة و **العروبية** .



كان فرضنا أن نكتب قصة تسمية العربي تحت
عنوان «قصص من اللغة» فإذا بنا نساق إلى التاريخ
فصار حديثنا أجدر بأن يضاف إلى عنوانه «وتاريخهم
من لغتهم» !

لا بأس ، فليكن شيئاً بين القصة اللغة واللغة
التاريخ ..

العربية التي وصلتنا وثائق مكتوبة منها ، لا يفهمها من
العرب اليوم إلا المتخصصون ، شأن الآشورية والبابلية .
فلا يكون عدم فهمنا إياها - أي اختلافها عن لغتنا -
باعثاً للظن أنها غير العربية .. فان ابن بغداد اليوم
مثلاً لا يفهم الكثير من لغات بعض المدن والقرى العربية
في العراق نفسه على صغر رقعته .

أن الأرميين قبل مبارحتهم المعربة قد كانت لهم
لهجتهم الخاصة ، كما هو شأن القبائل في العادة ، فلما
انسلخوا عن بقية العرب انعزلت لغتهم وأخذت سبيلها
الخاص في التطور تحت سيطرة البيئة والتأثر باللغات
المخالطة الجديدة ، فتكونت اللغة الأرمية (السريانية)
المعروفة كما تكونت من قبلها الكنعانية والأكديّة
وغيرهما من اللغات السامية .

والذي نخاله أن اسم (الأرمي) كان يطلقه بعض
ساكن المنطقة على العربي من أي قبيل كان ثم اختص
بهذا البدوي النهاب السلاب الذي طفق يستقر
ويتمدن جيلاً بعد جيل ويقوى تأثيره في المجتمعات
التي نزل بين ظهرانيها حتى غلبت لغته جميع لغات
الهلل الخصيب من بابلية وآشورية وكنعانية وعبرية .
ومعلوم أن المسيح ، كآباء جيله من العبرانيين ، كان
يتكلم الأرمية التي هي من ثم لغة الأصل للأنجيل .

العبري :

ولا ندري متى أطلق اسم (العبري) على اليهودي
أو أسلافه خاصة من دون سائر العرب . لكن الثابت
المعترف به حتى من اليهود أن من يسمون بالعبرانيين
ليسوا أخلاف يعقوب وحدهم ، وليسوا القوم الذين
خرج بهم موسى من مصر وحدهم أيا كان أصلهم ، بل
اختلط بهم الكثير من القبائل البدوية في أرض سيناء
وفلسطين . وإن الشبه العظيم بين اللغتين الكنعانية
والعبرية لينبئ عن كثرة الكنعانيين الذين خالطهم
اليهود فأثروا في اللغة العبرية بحيث أنها يمكننا تسميتها
«كنعانية حديثة» كالفنيقية ، فهذا يقول الباحثون
اللغويون أن الفنيقية والعبرية اختان أمهما الكنعانية .
والسبب منطقي وواضح هو أن قوم موسى طرؤوا على
أرض عربية كنعانية (فلسطين) وكانوا قلة فيها ، لكن
تشاحن أهلها أصارهم إلى ما أصار إليه «ملوك
الطوائف» في الأندلس ، وما صار إليه نفس البلد
- فلسطين - أمس .